



العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الإمام الحسن بن علي عليه السلام

السبب المحيبي

تأليف

السيد زهير طالب الأعرجي

الفائز بالمركز الأول

بمسابقة مؤلف بحق الإمام الحسن عليه السلام الثانية لعام (١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م)

شعبة الدراسات والبحوث



العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

شعبة الدراسات والنشر

كربلاء المقدسة

ص.ب (٢٢٢)

هاتف: ٢٢٢٦٠٠، داخلي: ١٧٥-١٦٢

www.alkafeel.net

info@alkafeel.net

الاعرجي، زهير طالب علي، ١٩٥٢-
الإمام الحسن بن علي عليه السلام : السبط المجتبي / تأليف زهير طالب الاعرجي ؛
مراجعة شعبة الدراسات والنشر.- الطبعة الاولى.- كربلاء : قسم الشؤون الفكرية
والثقافية في العتبة العباسية المقدسة، ١٤٣٦ هـ. / ٢٠١٥.
٥٥٣ صفحة ؛ ٢٤ سم
المصادر : ص. ٥١٣-٥٣٧ ؛ وكذلك في الحاشية.
١. الحسن بن علي المجتبي (ع) الإمام الثاني، ٣-٥٠ هـ.--سيرة. ألف العتبة العباسية
المقدسة. قسم الشؤون الفكرية. شعبة الدراسات والنشر. ب. العنوان.
BP1٩٣.١٢.A٣ A٧ ٢٠١٥
الفهرسة والتصنيف في مكتبة العتبة العباسية المقدسة

الكتاب: الإمام الحسن بن علي عليه السلام السبط المجتبي .

الكاتب: السيد زهير طالب الأعرجي .

الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة.

مراجعة: شعبة الدراسات والنشر.

التدقيق اللغوي: مصطفى كامل محمود، عمار كريم السلامي .

الايخراج الطباعي والتصميم: علاء سعيد الأسدي-محمد قاسم النصراوي.

رقم التسجيل في دار الكتب والوثائق في بغداد ٢٩٠١ عام ٢٠١٤ م.

المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة: الثانية.

عدد النسخ: ١٠٠٠.

رجب ١٤٣٨ هـ-نيسان ٢٠١٧ م

مقدمة الناشر

الحمد لله حمداً كثيراً على جميع نعمه وله الشكر سبحانه وتعالى على ما فضل به المؤمنين باتباعهم لرسوله الكريم وأهل بيته المعصومين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فكانوا هم الهادين وورثة المبعوث رحمة للعالمين، أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وجعلهم حجته على خلقه ومكمن علمه ومفتاح رحمته و﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أما بعد..

ما زال قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة يساهم في نشر التراث الإسلامي الخالد الذي يستسقيه من مناهل أهل بيت النبوة ﷺ، ليرتشف القارئ العزيز من هذا المعين الصافي، فمن هذا البيت النوراني شعت أنوار الهداية بفيض كريم أهل البيت الإمام الحسن بن علي المجتبي (صلوات الله وسلامه عليه)، ريحانة المصطفى ﷺ ورابع أهل الكساء، وسيد شباب أهل الجنة عليه من الله أفضل الصلاة والسلام.

فكان الشرف الأسمى لما أبدعته يراعات كتّاب وباحثين كتبوا عن تراث إمامنا المجتبي ﷺ من الذين فازوا بالمراتب الخمس الأولى في مهرجان ولادة الإمام الحسن المجتبي ﷺ لعام ١٤٣٤ للهجرة النبوية المباركة والموافق لعام ٢٠١٣م، التي حملت العناوين التالية:

١. الحسن بن علي عليه السلام الإمامة المنسيّة .

للمؤلف صالح الطائي .

٢. دراسات في الفكر التربوي عند الإمام الحسن عليه السلام .

للمؤلف الاستاذ يوسف مدن .

٣. الإنسانية المثاليّة عند الحسن بن علي عليه السلام دراسة تحليليّة في تراثه .

للمؤلف الدكتور رحيم كريم علي الشّريفّي

٤. تنزيه الإمام الحسن عليه السلام ومحكمة النصوص .

للمؤلف منذر كاظم آل هريبد

٥. صلح الحسن عليه السلام في فكر المستشرقين .

للمؤلف: كريم جهاد الحسّاني

ثم أردفت بمجموعة طيبة أخرى من الأنامل التي أبدعت البحوث القيّمة فكانت ثلاثة مؤلفات فائزة في المسابقة لعام ١٤٣٥ للهجرة النبوية المباركة والموافق لعام ٢٠١٤م، وهي:

١. الإمام الحسن بن علي عليه السلام السبط المجتبي

للمؤلف زهير السيد طالب الاعرجي

٢. الحسينيات، ما قيل في السبط الأكبر من شعر

للمؤلف السيد محمد المعلم

٣. نساء في عصر الإمام الحسن عليه السلام

للمؤلفة د. بيان عبّيد العريض

وللمساهمة في نشر رسالة الإسلام المحمدي الخالد متمثلاً بتراث الإمام السبط
المجتبى عليه السلام ، ومن بركات راعي الجود وفضل قمر الهواشم العباس بن علي عليه السلام ،
نقدّم بين يدي القارئ العزيز هذه المساهمة لإحياء أمر أهل بيت الرحمة عليهم السلام كما أمرنا،
روي عن الإمام الرضا عليه السلام، انه قال : «رحم الله عبداً أحيا أمرنا، فقليل له: فكيف يجيبي
أمركم؟» ، قال عليه السلام : يتعلم علومنا ويعلمها الناس فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا
لا تبعونا»^(١).

و نسأل الله تعالى ان يتقبل هذا العمل بقبول حسن ، أنه كريم مجيب .
والحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وآله الطاهرين .

الناشر

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة العباسية المقدسة

(١) معاني الأخبار: الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ

وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

وعن الإمام الحسن عليه السلام قال «إن الله اختارنا لنفسه،

وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه، وأنزل علينا وحيه، وإن الله

لم يبعث نبياً، إلا اختار له نفساً ورهطاً وبيتاً»

مروج الذهب - المسعودي ج ٢ ص ٣٠٦. وتفسير نور الثقلين - الحويزي ج ١ ص ٣٨٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله، وعلى آله الطيبين الطاهرين.
وبعد.

يعرض هذا الكتاب سيرة الإمام الثاني من أئمة أهل بيت النبوة عليه السلام وهو الحسن بن علي المجتبي، سيد شباب أهل الجنة، يعسوب الدين، وإمام المسلمين.

كان الإمام الحسن عليه السلام أهلاً لما فُوِّضَ إليه من أمر الإمامة الكبرى، فقد عَضَّ على العلم بضرسٍ قاطع، كان تالياً كتاب الله تعالى حقَّ تلاوته، عابداً مولاه حق عبادته. كان إماماً معصوماً، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحكم بشريعة جده المصطفى عليه السلام. لذلك كان البحث في سيرة الإمام الحسن عليه السلام بحثاً عن الكمال والجمال بكل صورته.

وتتبع أهمية هذا البحث في أهمية شخصيته على المسرح الإسلامي. فقد اجتمعت لريحانة رسول الله عليه السلام خصال لم تجتمع لغيره، على أكثر من صعيد:

فعلى صعيد النسب، نشأ في أسرة من أشرف الأُسَر على الإطلاق. جدُّه محمد

المصطفى عليه السلام خاتم الأنبياء والمرسلين، وأبوه علي بن أبي طالب عليه السلام سيد الوصيين، وأمه فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، وأخوه الحسين عليه السلام سيد الشهداء، تلك الأسرة الحميدة التي كان همُّها التفاني من أجل الدين، والتوحيد، وهداية الأمة، جمعها في أحد الأيام كساءً فدكي، حيث نزلت فيهم الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١).

وعلى صعيد الأفضلية، فقد كان الحسن عليه السلام أفضل الناس بعد جده عليه السلام وأبيه عليه السلام، وأكملهم من نواحي التقوى، واليقين، والعلم، والفصاحة، والعبادة، والشجاعة. ذلك أن من مقتضيات الإمامة الكبرى أن يكون الإمام المعصوم جامعاً لصفات الكمال في الفهم، والعلم، والحزم، والعزم، والرأي، والحلم، والكرامة، والشجاعة، والزهد، والعدالة، وحسن الخلق، والسيرة، والتقوى، والورع. فاتبعه المؤمنون طوعاً وربة عليه السلام... أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟^(٢).

ولاشك ان الإمامة الدينية قد تلازم، وربما لا تلازم السلطة الخارجية أو الخلافة، ولا يكون من لوازمها القهر، والغلبة، والشوكة، بل يمكن ان يُغلب الإمام عليه السلام على أمره من ناحية ظاهرية، وهذا ما حصل للحسن عليه السلام بعد الهدنة مع معاوية. ولكن هدف الإمام عليه السلام كان ويبقى هداية الناس إلى أعلى درجات الكمال، دون جبر أو إكراه.

وأفضلية الإمام الحسن عليه السلام تجملها آيات القرآن المجيد النازلة فيه وفي أهل البيت عليهم السلام، وهي: آية المباهلة، وآية التطهير، وآية المودة، وآية الأبرار.

ومن أخطر آثار الأفضلية تلك ان يكون الفاضل إماماً للمفضول. وتصديقاً

(١) سورة الاحزاب: الآية ٣٣.

(٢) سورة يونس: الآية ٣٥.

لما أشرنا إليه يكون الحسن بن علي عليه السلام إماماً معصوماً تجب طاعته، فرضاً على جميع المسلمين.

وعلى صعيد التاريخ، وقف الإمام الحسن عليه السلام سداً منيعاً، وواقيةً لحفظ الإسلام من أي تحريف وتزوير، تشهد له مواقفه البطولية ضد نظام بني أمية، وأساليبهم في إفراغ الإسلام من محتواه الأخلاقي والعقائدي. وكان عليه السلام يقوم بأمرين، الأول: إرشاد أعدائه إلى الله سبحانه، وكتابه المجيد، ويدعوهم إلى حكمه. والثاني: لم ينقطع، وهو في أصعب اللحظات، عن ذكر الله تعالى، والتوسل به، والالتجاء إليه.

منهجية الكتاب:

بقي لنا ملاحظتان بشأن منهجية هذا الكتاب، لا بد من ذكرهما، وهما:

الأولى: إن تلازم سيرة الحسن والحسين عليهما السلام في السنوات العشر الأولى من حياتهما، لاسيماً مع جدتهما محمد المصطفى عليه السلام، وأبيهما علي عليه السلام، قد تدعو القارئ إلى قراءة حياتهما بصورة متلازمة. فالروايات غالباً ما تذكر الحسين عليه السلام، ولا تذكر الحسن عليه السلام باسمه إلا نادراً.

ولاشك أن كون الفارق في عمرهما لا يزيد على تسعة أشهر، وملازمتها بعضهما لبعض، وحب جدتهما عليهما السلام الجَمُّ لهما عليهما السلام، جعل باكورة حياتهما، وكأنها حياة شخص واحد. لكننا حاولنا، قدر الإمكان، تمييز مواطن الاختلاف في شخصيتهما من البداية.

الثانية: منهج الكتاب مبنيٌّ على استعراض حياة الإمام الحسن عليه السلام بصورة تاريخية منهجية من الولادة حتى الاستشهاد. وبعد ذلك تعرّض البحث إلى خصائصه عليه السلام في الإمامة الكبرى، ثم تناول مسألة الهدنة مع معاوية، وعرض المشاكل الاجتماعية التي

واجهت تلك الحقبة التاريخية من عمر الإسلام.

وبالإجمال، فقد أريد لهذا البحث أن يكون كتاباً يرى فيه القارئ عظمة الإمام الحسن عليه السلام، وتقواه، وعلمه، وعصمته.

اللهم تعلم أنني لم أبذل هذا الجهد إلا ابتغاء وجهك الكريم، ومرضاتك في الدارين. فاسألك يا ربي الكريم، أن تتقبله بقبولٍ حسنٍ، وأن تجعله ذخراً لنا يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، إلا من أتى الله بقلبٍ سليمٍ.

زهير سيد طالب علي الأعرجي

١ ربيع الثاني ١٤٣٥ هـ

محتويات الكتاب

الفصل الأول: مفتاح البحث : حب الحسن عليه السلام.

الفصل الثاني: الترجمة التاريخية.

الفصل الثالث: الخصائص الشخصية.

الفصل الرابع: الهدنة مع معاوية: الحدث والتحليل.

الفصل الخامس: المعالم الاجتماعية.

الفصل السادس: نصوصٌ منتقاة.

الفَصِيحُ الْأَوَّلُ

مفتاح البحث: حب الحسن عليه السلام

- الحب في حياة الإنسان. المودة العقلية والمودة العاطفية.
- الحب والمودة في اللغة العربية والقرآن الكريم.
- حب الحسن عليه السلام في الروايات.
- الحب الاخلاقي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

ماذا يُراد من كلمة الحب عندما تتواتر الروايات بحب النبي ﷺ للحسن ﷺ؟
وقد ورد عن رسول الله ﷺ وهو يشير إلى الحسن ﷺ: «اللهم إني أحبه وأحب من يحبه»^(١)، «ومن أحبني فليحبه...»^(٢)، «... فليبلغ الشاهد الغائب»^(٣)، و«حسنٌ مني وأنا منه، أحب الله من أحبه»^(٤).

١- فهل للمحبة دلالات دينية وعقائدية؟

٢- وهل أنّ الحبَّ جسراً ذهني وشعوري بين المحبِّ والمحبوب؟ وهل هناك إلزام شرعي من المؤمن المحبِّ بحب الحسن ﷺ؟

٣- وهل يتبدل تفكير الإنسان وشعوره عندما يشعر بأنه يعيش علاقة حب ذهنية مع شخصية عظيمة قريبة من رسول الله ﷺ كشخصية الحسن ﷺ؟

نحاول الإجابة على تلك الاسئلة المهمة في هذا الفصل بإذنه تعالى كي تكون لنا مفتاحاً مناسباً لدراسة حياة الإمام ﷺ، وشخصيته الفكرية والاجتماعية، ودوره في

(١) ترجمة الامام الحسن ﷺ - ابن عساكر ص ٣٨، رواه البخاري في صحيحه / ج ٥ ص ٣٣.

(٢) الصواعق المحرقة - ابن حجر ص ١٣٧، ١٣٨.

(٣) مسند أحمد بن حنبل / ج ٥ ص ٣٦٦.

(٤) العوالم (في أحوال الإمام الحسن ﷺ) - الشيخ عبد الله البحراني ص ٣٥.

المجتمع الإسلامي في النصف الأول من القرن الأول للهجرة النبوية الشريفة.

دور الحب في حياة الإنسان :

لاشك أن الحب الحقيقي يقوم بدورٍ مهمٍ في تشكيل ثقافتنا الدينية والاجتماعية، ذلك أن الحب القائم على الأخلاق الدينية يصحح سلوك الأفراد ويجعلهم يلتزمون بأخلاقية المحبوب وسلوكه وقيمه المعنوية. فإذا كان المحبوب متكاملًا في شخصيته الذاتية والاجتماعية، حاول المحبّون أن يتسلقوا سلّم الكمال ليرتقوا بأنفسهم إلى مكان القرب منه.

وعلاقة الحب في الإسلام تبدأ بحب الله تعالى، ثم حب النبي المصطفى عليه السلام، ثم حب أهل بيته الطاهرين عليهم السلام، ثم حب أهل الإيثار والتقوى، وتنتهي بحب البشر باعتبارهم إخوانًا لنا يشاركوننا في الإنسانية والعقل والشعور.

١- حب الله تعالى: قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ...﴾^(١).

٢- حب النبي عليه السلام: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ...﴾^(٢). وفي الحديث الشريف: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه ووالده وولده والناس أجمعين»^(٣).

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٥.

(٢) سورة التوبة: الآية ٢٤.

(٣) صحيح مسلم / ج ١ ص ٤٩. ونقلها في (جامع السعادات) - النراقي / ج ٣ ص ١١٢.

٣- حب أهل البيت عليهم السلام: قال تعالى: ﴿... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(١).

٤- حب أهل الإيمان: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

٥- حب الناس: يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٣). وتكريم الإنسان هو جعله كائناً كريماً ذا شرف في ذاته، ومقتضى تكريم بني آدم محبتهم. وفي كتاب الإمام علي عليه السلام إلى الصحابي الجليل مالك الأشتر، يقول عليه السلام عن الناس: «فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق»^(٤). والمفهوم المستفاد هو أن الإنسان كريم في ذاته ونظير للآخر في الخلق والتكوين، فالإنسان ينبغي أن يحب أخاه الإنسان لإنسانيته وكرامته وتشابهه في الخلق.

وما نبتغيه في هذا الفصل هو البحث في طبيعة حب أهل البيت عليهم السلام ودلالته، لاسيماً حب الإمام الحسن عليه السلام.

إن أهم نتائج المحبة والمودة بين طرفين متفاوتين في الكمال، هو مشاركة المحب أخلاقية المحبوب ودوره في الحياة، والالتزام بتعليماته وأوامره. وإذا استحكمت علاقة المودة والمحبة، فإن من الصعب ان تتعرض إلى الانفصال والتفكك.

(١) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٢) سورة الحشر: الآية ٩.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

(٤) شرح نهج البلاغة - الشيخ محمد عبده / ج ٣ ص ٨٤.

المودة العقلية والمودة العاطفية

هل ان المودة التي أمرنا الله تعالى بها على لسان النبي ﷺ لأهل البيت ﷺ، مودة عقلية؟ أم هي مودة عاطفية؟ ولماذا خص الحسين ﷺ بتلك المودة وذلك الحب، وصرح ﷺ بأن: «من أحبَّ الحسن والحسين أحببته، ومن أحببته أحببه الله، ومن أحبه الله أدخله جنات النعيم...»^(١).

جواباً على هذا السؤال، لا بد من ذكر أن الحبّ، على قسمين:

الأول: الحب المبني على الرغبة في الغريزة الجسدية، وهذا خارج موضوع بحثنا.

الثاني: الحب المبني على اكتشاف الجمال الحقيقي في المحبوب عن طريق فهم سلوكه وأفكاره. وهذا القسم من الحب هو مرادنا في هذا الكتاب.

ونحن لا نستطيع ان نستشعر ذلك الحب وتلك المودة للحسن ﷺ ما لم نفهم صورة الجمال والكمال في حياته. فكيف نستطيع فهم مراد النبي ﷺ من حب الحسن ﷺ، ما لم نكتشف مواطن الجمال في فكره ﷺ ومواطن الكمال في سلوكه وسيرته.

وإذا استطعنا ان ندخل دائرة حب الحسن ﷺ، فإننا نكون على عتبة حب الفكرة التي حملها ﷺ وهي فكرة الدين بكل أصوله في التوحيد والنبوة والإمامة والعدل والمعاد، وبكل فروعها في العبادات والمعاملات والاخلاق الحميدة ذاتاً وفعلاً. ولذلك خصّه رسول الله ﷺ بتلك الإشارة العظيمة «من أحبني فليحبّه».

(١) روضة الواعظين - الفتال النيسابوري ص ١٤٢.

فيكون تفسير قوله عليه السلام: «اللهم إني أحبه ، وأحب من يحبه» هو أن النبي عليه السلام أحب صورة الجمال في الحسن عليه السلام بالخصوص ، وأحب صورة الجمال في ذريته عموماً ، لأنهم عليهم السلام حملوا قيم الدين السماوي وطبقوها على أنفسهم أولاً ، فجمعوا بين صفات الجمال في القيم ، والكمال في السلوك .

إن الحبّ العقلي من قبلنا نحو أهل البيت عليهم السلام ، وهو إعمال العقل والتفكر في شخصياتهم وسلوكهم ، هو أسمى وأرقى من الحب الشعوري ، وهو البكاء على آلامهم ومصائبهم . ذلك أن العقل أسمى رتبةً في مراتب الوجود من رتبة الشعور والعاطفة . لأن العقل يميز الإنسان عن بقية الكائنات ، أولاً . ولأن العقل يميّز الكمال والجمال عن النقص والقبح ، ثانياً .

ولو كانت الوحوش بأنواعها وأجناسها تبكي على مصيبة الحسن والحسين عليهما السلام بالغريزة ، لكان الإنسان الكائن الوحيد في الدنيا الذي يفكر في كمال سلوكهما ، ويكنّ لهما عليهما السلام حباً ذهنياً عن طريقي العقل والفكر .

إذن هناك لونا من الحب الديني للمحبوب المُطَاع:

الأول: الحب العقلي: هو الحب الناتج عن التفكير في سيرة المحبوب عليه السلام والانصراف عن غيره ، ومحاولة الاقتداء به والالتزام بتعليماته وارشاداته . فالمحبوب هنا هو منار للهداية العقلية والسعادة الذهنية . ومن آثاره رفع مستوى الإنسان إلى مستوى قريب من مستوى الذي يُحِبُّ .

الثاني: الحب العاطفي: وهو التألم لمعاناة المحبوب والفرح لفرحه . وحب الحسين عليه السلام عند عامة الناس أفضل مثال على الحب العاطفي لهما ، لأن الناس تتألم لآلامهما ، وفرح لفرحهما ، وتستبشر بولادتهما .

ولا يمكن التماس حبّ المحبوب إلا بفهم سيرته والتأمل في حياته وقربه من الله تعالى. فيبدأ العقل بالتأمل في سيرة المحبوب الذي أمرنا رسول الله عليه السلام بحبه، ثم تبدأ العاطفة الجياشة بالتأثر والانفعال.

إذن، فإن الحب الذي طلبه منا رسول الله عليه السلام هو حبٌ عقليٌّ وحبٌ عاطفيٌّ معاً. والحب العقلي للحسن عليه السلام خصوصاً، ولأهل البيت عليهم السلام عموماً أفضل وأرقى من الحب العاطفي.

من آثار حب الحسن عليه السلام :

هناك آثار تترتب على حب الحسن عليه السلام بالخصوص ، وأهل البيت عليهم السلام بالعموم، وهي:

١- إن عمق المودة والمحبة بين طرفين تؤدي إلى رفع مستوى الطرف الأدنى إلى مستوى أعلى، إلى درجة الاشتراك في بعض الصفات النسبية بين الطرفين. فالإنسان يرى في عبادة الإمام الحسن عليه السلام وتقواه وصدقه وعلمه وزهده وشجاعته وإرادته ما يدفعه إلى التأسي والاقترداء به عليه السلام، فيحاول ان يتقي غضب الله تعالى ويترك المعاصي. ويحاول أن يتعلم علوم الدين اقتداءً بالحسن عليه السلام، ويزهد في حياته الدنيوية أملاً في الاقتراب من ذلك المستوى الرفيع في الاخلاق. فحب المعصوم عليه السلام عموماً يشجع الفرد على الاقتداء به عليه السلام ويشجعه أيضاً على طلب الوصول إلى كماله عليه السلام وجماله.

والإنسان العاقل هو الذي يسعد بالاقترداء بأزكى الناس وأطهرهم وأتقاهم وأزهدهم عند الله. وهنا أنشأ حب المعصوم عليه السلام أصرة أخلاقية فكرية بين ذهن المحب والشخصية الفكرية والسلوكية للمحسوب.

والسؤال المطروح على طاولة البحث، هو كيف يستطيع الإنسان الذي يحب ذاته حباً جماً، أن يستبدل ذلك الحب للذات بحب الحسن عليه السلام مثلاً، وهو حبٌ للغير؟ أو كيف يستطيع الإنسان الذي جُبلَ على الشهوة أن يستبدل الحب الذي يأتيه بالملذات الجسدية بحبٍ فكريٍّ ذهنيٍّ صافٍ فيه الكثير من النبل والفضائل؟

يجاب على ذلك بأن الحب الذي يولد شراكة ذهنية أو فكرية هو حب يمنح الإنسان سعادة عظيمة، فيندفع الإنسان لتحقيقه. فإذا كان تفكير المحبِّ متوازياً ومنسجماً مع تفكير المحبوب عليه السلام، أنتج ذلك التوازي شعوراً غامراً بالسعادة. وإذا كان التفكير متقاطعاً متصارعاً، أنتج ذلك التفكير قلقاً دائماً وتعاسة. وتعبير آخر إن المعصوم عليه السلام يُلهم غيره من المؤمنين به بالارتقاء إلى مستويات من الفضيلة والكمال، وكأنهم يشاركونه عليه السلام طمأنينة القلب، وخشوع الروح، وإذعان العقل.

٢- إنَّ حب الحسن عليه السلام حبٌ مبادئ يستحق ان يكافأ عليه المحبُّ بحبٍّ عكسي بالمستوى نفسه. كما قال عليه السلام: «اللهم إني أحبه، وأحب من يحبه». والنبى عليه السلام يستطيع ان يأمر فيطاع، فيأمر بحب الحسن عليه السلام ويسكت مثلاً. ولكن أخلاقية الإسلام وعظمته وعظمة رسول الله عليه السلام اقتضت أن يكافئ حب المؤمن للحسن عليه السلام بحبٍّ مماثل من قبل رسول الله عليه السلام نفسه. بل في الروايات أن يبادل حب الحسن عليه السلام بحبٍّ من الله تعالى، كما قال عليه السلام: «حسنٌ مني وأنا منه، أحب الله من أحبه». وحتى لو كان هذا الأمر بمنزلة الدعاء، لا بمنزلة الإخبار، لكان أمراً عظيماً. كيف لا، وهو يصدر عن رسول الله عليه السلام الذي لا ينطق عن الهوى، وكلامه عليه السلام صدقٌ لأوامر السماء.

إذن لحب الحسن عليه السلام مكافأة عظيمة القدر من قبل النبي عليه السلام، لأنه حب ديني مبني على الفضائل والجمال والكمال. وهذا عكس الحبِّ الشعوري الذي تغنى به الشعراء، فقد يحب الرجل امرأة ولا يكافأ على حبه إياها.

٣- إنَّ حبَّ المعصوم (عليه السلام) يقتضي فهماً كاملاً لفكره وسلوكه. فإذا أراد المحبُّ ان يُحبَّ الحسن (عليه السلام)، فلا بد من ان يطلَّع على حِكْمِهِ وخطبه وبلاغته، وأن يلتمس طريقاً لفهم سيرته وتقواه وعبادته وانقطاعه لله سبحانه وتعالى. فإذا أحبه عن هذا الطريق فقد أحبَّ فيه جمال العبادة والتقوى وكمال الانقطاع إلى الله تعالى.

إذن، فالطريق إلى حبِّ الحسن (عليه السلام) هو أن يفتح الإنسان عقله لفكره (عليه السلام) وبلاغته وحسن تدبيره، وأن يفتح قلبه لسيرته (عليه السلام) وتمامية سلوكه. وهذا يتطلب بحثاً معرفياً عن جمال المعصوم (عليه السلام) وكماله من الولادة وحتى الوفاة. فتكون حياة المعصوم (عليه السلام) كتاباً مفتوحاً لمن شاء أن يقرأه ويتدبر معانيه ويسترشد بهديه.

وفي طرفٍ آخر، إذا أراد الإنسان أن يحبَّ أخاه المؤمن، فسوف يجبه لأمر الله تعالى، وتوثيقاً لأصرة الإيثار، واستحكاماً للاجتماع الإسلامي، وفضائل المجتمع المتناسك، وقد يكون جمال المحبوب وكماله أقلَّ من جمال المحبِّ وكماله!

كيف تمَّتحن المودة؟

ان للحب طبيعة إنسانية تُفهم عن طريق إفاضة المشاعر على المحبوب، إلا ان الطاقة الفكرية والسعة العقلية للمحبة تترجم إلى سلوك. فحب الرياضة مثلاً يترجم من لدن المحبِّ إلى ممارستها، وحب الكتابة يترجم إلى استخدام القلم والدواة في كتابة الأفكار، وحب المحبوب يترجم إلى اقتداءً بسيرته.

ولاشك أن حب الحسن (عليه السلام) أمضى وسيلة من وسائل التعلق به (عليه السلام)؛ لأن الحب يعيش في القلب والعقل معاً، ويكوّن عندها - على صعيد القلب - أيضاً شعوراً ينعكس في المناسبات الحزينة التي تقتضي البكاء والحزن، والفرح للمناسبات الطيبة التي تقتضي الفرح والسرور. وعلى صعيد العقل يكوّن حباً عقلياً يكشف صفاء فكر

المحجوب وعظمة صفاته. وهذان اللونان من المودّة العقلية والقلبية تجاه المحجوب عليه السلام تلازمان الإنسان طوال حياته.

ولهذا الحب قيمة أخلاقية عليا لأنه شعور وُضِعَ في موضعه الصحيح، ولأنه وصولٌ إلى منابع الجمال والكمال. ولا ريب أنّ فصل هذا اللون من الحب الاخلاقي السامي عن الرغبات الدنيوية في المال واللذة ونحوها، يرفع الإنسان إلى مستويات من الفضيلة.

إذن فإنّ المودّة لأهل البيت عليهم السلام والحب الديني لهم هو أسمى وأعلى درجة من الحب الرومانسي الذي أفتتن به الناس على مر العصور، وجسّده الشعراء في قصائدهم، وذلك:

أولاً: لأنّ الحب الديني يتعلّق بالفكرة والسلوك، وهو حبٌّ مبنيٌّ على القيم الرفيعة. بينما يركّز الحب الرومانسي على الجاذبية الجسدية والرغبة الغريزية تجاه الجنس الآخر.

ثانياً: إنّ المحبّ على أساس الفكرة الدينية لا يطلب لنفسه شيئاً غير اكتشاف الجمال والكمال في المحجوب.

ثالثاً: إنّ إطار الحب الديني إطار صادق ونقي. وربما يخون المحجوب حبيبه في الحب الرومانسي، لكن لا يحصل ذلك أبداً في الحب الديني.

رابعاً: إنّ من آثار حب المعصوم عليه السلام هو الإصغاء لكلامه والالتزام بأوامره ونواهيه التي هي أوامر ونواهٍ صادرة ممن هو أعلى منه، وهو الله عز وجل.

خامساً: إنّ الحب الرومانسي يمكن أن تنكسر أو اصره وتتحطم لسببٍ من الأسباب، كخطأ في المقدمات أو اشتباه في تقييم المحجوب. ولكن الحب الديني ليس كذلك؛ لأنّ هناك مبرراً عقلياً، وإلزاماً مساوياً لتلك المودّة السامية.

القاسم المشترك بين الحب والمودة:

تحدّثنا عن الحب واستعملنا مصطلحين: (الحب) و(المودة) بشكل ما، وكأنها من المترادفات اللفظية. ولكن التأمّني في البحث قد يأتي لنا بفارق ما بين المحبة والمودة. وإذا كان الأمر كذلك، فما هو الفارق بينهما يا ترى؟

إجابة على ذلك، لا بد من بحث المشتراك والفوارق بين الحبّ والمودة في اللغة العربية أولاً، وفي القرآن الكريم ثانياً.

بين الحبّ والمودة في اللغة العربية:

إذا بحثنا في معاجم اللغة العربية، فسوف نجد المصطلحات التالية:

الحبُّ: «الحبُّ نقيض البغض. والحُبُّ: الوداد والمحبة...»

والمحبة أيضاً: اسم للحُبِّ...

وحكى ابن الأعرابي: أنا حبيبيكم أي محبكم، وأنشد: ورُبَّ حبيبٍ ناصحٍ غير محبوبٍ^(١).

الودُّ: قال ابن منظور: «الودُّ: مصدر المودة. قال ابن سيده: الودُّ الحبُّ يكون في جميع مداخل الخير، عن أبي زيد: ووَدِدْتُ الشيءَ أَوْدُ وهو من الأُمْنِيَّة... وقوله عز وجل: ﴿... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، معناه لا أسألكم أجراً على تبليغ الرسالة ولكنني أذكركم المودة في القربى...»^(٢).

وأضاف: «... وقرئ: سيجعل لهم الرحمنُ وُدًّا وودًّا. قال الفراء: وُدًّا في صدور

(١) لسان العرب - ابن منظور / ج ١ ص ٨٩. مادة (حب).

(٢) لسان العرب / ج ٣ ص ٤٥٣. مادة (ود).

المؤمنين، قال: قاله بعض المفسرين. ابن الأنباري: الودودُ في أساءِ الله عز وجل، المحبُّ لعباده، من قولك (وددت) الرجل أودّه ودّاً ووداداً ووداداً. قال ابن الأثير: الودود في أساءِ الله تعالى، فعولٌ بمعنى مفعول، من الودِّ المحبة. يقال: وددتُ الرجل إذا أحببته، فالله تعالى مؤدود أي محبوب في قلوب أوليائه، قال: أو هو فعول بمعنى فاعل أي يُحبُّ عباده الصالحين بمعنى يرضى عنهم»^(١).

الفارق اللغوي:

المستفاد من كلام أهل اللغة أنه لا فارق لغوياً بين الحب والمودة. إلا أن مصنّف (الفروق اللغوية) ذكر فرقاً بين الحبّ والودّ، فقال: «أن الحبّ يكون فيما يوجه ميل الطباع والحكمة جميعاً. والودّ من جهة ميل الطباع فقط. ألا ترى أنك تقول: أحبُّ فلاناً وأودّه، وتقول: أحبُّ الصلاة، ولا تقول: أودُّ الصلاة، وتقول: أودُّ أن ذاك كان لي، إذا تمنيت وداده، وأودُّ الرجل ودّاً ومودّةً، والودّ والوديد مثل الحب وهو الحبيب»^(٢).

إلا أن هذا الفارق لا أساس له، وهو مخالفٌ لالفاظ الحب والمودة التي وردت في القرآن الكريم. ولو قال المصنّف أن الودّ محبةٌ لكنه أقرب إلى السلوك، لكان أنسب. لأنك لا تقول: أود الصلاة، لكنك تقول أودّ تأدية الصلاة. فالودّ يعكس السلوك والفعل.

ويستفاد من أهل الأدب رأيٌ آخر وهو أن الحبّ شعورٌ بالانجذاب نحو شخص ما والاعجاب به، ومنه قول الشاعر:

ومن كان من طول الهوى ذاق سلوّةً فليني من ليل لها غير ذائق

(١) لسان العرب / ج ٣ ص ٤٥٤.

(٢) الفروق اللغوية - أبو هلال العسكري ص ١٧٤. فرق رقم ٦٨٦.

وأكثر شيء نلتُهُ من وصلها أمانيّ لم تصدق كلمعةً بارق
بينما الودّ هو خالصُ الحب، تتلازم فيه عاطفة الرحمة والرأفة، وفيها قول الله تعالى:
﴿وَهُوَ الْغُفُورُ الْوَدُودُ﴾^(١)، ﴿...إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾^(٢).

والخلاصة: إنَّ الحبَّ والمودةَ في اللغة من المترادفات اللفظية. والترادف هو ما
اختلف لفظه واتفق معناه، فتطلق ألفاظ متعددة على مدلول واحد. ولترادف قيود
وشروط، فربما يكون اللفظ الأول الأصل، وبقية الألفاظ فروع له. ولكن هناك من
ميّز اللفظين وقال: إنَّ الحب يوجبه ميلُ الطباع والحكمة وهو إعجاب وانجذاب مجرد،
والودّ ميلٌ للطباع فقط وهو خالص الحب مع ملازمة الرحمة والرأفة له. وهو مجرد
استحسان لغوي لا دليل له.

بين الحبّ والمودة في القرآن الكريم

ورد مصطلحا (الحبّ) و(المودة) في القرآن الكريم مرات متعددة.

الحب في القرآن الكريم:

وجذر كلمة (حب) ومشتقاتها وردت في القرآن الكريم أكثر من ثمانين مرة. وفيما
يلي شرح آيتين لهما علاقة بكشف المعاني التي نبحت عنها:

١- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ
يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ
لَوْمَةً لَئِيمًا ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣).

(١) سورة البروج: الآية ١٤.

(٢) سورة هود: الآية ٩٠.

(٣) سورة المائدة: الآية ٥٤.

هذه الآية الكريمة تُفصح عن أن الله عز وجل سيبعثُ قوماً يقومون بإحياء الدين وإرجاعه نقياً أصيلاً كما نزل. وهو القادر عز وجل على أن يأتي بأناس من هذا الطراز، لا يرتدون عن دينه بل يتمسكون به ويلازمونه، يحبون الله عز وجل ويحبهم الله تعالى، أذلاء على المؤمنين، أعزاء على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله لا يخافون لومة لائم.

وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ يعني ان «الحبّ مطلق معلق على الذات من غير تقييده بوصف... أما حبهم لله فلازمه إثارةهم ربهم على كل شيء سواه مما تتعلق به نفس الإنسان من مال أو جاه أو عشيرة أو غيرها، فهؤلاء لا يوالون أحداً من أعداء الله سبحانه، وإن والوا أحداً فإنما يوالون أولياء الله بولاية الله تعالى. وأما حبه تعالى لهم فلازمه براءتهم من كل ظلم، وطهارتهم من كل قذارة معنوية من الكفر والفسق بعصمة أو مغفرة إلهية عن توبة»^(١).

وذلك أن الله لا يحب ارتكاب الظلم أو المعصية كما قال تعالى: ﴿...فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾^(٢)، و﴿...وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٣)، و﴿...وَلَا تُسْرَفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٤)، و﴿...وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٥)، و﴿...وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٦)، و﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

(١) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي / ج ٥ ص ٣٨٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٧.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٤١.

(٥) سورة المائدة: الآية ٦٤.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٩٠.

(٧) سورة النحل: الآية ٢٣.

الْحَاثِمِينَ ﴿١﴾، ونحوها من الآيات الشريفة.

وإذا ارتفعت تلك الرذائل، كالكفر، والظلم، والإسراف، والفساد، والاعتداء، والاستكبار، والخيانة عن الإنسان، عن طريق محبة الله تعالى، اتصف الإنسان بفضائل التقوى، والإحسان، والصبر، والتوكل، والتعاون، والتطهر، والاستغفار، والتوبة. فنفس الإنسان مجبولة إما على اختيار الرذائل وممارستها، أو اختيار الفضائل والعمل بها، وقد قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(٢).

فالمحبون لله تعالى هم المؤمنون بالله حقاً لا يشوب إيمانهم ظلمٌ أو معصية، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٣) فهم في أمانٍ من الضلال؛ ذلك لأن: ﴿...الله لا يهدي من يضل...﴾^(٤)، فهم في أمن إلهي من كل ضلالة، يهديهم الله بإيمانهم إلى صراطه المستقيم، فيتبعون الرسول ﷺ، ويقومون بالتسليم التام له كتسليمهم لله سبحانه.

وإذا أتموا ذلك أصبحوا من مصاديق قوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ...﴾^(٥)، والنتيجة التي نفهمها أن هناك تلازماً بين اتباع رسول الله ﷺ ومحبة الله، فمن اتبع رسول الله ﷺ أحبه الله تعالى ولا يجب الله عبداً لم يتبع نبيه ﷺ.

وهؤلاء المؤمنون الذين اتبعوا النبي ﷺ وأحبهم الله تعالى لابد من أن يتصفوا

(١) سورة الأنفال: الآية ٥٨.

(٢) سورة الشمس: الآية ٧-٨.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٨٢.

(٤) سورة النحل: الآية ٣٧.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٣١.

بالصفات الحسنة التي أحبها الله تعالى ورضاها لعباده، والتي ذكرناها للتو، ومصاديقها: ﴿... فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(١)، و﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)، ﴿... وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(٣)، و﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِيَانٌ مَرْضُوضٌ﴾^(٤)، و﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٥)، و﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٦) ونحوها من الآيات.

إن الإنسان إذا أحبَّ أحسن وخضع وتذلل، وإذا أحبَّ الله أحسن ورحم وأكرم. كان علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام أكثر الناس اتباعاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، وإذا تذكرنا ذلك التلازم بين اتباع الرسول صلى الله عليه وآله ومحبة الله عز وجل، فمن اتبع النبي صلى الله عليه وآله فقد أحبه الله، ولا يجب الله عبداً إلا إذا كان متبعاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، فإن هؤلاء الأطهار من أحبَّ الناس إلى الله تعالى. وإذا أضفت قول النبي صلى الله عليه وآله: «من أحبَّ الحسن والحسين أحببته، ومن أحببته أحبه الله...»^(٧) انتهينا إلى نتيجة هي أن هناك تلازماً بين الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله واتباعه وبين محبة أهل البيت عليهم السلام ومحبة الله تعالى.

فالطريق هو اتباع النبي صلى الله عليه وآله بكل ما جاء به من أحكام وقيم وفضائل ومن ضمنها أمره صلى الله عليه وآله بمحبة الحسن والحسين عليهم السلام. وإذا تمَّ ذلك الانقياد لرسول الله صلى الله عليه وآله، فإن الله تعالى يفيض بمحبته على أولئك الأتباع المؤمنين المخلصين.

(١) سورة آل عمران: الآية ٧٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٦.

(٤) سورة الصف: الآية ٤.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

(٧) روضة الواعظين ص ١٤٢.

والنبي ﷺ يأمر بمحبة أولئك الأطهار من أهل العصمة عليهم السلام، وعلى الأمة أن تتبع النبي ﷺ في ذلك حتى تكون مورد محبة الله تعالى. والطرق تنتهي إلى أنهم عليهم السلام هم الوارثون الذين يرثون الأرض، وأن لهم عاقبة الدار، وأنهم المشمولون بالآية: ﴿... فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...﴾^(١).

٢- المورد الذي ذكر فيه حب إنسان لآخر، بمعنى حب الجمال الظاهري، هو حب امرأة العزيز لنبي الله يوسف عليه السلام: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا...﴾^(٢). هذه الآية الكريمة جزء من قصة يوسف عليه السلام مع امرأة عزيز مصر، وقد راودته عن نفسه فاستعصم، وقال: معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي، إنه لا يفلح الظالمون. فانتشر خبر مراودتها عن نفسه بين نساء المدينة، فقلن: امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً، أي «أصاب حبه شغاف قلبها أي باطنه»^(٣). وهذا اللون من الحب إنما ذكرناه لنكوّن تصوراً شاملاً عن معاني الحب في القرآن الكريم.

المودة في القرآن الكريم:

ورد لفظ (المودة) في القرآن الكريم ثماني مرات، ونشير إلى المعنى من خلال الآيات الثلاثة التالية:

١- قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(٤).

(١) سورة المائدة: الآية ٥٤.

(٢) سورة يوسف: آية ٣٠.

(٣) مفردات القرآن - الراغب الاصفهاني ص ٢٦٣.

(٤) سورة الشورى: الآية ٢٣.

هذه الآية المباركة تنفي طلب الأجر على تبليغ الرسالة الدينية السماوية، وقد حكى القرآن الكريم عن عدد من الرسل عليهم السلام قبل محمد عليه السلام كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب ونفيهم سؤال الأجر على الرسالة، فقال: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

وقد أمر الله تعالى نبيه محمداً عليه السلام أن يخاطب الناس في ذلك بتعابير مختلفة، حيث قال: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ...﴾^(٢)، و﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ...﴾^(٣)، و﴿... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٤)، وقد حكي عن رسول الله عليه السلام المعنى نفسه إذ قال: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٥).

وآية أخرى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾^(٦)، ومعناه أن الاستجابة لدعوتي من قبلكم هو الأجر عينه، فليس وراء التبليغ والاستجابة شيء.

وفي الآية الكريمة التي نحن بصددتها، قيد عليه السلام أجر الرسالة بالمودة في القربى. وقد اختلفت التفاسير في معنى (المودة في القربى):

أ- ف قيل أن الخطاب لقريش والأجر هو مودتهم لقرباتهم من النبي عليه السلام. رُدَّ على

(١) سورة الشعراء: الآية ١٢٧.

(٢) سورة ص: الآية ٨٦.

(٣) سورة سبأ: الآية ٤٧.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٩٠.

(٥) سورة يوسف: الآية ١٠٤.

(٦) سورة الفرقان: الآية ٥٧.

هذا الرأي بالقول: إن قريشاً كذبت النبي ﷺ وكفرت بها جاء به، فكيف يكون الأجر مودتهم؟

ب- وقيل أن الخطاب للأنصار، فقد آتوه بهالٍ وساعدوه ونصروه وقت الشدة، ومع أن هذا صحيح، إلا أنه كيف يتوسل النبي ﷺ بمودتهم، وهم منه بتلك القرابة البعيدة، وقد قالت العرب:

وأنا أمهاتُ الناس أوعية مستودعات وللأنسانِ آباء

ج- وقيل أنها مودة الاقرباء عموماً، وهو غير صحيح؛ لأن الإسلام لا يندب مودة الأقارب إذا كانوا محاربين للدين، كما قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ...﴾^(١).

وأستعملت كلمة (المودة) في آية ﴿... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا...﴾، ولم تُستعمل كلمة (التودد). ومعنى المودة هو حبهم لله تعالى، أي التقرب إليه عبر حبهم. وقد ورد لفظ (المودة) في إطلاق حب الله تعالى للعباد: ﴿... إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾^(٢)، و﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾^(٣)، و﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(٤).

أشار الراغب الأصفهاني إلى: «إن مودة الله لعباده مراعاته لهم»^(٥). فلفظ (المودة) يُشعر بمراعاة حال المودود وتعاهده وتفقدته.

(١) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٢) سورة هود: الآية ٩٠.

(٣) سورة البروج: الآية ١٤.

(٤) سورة مريم: الآية ٩٦.

(٥) مفردات غريب القرآن ص ٥١٧.

وقد تواترت الروايات من طرق المسلمين جميعاً أنّ مودة قرابة النبي ﷺ، وهم عترته من أهل بيته ﷺ، هي موالاتهم، وإرجاع الناس إليهم في فهم القرآن الكريم وأصول الدين وفروعه. فالمودة هي جسرٌ يوصل الناس بأهل البيت ﷺ.

قال الزمخشري: «... فإن قلت: هلا قيل: إلا مودة القربى أو المودة للقربى، وما معنى قوله: إلا المودة في القربى؟ قلت: جُعلوا مكاناً للمودة ومقراً لها، كقولك: لي في آل فلان مودة، ولي فيهم هوىً وحب شديد، تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله»^(١).

و«ليست (في) بصلة للمودة كاللام إذا قلت: إلا المودة للقربى. انها هي متعلقة بمحذوف تعلق الطرفُ به في قولك: المأل في الكيس، وتقديره: إلا المودة ثابتة في القربى وتممكتة فيها»^(٢).

والخلاصة، إنه مع وجوب التمسك بآل البيت ﷺ، يجب على المسلمين أن يدينوا بحبهم ومودّتهم كما قال تعالى على لسان نبيه ﷺ: ﴿... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...﴾^(٣). وقد «تواتر عن النبي ﷺ: أنّ حبهم علامة الإيثار، وأنّ بغضهم علامة النفاق»^(٤)، وأنّ من أحبّهم أحبّ الله ورسوله، ومن أبغضهم أبغض الله ورسوله»^(٥).

ولاشكّ أنّه تعالى لم يفرض حبّهم ومودّتهم إلا لأنهم أهل للحب والولاء، من

(١) تفسير الكشاف - الزمخشري / ج ٤ ص ٢١٩.

(٢) تفسير الكشاف / ج ٤ ص ٢١٩.

(٣) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٤) المحاسن - البرقي / ج ١ ص ١٧٦. وصحيح مسلم / ج ١ ص ٨٦.

(٥) الصواعق المحرقة - ابن حجر ص ٢٦٣. وكنز العمال - المتقي الهندي / ج ١٢ ص ٩٨،

و١٠٣، و١١٦.

ناحية قربهم إليه سبحانه، ومنزلتهم عنده، وطهارتهم من الشرك والمعاصي، ومن كل ما يبعد عن داركرامته وساحة رضاه.

ولا يمكن أن نتصوّر أنه تعالى يفرض على عباده حب من يرتكب المعاصي، أو لا يطيعه حقّ طاعته، فالخلق عبيد مخلوقون على حد سواء. وإنما يفضّل المتقي، وأكرم الناس عند الله أتقاهم. فمن أوجب حبه على الناس كلهم لا بدّ أن يكون أتقاهم وأفضلهم جميعاً، وإلا كان غيره أولى بذلك الحب.

٢- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(١).

تشدد هذه الآية على حرمة موالاته المؤمنين لأعداء الله من الكفار وموَدّتهم. تذكر المصادر التاريخية أن بعض المؤمنين من المهاجرين، وبالخصوص حاطب بن أبي بلتعة، كانوا يسرون بالمودة إلى المشركين بمكة ليحموا بذلك من تبقى من أرحامهم فيها. وقوله (تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ) أي تظهرون لهم المودة أو توصلون مضمون خطاب المودة للمشركين.

٣- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢).

هذه الآية الكريمة تُظهر عظمة الخالق عز وجل في منفعة الخلق بخلقه قرائن بعضهم

(١) سورة الممتحنة: الآية ١.

(٢) سورة الروم: الآية ٢١.

للبعض، فخلق للرجل المرأة، وللمرأة الرجل. ولا يكتمل الرجل إلا بالزواج أو الاقتران من المرأة، والعكس صحيح. وربما يُفسر قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ بأن المودة هي الأثر العملي من آثار المحبة، ونسبة المودة إلى الحب كنسبة الأمر العملي إلى الأمر النظري، أو كنسبة الخضوع (الجسدي) في الصلاة إلى الخضوع (القلبي) فيها.

ولاشك ان من موارد المودة والرحمة في الأسرة هي المحبة العملية بين الزوجين، وغض البصر عن أخطاء الآخر، وهي من مصاديق الرحمة. وتمتد تلك المودة والرحمة إلى ذرية الزوجين من الصغار، والقصر، حتى تشتد سواعدهم، ويلتمسوا طرق الحياة في التكسب والتزواج.

٤- وهناك آيات أخر ذكرت (المودة) بمعنى المحبة الشديدة، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فُضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةً يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا^(١)، وقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى...﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾^(٣)، ونحوها.

والخلاصة، أن لفظي (الحب) و(المودة) ربما لفظان مترادفان في اللغة، إلا ان الآيات القرآنية تعطي انطباعاً قوياً بأن المودة هي حب مع آثار عقلية وعاطفية. ف﴿الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى﴾^(٤) مثلاً تعني الحب مع المواولة، فهو حبٌ لأهل البيت (القربى)

(١) سورة النساء: الآية ٧٣.

(٢) سورة المائدة: الآية ٨٢.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٢٥.

(٤) سورة الشورى: الآية ٢٣.

مع آثار عملية؛ و﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾^(١) أيضاً حبُّ مع مولاةٍ، لكن للكافرين، و﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(٢) حبُّ مع أثر عملي، وهكذا بقية الآيات الشريفات.

(١) سورة الممتحنة: الآية ١.

(٢) سورة الروم: الآية ٢١.

الروايات الواردة في حب الحسن عليه السلام

ويمكن تقسيمها إلى ثلاث مجاميع:

المجموعة الأولى: حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم للحسين عليه السلام

وفحوى تلك الروايات ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحب الحسن والحسين عليهما السلام حباً عاماً، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم مأمور من قبل الله تعالى عبر الوحي. فحبه مرتبط بالرسالة السماوية. وقد يتخيل المرء للوهلة الأولى أن حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرتبط بالرحم، وكون الحسين عليه السلام ولدا ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام، لكن نظرة متأنية لحياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تكشف أمراً آخر وهو أن حبه صلى الله عليه وآله وسلم كان امتثالاً لأمر الله تعالى، وهو صلى الله عليه وآله وسلم القائل بأن الله أمرني بحبها. وكان في عشيرته الكثير من الصبيان، إلا ان حبه للحسين عليه السلام حبٌ مستندٌ على قاعدة دينية، وهي الامتثال لأمر الله تعالى. ومن تلك الروايات:

١- عن عمران بن الحصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لي: «يا عمران إن لكل شيء موقعاً من القلب، وما وقع موقع هذين الغلامين - يعني الحسن والحسين عليهما السلام - من قلبي شيء قط»، فقلت: كل هذا يا رسول الله؟ قال: «يا عمران وما خفي عليك أكثر، إن الله أمرني بحبها»^(١).

٢- عن يوسف بن إبراهيم أنه سمع أنس بن مالك يقول: سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيّ أهل بيتك أحبّ إليك؟ قال: الحسن والحسين، وكان يقول لفاطمة عليها السلام: «إدعي

(١) كامل الزيارات - ابن قولويه ص ٥٠.

ابني»، فيشمُّهما ويضمُّهما إليه^(١).

٣- عن سلمة بن كهيل بن عبد العزيز عن علي عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا علي لقد أذهلني هذان الغلامان يعني الحسن والحسين عليهما السلام أن أحبَّ بعدهما أحداً أبداً، إن ربي أمرني أن أحبَّهما...»^(٢). وقوله عليه السلام: «أذهلني» ربما يفهم منه أنه صلى الله عليه وآله كان يرى فيها صفات الكمال الديني، وكان يعلم بها سيجري عليهما من أحداث وأهوال. والتعبير مجازي على أي تقدير؛ لأن الذهول المعهود ليس من صفات النبوة، ولا من صفات العصمة.

المجموعة الثانية: حث النبي صلى الله عليه وآله المؤمنين على حبهما

ولو كان حب النبي صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام مجرد عاطفة أبوية خاصة به، لما أمر صلى الله عليه وآله المسلمين بحبها ومودتها. وقد كان عمر رسول الله صلى الله عليه وآله يوم ولد الحسن عليه السلام ينوف على الخمسين بستة أعوام، وهو صلى الله عليه وآله يعلم أن الأجل الحتمي ليس بعيداً، فتذكرة المؤمنين بحبها يعني أنه صلى الله عليه وآله أراد بذلك مودتها من قبل المسلمين عموماً بعد وفاته صلى الله عليه وآله. وفي ذلك روايات:

١- عن الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله بحب الحسن والحسين عليهما السلام، فأنا أحبُّهما وأحبُّ من يحبُّهما حبَّ رسول الله صلى الله عليه وآله إياهما^(٣).

٢- عن الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري أيضاً قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبل الحسن والحسين عليهما السلام وهو يقول: «من أحبَّ الحسن والحسين عليهما السلام وذريتهما مخلصاً

(١) سنن الترمذي ج ٥ ص ٦٥٧.

(٢) كامل الزيارات ص ٥٠.

(٣) كامل الزيارات ص ٥٠.

لم تلمح النار وجهه ولو كانت ذنوبه بعدد رمل عالج، إلا أن يكون ذنبه ذنباً يخرج من الإيمان»^(١).

٣- عن عدي بن ثابت، قال سمعتُ البراء يقول: رأيتُ النبي ﷺ واضعاً الحسن على عاتقه فقال: «من أحبني فليحبه»^(٢).

المجموعة الثالثة: الاقتران الشرطي «من أحبني أحبهما»

ولم يقتصر حب رسول الله ﷺ للمؤمنين على حبهما فحسب، بل ربط محبة المؤمنين له ﷺ بمحبتهم ﷺ أيضاً. وفي ذلك أعظم دليل على طهارتهما من الذنوب والمعاصي، لأن النبي ﷺ لو كان يعلم بإقترافها الذنوب لما قال ذلك، وهو الذي لا ينطق عن الهوى. وفي ذلك دليل أيضاً على عصمتهم ﷺ.

١- عن عبد الله بن مسعود قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من كان يحبني فليحب ابني هذين، فإن الله أمرني بحبهما»^(٣).

٢- عن القتال النيسابوري (ت ٥٠٨هـ) في (روضه الواعظين) قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم أحبهما فأحبهما، وأحب من أحبهما»^(٤)، وقال ﷺ: «من أحب الحسن والحسين أحببته، ومن أحببته أحببه الله، ومن أحببه الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله خلده النار»^(٥).

(١) كامل الزيارات ص ٥١.

(٢) حلية الأولياء - الحافظ أبو نعيم / ج ٢ ص ٣٥.

(٣) كامل الزيارات ص ٥١.

(٤) روضة الواعظين ص ١٤٢.

(٥) روضة الواعظين ص ١٤٢.

٣- عن أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وآله: «من أحبَّ الحسن والحسين فقد أحبَّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»^(١).

دلالات حب الحسين عليه السلام :

١- تعمّد رسول الله صلى الله عليه وآله إظهار حبه لحفيديه الحسن والحسين عليهما السلام، وكرّر صلى الله عليه وآله كلمات الحب والعاطفة اللتين كان يكتنهما إلى هذين الصبيين الطاهرين بقصد تعويد الأمة وتمرينها على حبهما، وان لا تستغرب من ذلك، إذا سمعت به بعد وفاته صلى الله عليه وآله.

٢- نسب صلى الله عليه وآله حبهما إلى حبه وحب الله سبحانه وتعالى، وهي نسبة عظيمة لأنها صدرت منه صلى الله عليه وآله وهو الذي لا ينطق شيئاً إلا بأمر السماء. أي ان مقولة: «من أحبَّ الحسن والحسين عليهما السلام أحببته، ومن أحببته فقد أحبه الله تعالى» هي قضية معادلة دينية طرفاها الدين من جهة وما يمثله الحسن والحسين عليهما السلام من قيم سماوية فاضلة من جهة أخرى. وبهذا المعنى نستنتج بأن الحسن والحسين عليهما السلام جزء لا يتجزأ من الدين. فكما يجب المؤمن ان يقوم للصلاة وأداء العباداة، فعليه ان يحب هذين الإمامين ورسالتهما في الحياة. وتلك المنزلة لا توضع لأحد من البشر، ما لم يكن أهلاً لها، وخاضعاً لشروطها.

٣- ربط صلى الله عليه وآله حبهما برحمة الله ومغفرته، فالحب الخالص والولاء التام، مع اقتداء كامل بشخصيتهما يرفع عن الإنسان عقوبة الآخرة، ولذلك قال صلى الله عليه وآله: «من أحبَّ الحسن والحسين عليهما السلام وذريتهما مخلصاً لم تفتح النار وجهه...»^(٢). والإخلاص في الحب يعني النية الصادقة، والاقتداء الكامل بهما، وهذا يعني تطبيق الدين، الذي بذلا حياتهما من أجله.

(١) المناقب - ابن شهر آشوب / ج ٢ ص ١٢٩.

(٢) كامل الزيارات ص ٥٠.

الحسن عليه السلام على نهج جدّه عليه السلام :

وبعد سنوات مديدة يقوم الإمام الحسن عليه السلام بتأكيد هذا النهج السماوي بحب العترة الطاهرة، فيقول عليه السلام :

١ - «والله لا يحبنا عبداً أبداً، ولو كان أسيراً في الديلم، إلا نفعه حبنا، وإن حبنا ليساقت الذنوب من بني آدم، كما يساقت الريح الورق من الشجر»^(١).

٢ - «قال له رجل: يا بن رسول الله أني من شيعتكم! فقال عليه السلام: يا عبد الله إن كنت في أوامرنا وزواجرنا مطيعاً فقد صدقت، وإن كنت بخلاف ذلك فلا تزدد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها، لا تقل: أنا من شيعتكم، ولكن قل: أنا من مواليكم ومحبيكم، ومعادي أعدائكم، وأنت في خيرٍ وإلى خيرٍ»^(٢).

وهذا منسجم مع ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحسينين عليه السلام. وفي كلام الحسن عليه السلام معنيان. الأول: إن الحب يساوي الطاعة، وإلا ما معنى الحب دون طاعة الإمام عليه السلام. الثاني: أن المحبة والموالاتة عن تفكر أهم من مجرد الاتباع الأعمى دون تفكير. فما يريد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حب أهل بيته عليه السلام هو الاقتراب من منبع الإسلام، فكراً وعملاً؛ لأن أهل البيت عليه السلام ترجمة حقيقية عملية لكل معاني الإسلام في الأخلاق، والتضحية، والعبادة، والتقوى، والزهد، والإخلاص.

ومضمون الروايات النبوية الشريفة بحب الحسينين عليه السلام تعدُّ مصداقاً حقيقياً لقوله تعالى: ﴿... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...﴾^(٣).

(١) شرح احقاق الحق - السيد المرعشي / ج ٢٤ ص ٤٦٢.

(٢) تنبيه الخواطر ونزهة المناظر ص ٣٥١.

(٣) سورة الشورى: الآية ٢٣.

الحب الأخلاقي

إن حبَّ الحسن عليه السلام بُعداً أخلاقياً مهماً في حياتنا. فالحب العقلي يرتبط دائماً بالتعبير اللفظي والفعل الداخلي للمحبِّ.

ولاشك أن هناك عنصراً داخلياً يشعل شرارة الحب العقلي عند الإنسان، فكما أن الألم الذي يصيبك تشعره وحدك، ولا يتحسسه غيرك، كذلك شعورك نحو المحبوب عليه السلام ودرجته أو شدته، إنما تستشعره في ذاتك من خلال معرفتك بكماله، وجماله.

إنَّ الحب يرفع الحواجز النفسية والعقلية والشعورية بين المحبِّ والمحبوب. فيفتح قلب المحبِّ للتأمل في أفكار المحبوب، وحسن أخلاقه، وجمالية عبادته عليه السلام.

وقد أرادت النصوص الشرعية العديدة، في الحثِّ على حب أهل البيت عليهم السلام، إشاعة ثقافة الحب الديني، وهو حب شخصية متكاملة ابتغاء وجه الله تعالى. لا لهدف دنيوي أو لمصلحة مادية، بل بهدف مرضاة الله تعالى عبر مودّة تلك الرموز الدينية السامية.

ومعنى إشاعة ثقافة الحب الديني هو المشاركة في نشاطات اجتماعية تُظهر كماله سلوكهم، وجمالية أفكارهم، في المجالس التي تذكّر استشهادهم، أو تحتفل بميلادهم وذكرهم عليهم السلام. وتلك عبادة تخفف ذنوب من يقوم بها، كما قال عليه السلام: «... وإنَّ حُبَّنَا ليسا قاط الذنوب من بني آدم، كما يساقط الريح الورق من الشجر»^(١). وليس وراء

(١) شرح إحقاق الحق / ج ٢٤ ص ٤٦٢.

الإعتقاد بالله عز وجل والافتداء بالنبي ﷺ وأهل البيت ﷺ شيء آخر إلا التطبيق، كما أشار ﷺ: «... فلما من الله عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيكم ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١)...»^(٢). فعند إكتمال الدين، وإتمام النعمة، والرضا من قبل الله تعالى بالإسلام ميزاناً للشواب والعقاب، بدأ التطبيق العملي. وما على الناس حينئذٍ إلا إظهار مصاديق ولائهم للدين، وولائهم للإطهار من أهل بيت النبوة ﷺ.

اللغة الشريفة للمحبة:

ماذا يريد منا رسول الله ﷺ أن نفعل عندما يقول ﷺ مشيراً إلى الحسن ﷺ: «من أحبني فليحبه»؟ هل يريد منا أن نستحدث شعوراً عاطفياً نحو الحسن ﷺ، أم أنه يريد منا أن نلتزم بقضاياها ﷺ وفكره وعقيدته والدفاع عنها؟ وهل نفهم لغة الحب المستخدمة في النصوص الشرعية على مبنى الحب الحقيقي أو على مبنى الحب المجازي؟ أتضح لنا مما سبق ان الحب إما أن يستند على الشعور والعاطفة، أو على الرغبة الغريزية، أو على القيم السامية الرفيعة. والحب على أساس القيم الرفيعة هو حب حقيقي، لأن القيم حقيقة ثابتة تبقى ولا تزول. والمعروف أن الحب الغريزي أو العاطفي يزول بالشيخوخة أو المرض أو الموت. ولكن الحب الديني القائم على القيم العليا، كحب أهل العصمة والطهارة ﷺ يبقى ثابتاً، لكنه يمرّ بمرتبتين:

المرتبة الأولى: المرتبة الذهنية، وهي إنشاء رابطة ذهنية بين المحبِّ والمحجوب. وبمعنى آخر إنشاء تصور إيجابي جميل عن رسول الله ﷺ مثلاً وأهل بيته ﷺ في

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

(٢) علل الشرائع - الشيخ الصدوق ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

الذهن، عن طريق استلهاهم سيرتهم وحكمتهم في الحياة، وأسلوب اتصالحهم بالله تعالى، وهداية البشرية إلى منابع الخير والسعادة.

المرتبة الثانية: المرتبة العملية: وهي حب النبي صلى الله عليه وآله وآل البيت عليهم السلام حباً عملياً، وذلك يقتضي ترجمة الحب إلى عمل. وهي محاولة المحبّ تطبيق ما قام به المحبوب من طاعة الله تعالى، والابتعاد عن معصيته، وإقامة الفرائض، ووصل المحروم، وإشاعة الأخلاق الكريمة بين الناس. وكذلك يقوم المحبّ بالتألم لأحزان المحبوب والفرح لفرحه، وزيارته، وزيارة المعالم التي تشخص حياته. وهكذا يقوم المحبّ بزيارة ضريح النبي صلى الله عليه وآله في المدينة المنورة، وزيارة أضرحة أهل البيت عليهم السلام ومقاماتهم في البلدان المختلفة. فالحب يدفع الإنسان إلى زيارة المحبوب عليه السلام، حياً كان أو ميتاً، ويدفعه أيضاً إلى استحضار سيرته الطاهرة، والعيش في أجوائها العبقّة.

اسلوب المحبة :

ربط النبي صلى الله عليه وآله محبة المؤمنين له صلى الله عليه وآله بحب الحسن عليه السلام أو بحب بقية أهل البيت عليهم السلام، وقال صلى الله عليه وآله: «من كان يحبني فليحبّ ابنيّ هذين - الحسن والحسين - عليهم السلام»^(١)، و«من أحبّ الحسن والحسين أحبّته...»^(٢)، و«من أحبّ الحسن والحسين فقد أحبّني...»^(٣).

والعلاقة بين المحبّ والمحبوب علاقة لقاء، وكلما كثر اللقاء ازداد الحب. ولذلك نرى التأكيد على زيارة أئمة أهل البيت عليهم السلام بتلك الصورة الحميمية. وقد وضعت للزيارة آداب منها: الطهارة، ولبس الثياب الطاهرة النظيفة والتطيب، وشغل اللسان

(١) كامل الزيارات ص ٥١.

(٢) روضة الواعظين ص ١٤٢.

(٣) المناقب / ج ٢ ص ١٢٩.

بذكر الله تعالى، والاجتهاد في الخشوع لله والتفكير بعظمة صاحب المرقد المنور بنور الله وملائكته، والصلاة، وتلاوة القرآن الكريم، والتوبة إلى الله تعالى، وقراءة الزيارة التي هي صورة مختصرة لسيرة المعصوم عليه السلام وفضله.

علاقة الحب هنا علاقة فكرية وروحية، فحب الحسن عليه السلام متلازم مع حب صفاته الكمالية. وإلا فأبي معنى يكون للحب دون فهم صفات المحبوب، فهنا كلما تفهم طبيعة حياته وكمال صفاته عليه السلام تزداد له حبا. وخطاب النبي عليه السلام موجه إلى المخاطبين والغائبين معاً، بل إلى الأجيال جميعاً. وهذا نظير قوله تعالى: ﴿... وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ...﴾^(١) والمراد بمن بلغ هو من لم يشافهه النبي عليه السلام بالإنذار في زمن حياته عليه السلام، فالدعوة بالإنذار قائمة إلى يوم القيامة، بمعنى ان النبي عليه السلام وجه خطابه إلى المؤمنين بحب الحسن عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، وأكثرهم لم يروا الحسن عليه السلام بشخصه بل رأوه بأفعاله عليه السلام وصفاته.

وفي ذلك، يكون ذلك الحب مشتملاً على:

- ١- المعاني: حيث ترتبط المعاني بالمبادئ، وحب الحسن عليه السلام معناه حب المبادئ التي سار عليها في حياته الدينية. فحياته المعرفية جزء لا يتجزأ من نظام المعرفة في الإسلام.
- ٢- العاطفة: حيث ترتبط عاطفة المحبّ بالمشاعر الإنسانية تجاه المحبوب كالفرح لأفراح المعصوم عليه السلام، والتألم لأتراحه. وحب الحسن عليه السلام يترتب عليه التفاعل العاطفي لأفراحه وأتراحه.
- ٣- الهوية: إن الحب يبني قاعدة الهوية العقائدية والانتماء للرسالة. فالضمير العائد للإمام عليه السلام في قوله: «من أحبه»، وباء النسبة العائدة للنبي عليه السلام في قوله: «فقد أحبني»

(١) سورة الأنعام: الآية ١٩.

ونحوها، كلها تحدد هوية المحبِّ وتشخص نظرتَه المعرفية للإسلام.

إذن ما معنى حب الحسن عليه السلام؟ وما هو الطريق إلى ذلك؟

حب الحسن عليه السلام يعني حب القيم التي تمسك بها عليه السلام، والإرادة من قبل المحبِّ في ترجمة ذلك الحب إلى سلوكٍ موازٍ لسلوك المحبوب. ولو حاولت سؤال مفكرٍ دَرَسَ حياة الحسن عليه السلام عن سبب حبه لذلك الإمام عليه السلام لأجابك بأدلة عقلية:

أولاً: إنَّ الحسن عليه السلام إمام معصوم لا يرتكب المعاصي ولا الأخطاء، ولا يجهل أحكام الدين ولا أصوله، فهو في كمال المعرفة والسلوك الإنساني.

ثانياً: إنَّ جماله عليه السلام مستمد من جمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الفضائل والانقطاع إلى الله تعالى. فقد ورث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسنَ سوَّده -أي شرفه- وهيئته وعلمه وفضله.

وطالما كانت تلك الصفات مختصة به، فأني لا أستطيع ان أهب ذلك المقدار من الحب إلا له عليه السلام ولين أمرت بحبهم عليهم السلام. ولو كان لشخصٍ آخر، على سبيل الافتراض، في ذلك الزمان جميع صفات الحسن عليه السلام لانتقل حبي إلى ذلك الشخص، ولكن لم يكن لآخر صفات كصفات الحسن عليه السلام، ولم يكن لآخر خصال كخصاله عليه السلام. فقد كان المعصوم عليه السلام، وقت إمامته، أفضل أهل زمانه مطلقاً في العلم، والتقوى، والورع، والفصاحة، والشجاعة، والزهد، وهذا الحب هو حبُّ عقليٍّ وعاطفيٍّ مبنيٌّ على أساس الدليل، كما سنرى في الفصل القادم بإذنه تعالى.

الفصل الثاني

الترجمة التاريخية

ترجمة حياة الإمام الحسن عليه السلام من ولادته

(سنة ٥٣هـ) وحتى استشهاده (سنة ٥٥٠هـ)

مقدمة

هذا الفصل يتناول حياة الإمام الحسن عليه السلام من ولادته وحتى استشهاده عليه السلام، ويعرض الظروف التي مرَّ بها، ويشير إلى فضله، وكماله، وإمامته، وعصمته. فالبحث في هذا الفصل هو بحثٌ في سيرة حياة الإمام الثاني من أئمة أهل بيت النبوة عليهم السلام.

(١)

ولادة الحسن عليه السلام

ولد الحسن عليه السلام، على المشهور، في المدينة المنورة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة النبوية^(١)، وهو الابن البكر لفاطمة الزهراء عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعلي بن أبي طالب عليه السلام. فهو أول غرس للشجرة العلوية الفاطمية والدوحة الهاشمية، وعندما أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، استبشر وجاء لبيت فاطمة وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ناولوني ولدي». وأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى، وسماه حسناً، وعقَّ عنه كبشاً في اليوم السابع^(٢)، وأعطى القابلة شيئاً^(٣)، وقال لأمه فاطمة عليها السلام: «احلقي رأسه وتصدقي بوزن شعره فضة». ففعلت ذلك، ثم طلى صلى الله عليه وآله وسلم رأسه عندئذٍ بالطيب^(٤). وأصبحت تلك سنة، يمارسها المسلمون عندما يرزقون بالولد.

(١) إعلام الوري - الطبرسي / ج ١ ص ٤٠٢.

(٢) الإرشاد - الشيخ المفيد / ج ٢ ص ٥.

(٣) الكافي - الكليني / ج ٦ ص ٣٣.

(٤) سنن الترمذي / ج ٣ أبواب الأضاحي رقم ١٥٥٣.

وكان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن من الشيطان الرجيم.
وعند ولادة أخيه الحسين رضي الله عنه، أصبح يعوذهما بقوله ﷺ: «أعيذكما بكلمة الله التامة
من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة». ثم يقول ﷺ: «هكذا كان أبي إبراهيم عليه السلام
يعوذ إسماعيل وإسحاق عليهما السلام»^(١).

(٢)

الحسن والداه عليه السلام

والدته فاطمة الزهراء عليها السلام، التي دلت الأخبار على خصوصيتها من رسول الله ﷺ
بشرف المنزلة، وفضلها على جميع نساء العالمين بعلو الدرجة. حيث قال ﷺ عنها: «إن
الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها»^(٢)، و«من آذى فاطمة فقد آذاني، ومن آذاني
فقد آذى الله عز وجل»^(٣).

وأجمع العلماء على أنها لو كانت ممن يقارف الذنوب، لم يكن من يؤذيها مؤذياً له،
وهو رسول الله خاتم الأنبياء الذي حارب أقرب أرحامه مرضاةً لله وانتصاراً لدينه.
أما والده علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فهو يصف نفسه بقوله: «...أنا عبد الله، وأخو
رسوله، وورث نبي الرحمة، وتزوجتُ سيدة نساء الأمة...»^(٤). وفي ليلة البناء
بفاطمة عليها السلام، في شهر ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة، قال النبي ﷺ: «اللهم بارك
فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في شبليهما»^(٥).

(١) مسند أحمد / ج ١ ص ٢٧٠. رواه أحمد باسناده عن ابن عباس.

(٢) معاني الأخبار - الصدوق ص ٣٠٣ ذيل الحديث الثاني.

(٣) علل الشرائع ص ١٨٦.

(٤) أمالي الشيخ الطوسي / ج ١ ص ٨٣.

(٥) الذرية الطاهرة - الدولابي ص ٩٦ ذيل حديث ٨٧.

(٣)

صباه عليه السلام

رُزق الحسن عليه السلام وهو لم يبلغ عامه الأول، بأخ حبيب له وهو الحسين عليه السلام. فأصبح الأخوان متلازمين، وكان يُشار لهما بالحسينين، وغالباً ما وصفهما رسول الله صلى الله عليه وآله بوصف مشترك واحد، لاسيما فيما يتعلق بالإمامة الشرعية والسلوك الديني.

قضى الحسن عليه السلام سبع سنوات وأشهرًا مع جده المصطفى صلى الله عليه وآله، في وقت كان رسول الله صلى الله عليه وآله فيه مشغولاً بأمور رئيسية منها: دعوة الناس إلى دين الله تعالى، وحروب متواصلة مع المشركين، ونزول الوحي عليه. ولكن ذلك لم يكن ليثني النبي صلى الله عليه وآله عن إفاضة حبه الشديد على الحسن عليه السلام.

وكان صلى الله عليه وآله يصرح للملأ أن الحسن والحسين عليهما السلام بمنزلة ولديه وانهما من أهل بيت النبوة ومن أصحاب الكساء، ولمنزلتهما عند الله عز وجل باهل بهما نصارى نجران مع آخرين من أسرته الشريفة. وكان صلى الله عليه وآله يتنبأ بدورهما العظيم بعد وفاته، وكان يصفهما بأعظم الأوصاف وهي أنها «سيدا شباب أهل الجنة»^(١)، واضفى عليهما صفة الإمامة والمسؤولية، وأخبر بذلك عنهما وهما في ذلك العمر المبكر بقوله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»^(٢).

عاش الحسن عليه السلام في طفولته مع أخيه الحسين عليه السلام وأخواته لأمه ولأبيه عليهما السلام: زينب، وأم كلثوم، وأبويه علي وفاطمة عليهما السلام.

(١) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق / ج ٤ ص ١٧٩ ح ٥٤٠٤.

(٢) الإرشاد ص ٢٠٤.

الصبا والإمامة :

كان الحسن عليه السلام في صباه وقوراً، قد استغرق قلبه فيض العلم الألهي، وقد أعطاه الله المعرفة، وأوقفه على أسرار التكوين، وهكذا بقية أئمة أهل البيت عليهم السلام في صباهم، ومن قبلهم الأنبياء والرسل عليهم السلام. وربما يرد الإشكال على لعب النبي يوسف عليه السلام في الصبا. وكيف قال أخوته لأبيهم عليه السلام: ﴿أَرْسَلُهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١)؟ فهل يمكن للنبي عليه السلام أن يلعب في صباه؟ رُدَّ على ذلك بأنَّ «المراد به اللعب الخاص عندهم، وهو الاستباق والانتضال، حتى يعودوا أنفسهم لقتال العدو، بدليل: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ...﴾^(٢)»^(٣). وهذا ليس من اللهو المحرّم، بل هو من باب تنمية الجسم وتعلّم المهارات. وسوف نبحث الموضوع مفصلاً في الفصلين الثالث والخامس بإذنه تعالى.

(٤)

أيام الصبا: أ- مع رسول الله صلى الله عليه وآله

ازدانت الأعوام السبعة الأولى من حياته صلى الله عليه وآله بمرافقة جده المصطفى صلى الله عليه وآله^(٤). وكان النبي صلى الله عليه وآله يعامله معاملة خاصة كما يعامل الوالد ولده. وكان ما أن يقضي صلاته صلى الله عليه وآله حتى يضعها في حجره، ويقول: «من أحبني فليحبّ هذين» و«هذان ابناي فمن أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»^(٥). وكان صلى الله عليه وآله يقول أيضاً: «إنَّ ابنيَّ هذين ریحانتاي من الدنيا»^(٦).

(١) سورة يوسف: الآية ١٢.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٧.

(٣) زبدة البيان - المقدس الأردبيلي ص ٥٠٧ - ٥٠٨.

(٤) إعلام الوری / ج ١ ص ٤٠٢.

(٥) المناقب - (ش) / ج ٣ ص ٣٨٢.

(٦) العوالم / ج ١٧ ص ٣٧.

وكان عليه السلام يشجعها على التسابق في تعلم الكتابة والقراءة والصحة الجميلة بينهما. والمعروف عن رسول الله عليه السلام انه كان يردد غالباً: «من سرّه أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة، فلينظر إلى الحسن بن علي»^(١)، و«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»^(٢)، و«إبناي هذان إمامان قاما أو قعدا»^(٣). وفي (صبح الأعشى): ان الحسن والحسين عليهما السلام أول من سميا بالسبطين في الإسلام^(٤). قال في (المصباح المنير): السبط هو ولد الولد^(٥). يشير أحد الرواة وهو واثلة بن الأسقع^(٦) إلى ذلك، فيقول: لقد رأيتني يوماً وقد جئت النبي عليه السلام في بيت أم سلمة، فجاء الحسن، فأجلسه على فخذه اليمنى وقبله، ثم جاء الحسين فأجلسه على فخذه اليسرى وقبله، ثم جاءت فاطمة فأجلسها بين يديه، ثم دعا بعلي ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٧).

دوماً مع رسول الله عليه السلام:

وروي أن الأقرع بن حابس أبصر النبي عليه السلام يقبل الحسن عليه السلام، فقال: إن لي عشرة من الولد، ما قبلتُ واحداً منهم، فقال رسول الله عليه السلام: «من لا يرحم لا يرحم»^(٨).

(١) المناقب - (ش) / ج ٢ ص ١٥٧.

(٢) المناقب - (ش) / ج ٣ ص ٣٩٤.

(٣) الإرشاد ص ٢٠٤.

(٤) صبح الأعشى - القلقشندي / ج ١ ص ٤٣٠.

(٥) المصباح المنير - الفيومي / ج ١ ص ٣١٩. مادة (سبط).

(٦) أسد الغابة - أحمد بن الأثير / ج ٢ ص ٢٠. قال علماء الرجال ان واثلة بن الأسقع من أصحاب رسول الله عليه السلام، لكنه مجهول الحال (معجم رجال الحديث - السيد الخوئي / ج ١٩، رقم ١٣١٢٥).

(٧) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٨) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب ١٥، رحمة الصبيان والعيال / ج ٤ ص ١٨٠٨ رقم ٢٣١٨.

وهذا أسامة بن زيد^(١) يطرق باب رسول الله ﷺ ليلاً لحاجة له عنده ﷺ، فيخرج النبي ﷺ وهو مشتمل على شيء لم يدر أسامة ما هو، فلما فرغ من حاجته قال له: يا رسول الله ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ فيشير إليه، فيحرق أسامة ببصره فإذا هما الحسن وأخوه علي وركبه، فقال ﷺ عندئذ: «هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إنك تعلم أني أحبهما» ثلاث مرات^(٢).

وقد سئل ﷺ يوماً عن أحب أهل بيته إليه، فقال: «الحسن والحسين»^(٣). وكان ﷺ كلما يدخل بيت فاطمة رضي الله عنها يقول لابنته: «ادْعُ إِلَيَّ ابْنِي»، فيشمهما ويضمهما إليه. وكان ﷺ يقول: «...هما وديعتي في أمتي»^(٤).

وعن البراء بن عازب، قال: قال رسول الله ﷺ للحسن أو للحسين رضي الله عنهما: «هذا مني، وأنا منه، وهو يحرم عليه ما يحرم علي»^(٥).

وكان رسول الله ﷺ، على - ما رواه أبو سعيد الخدري^(٦) - يمرّ على بيت فاطمة رضي الله عنها كل يوم ويقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة يرحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٧) في فترة قدرت - على

(١) أسامة بن زيد من أصحاب رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين رضي الله عنهما، والروايات في ولائه لأهل البيت رضي الله عنهم متضاربة، منها ما هو ضعيف ومرسل، ومنها قول الباقر رضي الله عنهما: لا تقولوا [فيه] إلا خيراً (معجم رجال الحديث / ج ٣ - رقم ١٠٨٧)، ومنها ما قيل بتخلفه عن بيعة علي رضي الله عنه.

(٢) مناقب أمير المؤمنين رضي الله عنه - ابن المغازلي ص ٣٧٤.

(٣) المناقب - (ش) / ج ٣ ص ١٥٨. والترمذي في صحيحه يرفعه إلى انس بن مالك.

(٤) المناقب - (ش) / ج ٢ ص ١٣٣.

(٥) ترجمة الإمام الحسن رضي الله عنه ص ١٠١.

(٦) أبو سعيد الخدري هو سعد الخدري من أصفياء أصحاب علي رضي الله عنه، كان مستقيماً ومن السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه (معجم رجال الحديث / ج ٨ - رقم ٥٠٠٠).

(٧) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

بعض الروايات^(١) - بثمانية اشهر، وفي روايات اخرى بأقل من ذلك.

وربما كان تحديد تلك الفترة بثمانية أشهر أو أقل، انها لم تكن فترة حروب أو غزوات فكان رسول الله صلى الله عليه وآله قادراً على البقاء في المدينة والمكث فيها طول تلك الفترة. فكان مروره صلى الله عليه وآله ببيت فاطمة عليها السلام قبل صلواته في المسجد أمراً طبيعياً، لاسيما أن بيتها عليها السلام كان مجاوراً لبيته صلى الله عليه وآله. قال المؤرخون وأهل السير إن جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه خلال تسع سنوات كانت ستاً وعشرين غزوة، بعد أن أُذِنَ له صلى الله عليه وآله في محاربة قريش^(٢).

ومن الطبيعي فان المرور على بيت فاطمة عليها السلام كان ينقطع بانشغال رسول الله صلى الله عليه وآله في الحروب، لاسيما غزوة تبوك التي دامت أشهراً، ومعركة خيبر ونحوها.

ولاشك أن الحسن عليه السلام كان يسمع دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله لأبويه لقيام الفجر، ومن المقطوع به أنه كان عليه السلام يشاركهما صلواتهما ومناجاتهما، فهذه الأسرة الكريمة شرفها الله تعالى بتعويد ذريتها على العبادة، والبر، وجميع الفضائل الأخر منذ الصبا.

أخلاق ذرية الأنبياء عليهم السلام :

ومن حسن أدب الحسن عليه السلام في صباه أنه مرَّ هو وأخوه عليه السلام على شيخ يتوضأ ولا يحسن الوضوء، فتظاهرا في التنازع، يقول كل واحدٍ منهما: «أنت لا تُحسِنُ الوضوء». فقالا: «أيها الشيخ كُنْ حكماً بيننا، يتوضأ كل واحدٍ منا». فتوضئا، ثم قالوا: «أيُّنا أحسنُ؟». قال: كلاهما مُحسِنان الوضوء، ولكن هذا الشيخ الجاهل هو الذي لم يكن يحسن، وقد تعلّم الآن منكما وتاب على يديكما ببركتكما وشفقتكما على أمة جدّكما^(٣).

(١) إسعاف الراغبين - محمد بن علي الصبان ص ١١١.

(٢) إعلام الوری / ج ١ ص ١٦٣.

(٣) بحار الأنوار - المجلسي / ج ٤٣ ص ٣١٩.

وفي الرواية دلالة على أنها كانا يؤديان الواجبات الشرعية كالوضوء والصلاة ونحوها على الرغم من صغر سنهما.

قال الإمام الحسين عليه السلام وهو يتحدث عن سني طفولته: «أنه دخل وأخوه الحسن عليه السلام على جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأجلسهما وقبّلهما، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «بأبي أنتما من إمامين صالحين اختار كما الله مني ومن أبيكما وأمكما...»^(١). وفي رواية قال أمير المؤمنين عليه السلام: «زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم، فقدّمنا إليه الطعام، واهدت إلينا أم أيمن صحفة من تمر، وقعباً من لبن وزبد، فقدّمناه إليه، فأكل منه، فلما فرغ قمّت وسكبتُ على يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماء، فلما غسل يديه مسح وجهه ولحيته ببلّة يديه، ثمّ قام إلى مسجد في جانب البيت وصلى، وخرّ ساجداً، فبكى وأطال البكاء، ثم رفع رأسه، فما هكذا منّا أهل البيت أحد يسأله عن شيء...»^(٢).

وفي رواية حذيفة بن البيان: «...أقبل الحسن بن علي عليه السلام يمشي على هدوء ووقار، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «إنّ جبرئيل يهديه، وميكائيل يسدّده، وهو ولدي، والظاهر من نفسي، وضلع من أضلاعي، هذا سبطي، وقرّة عيني، بأبي هو»^(٣).

فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقمنا معه، وهو يقول له: «...أنت حبيبي، ومهجة قلبي»، وأخذه بيده، فمشى معه ونحن نمشي، حتى جلس وجلسنا ننظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو لا يرفع بصره عنه، ثم قال: «أما إنّ سيكون بعدي هادياً مهدياً، هذا هدية من ربّ العالمين لي، ينبئ عني، ويُعرّف الناس آثارِي، ويحيي سنتي، ويتولى أموري في فعله، ينظر

(١) كمال الدين - الصدوق / ج ١ ص ٢٦٩، ب ٢٤، ح ١٢.

(٢) كامل الزيارات ص ١٢٦.

(٣) بحار الأنوار / ج ٣٤ ص ٣٣٣.

الله إليه فيرحمه، رحم الله من عرف له ذلك، وبرّني فيه، وأكرمني فيه»^(١).

وتشير الدلائل على ان الحسن والحسين عليهما السلام تعلّما الكتابة في صغرهما، وكان يسرهما عرض خطهما على جدّهما رسول الله صلى الله عليه وآله^(٢) وأبيهما علي عليه السلام وأمهما فاطمة الزهراء عليها السلام.

(٥)

أيام الصبا: ب- الإيثار المنقطع النظير

نزلت الآية الكريمة: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا. إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾^(٣) وهي تخص أهل البيت عليهم السلام هم: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. ومع أنّ الصبيان لا يصومون - على الأغلب - لأن التكليف مرفوع عنهم، إلا أنّ وضع الحسن عليه السلام وأخيه الحسين عليه السلام كان مختلفاً، فكانا يصليان مع جدّهما وأبويهما ويصومان وهما في السادسة أو السابعة من عمرهما.

ولو كان مراد الآية علياً وفاطمة عليهما السلام فقط لكان منطوقها: «ويطعمان الطعام...»، ولكن القرآن قال: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ...﴾ فشمّل الجميع وبضمنهم الحسن والحسين عليهما السلام.

والظاهر من الروايات ان الحسين عليه السلام مرضاً. وعندما عادهما رسول الله صلى الله عليه وآله، نذر أبوهما علي عليه السلام، إذا شفيا، بصيام ثلاثة أيام شكراً لله عز وجل، وكذلك نذرت أمهما فاطمة

(١) بحار الأنوار / ج ٣٤ ص ٣٣٣.

(٢) بحار الأنوار / ج ٤٣ ص ٣٠٩.

(٣) سورة الإنسان: الآية ٨-١٠.

الزهراء عليها السلام. وقال الحسنان عليهما السلام: «ونحن أيضاً نَصومُ ثلاثة أيام»^(١). وكذلك قالت جاريتهم فضة. وعندما ألبسها الله ثوب العافية، أصبحوا صياماً، وليس عندهم طعام. فقايض الإمام علي عليه السلام جزءاً من الصوف تغزلها فاطمة عليها السلام بثلاثة أصوع من شعير. فأخذت فاطمة عليها السلام صاعاً من الشعير فطحته وخبزت منه خمسة أقراص، وعندما جلسوا للإفطار، وقف مسكين بالباب وهو يقول: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، أنا مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني مما تأكلون، أطعمكم الله من موائد الجنة. فقام علي عليه السلام بتقديم الطعام إلى المسكين، وباتوا جوعاً، وأصبحوا صياماً لم يذوقوا إلا الماء.

ثم عمدت فاطمة عليها السلام إلى الصاع الثاني من الشعير فعملت مثلما عملت في اليوم السابق. وعند الإفطار، وبعد صلاة المغرب، وقف يتيم من يتامى المسلمين بالباب، وهو يقول: السلام عليكم يا أهل بيت محمد عليه السلام، أنا يتيم من يتامى المسلمين أطعموني مما تأكلون، أطعمكم الله من موائد الجنة. فقاموا بدفع الطعام إلى اليتيم. فباتوا جوعاً لم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صياماً.

ثم عمدت فاطمة عليها السلام إلى الصاع الثالث من الشعير، فعملت مثلما عملت في اليومين السابقين. وعند الإفطار طرق بابهم هذه المرة أسير من أسرى المشركين. فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، تأسرونا وتشدوننا ولا تطعموننا؟ فدفعوا الطعام إلى الأسير. وباتوا جوعاً، وأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء.

وأقبل علي عليه السلام بالحسن والحسين عليهما السلام نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهما يرتعشان من الجوع، فلما بصر بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا أبا الحسن شد ما يسوؤني ما أرى بكم! انطلق إلى ابنتي فاطمة». فانطلقوا إليها وهي في محرابها، قد لصق بطنها بظهرها من شدة

(١) ينابيع المودة - القندوزي ص ١٠٧.

الجوع وغارت عيناها، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمها إليه. وقال: «واغوئاه بالله! أنتم منذ ثلاث فيما أرى». فنزل قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾^(١).

دلالات آية ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ...﴾:

١- إنَّ علياً وفاطمة عليهما السلام نذرا نذراً بالصيام ثلاثة أيام عند شفاء الحسين عليه السلام، وشاركهما في الصيام الحسنان عليهما السلام وفضة. وإلى ذلك يشير القرآن ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾. وقد وفوا بالنذر فوراً، بعد شفائهما.

٢- أتت الآيات القرآنية للتأكيد على مصداقية علي، وفاطمة، والحسن، والحسين: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ أي على شهوتهم للطعام، وإيثارهم له ﴿مَسْكِينًا وَيتِيمًا﴾ من مساكين المسلمين وأيتامهم، ﴿وَأَسِيرًا﴾ من أسارى المشركين. فحكم الإطعام نظر إلى الإنسان ككائن كريم ينبغي ان لا يجوع، مؤمناً كان أم مشركاً، مسالماً كان أم محارباً.

٣- كان الإطعام خالصاً لوجه الله ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^(٢).

٤- وعد إلهي حتمي بتحقيق الجزاء والمكافأة الربانية ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً﴾ في الوجوه، ﴿وَسُرُورًا﴾ في القلوب، ﴿وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً﴾ يسكنونها، ﴿وَحَرِيرًا﴾ يفرشونه، ويلبسونه، ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ الأريكة: السرير، ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾^(٣).

(١) سورة الإنسان: الآية ١، ٢٢.

(٢) سورة الإنسان: الآية ٩.

(٣) سورة الإنسان: الآية ١٣. أمالي الصدوق ص ٢١٢ حديث ١١. بحار الأنوار/ ج ٣٥ ص ٢٣٧

(٦)

أيام الصبا: ج - المباهلة

ومن الأحداث المتميزة التي عايشها الحسن رضي الله عنه وكانت مناراً لفضله ولفضل أخيه رضي الله عنه هي حادثة المباهلة. فقد باهل بهما النبي صلى الله عليه وآله وهما صبيان، كما دلّ عليه قوله تعالى في آية المباهلة: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١). حيث دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً، وفاطمة، وحسناً، وحسيناً، وقال صلى الله عليه وآله: «اللهم هؤلاء أهلي»^(٢).

وعقّب «الشيخ سليمان، كما في (الفصول المهمة)، بعد ذكر الآية: فأبرز النبي صلى الله عليه وآله علياً والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهم، وعنى في قوله أنفسنا نفس علي، ومما يدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله: «لتنتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي»، يعني علي بن أبي طالب، فهذه خصوصية لا يلحقهم فيها بشر»^(٣).

قال العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ): «لما انتشر الإسلام بعد الفتح وما وليه من الغزوات المذكورة وقوي سلطانه، وفد إلى النبي صلى الله عليه وآله الوفود فمنهم من أسلم ومنهم من استأمن. فكان ممن وفد عليه أبو حارثة أسقف نجران، في ثلاثين رجلاً من النصارى، منهم العاقب، والسيد، وعبد المسيح، فقدموا المدينة عند صلاة العصر، وعليهم لباس الديباج والصلب»^(٤). فلما صلى النبي صلى الله عليه وآله العصر، توجهوا إليه يتقدمهم الأسقف، فقال: يا محمد

ح ١

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٢) الفصول المهمة - ابن الصباغ ص ١٠٩.

(٣) ينابيع المودة ص ٤٤.

(٤) الصّلب والصلبان: جمع صليب.

ما تقول في السيد المسيح عيسى بن مريم؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: «عبد الله اصطفاه وانتجبه». فقال الأسقف: أتعرف يا محمد له أباً وولده؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: «لم يكن عن نكاح فيكون له والد». قال: فكيف قلت إنه مخلوق وأنت لم ترَ عبداً مخلوقاً إلا عن نكاح وله والد.

فأنزل الله سبحانه وتعالى الآيات من سورة آل عمران: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ۗ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١).

فتلاها النبي صلى الله عليه وآله على النصارى، ودعاهم إلى المباهلة، وقال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخْبَرَنِي أَنَّ الْعَذَابَ يَنْزِلُ عَلَى الْمَبْطَلِ عَقِيبَ الْمَبَاهِلَةِ، وَيُبَيِّنُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ بِذَلِكَ». فأجتمع الأسقف مع عبد المسيح والعاقب على المشورة، واتفق رأيهم على استنظاره إلى صبيحة غدٍ من يومهم ذلك. فلما رجعوا إلى رجالهم. قال لهم الأسقف: انظروا محمداً في غد، فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلته. وإن غدا بأصحابه، فباهلوه فإنه على غير شيء. فلما كان من الغد جاء النبي صلى الله عليه وآله آخذاً بيد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والحسن والحسين عليه السلام يمشيان بين يديه، وفاطمة عليها السلام تمشي خلفه.

وخرج النصارى يتقدمهم أسقفهم. فلما رأى النبي صلى الله عليه وآله قد أقبل بمن معه، سأل عنهم. فقيل له: هذا ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو صهره، وأبو ولديه، وأحب الخلق إليه. وهذان الطفلان، ولدا ابنته من علي عليه السلام، وهما من أحب الخلق إليه. وهذه الجارية ابنته فاطمة عليها السلام، أعز الناس عليه، وأقربهم إلى قلبه. فنظر الأسقف إلى العاقب والسيد وعبد المسيح وقال لهم: انظروا إليه، قد جاء بخاصة من ولده وأهله

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٩-٦١.

ليباهل بهم واثقاً بحقه، والله ما جاء بهم وهو يتخوف الحجة عليه، فأحذروا مباهلتهم. والله لولا مكان قيصر لأسلمت له، ولكن صالحوه على ما يتفق بينكم وبينه، وارجعوا إلى بلادكم، وارتأوا لأنفسكم. فقالوا له رأينا لرأيك تبع. فقال الأسقف: يا أبا القاسم إننا لا نباهلك، ولكننا نصالحك، فصالحنا على ما ننهض به.

فصالحهم النبي عليه السلام على الجزية. وكتب لهم النبي عليه السلام كتاباً بما صالحهم عليه، وأخذ القوم الكتاب وانصرفوا^(١).

دلالات المباهلة مع نصارى نجران:

- ١- ان عملية المباهلة كانت دليلاً ربانياً على صدق نبوة محمد عليه السلام أمام الملأ عموماً، وعلماء أهل الكتاب خصوصاً؛ لأنه كان عليه السلام واثقاً بحقه وصدق نبوته.
- ٢- أثبتت المباهلة وحدة مصير أهل بيت النبوة (صلوات الله عليهم)، فلم يتقدم النبي عليه السلام لوحده في الصراع بين الحق والباطل، بل غدا بولديه وأهله (علي وفاطمة والحسن والحسين)، وهم أحب الخلق إليه. وهذا يثبت أنهم اجتمعوا على الحق والرسالة الإلهية، والدين السماوي. وكفى بذلك تماسكاً، وبناءً مرصوفاً، يشد بعضه بعضاً.
- ٣- رفعت المباهلة العلاقة الإنسانية بين النبي عليه السلام وأهل بيته إلى مستوى أعلى من العلاقة الرحمة، فجعلت الحسن والحسين بمثابة ابني الرسول عليه السلام مع أنها حفيداه: ﴿... فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾، وفاطمة الزهراء عليها السلام تمثل جميع نساءه عليه السلام: ﴿... وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ...﴾، وعلي عليه السلام بمثابة نفسه مع أنه ابن عمه في علاقة الدم: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾. والفارق هنا أن النبي عليه السلام لم يأت ببعض أزواجه ولا بعض أصحابه، مع أن لهم فضلاً. وهذا يدل على أفضلية أهل بيته عليهم السلام الذين أشارت إليهم آية المباهلة، وقرهم منه عليه السلام.

(١) المستجاد من كتاب الإرشاد - العلامة الخلي ص ١٠٤ - ١٠٨.

(٧)

أيام الصبا: د- أصحاب الكساء

وعن أم سلمة (رضوان الله تعالى عليها)، قالت: أتت فاطمة النبي صلى الله عليه وآله بحريرة^(١) فوضعتها بين يديه فقال صلى الله عليه وآله: «يا فاطمة ادعي لي زوجك وابنيك». فدعتهم فأكلوا وتحتهم الكساء، فجمع صلى الله عليه وآله الكساء عليهم ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي إذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»^(٢).

وفي لفظ آخر^(٣)، قالت أم سلمة: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في بيتي يوماً فدخل علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وهما صبيان صغيران، فوضعها في حجره فقبلها، واعتنق علياً بأحدى يديه وفاطمة بالأخرى فقبل فاطمة وعلياً. فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال: «اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي، اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وحامتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». وفي لفظ ثالث: «اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، وحامتي، لحمهم لحمي، ودمهم دمي، يؤلمني ما يؤلمهم، ويحزنني ما يحزنهم، أنا حربٌ لمن حاربهم، وسلمٌ لمن سالمهم، وعدوٌّ لمن عاداهم، ومحبٌّ لمن أحبهم. إنهم مني وأنا منهم، فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك عليّ وعليهم، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»^(٤).

قالت أم سلمة: فأخذت طرف الكساء لأدخل فقلت: وأنا معكم يا رسول الله.

(١) الحريرة: نوع من الطعام المطبوخ.

(٢) المعجم الكبير - الطبراني / ج ٣ ص ٥٤.

(٣) الإصابة - ابن حجر / ج ٢ ص ٥٠٩. وسير أعلام النبلاء - الذهبي / ج ٢ ص ٩٧.

(٤) منتخب الطريحي ص ٢٥٣.

قالت: فجذبه، وقال: إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، إِنَّكَ مِنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ، فنزلت الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١).

دلالة حديث الكساء:

١- إن حديث الكساء يدخل ضمن سياق الأحاديث التي تؤكد على أهمية أهل البيت عليهم السلام في الرسالة الدينية. فقد شخّص الحديث:

أ- تأكيد رسول الله صلى الله عليه وآله على أنّ علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام من أهل البيت بالمعنى المصطلح المعروف، أي كونهم أئمة هدى تجب طاعتهم. بل ذهب صلى الله عليه وآله إلى أكثر من ذلك، وهو أنّ ما يصيبهم من ألم أو حزن، أو سلم أو حرب، يصيبه صلى الله عليه وآله نفسه. وهذا يتناسب مع أهداف نبوته صلى الله عليه وآله. باعتبار أنّ أهل البيت عليهم السلام قصروا حياتهم على هداية الأمة إلى طريق الرشاد، عبر معرفة الله تعالى، وعبادته، وطاعة أوامره، والانتهاز عن نواحيه.

ب- أخرج صلى الله عليه وآله أم سلمة، وهي من أمهات المؤمنين، من أصحاب الكساء وقال صلى الله عليه وآله لها: «إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، إِنَّكَ مِنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ». ومفهومه أنّ لأهل البيت عليهم السلام شخصيات وأدواراً تختلف عن شخصيات زوجات النبي صلى الله عليه وآله وأدوارهنّ.

٢- إنّ تزامن نزول آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢) مع دعائه صلى الله عليه وآله بعد أن غشاهم بالكساء يدلّ على إمضاء الله عزّ وجلّ كلام نبيه صلى الله عليه وآله، واستجابة دعوته صلى الله عليه وآله.

(١) سورة الاحزاب: الآية ٣٣.

(٢) سورة الاحزاب: الآية ٣٣.

مع أمه فاطمة الزهراء عليها السلام :

وكان الحسن عليه السلام قريباً من أمه فاطمة الزهراء عليها السلام، كونه الابن البكر. إلا أن التاريخ لم ينقل لنا الكثير من الروايات حول فاطمة وابنها الحسن عليه السلام. ولكن القليل الذي ورد له دلالات عظيمة، ومنها هذه الرواية:

يقول الحسن عليه السلام: «رأيتُ أُمِّي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة، حتى إتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، تسميهم، وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلتُ لها: يا أماه، لم لا تدعين لنفسك، كما تدعين لغيرك. قالت: يا بُني الجار ثم الدار»^(١).

من الأدعية التي تعلمها عليه السلام من جده المصطفى عليه السلام بلا واسطة :

كان الحسن عليه السلام غالباً ما يدعو بدعاءٍ تعلمه من جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة: «اللهم اقذف في قلبي رجاءك، واقطع رجائي عمّن سواك، حتى لا أرجو أحداً غيرك، اللهم وما ضعفت عنه قوتي، وقصر عنه عملي، ولم تنته إليه رغبتني، ولم تبلغه مسألتني، ولم يجبر على لساني مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين، فخصني به يا رب العالمين»^(٢).

وكان يقرأ في القنوت مما علّمه جده صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شرّ ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذلّ من واليت، ولا يعزّ من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت»^(٣).

(١) علل الشرائع / ج ١ ص ١٧٣.

(٢) ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ص ١٠.

(٣) المستدرک علی الصحیحین - الحاکم النیسابوری / ج ٣ ص ١٧٢.

(٨)

وفاة جده رسول الله ﷺ

وفي السنة العاشرة من الهجرة، مرض النبي ﷺ مرضه الذي توفي فيه. وفي رواية زينب بنت أبي رافع، انها رأت فاطمة بنت رسول الله ﷺ أتت بابنها إلى رسول الله ﷺ في شكواه التي توفي فيها فقالت: يا رسول الله هذان ابنك فورثهما [من إرث النبوة وصفات الكمال]. فقال ﷺ: «أما حسنٌ فإن له هيبتي وسؤدي»^(١)، وأما حسين فإن له جرأتي وجودي»^(٢). ومنطوق الرواية يدلُّ على انتقال الفضائل النبوية للحسينين رضي الله عنهما، وهي الهيبة، والشرف، والشجاعة، والجلود. ومفهومها يدلُّ على عدم توريثه مالا لهما. والمشهور أن فداً كان قد وهبها رسول الله ﷺ لابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها في حياته ﷺ. فأنكره القوم، فاحتجت رضي الله عنها بشرعية الإرث عنه ﷺ^(٣).

مع الحسينين رضي الله عنهما قبل الوفاة على الله تعالى :

وفي تلك الايام العصيبة أيام مرضه ﷺ، دخل رسول الله ﷺ بيت أم سلمة وهو يردد: «ربِّ سلِّم أمة محمد من النار، ويسر عليهم الحساب» وأخبرها بأنه ينعى نفسه، ثم قال ﷺ لأم سلمة: «ادعي لي حبيبة قلبي، وقرّة عيني فاطمة». فجاءت فاطمة رضي الله عنها وهي تقول: «نفسى لنفسك الفداء، ووجهي لوجهك الوقاء يا أبتاه، ألا تكلمني كلمة؟ فإني أنظر إليك وأراك مفارق الدنيا، وأرى عساكر الموت تغشاك شديداً»^(٤).

فقال ﷺ لها: «يا بنية إني مفارقك، فسلام عليك مني». فسألته عن الملتقى يوم

(١) السؤدد: الشرف (لسان العرب مادة: سود).

(٢) أسد الغابة / ج ٥ ص ٤٦٧.

(٣) راجع كتاب (الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه - الصديق الأكبر) للمؤلف. الطبعة الثانية - بيروت ٢٠٠٨ ص ٦٤٤ - ٦٤٨.

(٤) إعلام الوري / ج ١ ص ٤٠٢.

القيامة، فأشار عليه السلام: إما عند الحساب، أو عند مقام الشفاعة لأتمته، أو عند الصراط، حيث جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، والملائكة من خلفه وقدامه، ينادون: ربِّ سلِّم أمة محمد من النار، ويسر عليهم الحساب^(١).

ثم أغمي على رسول الله عليه السلام فدخل بلال وهو يقول: الصلاة رحمك الله. فخرج رسول الله عليه السلام وصلى بالناس وخفف الصلاة، ثم قال: «ادعوا لي علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد». فجاء فوضع عليه السلام يده على عاتق علي، والأخرى على أسامة، ثم قال: «انطلقا بي إلى فاطمة». فجاء به إليها، وكان الحسن والحسين عليهما السلام يبكيان وهما يقولان: «أنفسنا لنفسك الفداء»، ووجهنا لوجهك الوقاء». فأشار الإمام علي عليه السلام: «هذان ابناك الحسن والحسين». فعانقهما وقبلهما. وفي رواية أخرى: «يا علي دعني أشمهما ويشماني، وأتزود منهما، ویتزودان مني...». وبعدها بفترة قصيرة توفي خاتم الانبياء عليه أفضل الصلاة والسلام.

توفي رسول الله عليه السلام في الثامن والعشرين من صفر سنة عشر من الهجرة، وإلى جنبه علي بن أبي طالب، وابنته فاطمة الزهراء، والحسن والحسين عليهما السلام. وكان عمر الحسن عليه السلام يوم توفي رسول الله عليه السلام سبع سنين وأشهرًا^(٢).

يصف الإمام الحسن عليه السلام رسول الله بهذه الكلمات: «...طيب الريح، حسن الكلام، فصيح اللسان، كان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، بلغ عمره ثلاثاً وستين سنة، ولم يخلّف بعده إلا خاتماً مكتوباً عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكان يتختم في يمينه، وخلّف سيفه ذا الفقار، وقضيبه، وجبة صوف، وكساء صوفٍ كان يتسول به، لم يقطعه ولم يخطه حتى لحق بالله»^(٣).

(١) إعلام الوری / ج ١ ص ٤٠٢.

(٢) إعلام الوری / ج ١ ص ٤٠٢.

(٣) بحار الأنوار / ج ٤٤ ص ٩٠.

(٩)

ما بعد رسول الله عليه السلام

وعند وفاة النبي عليه السلام التبست الفتن على الأمة كقطع الليل المظلم. وتناسى الناس وصية خاتم الأنبياء عليه السلام لعلي بن أبي طالب عليه السلام. وآل الأمر - بعد اجتماع السقيفة - إلى الخليفة الأول. ولازم الحسن عليه السلام أباه أمير المؤمنين عليه السلام طيلة حياته، وشهد معه جميع الاحداث الكبرى التي مرت على الإسلام في تلك الفترة.

شهادة الحسن عليه السلام في قضية فدك:

لما فتح الله تعالى على نبيه عليه السلام فدك وما والاها، ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، أنزل الله تعالى على نبيه عليه السلام: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ...﴾^(١). فراجع رسول الله عليه السلام في ذلك جبرائيل عليه السلام. فأوحى الله إليه أن ادفع فدك إلى فاطمة عليها السلام، فدعاها رسول الله عليه السلام فقال لها: «يا فاطمة إن الله تعالى أمرني أن ادفع إليك فدك».

فقالت عليها السلام: «قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك». فلم يزل وكلاؤها فيها في حياة رسول الله عليه السلام، فلما ولي الخليفة الأول أخرج عنها وكلاءها. فأتته عليها السلام فسألته ان يردّها عليها، فقال لها: آتيني بأسود أو أحمر ليشهد لك بذلك. فجاءت بعلي بن أبي طالب عليه السلام زوجها، والحسن والحسين عليهما السلام ابنيها، وأم أيمن (حاضنة النبي عليه السلام) فشهدوا لها بذلك. فكتب لها كتاباً يأمر من تعرض لفدك بالتخلي عن ذلك، فخرجت والكتاب معها. إلا ان ذلك لم يُرض الخليفة الثاني فرفض كتاب الخليفة الأول، فسُلب حقها عليها السلام من فدك^(٢).

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٦.

(٢) تجد روايات مشابهة في (التهذيب) للشيخ الطوسي / ج ٤ ص ١٤٨ حديث ٤١٤.

قضية البيعة :

وكان الحسن عليه السلام شاهداً على قضية البيعة على الرغم من صغر سنه عليه السلام. ولما أتى أبو بكر وعمر إلى منزل علي بن أبي طالب عليه السلام وخاطباه في البيعة وخرجا من عنده، خرج علي عليه السلام إلى المسجد فحمد الله وأثنى عليه مما اصطنع عندهم أهل البيت، إذ بعث فيهم رسولاً منهم وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ثم قال عليه السلام: «إن فلاناً وفلاناً أتياي وطالباني بالبيعة لمن سبيله أن يبايعني، أنا ابن عم النبي، وأبو ابنيه، والصديق الأكبر، وأخو رسول الله عليه السلام، لا يقولها أحد غيري إلا كاذب، وأسلمتُ وصلّيتُ، وأنا وصيه وزوج ابنته سيدة نساء العالمين فاطمة بنت محمد عليه السلام وأبو الحسن والحسين سبطي رسول الله عليه السلام، ونحن أهل بيت الرحمة، بنا هداكم الله، وبنا استنقذكم من الضلالة، وأنا صاحب الروح، وفيّ نزلت سورة من القرآن، وأنا الوصي على الأموات من أهل بيته عليه السلام، وأنا ثقته على الأحياء من أمته، فاتقوا الله يثبت أقدامكم ويتم نعمته عليكم». ثم رجع إلى بيته عليه السلام ^(١).

والمشهور في روايات القوم انه «لما توفي رسول الله عليه السلام، لم يوضع في حفرته حتى نكث الناس وارتدوا وأجمعوا على الخلاف، واشتغل علي بن أبي طالب عليه السلام برسول الله عليه السلام حتى فرغ من غسله وتكفينه وتخنيطه ووضعها في حفرته، ثم أقبل على تأليف القرآن (أي جمعه). وشغل عنهم بوصية من رسول الله عليه السلام، فافتتن الناس بالذي افتتنوا به، فلم يبق إلا علي عليه السلام، وبنو هاشم، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان، في أناس عددهم يسير. فرفض علي عليه السلام البيعة ولم يقدرها على إجباره. وفي رواية أنه مديده من غير أن يفتح كفه، فضرب عليها الخليفة الأول، ورضي بذلك. ثم توجه عليه السلام إلى منزله وتبعه الناس» ^(٢).

(١) تفسير البرهان - هاشم البحراني / ج ٣ ص ٣١٩.

(٢) كتاب (سليم بن قيس)، بتصرف ص ٢٤٩.

ودلالة إعطاء يده عليه السلام دون أن يفتحها هو:

١- إنه اعطى البيعة مكرهاً، من أجل حقن دماء المسلمين. ولو كان له الاختيار، ووجدَ الناصر، لقارع دون حقه.

٢- أراد من مديده بتلك الطريقة تعريف المسلمين بعدم صحة البيعة. وكان الهدف من كل ذلك حقن الدماء. وقد رضوا بذلك، لأنهم كانوا يعلمون أنه عليه السلام كان على حق. كان الحسن عليه السلام صيباً لم يتجاوز الثامنة من عمره، وهو يرى تلك الأحداث الجسام. ولعل القدر كان ينجي له أحداثاً مشابهة!

(١٠)

استشهاد أمه فاطمة الزهراء عليها السلام

توفيت الزهراء عليها السلام، وابنها الحسن لا يزال حدثاً في السابعة من عمره أو يزيد قليلاً، وقيل إنَّ استشهادها كان بعد وفاة والدها المصطفى عليه السلام بأربعين يوماً فقط. ولما توفيت، دخل الحسنان عليهما السلام على أسماء فاعلمتهما بوفاة والدتهما، فأقبل الحسن عليه السلام يرثيها.

وصية فاطمة عليها السلام:

أخبر علي عليه السلام بذلك، فأسرع إلى بيته وكشف عن وجهها، فإذا برقعة عند رأسها، وفيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أوصت وهي تشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ الجنة حق، والنار حق، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث من في القبور. يا عليُّ أنا فاطمة بنت محمد،

زَوَّجَنِي اللهُ مِنْكَ لِأَكُونَ لَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْتَ أَوْلَى بِي مِنْ غَيْرِي، حَنَّنِي وَغَسَّلَنِي وَكَفَّنِي بِاللَّيْلِ وَصَلَّ عَلَيَّ، وَادْفَنَنِي بِاللَّيْلِ، وَلَا تُعَلِّمَ أَحَدًا، وَاسْتَوْدِعْكَ اللهُ، وَأَقْرَأْ عَلَيَّ وَلَدِي السَّلَامَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

وداعاً يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله:

فلما جنَّ الليل غَسَّلَهَا ووضَعَهَا عَلَى السَّرِيرِ، وَكَفَّنَهَا، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَمْتِكَ، وَبِنْتُ رَسُولِكَ، وَصَفِيَّتِكَ، وَخَيْرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ. اللَّهُمَّ لَقْنَهَا حَجَّتَهَا، وَأَعْظَمَ بَرَهَانَهَا، وَاعْلِ دَرَجَتَهَا، وَاجْمَعْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَبِيهَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله»^(٢). وَقَالَ لِلْحَسَنِ عليه السلام: «أَدْعُ لِي أَبَا ذَرٍّ» فَدَعَاهُ، فَحَمَلَاهَا إِلَى الْمَصَلِيِّ، فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ فَنَادَى: «هَذِهِ بِنْتُ نَبِيِّكَ فَاطِمَةُ، أَخْرَجْتَهَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، فَأَضَاءْتَ الْأَرْضَ مِيلًا فِي مِيلٍ». فَدَفَنُوهَا فِي الْبَقِيعِ، وَجَلَسَ عَلَيَّ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ، وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَرْضِ اسْتَوْدِعْتِكَ وَدِيْعَتِي، هَذِهِ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ»^(٣).

وإلى ذلك ينقل الحسين عليه السلام أنه: لما مرضت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وصَّتْ إلى علي بن أبي طالب عليه السلام أن يكتُمَ أمرَها، ويُخْفِيَ خبرَها، ولا يؤذَنَ أحداً بمرضِها. ففعل ذلك. وكان يُمرِّضُها بنفسِهِ، وتعيَّنه على ذلك أسماء بنت عميسٍ رحمها الله، على استسرار بذلك^(٤) كما أوصت به. فلما حضرتها الوفاة أوصت أمير المؤمنين عليه السلام أن يتولى أمرَها، ويدفنها ليلاً ويعفي قبرَها، فتولى عليه السلام ذلك ودفنها، وعفى موضع قبرها.

فلما نفص يده من تراب القبر، هاج به الحزن، فأرسل دموعه على خديه وحول

(١) بحار الأنوار / ج ٤٣ ص ٢١٤.

(٢) بحار الأنوار / ج ٨١ ص ٣٠٩ حديث ٢٩.

(٣) العوالم / ج ٦ ص ٢٨٣ حديث ٦.

(٤) هكذا في الرواية، أي بطريقة أقرب إلى السر والخفاء.

وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال:

«السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك عن ابنتك، وزائرتك، والباثثة في الثرى ببقيعك، المختار الله لها سرعة اللحاق بك. قل يا رسول الله عن صفتك صبري، وعفا عن سيدة النساء تجلدي، إلا أن في التأسي لي بسنتك، في فرقتك، موضع تعز، فلقد وسدتك في ملحود قبرك، فاضت نفسك بين نحري صدري، وغمضتكم بيدي.

بلى، وفي كتاب الله لي أنعم القبول ﴿...إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(١)، قد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة، واختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله.

أما حزني فسرمد، وأما ليلى فمسهد، لا ييرح الحزن من قلبي أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم، كمد مقيح، وهم مهيج، سرعان ما فرق الله بيننا، وإلى الله أشكو، وستنبئك ابنتك بتظافر أمتك، وعلى هضمها حقها، فأحفها السؤال، واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بته سبيلاً، وستقول: ويحكم الله، وهو خير الحاكمين.

سلام مودع، لا قال ولا سئم، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين... الصبر أيمن وأجمل. ولولا غلبة المستولين، لجعلت المقام واللبث لزاماً معكوفاً، والتلبث عنده معكوفاً، ولأعولت إحوال الثكلى على جليل الرزية، فبعين الله تدفن بنتك سرّاً، وتمضم حقها، وتمنع إرثها، ولم يتباعد العهد، ولم يخلق منك الذكر، وإلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك يا رسول الله أحسن العزاء، صلى الله عليك، وعليها السلام والرضوان»^(٢).

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٦.

(٢) الكافي (الأصول) - الكليني / ج ١ ص ٤٥٨-٤٥٩.

ويصفُ أميرُ المؤمنين عليه السلام بكلماته تلك اللحظات التي مرّت في حياته وحياة الحسن والحسين عليه السلام فيقول: «والله لقد أخذتُ في أمرها، وغسّلتها في قميصها، ولم أكشفه عنها، فوالله لقد كانت ميمونة طاهرة مطهّرة، ثم حنّطتها من فضلة حنوط رسول الله صلى الله عليه وآله، وكفّنتها، وأدرجتها في أكفانها، فلما هممتُ أن أعقد الرداء ناديت يا أم كلثوم! يا زينب! يا سكينه! يا فضة! يا حسن! يا حسين! هلمّوا تزودوا من أتمكم. فهذا الفراق، واللقاء في الجنة»^(١).

فأقبل الحسن والحسين عليه السلام وهما يناديان: «واحسرتا لا تنطفئ أبداً من فقد جدنا محمد المصطفى وأمنا فاطمة الزهراء. يا أمّ الحسن، يا أمّ الحسين إذا لقيت جدنا محمداً المصطفى فاقرئيه منا السلام وقولي له: إنا قد بقينا بعدك يتيمين في دار الدنيا»^(٢).

(١١)

مع أبيه عليه السلام قبل الخلافة (سنة ١١ - ٣٦هـ)

عاش الحسن عليه السلام مع أبيه مدة سبع وثلاثين سنة، منها ثلاثون سنة مدة إمامة أبيه عليه السلام، وشارك الحسن عليه السلام في حياة أبيه بنشاطات تذكرها المتون التاريخية منها: التعلم من أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، وخطابه لأبي ذر عندما نُفي إلى الربذة، ودعاؤه بالاستسقاء بإشارة من أبيه عليه السلام، ونحوها.

التعلم من أبيه عليه السلام:

كان الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام كثيراً ما يوصي ابنه الحسن عليه السلام وصايا الحكمة والمعرفة، ويقول عليه السلام له:

(١) بحار الأنوار / ج ٤٣ ص ١٧٩.

(٢) بحار الأنوار / ج ٤٣ ص ١٧٩.

«[يَا بُنَيَّ] لَا تَخْلُفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا، فَإِنَّكَ تَخْلُفُهُ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ: إِمَّا رَجُلٌ عَمَلٌ فِيهِ بَطَاعَةٌ لِلَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ، وَإِمَّا رَجُلٌ عَمَلٌ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَكُنْتَ عَوْنًا لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ. وَلَيْسَ أَحَدٌ هَدَيْنَ حَقِيقًا أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ»^(١).

وَيُرْوَى هَذَا الْكَلَامُ عَلَى وَجْهِ آخَرَ وَهُوَ: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الَّذِي فِي يَدِكَ مِنَ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ وَهُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهْلِ بَعْدِكَ، وَإِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ: رَجُلٌ عَمَلٌ فِيهَا جَمَعْتَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ، أَوْ رَجُلٌ عَمَلٌ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِي بِمَا جَمَعْتَ لَهُ. وَلَيْسَ أَحَدٌ هَدَيْنَ أَهْلًا أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَلَا أَنْ تَحْمِلَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ، فَارْجُ لِمَنْ مَضَى رَحْمَةَ اللَّهِ وَلِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ اللَّهِ»^(٢).

يقول أبان بن الطفيل^(٣): سمعتُ علياً عليه السلام يقول للحسن عليه السلام: «كُنْ فِي الدُّنْيَا بِيَدِنِكَ، وَفِي الآخِرَةِ بِقَلْبِكَ»^(٤).

تعليمه عليه السلام للمسلمين:

وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يشير إلى ابنه الحسن عليه السلام، في التصدي لأسئلة المسلمين، فيما يتعلق بأحكام الشريعة والعقائد، وإجابتهم بصورة مباشرة.

وليس غريباً أن نسمع الحسن عليه السلام يقول: «ان الله تبارك وتعالى علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحلال والحرام والتنزيل والتأويل، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً علمه كله، وعلمنيه أمير المؤمنين كله»^(٥).

(١) شرح نهج البلاغة - (م) / ج ٤ ص ١٢٩.

(٢) شرح نهج البلاغة - (م) / ج ٤ ص ١٢٩.

(٣) أبان بن الطفيل: مجهول، لم أجد له ترجمة في معاجم الرجال.

(٤) حلية الأولياء - الحافظ أبو نعيم / ج ٢ ص ٣٧.

(٥) بحار الأنوار / ج ٤٤ ص ١٠٤.

كان الفقر منتشرًا في الجزيرة العربية، وكان هناك من لا يجد قوت يومه أو قوت عياله، والقلة القليلة كانت تعيش ترفاً وبذخاً. ومن تلك القلة، جاءه رجل بنى بيتاً فخماً، فقال للحسن عليه السلام: «بنيْتُ داراً أحبُّ أن تدخلها، وتدعو الله، فأجابه الحسن عليه السلام فدخلها ونظر إليها ثم قال: «أخربت دارك وعمّرت دار غيرك. أحبّك من في الأرض ومقتك من في السماء»^(١).

وكانت الناس تسأل الحسن عليه السلام فيجيبها عن أسئلتها. فسأله الناس عن العقل، فقال عليه السلام: «التجرع للغصة حتى تنال الفرصة، ومداهنة الأعداء»^(٢). وعن الصمت، فقال عليه السلام: «ستر العي»^(٣)، و«زين العرض»^(٤)، و«فاعله في راحة، وجليسه في أمن». وعن المروءة، فقال عليه السلام: «شح الرجل على دينه وإصلاحه ماله، وقيامه بالحقوق»^(٥). وعن البخل، فقال عليه السلام: «هو أن يرى الرجل ما أنفق، وما أسكنه شرفاً»^(٦).

مع الصحابي الجليل أبي ذر في محنته:

ولما شيع أمير المؤمنين عليه السلام الصحابي الجليل أبا ذر رضي الله عنه، بعد نفيه إلى الربرة من قبل الخليفة الثالث، وشيعه أيضاً الحسن، والحسين، وعقيل بن أبي طالب، وعبد الله بن جعفر، وعمار بن ياسر، قال لهم علي عليه السلام: «ودعوا أخاكم فإنه لا بد للشاخص من أن يمضي، وللمشيع من أن يرجع». فتكلم كل رجل منهم على حياله.

(١) مستدرک الوسائل - الميرزا النوري / ج ٣ ص ٤٦٧.

(٢) المحاسن / ج ١ ص ١٩٦.

(٣) العي: العجز.

(٤) العرض: العوض.

(٥) معاني الأخبار - الشيخ الصدوق ص ٢٥٧.

(٦) نهاية الأرب في فنون الأدب - النويري / ج ٣ ص ٣٩٨.

فقال أبو ذر: «رحمكم الله من أهل بيت، فما لي في الدنيا من شجن غيركم. اني إذا ذكرتكم ذكرت رسول الله صلى الله عليه وآله»^(١).

وفي رواية مفصلة، أنه: لما أخرج أبو ذر إلى الربذة بأمر عثمان، نودي في الناس: أن لا يكلم أحد أبا ذر ولا يشيعه. وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به، فتحاماه الناس إلا علي بن أبي طالب عليه السلام، وعقيلاً أخاه، وحسنًا، وحسينًا عليه السلام، وعمار بن ياسر، فإنهم خرجوا معه يشيعونه، فجعل الحسن عليه السلام يكلم أبا ذر، فقال له مروان: «إيها يا حسن، ألا تعلم أن الخليفة قد نهى عن كلام ذلك الرجل، فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك». فحمل علي عليه السلام على مروان، فضرب بالسوط بين أذني راحلته، وقال: «تنح لحاك الله إلى النار». فرجع مروان مغضباً إلى عثمان فأخبره الخبر، فتلظى على علي عليه السلام. ولكن ذلك لم يمنع أهل البيت عليهم السلام والصحابي الجليل عمار بن ياسر من توديع أبي ذر.

فقال علي عليه السلام: «يا أبا ذر إنك غضبت لله، إن القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فامتحنوك بالقلا، ونفوك إلى الفلا، والله لو كانت السماوات والأرض على عبد رتقاً، ثم اتقى الله لجعل له منهما مخرجاً. يا أبا ذر لا يؤنسك إلا الحق، ولا يوحشك إلا الباطل».

ثم قال لأصحابه: «ودعوا عممكم»، وقال لعقيل: «ودّع أخاك».

فتكلم عقيل فقال: «ما عسى أن نقول يا أبا ذر، أنت تعلم أننا نحبك وأنت تحبنا فأتق الله، فإن التقوى نجاة، واصبر فإن الصبر كرم، واعلم أن استئقالك الصبر من الجزع، واستبطاءك العافية من اليأس، فدع اليأس والجزع».

ثم تكلم الحسن عليه السلام فقال: «يا عمّاه لولا أنه لا ينبغي للمودع أن يسكت، وللمشيّع

(١) المحاسن / ج ٢ ص ٩٤ حديث ٤٦.

أن ينصرف لقصر الكلام، وإن طال الأسف، وقد أتى القوم إليك ما ترى، فضع عنك الدنيا بتذكر فراقها، وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها، واصبر حتى تلقى نبيك عليه السلام وهو عنك راضٍ».

ثم تكلم الحسين عليه السلام فقال: «يا عمّاهُ إنّ الله تعالى قادرٌ أن يغيّر ما قد ترى، والله كُلهُ يومٍ في شأن. وقد منعك القومُ دنياهم، ومنعتهم دينك، فما أغناك عما منعوك، وأحوجهم إلى ما منعتهم. فأسأل الله الصبرَ والنصرَ، واستعدُّ به من الجشع والجزع، فإن الصبر من الدين والكرم، وإن الجشع لا يُقدّم رزقاً، والجزع لا يؤخرُ أجلاً».

ثم تكلم عمار عليه السلام مغضباً فقال: «لا آنس الله من أوحشك، ولا آمن من أخافك، أما والله لو أردت دنياهم لآمنوك، ولو رضيت أعمالهم لأحبوك، وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلا الرضا بالدنيا، والجزع من الموت، ومالوا إلى سلطان جماعتهم عليه، والملك لمن غلب، فوهبوا لهم دينهم، منحهم القوم دنياهم، فخسروا الدنيا والآخرة، ألا ذلك هو الخسران المبين».

فبكى أبو ذر عليه السلام وكان شيخاً كبيراً، وقال: «رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة، إذا رأيتمكم ذكرتُ بكم رسول الله عليه السلام، ما لي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم، إني ثقلت على عثمان بالحجاز، كما ثقلت على معاوية بالشام، وكره أن أجاور أخاه وابن خاله بالمصريين فأفسد الناس عليهما، فسيّرني إلى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلا الله، والله ما أريد إلا الله صاحباً، وما أخشى مع الله وحشة...»^(١).

الإمام المحبوب عليه السلام:

قال ابن كثير: «وقد كان الصديق [أبو بكر] يجله، ويعظمه، ويكرمه، ويحبه، ويتفداه.

(١) بحار الأنوار / ج ٢٢ ص ٤١٢.

وكذلك عمر بن الخطاب، فروى الواقدي عن موسى بن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن أبيه: أن عمر لما عمل الديوان فرض للحسن والحسين مع أهل بدر في خمسة آلاف خمسة آلاف. وكذلك كان عثمان بن عفان يكرم الحسن والحسين ويحبهما، وقد كان الحسن بن علي يوم الدار وعثمان بن عفان محصور عنده ومعه السيف متقلداً به يحاجف عن عثمان، فخشى عثمان عليه فأقسم عليه ليرجعن إلى منزلهم تطيباً لقلب علي، وخوفاً عليه»^(١).

وقال ابن كثير أيضاً: «وكان علي عليه السلام يكرم الحسن إكراماً زائداً ويعظمه ويبجله، وقد قال له يوماً: يا بني ألا تخطب حتى اسمعك، فقال: إني استحي أن أخطب وأنا أراك، فذهب علي عليه السلام فجلس حيث لا يراه الحسن، ثم قام الحسن في الناس خطيباً، وعلي عليه السلام يسمع، فأدى خطبة بليغة فصيحة. فلما انصرف جعل علي عليه السلام يقول: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢)»^(٣).

(١٢)

مع أبيه عليه السلام خلال خلافته (سنة ٣٦ - ٤٠ هـ)

لم يكن الحسن عليه السلام بعيداً عن أبيه عليه السلام خلال فترة الحكم، بل كان يلازمه ويؤدي المهمات التي يوكلها إليه أمير المؤمنين عليه السلام.

عندما أجمعت الأمة على استخلاف علي بن أبي طالب عليه السلام، كان الحسن عليه السلام شاباً في مطلع الثلاثينات من عمره، وهو عليه السلام العالم بخطورة موقف أبيه عليه السلام على المسرح الإسلامي، وهو القائل: «إنَّ الله تبارك وتعالى علّم رسوله الحرام والحلال، والتنزيل

(١) البداية والنهاية - ابن كثير / ج ٨ ص ٣٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٤.

(٣) البداية والنهاية / ج ٨ ص ٣٦.

والتأويل، فعلم رسول الله علياً علمه كله». وصار علمُ علي عليه السلام مصاديق عمله في الخلافة. ولم يكن علي عليه السلام عالماً بأحكام الشريعة ومبادئها فحسب بل كان خاشعاً لله عز وجل باكياً، وإلى ذلك يشير الحسن عليه السلام بالقول: «ما دخلتُ على أبي قطَّ إلا وجدته باكياً»^(١).

خلافة أمير المؤمنين عليه السلام :

لما قُتِلَ عثمان انثال الناسُ على علي بن أبي طالب عليه السلام وأصروا على بيعته حتى وُطِئَ الحسان وشق عطفاه، كما قال في خطبته الشقشقية، ثم بايعه الناس فقام بالأمر.

ولما تسلم علي عليه السلام منصب الخلافة خرج إلى المسجد متعمماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله، لابساً بردة رسول الله صلى الله عليه وآله، متنعلًا نعل رسول الله صلى الله عليه وآله، متقلداً سيف رسول الله صلى الله عليه وآله، فصعد المنبر فجلس عليه متحنكاً، ثم شبك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه ثم قال: «يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سبط العلم، هذا لعاب رسول الله، هذا ما زفني رسول الله زقاً زقاً، سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين. أما والله لو ثنيت لي وسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم، حتى تنطق التوراة، فتقول: صدق عليٌّ ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ. وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم، حتى ينطق الإنجيل، فيقول: صدق عليٌّ ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله فيّ. وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم، حتى ينطق القرآن، فيقول: صدق عليٌّ ما كذب...»^(٢).

ثم أمر الحسن عليه السلام بأن يخطب، فقام عليه السلام، وقال: «أيها الناس سمعتُ جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابها، وهل تدخل المدينة إلا من بابها؟...»^(٣).

(١) تنبيه الخواطر ونزهة المناظر ص ٤٢٩.

(٢) أمالي الصدوق ص ٤٢٢.

(٣) أمالي الصدوق ص ٢٠٧.

الحسن رضي الله عنه ينوب عن الإمام أمير المؤمنين رضي الله عنه :

وكان الحسن رضي الله عنه ينوب أباه رضي الله عنهما في الارشاد والوعظ وأداء الصلاة وخطبتها.

وفي الرواية أنّ الإمام أمير المؤمنين رضي الله عنه مرض، فأمر الحسن رضي الله عنه أن يصلي بالناس صلاة الجمعة، فصعد المنبر، فحمد الله واثنى عليه ثم قال: «إنّ الله اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه، وأنزل علينا وحيه، وإنّ الله لم يبعث نبياً، إلا اختار له نفساً، ورهطاً^(١)، وبيتاً [ونحن نفس محمدٍ ورهطه وأهل بيته] فوالذي بعث محمداً بالحق، لا ينتقص من حقنا - أهل البيت - أحد، إلا نقصه الله من حقه مثله، من عاجل دنياه وآخرته، ولا يكون علينا دولة، إلا وتكون لنا العاقبة ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾^(٢)...»^(٣).

وفي مناسبة اخرى طلب الإمام علي رضي الله عنه من الحسن رضي الله عنه أن يخطب، فقام الحسن رضي الله عنه وقال: «الحمد لله الذي من تكلم سمع كلامه، ومن سكت علم ما في نفسه، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه معاده. والحمد لله الواحد بغير تشبيه، الدائم بغير تكوين، القائم بغير كلفة، الخالق بغير منصفة، الموصوف بغير غاية المعروف بغير محدودية، العزيز لم يزل قديماً في القدم، وعتت القلوب لهيبته، وذهلت العقول لعزته، وخضعت الرقاب لقدرته، فليس يخطر على قلب بشر مبلغ جبروته، ولا يبلغ الناس كُنْه جلاله، ولا يفصح الواصلون منهم لكنْه عظمته. ولا تبلغه العلماء بألبابها، ولا أهل التفكير بتدبير أمورها. اعلم خلقه به، الذي بالحد لا يصفه. يدرك الأبصار، ولا تدركه الأبصار وهو اللطيف

(١) رهط الرجل: قومه وقبيلته. وقيل ما دون العشرة من الرجال. قال ابن السكيت: العتره هو

الرهط (لسان العرب مادة رهط).

(٢) سورة ص: الآية ٨٨.

(٣) مروج الذهب / ج ٢ ص ٣٠٦.

الخبير، أما بعد فإن القبور محلّتنا، والقيامة موعدنا، والله عارضنا، وإن علياً باب من دخله كان آمناً، ومن خرج منه كان كافراً، أقول قولي واستغفر الله العظيم لي ولكم»^(١).

الحسن عليه السلام وطلب الاستسقاء :

ولما جاء أهل الكوفة إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يشكون إليه إمساك المطر، قالوا له: استسق لنا. فقال أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: أدع لنا بدعوات في الاستسقاء. فقام عليه السلام وحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي عليه السلام، وقال: «اللهم هيّج لنا السحاب، وفتح الأبواب بماء عباب^(٢) ورباب^(٣)، بانصباب^(٤) واسكاب^(٥). يا وهاب أسقنا مغدقة^(٦) مونقة^(٧)، فتح أغلاقها، ويسر أطباقها، وعجل سياقها بالأندية في بطون الأودية بصوب الماء. يا فعال أسقنا مطراً قطراً، طلاً^(٨) مطلاً^(٩)، مطبقاً طبقاً^(١٠)، عاماً معماً^(١١)، دهماً بهماً^(١٢)، رشاً مرشاً، واسعاً كافياً عاجلاً طيباً مباركاً،

(١) إقبال الأعمال - ابن طاووس / ج ٢ ص ١٦٤.

(٢) عباب الماء: أوّله ومعظمه.

(٣) الرباب: مفردها الرّبابة بالفتح: السحابة التي قد ركب بعضها بعضاً، وجمعها رباب.

(٤) الانصباب: الاندفاق، ومنه صب الماء.

(٥) إسكاب: السكبُ صبُّ الماء.

(٦) مغدقة: من العَدَق، بفتح الدال، وهو المطر الكبار القَطْرِ.

(٧) مونقة: من المؤنق والأنيق، وهو الحسن المعجِب.

(٨) طلاً: الطل هو المطر الصغار القطر الدائم، وهو أرسخ المطر ندىً.

(٩) مطلاً: (مطل) الميم والطاء واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على مد الشيء وإطالته.

(١٠) مطبقاً طبقاً: الطبق غطاء كل شيء، يقال: جعله مُطبّقاً، ومنه قولهم: لو تطبقت السماء على الأرض ما فعلت كذا. والمعنى أنه يدعو الله أن تكون الغيوم مطبقة على الأرض.

(١١) العوم: السباحة، وعامٌ في الماء عوماً سبح. والمعنى أنزل علينا المطر الغزير، بحيث يشبه من عامٍ في الماء.

(١٢) دهماً: الدُّهْمَة عند العرب السواد. وفي التنزيل العزيز: مُدْهَمَاتَانِ أَي سوداوان من شدة

سلاطحاً بلاطحاً^(١)، يناطح الأباطح، مغدودقاً مطبوقاً مغرورقاً^(٢). واسقِ سهلنا، وجبلنا، وبدونا، وحضرنا، حتى ترخص به أسعارنا، وتبارك لنا في صاعنا ومدنا، أرنا الرزق موجوداً، والغلاء مفقوداً أمين رب العالمين^(٣).

ثم قام الحسين عليه السلام فدعا بدعاء آخر.

فلما فرغا من دعائهما، صبَّ الله تبارك وتعالى عليهم السماء صبّاً. فقيل لسلمان: يا أبا عبد الله أعلم هذا الدعاء؟

فقال: ويحكم أين أنتم عن حديث رسول الله صلى الله عليه وآله حيث يقول: «إِنَّ اللَّهَ أَجْرَى عَلَى أَلْسِنِ أَهْلِ بَيْتِي يَنْبِيعِ الْحِكْمَةِ»^(٤).

مع الرجل الذي آتاه الله علماً؛

يأتي الرجل الصالح الذي آتاه الله علماً إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ويحييه بتحية الإسلام،

الخصرة من الري. بهما: ليس فيه شيء من الأعراض والأمراض. رجماً: من شدة سقوط المطر، وإذا عدى الفرس فرجم الأرض رجماً قيل ردى.

(١) سلاطحاً: مفرده السلطح: الفضاء الواسع، وأنشد الأزهري: سلاطحُ يناطحُ الأباطحا.

بلاطحاً: مفرده بلطح: إتباع. أي أسقنا مطراً متتابعاً في مساحة واسعة من الأرض.

(٢) مغدودقاً: من الغدق وهو المطر الكثير العام، وفي التنزيل: ﴿وَأَلْوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ

لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً عَذْقًا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ...﴾ سورة الجن: الآية ١٦-١٧. يعني لو استقاموا على

طريقة الكفر لفتحنا عليهم باب اغترار، كقوله تعالى: ﴿...لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ

سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ...﴾ سورة الزخرف: الآية ٣٣. مطبوقاً: ولعله أراد السحاب المطبق بعضه على

بعض، وقيل: السماوات الطباق: سميت بذلك لمطابقة بعضها بعضاً أي بعضها فوق بعض.

مغرورقاً: ولعله أراد الماء الكثير الذي يُغرق، والتعبير هنا مجازي. والله العالم.

(٣) قرب الاسناد - الحميمي القمي ص ١٥٦ حديث ٥٧٦.

(٤) قرب الاسناد ص ١٥٦ حديث ٥٧٦.

ويذكر له أموراً حول أمة محمد عليه السلام.

فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة يوماً، فلما جنّ عليه الليل أقبل رجل من باب الفيل عليه ثياب بيض، فجاء الحرس وشرطة الخميس، فقال أمير المؤمنين عليه السلام لهم: ما تريدون؟ فقالوا: رأينا هذا الرجل أقبل إلينا، فخشينا أن يغتالك. فقال عليه السلام: كلا فانصرفوا رحمكم الله، أتحفظوني من أهل الأرض؟ فمن يحفظني من أهل السماء؟ ومكث الرجل عنده ملياً يسأله، ثم قال: يا أمير المؤمنين لقد ألبست الخلافة بهاءً وزينةً وكمالاً ولم تلبسك، ولقد افتقرت إليك أمة محمد عليه السلام، وما افتقرت إليها، ولقد تقدمك قومٌ وجلسوا مجلسك فحسابهم عند الله. وإنك لزاهدٌ في الدنيا، وعظيمٌ في السموات والأرض، وإن لك في الآخرة لمواقف كثيرة تقرُّ بها عيون شيعتك، وإنك لسيد الأوصياء، وأخاك سيد الأنبياء، ثم ذكر الأئمة الاثني عشر، وانصرف.

وعندما جاء الحسن والحسين عليه السلام واستفسرا عن ماهية ذلك الرجل، أخبرهما بأنه العبد الذي آتاه الله من لدنه علماً^(١).

وهو العالم الذي لقيه موسى عليه السلام ووصفه الله تعالى وصفاً جميلاً بقوله: ﴿...عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾^(٢)، ولم يسمه. وقد ورد في بعض الروايات أن اسمه الخضر وكان من أنبياء بني إسرائيل معاصراً لموسى عليه السلام، وفي روايات أُخرى عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أن الله رزقه طول العمر، فهو حي لم يموت بعد. وليس ذلك بعزيز على الله تعالى. فقد يعمر العبد - بإذن الله - عمراً مديداً، وليس هناك من دليل عقلي يدل على استحالة ذلك.

(١) بحار الأنوار / ج ٣٩ ص ١٣٢.

(٢) سورة الكهف: الآية ٦٥.

الزهد في أسرة الإمام عليه السلام :

ومن عدالة أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يقدر نفسه، وأهل بيته، بصعفاء الناس، كيلا يتبيخ^(١) بالفقير فقره. وفي رواية أن رجلاً من خثعم رأى الحسن والحسين عليهما السلام يأكلان خبزاً، وبقلاً، وخلاً، فقال لهما: أتأكلان من هذا، وفي الرحبة ما فيها؟ فقالا عليهما السلام: «ما أغفلك عن أمير المؤمنين عليه السلام»^(٢).

(١٣)

في الأسرة

لم نعثر على تاريخ زواج الإمام الحسن عليه السلام، ولكن المشهور - استقراءً - أنه تزوج بعدة نساء في أوقات مختلفة، هنّ: (أم بشير) بنت أبي مسعود الخزرجية، و(خولة) بنت منظور الفزارية، و(أم إسحاق) بنت طلحة بن عبيد الله التيمي، و(جعدة) بنت الأشعث بن قيس، و(حفصة) بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، ومن أمهات أولاد. وورد أنه تزوج (هند) بنت سهيل بن عمرو. وذكر بعض المؤرخين أكثر من ذلك، ولكنهم لم يقدموا دليلاً على ذلك. والظاهر أنه كان يجمع أربع زوجات في وقت واحد، وكان ذلك عرف تلك الفترة الزمنية. والإمام عليه السلام في غنى عن النساء، وإنما كان ذلك لحوادث استدعتها ظروف شرعية خاصة به عليه السلام.

وكان له من الأولاد ستة عشر^(٣) ولداً ذكراً وأُنثى، وهم:

١- زيد بن الحسن، وأختاه أمّ الحسن، وأمّ الحسين، أمهم أمّ بشير بنت أبي مسعود

(١) يتبيخ: يبيع به الألم فيهلكه.

(٢) بحار الأنوار / ج ٤١ ص ١١٣.

(٣) اختلف العلماء في ذكر عدد أولاده عليه السلام، وقد عدّهم الشيخ المفيد بخمسة عشر دون ذكر أبي بكر

وقال انه يطابق عبد الله.

الخزرجية.

٢- الحسن بن الحسن أمّه خولة بنت منظور الفزاريّة.

٣- عمر بن الحسن وأخواه: عبد الله، والقاسم ابنا الحسن عليه السلام قتلا مع الحسين عليه السلام بـكربلاء، أمّهم أمّ ولد.

٤- عبد الرحمن بن الحسن أمّه أمّ ولد.

٥- الحسين بن الحسن الملقّب بالأثرم، وأخوه طلحة، وأختها فاطمة، أمّهم أمّ إسحاق بنت طلحة.

٦- أبو بكر قتل مع الحسين عليه السلام.

٧- أمّ عبد الله، وفاطمة، وأمّ سلمة، ورقية، لأُمّهات أولاد شتى^(١).

وقد بوركت ذرية الإمام الحسن عليه السلام وبالخصوص بولدين بارين هما:

الأول: زيد بن الحسن الذي كان يلي صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان جليل القدر، مات وله تسعون سنة.

الثاني: الحسن بن الحسن، وكان جليلاً فاضلاً، وكان يلي صدقات أمير المؤمنين عليه السلام، قبض وله خمس وثلاثون سنة^(٢).

ولم يدع أي منهما الإمامة، ولا ادعاها لهما مدّع. وجاء عقبه من ولديه زيد والحسن، ولا يصح الانتساب إليه دونهما.

(١) الإرشاد/ ج ٢ ص ٢٠، وعمدة الطالب - ابن مهنا بن عتبة ص ٦٨.

(٢) الإرشاد/ ج ٢ ص ٢٥.

وفاة ابنته في حياته عليه السلام :

وقد أصيب الإمام الحسن عليه السلام بابنة له، فكتب إليه قوم من أصحابه يعزونه بها، فكتب إليهم: «أما بعد: فقد بلغني كتابكم، تعزوني بفلانة، فعند الله أحسبها، تسلياً لقضائه، وصبراً على بلائه، فإن أوجعتنا المصائب، وفجعتنا النوائب، بالأحبة المألوفة، التي كانت بنا حفية، والإخوان المحبين، الذين كان يسرّ بهم الناظرون، وتقرّ بهم العيون.

أضحوا قد اخترمتهم الأيام، ونزل بهم الحمام، فخلفوا الخلوف، وأودت بهم الختوف، فهم صرعى في عساكر الموتى، متجاورون في غير محلة التجاور، ولا صلوات بينهم ولا تزاور، ولا يتلاقون عن قرب جوارهم، أجسامهم نائية من أهلها، خالية من أربابها، قد أخشعها إخوانها، فلم أر مثل دارها داراً، ولا مثل قرارها قراراً، في بيوت موحشة، وحلول مضجعة، قد صارت في تلك الديار الموحشة، وخرجت عن الدار المؤنسة، ففارقته من غير قلى، فاستودعتها للبلبلى، وكانت أمة مملوكة، سلكت سبيلاً مسلوكة، صار إليها الأولون، وسيصير إليها الآخرون والسلام»^(١).

(١٤)

الحسن عليه السلام وحروب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

ولما نهض أمير المؤمنين عليه السلام بأمر الخلافة، نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وقسط آخرون، فقاتلهم الإمام عليه السلام كما أخبره رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك^(٢). وكان معه الحسن والحسين عليهما السلام في جميع حروبه، وهي الجمل وصفين والنهروان.

(١) مستدرک الوسائل / ج ٢ ص ٤٧٩.

(٢) بحار الأنوار / ج ٣٢ ص ٢٩٩.

أ- معركة الجمل

استفاد طلحة والزبير من عصر الفتوحات أيام الخليفة الثاني، فجمعا المال والضياع، وكان لهما طموح بتولي ولايتي العراق واليمن. فبايعا علياً عليه السلام طمعاً في ذلك، فلما لم يجدوا ما طمحا إليه، خرجا على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عام ٣٦ للهجرة.

أما عائشة فقد حرّضت الناس على قتل عثمان، وقالت: «اقتلوا نعتلاً [تقصد به عثمان] فقد كفر»^(١)، ولكنها غيرت رأيها عند تولي الإمام عليه السلام الخلافة، فذهبت إلى محاربته!

واجتمع الثلاثة وأجمعوا على محاربة أمير المؤمنين عليه السلام، بدعوى المطالبة بدم عثمان. حاول الإمام عليه السلام إرشادهم إلى الحق، ولكنهم كانوا مصرّين على القتال. والتحم الجيشان في البصرة بضراوة، وانتصر جيش الإمام عليه السلام، وقُتل طلحة، والزبير بن العوام. أما عائشة فقد عُقِرَ جملها، وأرسلت إلى مكة مع أخيها محمد بن أبي بكر، الذي كان يقاتل مع جيش الإمام علي عليه السلام.

وتفاصيل ذلك أن الإمام علياً عليه السلام بعد مبايعته كَتَبَ إلى العمّال في الآفاق، منهم جرير بن عبد الله البجلي (عامل عثمان على ثغر همدان)، قائلاً: «أما بعد، فإن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له، وما لهم من دونه من والٍ. وإني أخبرك عن نبأ من سرنا إليه من جموع طلحة والزبير، عند نكثهم بيعتهم، وما صنعوا بعاملي عثمان بن حنيف، أني هبطتُ من المدينة بالمهاجرين والأنصار، حتى إذا كنتُ بالعذيب بعثتُ إلى أهل الكوفة بالحسن بن علي، وعبد الله بن عباس، وعمار بن ياسر، وقيس بن سعد بن عبادة.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر - مبارك بن مبارك بن الأثير / ج ٥ ص ٨٠.

فاستنفروهم، فأجابوا، فسرتُ بهم حتى نزلتُ بظهر البصرة، فاعذرتُ في الدعاء، وأقلتُ العثرة، وناشدتهم عقد بيعتهم فأبوا إلا قتالي، فاستعنتُ بالله عليهم، فقتلَ من قُتِل، وولّوا مدبرين إلى مصرهم، فسألوني ما كنتُ دعوتهم إليه قبل اللقاء، فقبلتُ العافية، ورفعتُ السيف، واستعملتُ عليهم عبد الله بن عباس، وسرتُ إلى الكوفة...»^(١).

الحسن عليه السلام وحرب الجمل

أولاً: في الكوفة

وكان الإمام عليه السلام قد بعث ولده الحسن عليه السلام في جماعة منهم عمار بن ياسر، وعبد الله بن عباس، وقيس بن سعد بن عبادة إلى الكوفة يستنفروا الناس، وبعث قرظة بن كعب الأنصاري أميراً على الكوفة، وعزل أبا موسى الأشعري. وعندما وصلوها ذهب الحسن عليه السلام وعمار إلى مسجد الكوفة فدعوا الناس إلى قتال الناكثين، فكان من الناس من اعترض، ومنهم من أيّد، وفيما يلي نماذج من ذلك:

١- القعقاع بن عمرو، قال: «إني لكم ناصح، وعليكم شفيق، أحب أن ترشدوا، ولأقولنّ لكم قولاً هو الحق. أما ما قال الأمير فهو الأمر، لو أن إليه سبيلاً... والقول أنه لا بدّ من أمانة تنظّم الناس [تردع] الظالم وتعزّ المظلوم، وهذا علي عليه السلام يلي بما ولي، وقد أنصف في الدعاء وإنما يدعو إلى الإصلاح، فانفروا وكونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع»^(٢).

٢- سيحان: «أيها الناس، انه لا بد لهذا الأمر، وهؤلاء الناس، من والٍ يدفع الظالم، ويعزّ المظلوم ويجمع الناس، وهذا واليكم يدعوكم لينظر فيما بينه وبين صاحبيه، وهو

(١) واقعة صفين - ابن مزاحم المنقري ص ١٥-١٦.

(٢) تاريخ الطبري - ابن جرير الطبري / ج ٤ ص ٤٨٢ - ٤٨٣.

المأمون على الأمة، الفقيه في الدين، فمن نهض إليه فإننا سائرون معه»^(١).

٣- قام الحسن بن علي عليه السلام، فقال: «يا أيها الناس، أجيئوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولوا النهي أمثل في العاجلة، وخيرٌ في العاقبة، فأجيئوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم». فسامح الناس وأجابوا، ورضوا به.

٤- وأتى قومٌ من طيء عدياً، فقالوا: ماذا ترى وماذا تأمر؟ فقال: «ننتظر ما يصنع الناس»، فأخبر بقيام الحسن وكلام من تكلم، فقال: «قد بايعنا هذا الرجل، وقد دعانا إلى جميل، وإلى هذا الحدث العظيم لننتظر فيه ونحن سائرون وناظرون»^(٢).

٥- هند بن عمرو، قال: «إن أمير المؤمنين قد دعانا وأرسل إلينا رسله حتى جاءنا ابنه فاسمعوا إلى قوله، وانتهوا إلى أمره، وانفروا إلى أميركم، فانظروا معه في هذا الأمر، وأعينوه برأيكم»^(٣).

٦- حجر بن عدي، قال: «أيها الناس أجيئوا أمير المؤمنين، وانفروا خفافاً وثقلاً، مروا، أنا أولكم»^(٤).

٧- مالك الأشتر ذكر بالجاهلية وشدتها والإسلام ورخائه، ودعاهم إلى نصرة أمير المؤمنين عليه السلام.

٨- ثم قال الحسن عليه السلام: «أيها الناس، إني غادٍ، فمن شاء منكم أن يخرج معي على

(١) تاريخ الطبري / ج ٤ ص ٤٨٢ - ٤٨٤.

(٢) تاريخ الطبري / ج ٤ ص ٤٨٢ - ٤٨٤.

(٣) تاريخ الطبري / ج ٤ ص ٤٨٢ - ٤٨٤.

(٤) تاريخ الطبري / ج ٤ ص ٤٨٢ - ٤٨٤.

الظهر، ومن شاء فليخرج في الماء^(١). فنفر معه تسعة آلاف، فأخذ بعضهم البر، وأخذ بعضهم الماء... أخذ البر ستة آلاف ومائتان، وأخذ الماء ألفان وثمانمائة^(٢). أي أن من خرج في الماء، قد أخذ نهر الفرات طريقاً له إلى البصرة.

قال ابن أبي الحديد، نقلاً عن أبي مخنف: «ولما بلغ حذيفة بن اليمان أن علياً قد قدم ذا قار، واستنفر الناس دعا أصحابه، فوعظهم، وذكرهم الله وزهدهم في الدنيا، ورغبهم في الآخرة، وقال لهم: إحقوا بأمر المؤمنين، ووصي سيد المرسلين، فإن من الحق أن تنصروه، وهذا الحسن ابنه وعمار قد قدما الكوفة، يستنفران الناس فأنفروا.

قال: فنفر أصحاب حذيفة إلى أمير المؤمنين، ومكث حذيفة بعد ذلك خمس عشرة ليلة، وتوفي رحمه الله تعالى^(٣).

قال أبو مخنف: حدثني جابر بن يزيد، قال: حدثني تميم بن حذيم الناجي، قال: قدم علينا الحسن بن علي عليه السلام وعمار بن ياسر، يستنفران الناس إلى علي عليه السلام، ومعها كتابه، فلما فرغا من قراءة كتابه، قام الحسن عليه السلام، وهو فتى حدث... فرماه الناس بأبصارهم وهم يقولون: اللهم سدّد منطلق ابن بنت نبيّنا، فوضع يده على عمود يتساند إليه وكان عليلاً من شكوى به.

فقال عليه السلام: «الحمد لله العزيز الجبار، الواحد القهار، الكبير المتعال، سواء منكم من أسر القول ومن جهر به، ومن هو مستخف بالليل، وسارب بالنهار، أحمده على حسن البلاء، وتظاهر النعماء، وعلى ما أحببنا وكرهنا من شدة ورخاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، امتنّ علينا بنبوّته، واختصه برسالته،

(١) فليخرج في الماء: يقصد نهر الفرات الذي يمرّ بالكوفة وينتهي إلى البصرة.

(٢) تاريخ الطبري / ج ٤ ص ٤٨٢ - ٤٨٤.

(٣) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد / ج ٢ ص ١٨٧.

وأُنزل عليه وحيه، واصطفاه على جميع خلقه، وأرسله إلى الإنس والجنّ، حين عادت الأوثان وأطيع الشيطان، وُجِدَ الرحمن، فصلى الله عليه وعلى آله وجزاه أفضل ما جرى للمسلمين.

أما بعد، فإني لا أقول لكم إلا ما تعرفون، إنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - أرشد الله أمره وأعزّ نصره - بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب، وإلى العمل بالكتاب، والجهاد في سبيل الله، وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون، فإن في آجله ما تحبّون إن شاء الله، ولقد علمتم أنّ عليّاً صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحده، وإنه يوم صدّق به لفي عاشره من سنّته، ثم شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله جميع مشاهدته، وكان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم.

ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله راضياً عنه، حتى غمّضه بيده وغسّله وحده، والملائكة أعوانه والفضل بن عمّه ينقل إليه الماء، ثم أدخله حفرته، وأوصاه بقضاء دينه وعداته، وغير ذلك من أموره، كل ذلك من منّ الله عليه، ثم والله ما دعاه إلى نفسه، ولقد تذاك الناس عليه تذاك الإبل الهيم عند ورودها فبايعوه طائعين، ثم نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه، ولا خلاف أتاه، حسداً له وبغياً عليه.

فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته، والجدّ والصبر والاستعانة بالله، والخفوف إلى ما دعاكم إليه أمير المؤمنين، عصمنا الله وإياكم بما عصم به أوليائه وأهل طاعته، وأهملنا وإياكم تقواه، وأعاننا وإياكم على جهاد أعدائه، واستغفر الله العظيم لي ولكم. ثم مضى إلى الرحبة فهياً منزلاً لأبيه أمير المؤمنين^(١).

وقال الحسن عليه السلام في موضع آخر في الكوفة: «أيها الناس قد كان أمير المؤمنين عليه السلام ما

(١) شرح نهج البلاغة - (ح)/ج ١٤ ص ١١.

يكفيكم جملته، وقد أتيناكم مستنفرين لكم؛ لأنكم جبهة الأنصار وسنام العرب. وقد نقض طلحة والزبير بيعتهما وخرجا بعائشة وهي من النساء وضعف رأيهن، كما قال تعالى: ﴿الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ...﴾^(١). أما والله لئن لم تنصروه لينصرنه الله ﷻ، بمن يتبعه من المهاجرين والأنصار وسائر الناس، فانصروا ربكم ينصركم»^(٢).

ثم قام عمار وخطب خطبة طويلة، ثم نزل، فصعد الحسن بن علي عليه السلام على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وذكر جدّه فصلّى عليه وذكر فضل أبيه وسابقته وقرابته من رسول الله ﷺ وأنه أولى بالأمر من غيره، ثم قال: «معاشر الناس إنّ طلحة والزبير بايعا عليّاً طايعين غير مكرهين، ثم نفرا ونكثا بيعتهما له، فطوبى لمن خفّ في مجاهدته من جاهده، فإنّ الجهاد معه كالجهاد مع النبي ﷺ»^(٣).

ثم تحرك الركب إلى البصرة.

ثانياً: في البصرة:

أ- الخطاب: لما ورد أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة، قام عبد الله بن الزبير فخطب في جموع البصريين، وحرّضهم على القتال فقال: «أيها الناس، إنّ علي بن أبي طالب قتل الخليفة عثمان، ثم جهّز الجيوش اليكم ليستولي عليكم، ويأخذ مدينتكم، فكونوا رجالاً تطلبون بثأر خليفتم، واحفظوا حريمكم، وقاتلوا عن نساءكم وذرائكم، وأحسابكم وأنسابكم، أترضون لأهل الكوفة أن يردوا بلادكم، اغضبوا فقد غوضبتم، وقاتلوا فقد قوتلتهم، ألا وإنّ عليّاً لا يرى معه في هذا الأمر أحداً سواه، والله لئن ظفر بكم ليهلكن دينكم ودنياكم...»^(٤).

(١) سورة النساء: الآية ٣٤.

(٢) كتاب الجمل - الشيخ المفيد ص ١٣٢.

(٣) كتاب الجمل ص ١٤٢.

(٤) كتاب الجمل ص ١٧٥.

وبلغ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خطاب ابن الزبير، فأمر الحسن عليه السلام بالرد عليه. وهنا روايتان:

الأولى: الرواية التي نقلها الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) في (الأمالي) عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لولده الحسن عليه السلام يوم الجمل: قم يا بني اخطب، فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

«أيها الناس قد بلغتنا مقالة ابن الزبير، وقد كان والله يتجنى على عثمان الذنوب، وقد ضيق عليه البلاد حتى قُتل، وإن طلحة راکز رايته على بيت ماله وهو حي، وأما قوله: إنَّ علياً ابتز الناس أمرهم، فإنَّ أعظم حجة لأبيه [يعني الزبير] أنه بايعه بيده ولم يبايع بقلبه، فقد أقر بالبيعة وادّعى الوليعة^(١)، فليأت على ما ادّعا به برهان، وأنى له ذلك.

أما تعجبه من تورّد أهل الكوفة على أهل البصرة، فما عجبه من أهل حق تورّدوا على أهل باطل، ولعمري والله ليعلمنَّ أهل البصرة، وميعاد ما بيننا وبينهم، اليوم نحاكمهم إلى الله تعالى، فيقض الله الحقَّ وهو خير الفاصلين»^(٢).

الثانية: رواية كتاب (الجمل): فقام الحسن عليه السلام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس، إننا جئنا ندعوكم إلى الله، وإلى كتابه، وسنة رسوله، وإلى أفقه من تفقه من المسلمين، وأعدل من تعدلون، وأفضل من تفضلون، وأوفى من تبايعون، من لم يعبه القرآن، ولم تجهله السنّة، ولم تقعد به السابقة، إلى من قرّبه الله تعالى، ورسوله قرابتين: قرابة الدين، وقرابة الرحم. إلى من سبق الناس إلى كلِّ مآثرة. إلى من كفى الله به رسوله

(١) وليعة الرجل: بطانته وخاصته ودخلته. فالوليعة: البطانة، وهي مأخوذة من وَلَجَ يَلِجُ ولوجاً إذا دخل (يراجع لسان العرب).

(٢) أمالي الشيخ المفيد ص ١٧٥.

والناس متخاذلون، فقرب منه وهم متباعدون، وصلّى معه وهم مشركون، قاتل معه وهم منزهون، وبارز معه وهم مجمحون، وصدّقه وهم يكذبون، كلّ ذلك من منّ الله على عليّ [عليه السلام]. إلى من لم تردّ له ولا تكافأ له سابقة، ثم والله ما دعا إلى نفسه، ولقد تذاكّ الناس عليه، تذاكّ الإبل الهيم عند ورودها، فبايعوه طائعين، ونكث منهم ناكثون، بلا حدثٍ أحدث، ولا خلاف اتاه، حسداً له وبغياً عليه.

أيها الناس! إنه قد كان من مسير أمير المؤمنين ما قد بلغكم، وقد أتيناكم مستنفرين، لأنكم جبهة الانصار، ورؤس العرب، وهو يسألكم النصر، ويدعوكم إلى الحقّ ويأمركم بالمسير اليه، لتؤازروه وتنصروه، على قوم نكثوا راية بيعته، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه، ومثلوا بعماله وانهبوا بيت ماله. فاشخصوا اليه - رحمكم الله - فأمروا بالمعروف، وأنهوا عن المنكر، واحضروا بما يحضر به الصالحون.

وايم الله، لو لم ينصره أحد منكم، لرجوت أن يكون فيمن أقبل معه من المهاجرين والأنصار كفاية. فأجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، ووالله لأن يليه أولو النهى، أمثل في العاجل والآجل، وخير في العافية، فأعينونا على ما ابتلينا به، وابتليتيم. وأنّ أمير المؤمنين يقول: «قد خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً، فأذكّر بالله رجلاً رعى حقّ الله إلّا نفر، فإن كنت مظلوماً أعانني، وإن كنت ظالماً أخذ مني.. والله إن طلحة والزبير، لأوّل من بايعني، وأوّل من غدر. فهل استأثرت أو بدّلت حكماً؟».

فعلّكم - عباد الله - بتقوى الله وطاعته، والجدّ والصبر، والاستعانة بالله، والخوف

إلى ما دعاكم إليه أمير المؤمنين...»^(١).

(١) كتاب الجمل ص ١٥٨ - ١٥٩، وكتاب ناسخ التواريخ. وفي ناسخ التواريخ يشير إلى ان خطبة الإمام الحسن رضي الله عنهما كانت موجهة إلى أهل الكوفة، بينما يشير كتاب الجمل إلى انها كانت موجهة إلى أهل البصرة، وهو الأقرب إلى الصواب.

دلالات خطاب الحسن عليه السلام في البصرة:

١- يكشف هذا النص طبيعة الدعاية المضادة لآل البيت عليهم السلام، فقد حاول عبد الله بن الزبير إضفاء جميع الصفات الذميمة على أمير المؤمنين عليه السلام من قتل عثمان، ومحاولة الاستيلاء على المسلمين وأخذ مدينتهم، والاستيلاء على نسائهم وذرائعهم، وإهلاك دينهم ودنياهم.

٢- قام الحسن عليه السلام برد جميع إدعاءات عبد الله بن الزبير، فأعلن عليه السلام بأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وجيشه جاء لدعوتهم إلى الله وأحكام دينه. ثم بدأ بذكر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام فقال هو أفقه المسلمين، وأعدلهم، وأفضلهم، وأوفاهم، وهو الذي مدحه القرآن، وذكرته السنة الشريفة، وهو الذي قاتل مع رسول الله صلى الله عليه وآله في وقت انهزم فيه المنهزمون، وثبت عليه السلام معه صلى الله عليه وآله وصدقه في وقت كذبه الآخرون. وبكلمة فقد كان علي عليه السلام قريباً من رسول الله صلى الله عليه وآله بقرابتين:

الأولى: قرابة الدين، فيكون هو المؤهل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله للإمامة الشرعية.

الثانية: قرابة الرحم، فتكون ذريته وورثة رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣- كان من أسلوب أهل البيت عليهم السلام طلب النصرة من المسلمين، من أجل إتمام الحجة عليهم. ولذلك كان قول الحسن عليه السلام: «وهو يسألكم النصر، ويدعوكم إلى الحق ويأمركم بالمسير إليه». والحسن عليه السلام طلب النصرة سنة ٤١ هـ، فلم يُنصر، والحسين عليه السلام طلب النصرة من أهل الكوفة سنة ٦٠ هـ، فلم يُنصر، والمشكلة الرئيسية التي تواجه الأنبياء والرسل وأئمة أهل البيت عليهم السلام هي قلة الناصر.

٤- يُستدل من النص أن مبايعة طلحة والزبير لأمير المؤمنين عليه السلام كانت من أجل مصلحة دنيوية، ولذلك كانا أول من بايع، وعندما لم يجدا عند أمير المؤمنين عليه السلام دنيا

بيغيانها، كانا أول من غدر.

٢- القتال: وفي ساحة معركة الجمل كان «على الخيل عمّار بن ياسر، وعلى الرجالة محمد بن أبي بكر، وعلى الميمنة - وهم ربيعة البصرة والكوفة - علباء بن الهيثم السدوسي... وعلى الميسرة - وهم مضر البصرة ومضر الكوفة - الحسن بن علي»^(١).

ودفع راية رسول الله صلى الله عليه وآله السوداء وتعرف بالعقاب إلى ابنه محمد بن الحنفية، وقال للحسن والحسين عليهما السلام: «إنما دفعتُ الرايةَ إلى أخيكما، وتركتكما لمكانكما من رسول الله صلى الله عليه وآله»^(٢).

قال ابن أبي الحديد: «وأخذت عائشة كفاً من حصي، فحصبته به أصحاب علي عليه السلام، وصاحت بأعلى صوتها: شأهت الوجوه! كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم حنين!... وزحف علي عليه السلام نحو الجمل بنفسه في كتيبة الخضراء من المهاجرين والأنصار، وحوله بنوه: الحسن والحسين عليهما السلام ومحمد بن الحنفية...»

ثم أخذ علي عليه السلام الراية من ولده محمد عندما رأى منه تباطؤ، وذو الفقار مشهور في يمين يديه، ثم حمل فغاص في عسكر الجمل، ثم رجع وقد انحنى سيفه، فأقامه بركتيه، فقال له أصحابه، وبنوه، والأشتر، وعمار: نحن نكفيك يا أمير المؤمنين، فلم يجب أحداً منهم ولا يرد إليهم بصره، وظل ينحطّ ويزأر زئير الأسد، حتى فرّق من حوله، وتبادروه وأنه لطامحٌ ببصره نحو عسكر البصرة، لا يبصر من حوله، ولا يردّ جواباً... ثم حمل حملة ثانية، فناشده أصحابه، وقالوا: إنك إن تصب يذهب الدين، فأمسك ونحن نكفيك، فقال: والله ما أريد بما ترون إلا وجه الله والدار الآخرة...»^(٣).

(١) تاريخ خليفة بن خياط / ج ١ ص ٢٠٣. وترجمة الإمام الحسن عليه السلام، ص ١٧٠.

(٢) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٩ ص ١١١.

(٣) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ١ ص ٢٥٧.

وفي رواية اخرى: «دفع أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل رايته إلى محمد ابنه، وقد استوت الصفوف، وقال له: أحمل، فتوقف قليلاً، فقال له: أحمل، فقال: يا أمير المؤمنين أما ترى السهام كأنها شأبيب المطر، فدفع في صدره فقال: أدركك عرق من أمك، ثم أخذ الراية فهزها، ثم قال:

أطعن بها طعن أبيك محمد لا خير في الحرب إذا لم توقد
بالمشرفي والقنا المسدد

ثم حمل وحمل الناس خلفه، فطحن عسكر البصرة.

قيل لمحمد لم يغرر بك أبوك في الحرب ولا يغرر بالحسن والحسين عليه السلام؟ فقال: إنها عيناه وأنا يمينه، فهو يدفع عن عينيه بيمينه.

كان علي عليه السلام يقذف بمحمد في مهالك الحرب، ويكف حسناً وحسيناً عنها. ومن كلامه في يوم صفين: املكوا عني هذين الفتيين أخاف أن ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله»^(١).

٣- ما بعد القتال؛ وبعد القتال تجلّت رافة الحسن عليه السلام بمن حاربه، وحارب أباه، وأخاه عليه السلام. لقد كان الحسن عليه السلام رؤوفاً رحيماً حتى باعدائه. فلما أخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل، تكلم فيه الحسن والحسين عليه السلام فخلّى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سبيله، فقالا عليه السلام له: «يُبايعك يا أمير المؤمنين». فردّ عليه السلام: «ألم يبايعني بعد قتل عثمان، لا حاجة لي في بيعته، أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة منه، ومن ولده، موتاً أحمر». فكان كما قال عليه السلام^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ١ ص ٢٤٣.

(٢) إعلام الوری ص ٥٧١. وبحار الأنوار / ج ٣٢ ص ٢٣٥ حديث ١٨٧.

ب- معركة صفين

وهي المعركة التي دارت بين جيش الإمام علي عليه السلام، خليفة المسلمين، وجيش المتمرّد على الخلافة الشرعية معاوية بن أبي سفيان، والي الشام في عهد عثمان بن عفان. عزله الإمام عليه السلام، لكنه رفض قرار الإمام فيه، وامتنع عن البيعة لأمر المؤمنين عليه السلام، واتخذ مقتل عثمان ذريعة لاطماع سياسية.

استمرت المعركة تسعة أيام سجالاً بين الفريقين، قُتِلَ فيها الصحابي الجليل عمّار بن ياسر الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وآله: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار»^(١).

أصبح معاوية وجيشه على شفير الهزيمة والهاوية، إلا أنّ عمرو بن العاص نادى - خديعةً - برفع المصاحف والتحكيم. فقال الإمام عليه السلام لأهل الكوفة الذين أحبوا التحكيم: «عباد الله! امضوا على حكمكم، وصدقكم، وقاتل عدوكم، فإن معاوية، وعمراً، والضحاك، ومن معهم ليسوا بأصحاب دين، ولا قرآن، وأنا أعرف بهم منكم، فقد صحبتهم أطفالاً، وشر رجال، ويُحكّم والله ما رفعوها إلا خديعةً، ووهناً، ومكيدةً». ولم يطيعوا الإمام عليه السلام ومضوا إلى التحكيم.

شجاعة الحسن عليه السلام :

وتؤكد جميع الروايات التاريخية على شجاعة الحسن عليه السلام وبأسه في صفين وغيرها من المعارك، روي في نهج البلاغة ان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال، وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرع إلى الحرب، في بعض أيام صفين: «املكوا عني هذا الغلام لا يهدني...»^(٢).

(١) صحيح البخاري ص ١٧٢ حديث ٤٣٦.

(٢) شرح نهج البلاغة (م/ج) ٢ ص ١٨٦.

وقوله عليه السلام: «إملكوا عني، أي خذوه بالشدة، وأمسكوه، لئلا يهدني أي يهدمني ويقوض أركان قوتي، بموته في الحرب.

وفي رواية أخرى أضاف عليه السلام: «...فإني أنفُسُ بهما [يقصد الحسن والحسين عليه السلام] عن القتل، أخاف أن ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله»^(١).

ومن كلام قاله الحسن عليه السلام في صفين يدعو فيها الناس إلى قتال معاوية، قال عليه السلام: «إنَّ مما عَظَّمَ اللهُ عليكم من حقِّه، وأسبغَ عليكم من نعمه، ما لا يحصى ذكره، ولا يؤدِّي شكره، ولا يبلغه قول ولا صفة.

ونحن إنما غضبنا لله ولكم، فإنَّه منَّ علينا بما هو أهله، أن تشكر فيه آلاؤه وبلاؤه ونعمائه، قولاً يصعد إلى الله فيه الرضا، وتنتشر فيه عارفة الصدق، يصدق الله فيه قولنا، ونستوجب فيه المزيد من ربنا، قولاً يزيد ولا يبيد، فانه لم يجتمع قوم قطَّ على أمرٍ واحدٍ إلا اشتدَّ أمرهم، واستحكمت عقدهم، فاحتشدوا في قتال عدوكم وجنوده ولا تحاذلوا، فإنَّ الخذلان يقطع نياط القلوب، وإنَّ الإقدام على الأسنة، نخوة وعصمة؛ لأنه لم يمتنع قوم قطَّ، الا رفع الله عنهم العلة، وكفاهم حوائج الذلَّة، وهداهم إلى معالم الملَّة»^(٢).

وفي كتاب (واقعة صفين) عن زيد بن وهب قال: «مرَّ عليٌّ يومئذٍ ومعه بنوه نحو الميسرة ومعه ربيعة وحدها، وإني لأرى النبل بين عاتقه ومنكبيه، وما من بنيه أحدٍ إلا يقيه بنفسه، فيكره عليٌّ ذلك، فيتقدم عليه، فيحول بينه وبين أهل الشام، ويأخذ بيده إذا فعل ذلك، فيلقيه بين يديه، أو من ورائه...

ثم إنَّ أهل الشام دنوا منه والله ما يزيده قربهم منه، ودنوّهم إليه سرعةً في مشيه،

(١) جواهر العقدين - السمهودي، العقد الثاني، الذكر الثامن ص ٢١١.

(٢) بحار الانوار / ج ٣٢ ص ٤٠٥.

فقال له الحسن عليه السلام: ما ضرك لو سعيت حتى تنتهي إلى هؤلاء الذين صبروا لعدوك من أصحابك؟ قال: يعني ربيعة الميسرة. قال: يا بني إن لأبيك يوماً لن يعدوه ولا يبطن به عنه السعي، ولا يعجل به إليه المشي، إن أباك والله ما يبالي، وقع على الموت، أو وقع الموت عليه^(١).

الحسن ثقة علي عليه السلام :

وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يحتاط في أموال المسلمين، وكان يوصي الحسن عليه السلام بذلك، فمن وصية له عليه السلام بما يعمل في أمواله كتبها بعد منصرفه من صفين:

«هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَالِهِ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ لِيُوجِهُ بِهِ الْجَنَّةَ وَيُعْطِيَهُ بِهِ الْأَمْنَةَ مِنْهَا، فَإِنَّهُ يَقُومُ بِذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْفِقُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، فَإِنْ حَدَّثَ بِحَسَنِ حَدَّثْ وَحُسَيْنٌ حَيٌّ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ.»

وإنَّ لابنِي فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ الَّذِي لِبَنِي عَلِيٍّ، وَإِنِّي إِتَمَّا جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ إِلَى ابْنِي فَاطِمَةَ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ وَقُرْبَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَتَكَرَّيماً لِحُرْمَتِهِ وَتَشْرِيفاً لِيُصَلِّيَهُ. وَيَشْتَرِطُ عَلَى الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرَكَ الْمَالَ عَلَى أَصُولِهِ وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أَمَرَ بِهِ وَهُدْيٍ لَهُ وَالْأَبْيَعُ مِنْ أَوْلَادِ نَخِيلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَدِيَّةً حَتَّى تُشَكَلَ أَرْضُهَا غَرَاساً...^(٢).

قال الشريف قوله عليه السلام في هذه الوصية والأبييع من نخلها ودية، الودية الفسيلة وجمعها ودي. وقوله عليه السلام حتى تشكل أرضها غراساً، هو من أفصح الكلام. والمراد به أن الأرض يكثر فيها غراس النخل حتى يراها الناظر على غير تلك الصفة التي عرفها بها، فيشكل عليه أمرها، ويحسبها غيرها^(٣).

(١) واقعة صفين ص ٢٤٩.

(٢) شرح نهج البلاغة (م) ج ٣ ص ٢٢.

(٣) شرح نهج البلاغة (م) ج ٣ ص ٢٢.

الحسن المؤمن عليه السلام :

وفي شرح نهج البلاغة: «أرسل عبيد الله بن عمر إلى الحسن بن علي عليه السلام، أن لي إليك حاجة فآلقني، فلقيه الحسن عليه السلام، فقال له عبيد الله: إن أباك قد وتر قريشاً أولاً، وآخرأً قد شنته الناس، فهل لك في خلعه، وأن تتولى أنت هذا الأمر؟!»

فقال: كلا والله، لا يكون ذلك. ثم قال: يا بن الخطاب والله لكأنني أنظرُ إليك مقتولاً في يومك أو غدك، أما أن الشيطان قد زين لك، وخدعك حتى أخرجك مخلقاً بالخلق، ترى نساء أهل الشام موقفك، وسيصرُك الله ويبطحك لوجهك قتيلاً.

قال نصر: فو الله ما كان إلا بياض ذلك اليوم حتى قُتِلَ عبيد الله...»^(١).

خطبة الحسن عليه السلام بعد فشل التحكيم في صفين:

لما فشل التحكيم، واضطرب بعض الناس، أمر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام نجله الحسن عليه السلام بأن يخطب في الناس، فيشرح لهم الأساس والمبرر الشرعي للتحكيم، فقال له: «قم يا بني، فقل في هذين الرجلين عبد الله بن قيس^(٢)، وعمرو بن العاص». فقام الحسن عليه السلام حتى إذا اعتلى المنبر قال: «أيها الناس! قد أكثرتم في هذين الرجلين، وإنما بعثنا ليحكم بالكتاب على الهوى، فحكما بالهوى على الكتاب، ومن كان هكذا لم يُسمَّ حكماً، ولكنه محكوم عليه، وقد أخطأ عبد الله بن قيس إذ جعلها لعبد الله بن عمر، فأخطأ في ثلاث خصال، واحدة أنه خالف أباه^(٣) إذ لم يرضه لها، ولا جعله من أهل الشورى. وأخرى أنه لم يستأمر الرجل في نفسه، ولا علم ما عنده من ردٍّ أو قبول^(٤). وثالثها: أنه

(١) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٥ ص ٢٣٣.

(٢) عبد الله بن قيس هو أبو موسى الأشعري.

(٣) أي خالف أباه عمر بن الخطاب، إذ لم يرضه لها أي الخلافة.

(٤) الإمامة والسياسة - ابن قتيبة / ج ١ ص ٤٤.

لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار، الذين يعقدون الإمارة، ويحكمون بها على الناس. وأما الحكومة فقد حكّم النبي ﷺ سعد بن معاذ في بني قريظة، فحكم بما يرضى الله به، ولا شك لو خالف لم يرضه رسول الله ﷺ^(١).

دلالات كلام الحسن رضي الله عنه بعد التحكيم:

١- كان الحسنُ بليغاً في توضيح الأصول الشرعية للتحكيم. فعندما طلب الإمام أمير المؤمنين رضي الله عنه من ابنه رضي الله عنه اعتلاء المنبر لارشاد الناس وتبيين الحكم الشرعي في قضية خطيرة، كقضية التحكيم، بادري رضي الله عنه للتوضيح. وهذا يدل على أن الحسن رضي الله عنه كان ثقةً أبيه رضي الله عنه وكان عالماً بأحكام الشريعة.

٢- لخص الحسن رضي الله عنه خطأ الرجلين: أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص فقال: إنما بُعثنا ليحكمنا بالقرآن على الهوى، فحكمنا بالهوى على القرآن. ثم عدّد الحسن رضي الله عنه أخطاء أبي موسى الأشعري في قضية إمارة عبد الله بن عمر وأوصلها إلى ثلاثة:

الأول: أنّ عمر بن الخطاب لم يجعل ابنه عبد الله من أهل الشورى، ولم يرتض له الإمارة.

الثاني: أنّ الأشعري (عبد الله بن قيس) لم يسأل عبد الله بن عمر في قضية الإمارة ولم يعلم رده من قبول أو رفض.

الثالث: أنّ المهاجرين والأنصار لم يجتمعوا على عبد الله بن عمر، فكيف تعقد الإمارة لرجل لم تجتمع عليه الناس.

٣- قام الحسن رضي الله عنه بشرح مبدأ التحكيم في الإسلام. وقال رضي الله عنه إنه سنة نبوية شريفة،

(١) جواهر المطالب - ابن أحمد الدمشقي / ج ٢ ص ٥٥.

نستفيدها من عمل رسول الله صلى الله عليه وآله في تعيين سعد بن معاذ في قضية بني قريظة.

٤- كان بيان الحسن عليه السلام في غاية الدقة، فقد طعن بأهلية أبي موسى الأشعري في إنفاذ حكمه على المسلمين، بعد ان تبين خطؤه، وفساد رأيه. ولاشك أن الطعن بأهلية الحكم، هو طعن بجوهر تحكيم ذلك الرجل.

ج - معركة النهروان

وهي المعركة التي وقعت في النهروان بين جيش الإمام عليه السلام والخوارج سنة ٣٨ هجرية، وأدت إلى سحق الخوارج البالغ عددهم أربعة آلاف، ونجا منهم أقل من عشرة أفراد.

الحسن عليه السلام والنهروان:

وفي النهروان، عندما قتل الإمام عليه السلام المخدج، وهو من تنبأ رسول الله صلى الله عليه وآله بمقتله، قال علي عليه السلام: «صدق الله ورسوله». فسمع أحد ابنه يقول: «الحمد لله الذي أراح أمة محمد صلى الله عليه وآله من هذه العصابة»، قال علي عليه السلام: «لو لم يبق من أمة محمد صلى الله عليه وآله إلا ثلاثة لكان أحدهم على رأي هؤلاء، انهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء»^(١). وكأنه أراد القول بأن قدر هذه الأمة هو أن ترى أمثال هؤلاء في أحشائها في كل زمان.

فلاريب أن يقول عندما قيل له عليه السلام لما أراد قتال الخوارج: لو احترزت يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام:^(٢)

أي يومٍ من الموت أفر أيومٍ لم يقدر أم يومٍ قدر

(١) مجمع الزوائد - الهيثمي / ج ٦ ص ٢٤٢.

(٢) التوحيد - الشيخ الصدوق ص ٣٧٤ حديث ١٩.

يوم ما قدر لا أخشى الردى وإذا قدر لم يغن الحذر

(١٥)

وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسن عليه السلام بعد صفين

وعند إنصرافه عليه السلام من صفين أوصى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام بوصايا الحكمة والعلم، كتبها إليه بحاضرين، فقال عليه السلام في وصيته:

«مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقَرَّرِ لِلزَّمَانِ، الْمُدَبِّرِ الْعُمُرِ، الْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ، الدَّامِّ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنِ الْمَوْتَى، الظَّاعِنِ عَنْهَا غَدًا، إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمَّلِ مَا لَا يُدْرِكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الْأَسْقَامِ، رَهِينَةِ الْأَيَّامِ، وَرَمِيَةِ الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَتَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَنَايَا، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ، وَحَلِيفِ الْهُمُومِ، قَرِينِ الْأَحْزَانِ، وَنُصْبِ الْأَقَاتِ، وَصَرِيحِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ فِيهَا تَبَيَّنَتْ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي، وَجُحُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ، وَإِقْبَالَ الْآخِرَةِ إِلَيَّ، مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ، وَالْإِهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي، غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هُمْ نَفْسِي، فَصَدَفَنِي رَأْيِي، وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ، وَصَرَّحَ لِي مُحَضُّ أَمْرِي، فَأَفْضَى بِي إِلَى جِدٍّ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ، وَصَدَقَ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ. وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئًا لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا، مُسْتَظْهِرًا بِهِ إِنَّ أَنَا بَقِيْتُ لَكَ أَوْ فَنَيْتُ. فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ أَيُّ بُنْيٍ وَلَزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَالْاِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقَ مِنْ سَبَبِ بَيْنِكَ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ إِنَّ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ!

أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمْنَهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقُوَّةَ بِالْيَقِينِ، وَنُورَهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلَّلَهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرَّرَهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصَّرَهُ فَجَائِعِ الدُّنْيَا، وَحَدَّرَهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي

وَالْإِيَّامِ، وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَسِرِّ فِي دِيَارِهِمْ وَأَثَارِهِمْ، فَانظُرْ مَا فَعَلُوا عَمَّا انْتَقَلُوا، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا! فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دَارَ الْغُرَبَاءِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ. فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ، وَدَعِ الْقَوْلَ فِيهَا لَا تَعْرِفُ، وَالْخِطَابَ فِيهَا لَمْ تُكَلِّفْ، وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقِ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ، فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ، وَبَابِنَ مَنْ فَعَلَهُ بِجَهْدِكَ، وَجَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، وَخُضِ الْعِمْرَاتِ إِلَى الْحَقِّ حَيْثُ كَانَ، وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ، وَالْجَلِيءُ نَفْسِكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفِ حَرِيرِزٍ، وَمَنَاعِ عَزِيزٍ، وَأَخْلَصَ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ، فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ، وَأَكْثَرَ الْإِسْتِحَارَةَ، وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي، وَلَا تَدْهَبَنَّ [عَنْكَ] صَفْحًا، فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَلَا يُسْتَفْعُ بِعِلْمٍ لَا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ.

أَيُّ بُنْيَ، إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنًا، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهَنًا، بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأُورَدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أَفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، أَوْ أَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ، وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدِيثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أَلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلْتَهُ، فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُو قَلْبُكَ، وَيَسْتَعْلَلُ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبَلَ بِحَدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِّتَ مَوْوَنَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِيَتْ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ، فَاتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَاسْتَبَانَ لَكَ مَا رَبَّبْنَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ.

أَيُّ بُنْيَ، إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمَرْتُ عُمَرُ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنَّي بِمَا انْتَهَى

إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوْلَاهُمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَةَ ذَلِكَ مِنْ كَدْرِهِ، وَنَفَعُهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخَلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَتُهُ، تَوَخَّيْتُ لَكَ بِجَمِيلَةٍ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدْبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ مُقْتَبِلُ الدَّهْرِ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ، وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ، وَأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، لَا أَجَاوِزُ ذَلِكَ بَكَ إِلَى غَيْرِهِ. ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبَسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي التَّبَسَّ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَيَّ مَا كَرِهْتُ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَيَّ أَمْرٍ لَا أَمْنُ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوفِّقَكَ اللَّهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ، وَأَنْ يَهْدِيكَ لِقُصْدِكَ، فَعَهَدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هَذِهِ. وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللَّهِ، وَالْإِقْتِصَارُ عَلَيَّ مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوْلُونَ مِنْ آبَائِكَ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاطِرٌ، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّاهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الْإِخْذِ بِمَا عَرَفُوا، وَالْإِمْسَاكَ عَمَّا لَمْ يَكْلَفُوا، فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبَكَ ذَلِكَ بِتَفْهَمٍ وَتَعْلَمَ، لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ، وَعُلُوِّ الْخُصُومَاتِ. وَأَبْدَأْ قَبْلَ نَظْرِكَ فِي ذَلِكَ بِالِاسْتِعَانَةِ بِإِهْلِكَ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ، وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ فِي شُبُهَةٍ، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَى ضَلَالَةٍ.

فَإِذَا أُيْقِنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وَتَمَّ رَأْيُكَ وَاجْتَمَعَ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمًّا وَاحِدًا، فَانظُرْ فِيهَا فَسَرْتُ لَكَ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا نُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ، وَفَرَاغَ نَظْرِكَ وَفِكْرِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَحْبِطُ الْعَشْوَاءَ، وَتَتَوَرَّطُ الظُّلْمَاءَ، وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ وَلَا مَنْ خَلَطَ، وَالْإِمْسَاكَ عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ. فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي، وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وَأَنَّ الْمُنْفِيَّ هُوَ الْمُعِيدُ، وَأَنَّ الْمُبْتَلِيَ هُوَ الْمُعَافِي، وَأَنَّ

الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتُسْتَقَرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّعْمَاءِ، وَالْإِتْلَاءِ، وَالْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ، أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَا تَعْلَمُ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ بِهِ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ جَاهِلًا ثُمَّ تَعْلَمُ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصْرُكَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ! فَاعْتَصِمِ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّأَكَ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ. وَاعْلَمْ، يَا بُنَيَّ، أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللَّهِ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ عليه السلام، فَارْضَ بِهِ رَائِدًا، وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِدًا. فَإِنِّي لَمْ أَلِكْ نَصِيحَةً، وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ، وَإِنْ اجْتَهَدْتَ، مَبْلُغَ نَظَرِي لَكَ لِعِبَائِي وَطُولِ تَجْرِبَتِي وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَيْتَكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَعْمَالَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسُهُ، لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَزُولُ أَبَدًا وَلَمْ يَزَلْ، أَوَّلُ قَبْلِ الْأَشْيَاءِ بِلاَ أَوْلِيَّةٍ، وَآخِرُ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلاَ نِهَايَةٍ، عَظُمَ عَنْ أَنْ تُثَبَّتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ. فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صَغَرِ حَظْرِهِ، وَقَلَّةِ مَقْدَرَتِهِ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، عَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ، فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالرَّهْبَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنِ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنِ قَبِيحٍ. يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَمَا عَدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهَا الْأَمْثَالَ، لِتَعْتَبِرَ بِهَا، وَتَحْذَرَ عَلَيْهَا. إِنَّمَا مِثْلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمِثْلِ قَوْمِ سَفَرٍ، نَبَأَ بِهِمْ مَنْزِلَ جَدِيدٍ، فَأَمُّوا مَنْزِلًا خَاصِيًا وَجَنَابًا مَرِيعًا، فَاحْتَمَلُوا وَعَثَاءَ الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ الْمَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لَشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلْمًا، وَلَا يَرُونَ نَفَقَةَ مَغْرَمًا، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَذْنَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ. وَمِثْلُ مَنْ اعْتَرَبَهَا كَمِثْلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَاصِيٍّ، فَنَبَأَ بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيدٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلَا أَفْطَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ، إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ، وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ. يَا بُنَيَّ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ

مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَآكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمُ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنَ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قُلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ.

وَاعْلَمْ، أَنَّ الإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ، وَآفَةُ الأَلْبَابِ. فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ، وَلَا تَكُنْ حَازِنًا لِعَيْرِكَ، وَإِذَا أَنْتَ هَدَيْتَ لِقُصْدِكَ فَكُنْ أَحْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ.

وَاعْلَمْ، أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقًا ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُ لَا غِنَى بِكَ فِيهِ عَنِ حُسْنِ الإِزْتِيَادِ، وَقَدْرِ بِلَاغِكَ مِنَ الرِّادِ، مَعَ خَفَّةِ الظَّهْرِ، فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونُ ثِقْلٌ ذَلِكَ وَبَالًا عَلَيْكَ، وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، فَيُؤَافِيكَ بِهِ غَدًا حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَاعْتَمِنِمْهُ وَحِمْلُهُ إِيَّاهُ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَرْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ، وَاعْتَمِنِمْ مَنْ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ.

وَاعْلَمْ، أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةٌ كَثُودًا، المُخِيفُ فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنَ المُتَّقِلِ، وَالمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَفْبَحُ حَالًا مِنَ المُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهْبَطَهَا بِكَ لِأَحَالَةٍ عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ، فَارْتَدِّ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ، وَوَطِئِ المَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ المَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ، وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ.

وَاعْلَمْ، أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ أذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَكْفَلُ لَكَ بِالأَجَابَةِ، أَمْرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيكَ، وَتَسْتَرْجِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْحِجْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ مِنْ آسَاتِ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنَّقْمَةِ، [وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالإِنَابَةِ]، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الفُضِيحَةُ [بِكَ أَوْلَى]، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الإِنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤَيِّسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتِكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْرًا، وَفَتَحَ لَكَ

بَابِ الْمَتَابِ، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبَشَّتُهُ ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَّوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَاسْتَعْتَنَتْهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ، ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَدْنَى لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالذُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعَمِهِ، وَاسْتَمَطَّرْتَ شَابِيبَ رَحْمَتِهِ، فَلَا يُقْنِطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ، وَرَبِّمَا أُخْرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْإِمْلِ، وَرَبِّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ، وَأُوْتَيْتَ خَيْرًا مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ آجَلًا، أَوْ صَرَفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَكَلِّبْ أَمْرًا قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيَتْهُ، فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتَكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ، فَاَلْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ وَلَا تَبْقَى لَهُ. وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِتْمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ، وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ، وَدَارِ بُلْغَةٍ، وَطَرِيقٍ إِلَى الْآخِرَةِ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلَا بَدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالِ سَيِّئَةٍ، فَذُكُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ.

ذكر الموت

يَا بَنِيَّ، أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذَكَرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُنْفِضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ حِذْرَكَ، وَشَدَدَتْ لَهُ أَرْكَ، وَلَا وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالِبِهِمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ نَبَّأَكَ اللَّهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا.

فَاتِمَّا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ، وَسَبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهْرُ بَعْضُهَا بَعْضًا، يَأْكُلُ عَزِيرُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا، نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا، رَكِبَتْ مَجْهُولَهَا،

سُرُوحٌ عَاهَةِ بَوَادٍ وَعَثٌ، لَيْسَ لَهَا رَاعٌ يُقِيمُهَا، وَلَا مُسِيمٌ يُسِيمُهَا، سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ العَمَى، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَن مَنَارِ الهُدَى، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا، وَعَرَفُوا فِي نِعْمَتِهَا، وَاتَّخَذُواهَا رَبًّا، فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا.

الترفق في الطلب

رُويَدًا يُسْفِرُ الظَّلَامَ، كَأَن قَدْ وَرَدَتِ الأُطْعَانُ، يُوشِكُ مَن أَسْرَعَ أَن يَلْحَقَ! وَاَعْلَمَ، أَنَّنِ مَنْ كَانَتْ مَطِيئَتُهُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِن كَانَ وَاقِفًا، وَيَقْطَعُ المَسَافَةَ وَإِن كَانَ مُقِيمًا وَاِدْعَا. وَاَعْلَمَ يَقِينًا، أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ، وَلَنْ تَعُدُّوْا أَجَلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلٍ مَن كَانَ قَبْلَكَ، فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ، وَأَجْمِلْ فِي المُكْتَسَبِ، فَإِنَّهُ رَبُّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ، فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ، وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَن كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِن سَاقَتَكَ إِلَى الرَّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْدُلُ مَن نَفْسِكَ عَوْضًا. وَلَا تَكُنْ عَبْدًا غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرًّا. وَمَا خَيْرٌ خَيْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، وَيُسِرُّ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرِ!؟

وَأَيَّاكَ أَن تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الهَلَكَةِ، وَإِن اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهُ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قِسْمِكَ، وَأَخِذْ سَهْمَكَ، وَإِنَّ اليَسِيرَ مَنِ اللهُ سُبْحَانَهُ أَكْرَمُ أَعْظَمُ مَنِ الكَثِيرِ مَنِ خَلْقِهِ وَإِن كَانَ كُلُّ مَنْهُ.

وصايا شتى

وَتَلَافِيكَ مَا فَرَطَ مَن صَمْتِكَ أَيْسَرُ مَن إِذْرَاكِكَ مَا فَاتَ مَن مَنطِقِكَ، وَحِفْظُ مَا فِي الوِعَاءِ بِشِدِّ الوِكَاءِ، وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مَن طَلَبَ مَا فِي يَدَيَّ غَيْرِكَ، وَمَرَارَةُ اليَأْسِ خَيْرٌ مَن الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ، وَالْحِرْفَةُ مَعَ العِفَّةِ خَيْرٌ مَن الغِنَى مَعَ الفُجُورِ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ، وَرَبُّ سَاعٍ فِيهَا يُضْرَهُ! مَن أَكْثَرَ أَهْجَرَ، وَمَن تَفَكَّرَ أَبْصَرَ، قَارِنُ أَهْلِ الخَيْرِ

تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنِ أَهْلَ الشَّرِّ تَبَيَّنْ عَنْهُمْ، بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ! وَظَلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ، إِذَا كَانَ الرَّفْقُ خُرْفًا كَانَ الْخُرْقُ رِفْقًا، رَبُّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً، وَالدَّاءُ دَوَاءً، وَرَبُّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ، وَغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ. وَإِيَّاكَ وَالِاتِّكَالَ عَلَى الْمُنَى، فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى، وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ، وَخَيْرٌ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ، بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً، لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَلَا كُلُّ غَائِبٍ يُؤُوبُ، وَمِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ، وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ، سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ، التَّاجِرُ مُحَاطِرٌ، وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ! لَا خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ، وَلَا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ، سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ، وَلَا تُحَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرِ مِنْهُ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ. ائْهِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَحْيِكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصَّلَاةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللَّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَدَلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللَّيْنِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُدْرِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ.

وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ، لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقًا فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ، وَامْحُضْ أَحَاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَانَتْ أَمْ قَبِيحَةً، وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ، فَإِنِّي لَمْ أَرِ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً، وَلَا أَلَذَّ مَغْبَةً، وَلَنْ لِمَنْ غَالَطَكَ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينْ لَكَ، وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ، وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَحْيِكَ فَاسْتَبِقْ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَأَ لَهُ ذَلِكَ يَوْمًا مَا، وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدِّقْ ظَنَّهُ، وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَحْيِكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بَأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ، وَلَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشَقَى الْخَلْقِ بِكَ وَلَا تَرْتَعِبَنَّ فِيمَنْ زَهَدَ فِيكَ، وَلَا يَكُونَنَّ أَحْوَكُ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صَلَاتِهِ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ، وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمٌ مِنْ ظَلَمِكَ، فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضْرَّتِهِ وَنَفْعِكَ، وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوَّهُ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ

مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى! إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ، مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ، وَإِنْ جَزَعْتَ عَلَى مَا تَمَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ، فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ. اسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِهَا قَدْ كَانَ، فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهُ، وَلَا تَكُونَنَّ بِمَنْ لَا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالِغَتْ فِي إِيْلَامِهِ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالْأَدَبِ، وَالْبَهَائِمَ لَا تَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ. إِطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْأَهْمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ، مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارًا، وَالصَّاحِبُ مُنَاسِبًا، وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ، وَالْهَوَى شَرِيكَ الْعَمَى، رَبٌّ بَعِيدٌ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، وَقَرِيبٌ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ، وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ، مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ، وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ، وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَمَنْ لَمْ يَبَالِكْ فَهُوَ عَدُوٌّ، قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكًا، إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكًا، لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ، وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ، وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قُضْدَهُ، وَأَصَابَ الْأَعْمَى رُشْدَهُ. أَخَّرِ الشَّرَّ، فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ، وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ، مَنْ آمَنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ، لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ، إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ. سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ. إِنِّي أَنْ تَذَكَّرَ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَكُونُ مُضْحِكًا، وَإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِكَ.

الرأي في المرأة

وَأَيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أُنْفٍ، وَعَزْمُهُنَّ إِلَى وَهْنٍ. وَاكْتَفَى عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكِ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَا يُوَثِّقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفَنَّ غَيْرَكَ فَافْعَلْ.

وَلَا تَمْلِكِ الْمَرْأَةُ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ، وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ. وَلَا تَعُدْ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، وَلَا تَطْمَعِهَا أَنْ تَشْفَعَ لغيرها. وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ

غَيْرَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ، وَالرَّبِيئَةَ إِلَى الرَّيْبِ. وَاجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَلَّا يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ. وَأَكْرَمُ عَشِيرَتِكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ.

دعاء والخاتمة

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَالْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(١).

(١٦)

جرح الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

وعندما قدم علي عليه السلام من سفره، واستقبله الناس يهتفون به بظفره بالخوارج، دخل إلى المسجد الأعظم، فصلّى فيه ركعتين، ثم صعد المنبر فخطب خطبة، ثم التفت إلى ابنه الحسين عليه السلام فقال: «يا أبا عبد الله كم بقي من شهرنا هذا؟». يعني شهر رمضان الذي هم فيه. فقال الحسين عليه السلام: «سبع عشرة يا أمير المؤمنين».

فضرب عليه السلام بيده إلى لحيته، وهي يومئذ بيضاء وقال: «والله ليخضبنها بالدم إذ انبعث أشقاها»، ثم جعل يقول^(٢):

أريد حياته ويريد قتلي خليلك من عذيرك من مراد
وعند الليلة التاسعة عشرة من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة، خرج أمير
المؤمنين عليه السلام في صبيحتها إلى المسجد فضربه أشقى الأولين والآخرين.

ولما سمع الحسن والحسين عليه السلام بضرب أبيهما الإمام عليه السلام، هرعوا إلى الجامع فوجدوا

(١) شرح نهج البلاغة (م)/ج ٣ ص ٣٧.

(٢) الفتوح - ابن أعثم الكوفي / ج ٣ ص ٢٧٧.

أبا جعدة بن هبيرة ومعه جماعة من الناس، وهم يجتهدون أن يقيموا الإمام في المحراب ليصلي بالناس، فلم يطق النهوض، فتأخر عن الصف. وتقدم الحسن عليه السلام فصلّى بالناس وأمير المؤمنين عليه السلام يصلي إيماءً من جلوس، وهو يمسح الدم عن وجهه، يميل تارة ويسكن أخرى^(١).

ثم أخذ عليه السلام إلى بيته، وبقي فيه حتى وفاته عليه السلام، ودخل عليه الحسن عليه السلام وهو باكٍ، فقال له: ما يبكيك يا بني؟ قال: ومالي لا أبكي وأنت في أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا. فقال: «يا بُنَيَّ احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعًا وَأَرْبَعًا لَا يَضُرُّكَ مَا عَمِلْتَ مَعَهُنَّ: إِنَّ أَعْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ، وَأَكْبَرُ الْفَقْرِ الْحُمُقُ، وَأَوْحَشُ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ، وَأَكْرَمَ الْحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ. يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْأَحْمَقِ فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ يُقْرَبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ وَيُبْعَدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ»^(٢).

قال الأصمغ بن نباتة: حضرت أمير المؤمنين علياً عليه السلام عند وفاته، فدعا بالحسن والحسين، ومحمد بن الحنفية عنهما في ناحية، فقال لهما: «إذا رأيتماني قد شخصت وخرجت روحي من جسدي فاسدلا عليّ ثوباً، ثم خذا في جهازي وعند أختكما أم كلثوم حنوط هبط به جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي: حنطني بثلاث، وفاطمة ابنتي بعدي بثلاث، وادخر الثلاث الباقي لنفسك، فحنطاني به ولا تزيدان عليه شيئاً. فإذا وضعتاني على سرير المنايا، فخذ أنت وأخوك بمؤخر السرير، ولا تقلان المؤخر حتى يستقل المقدم، فإن معكما غيركم، واتبعا المقدم حتى تصيران إلى أرض حصبة كثبة فاحتفروا لي، ثم

(١) بحار الأنوار / ج ٤٢ ص ٢٨٣.

(٢) تاريخ مدينة دمشق - ابن عساکر. ترجمة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام / ج ٣ ص ٣٠٥ رقم

١٤٠٥. ومعادن الجواهر - الكراجكي ص ٤٢.

فإنكما تقعان على ساحة منقورة مطبقة، فأدخلاني فيها، وسويًا عليّ التراب ليخفي موضع قبري، فإنه مما أدخره لي جبرئيل عليه السلام»^(١).

وبعدها أوصاهم عليهم السلام، بالإحسان إلى قاتله، فقال: «قد ضربني فأحسنوا إليه، وألينوا له فراشه، فإن أعش فهضم أو قصاص، وإن أمت فعاجلوه فإني مخاصمه عند ربي عز وجل»^(٢).

وفي تعبير آخر أنه قال عليه السلام: «إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربةً بضربته، ولا يمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور»^(٣).

وصاياه عليه السلام الخاصة :

وأوصى عليه السلام الحسن والحسين عليهما السلام :

«أوصيكم بتقوى الله وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكم، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكم، وقولا بالحق واعملا للأجر، وكونا للظالم خصما، وللمظلوم عوناً. أوصيكم، وجميع ولدي، وأهلي، ومن بلغه كتابي بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإني سمعت جدكم صلى الله عليه وسلم يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام. الله الله في الأيتام فلا تعبوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم. والله الله في جيرانكم، فإيهم وصيته نبيكم ما زال يوصي بهم، حتى ظننا أنه سيورثهم. والله الله في القرآن، لا يسئلكم بالعمل به غيركم. والله الله في الصلاة، فإنها عمود دينكم. والله الله في بيت ربكم، لا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظرُوا. والله الله في الجهاد بأموالكم، وأنفسكم،

(١) أخبار أصبهان - أبو نعيم / ج ٢ ص ٦٠.

(٢) المستدرک علی الصحیحین / ج ٣ ص ١٤٤.

(٣) ربيع الأبرار - الزمخشري، باب الجنایات والذنوب ص ٢١٧.

وَأَلْسَيْتُكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَّاضُعِ، وَالتَّبَادُلِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَادُبَ وَالتَّقَاطُعَ. لَا تَتْرُكُوا الأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، فَيُؤَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ».

ثُمَّ قَالَ: «يَا بَنِي عَبْدِ المَطْلَبِ لَا أُلْفَيْتُكُمْ مَحْضُونَ دِمَاءَ المُسْلِمِينَ خَوْضًا تَقُولُونَ قُتِلَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ. أَلَا لَا تَقْتُلَنَّ بِي إِلا قَاتِلِي، انظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ صَرَبَتِهِ هَذِهِ، فَاصْرَبُوهُ صَرْبَةً بِصَرْبَتِهِ، وَلَا تَمْتَلُوا بِالرَّجْلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ إِيَّاكُمْ وَالمِثْلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ العَقُورِ»^(١).

ومن كلام له عليه السلام أيضاً قاله قبل موته على سبيل الوصية:

«وَصِيَّتِي لَكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَمُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ. أَقِيمُوا هَدْيَ العَمُودَيْنِ، وَأَوْفِدُوا هَدْيَ المِصْبَاحَيْنِ، وَخَلَاكُمْ دَمٌ. أَنَا بِالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَاليَوْمِ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ. إِنْ أَبَقَ فَأَنَا وَبِي دَمِي، وَإِنْ أَفَنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي، وَإِنْ أَعْفُ فَالعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ. فَاعْفُوا أَلَّا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ. وَاللَّهُ مَا فَجَأَنِي مِنَ المَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ، وَلَا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ، وَمَا كُنْتُ إِلا كَقَارِبٍ وَرَدٍّ، وَطَالِبٍ وَجَدٍّ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ»^(٢).

ثم أوصى عليه السلام الحسن عليه السلام بالإمامة، وهو يتنبأ بموته، فقال: «إني مقبوض في ليلتي هذه، فاسمعا قولي، وأنت يا حسن وصيي^(٣) والقائم بالأمر بعدي، وأنت يا حسين شريكه في الوصية. فاصمت وكن لأمره تابعاً ما بقي، فإذا خرج من الدنيا فأنت الناطق من بعده، والقائم بالأمر عنه»^(٤).

(١) روضة الواعظين ص ١٣٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق / ج ٤٢ ص ٥٦٢.

(٣) الإرشاد ص ١٩٢.

(٤) إثبات الهداة - محمد بن الحسن / ج ٥ ص ١٤٠.

والفارق أن مقتل الإمام علي عليه السلام، ووصيته عليه السلام بمعاملة الجاني معاملة المثل، لم تؤدِ إلا إلى مقتل الجاني وهو ابن ملجم المرادي. بينما أدى مقتل الخليفة الثالث، وبسبب استخدام مقتله لأسباب سياسية وهو ما أصطلح عليه بقميص عثمان، إلى ثلاثة حروب هي الجمل وصفين والنهروان، حيث قتل فيها عشرات الآلاف من البشر.

(١٧)

استشهاد الإمام عليه السلام

وعند وفاته عليه السلام خرجت الناس وهي تنادي: وا إماماه وا أمير المؤمنيناه، قتل والله إمام عابد مجاهد لم يسجد لصنم، كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله.

وخرجت الكوفة تبكي علياً عليه السلام، وكان الحسين عليه السلام يردد: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. إنا لله وإنا إليه راجعون. يا أبتاه وا انقطاع ظهراه. من أجلك تعلمتُ البكاء، إلى الله المشتكى»^(١).

ويصفُ الحسين عليه السلام دفن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، بالقول: «خرجنا به ليلاً حتى مررنا به على مسجد الأشعث، حتى خرجنا به إلى ظهر ناحية الغري»^(٢). وتكتم الحسان على موقع دفن أبيهما عليهما السلام مخافة نبشه من قبل بني أمية.

(١٨)

إمامة الحسن عليه السلام والبيعة له (سنة ٤٠ هـ)

ولما بزغ فجر يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة النبوية، صلّى الإمام الحسن عليه السلام صلاة الفجر بالناس في مسجد الكوفة، وكان قد

(١) بحار الأنوار / ج ٤٢ ص ٢٩٥.

(٢) كامل الزيارات ص ٣٤.

رجع لتوه من دفن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، ثم احتجب عن الناس .

عندها خرج ابن عباس إلى الناس فقال: إنَّ أمير المؤمنين توفي، وقد ترك لكم خلفاً، فإنَّ أحببتم خرج اليكم، وإنَّ كرهتم فلا أحد على أحد، فبكى الناس وقالوا: بل يخرج إلينا.

خطبة الإمام الحسن عليه السلام بعد استشهاد أبيه عليه السلام :

فخرج الإمام الحسن عليه السلام وعليه ثوب أسود واعتلى المنبر فقال:

«الحمد لله الذي كان في أوليَّته، وحدانياً في أزليَّته، متعظماً بإهليته، متكبراً بكبريائه وجبروته. ابتداءً ما ابتدئ، وأنشأ ما خلق، على غير مثالٍ كان سبق مما خلق.

ربنا اللطيف بلطف ربوبيَّته، وبعلم خبره فتق، وبإحكام قدرته خلق جميع ما خلق، فلا مبدل لخلقه، ولا مغيّر لصنعه، ولا معقب لحكمه، ولا رادّ لأمره، ولا مستراح عن دعوته. خلق جميع ما خلق ولا زوال لملكه، ولا انقطاع لمدته، فوق كلّ شيءٍ علا، ومن كلّ شيءٍ دنا، فتجلّى لخلقه من غير أن يكون يرى وهو بالمنظر الأعلى.

احتجب بنوره، وسما في علوه، فاستتر عن خلقه، وبعث إليهم شهيداً عليهم، وبعث فيهم النبيين مبشرين ومنذرين، ليهلك من هلك عن بيتة، ويحيى من حيّ عن بيتة، وليعقل العباد عن ربّهم ما جهلوه، فيعرفوه بربوبيته بعد ما أنكروه.

والحمد لله الذي أحسن الخلافة علينا أهل البيت، وعنده نحسب عزانا في خير الآباء: رسول الله صلى الله عليه وآله وعند الله نحسب عزانا في أمير المؤمنين. ولقد أصيب به الشرق والغرب... ولقد حدّثني حبيبي جدي رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ الأمر يملكه إثنا عشر إماماً من

أهل بيته وصفوته، ما منّا إلا مقتول أو مسموم»^(١).

«لقد قُبض في هذه الليلة رجلٌ لا يسبقه الأولون بعمل، ولا يدركه الآخرون. ولقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيقيه بنفسه. ولقد كان يوجهه برأيه فيكتنفه جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه. ولقد توفّي في هذه الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم، ولقد توفّي فيها يوشع بن نون وصيّ موسى. وما خلف صفراء ولا بيضاء، إلا سبعمائة درهم بقيت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله»^(٢).

ثم خنقته العبرة، فبكى وبكى الناس معه، فلما هدأوا، استطرد قائلاً:

«أيها الناس، مَنْ عرفني فقد عرفني. ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن النبي صلى الله عليه وآله، وأنا ابن الوصي. أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله عز وجل بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والذين افترض الله موذنتهم في كتابه إذ يقول: ﴿...وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا...﴾^(٣). فاقتراف الحسنة موذنتنا أهل البيت»^(٤).

البيعة:

أتى الناس لبياعوه، فقال صلى الله عليه وآله: «الحمد لله على ما قضى من أمرٍ، وخصّ من فضلٍ، وعمّ من أمرٍ وجلّ من عافيةٍ، حمداً يتمّ به علينا نعمه، ونستوجب به رضوانه، إنّ الدنيا

(١) عن كتاب الكفاية للحسين بن محمد بن سعيد الخزازي، عن الجوهري، عن عتبة بن الضحاك،

عن هشام بن محمد عن أبيه. بحار الأنوار / ج ٤٣ ص ٣٦٣.

(٢) المستدرک على الصحيحين / ج ٣ ص ١٧٢.

(٣) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٤) المستدرک على الصحيحين / ج ٣ ص ١٧٢. ورواه أحمد بن عبد الله الطبري في (ذخائر

العقبى) ص ١٣٨.

دار بلاءٍ وفتنةٍ وكلّ ما فيها إلى زوال، وقد نبأنا الله عنها كيما نعتبر، فقدّم إلينا بالوعيد كيلا يكون لنا حجة بعد الإنذار، فازهدوا فيما يفنى وارغبوا فيما يبقى، وخافوا الله في السرّ والعلانية. إنّ علياً عليه السلام في المحيا والممات، والمبعث عاش بقدر، ومات بأجل، وإني أبايعكم على أن تسالموا من سالمت، وتحاربوا من حاربت»^(١).

ثم قام ابن عباس بين يديه، فدعا الناس إلى بيعته، فاستجابوا له وقالوا: ما أحبه إلينا وأحقّه بالخلافة، فبايعوه^(٢). ولم يورث من أبيه إلا العلم والتقى، والأخلاق الحميدة. و«قيل: إنّ أول من بايعه قيس بن سعد، قال له: أبسط يدك أبايعك على كتاب الله ﷻ، وسنة نبيه، وقتال المحلّين. فقال له الحسن عليه السلام: على كتاب الله، وسنة نبيه، فإنّ ذلك يأتي من وراء كل شرط، فبايعه وسكت، وبايعه الناس»^(٣).

ولما تمت البيعة، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «معشر الناس: عفت الديار، ومحيت الآثار، وقلّ الاضطبار، فلا قرار على همزات الشياطين وحكم الخائنين، الساعة والله صحّت البراهين، وفصّلت الآيات وبانت المشكلات، ولقد كنا نتوقّع تمام هذه الآية تأويلها، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٤).

فلقد مات والله جدي رسول الله ﷺ وقتل أبي عليه السلام، وصاح الوسواس الخناس في قلوب الناس، ونعق ناعق الفتنة: [لقد] خالفتم السنّة، فيالها من فتنةٍ صمّاء عمياء لا

(١) التوحيد ص ٣٨٥ - ٣٨٦.

(٢) مقاتل الطالبين - أبو فرج الأصفهاني ص ٥١، وينايع المودة ص ٢٦٥.

(٣) تاريخ الطبري / ج ٥ ص ١٥٨.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

يسمع لداعيها، ولا يجاب مُناديها، ولا يخالف واليها، ظهرت كلمة النفاق، وسيّرت رايات أهل الشقاق، وتكالت جيوش أهل المراق، من الشام والعراق، هلمّوا رحمكم الله إلى الافتتاح، والنور الوضّاح، والعلم الجحجّاح، والنور الذي لا يطفى، والحقّ الذي لا يخفى.

أيها الناس تيقّظوا من رقدة الغفلة، ومن تكائف الظلمة، فو الذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، وتردّى بالعظمة، لئن قام إليّ منكم عصابة بقلوب صافية، ونياتٍ مخلصّة، لا يكون فيها شوب نفاق، ولا نيّة افتراق، لأجاهدنّ بالسيف قدماً، ولأضيقنّ من السيوف جوانبها، ومن الرّماح أطرافها، ومن الخيل سناكبها، فتكلّموا رحمكم الله». فكاننا أجمعوا بلجام الصّمت.

دلالات خطاب الإمام الحسن عليه السلام:

١- كان من أدب الإمام الحسن عليه السلام الجمّ ان يسأل الناس، عبر ابن عباس، إن أحبوا أن يخرج لهم خرج، وإن كرهوا لم يخرج. فطلبوا منه أن يخرج إليهم، وهذا في منتهى الأدب، وكمال الاخلاق من قبل الإمام الحسن عليه السلام. فالإمام عليه السلام، لم يجبر أحداً على الحضور، وإنما حضر الناس باختيارهم، والحضور يعني - على الأغلب - إظهار درجة من درجات الولاء.

٢- بدأ الحسن عليه السلام خطبته بذكر الله عزّ وجلّ، وحمده، والثناء عليه، بتلك الالفاظ البديعة، واللغة الرائعة التي دأب على استخدامها أئمة أهل البيت عليهم السلام. فانسجام المعاني، وغنى المفاهيم في كلام المعصومين عليهم السلام، هو أعظم دليل على أن هدفهم عليهم السلام كان هداية الناس، وإرشادهم إلى معرفة الله سبحانه وتعالى.

٣- من حسن أخلاقه عليه السلام أيضاً ذكره أباه عليهم السلام حيث جدّ في ذكر فضائله عليهم السلام،

وجهاده مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وزهده، وربط استشهاده عليه السلام بعلم الله تعالى، فقال: إن علياً... عاش بقدرٍ ومات بأجلٍ.

٤- ثم عرّف نفسه تعريفاً ذا خصوصية، فكان شرفه هو أن ينسب نفسه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلي بن أبي طالب عليه السلام، وفاطمة الزهراء عليها السلام. وهذا من أعظم التعاريف إذا قرأنا أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه، وفي أخيه الحسين عليه السلام: «هذان ابناي فمن أحبهما فقد أحبني...»^(١)، و«الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»^(٢). ويكفيه ان يقول عليه السلام أنا من أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

٥- عندما بايعه الناس، قبل بيعتهم على شرطين مهمين، هما: أن يسالموا من سالم، ويحاربوا من حارب، بمعنى أنه هو الإمام المعصوم عليه السلام، القادر على تقدير الموقف الشرعي السليم في الحرب والسلم، أو القتال والمصالحة، فهو الذي يقرر الحرب والسلم، وعلى الأمة الطاعة.

٦- وبعد أن وضع الأسس الثابتة لمعنى الإمامة، وما يترتب عليها من آثار طاعة الناس والزامهم بالبيعة، أعلن بصراحة أنه يريد مقاتلة معاوية، لأنه ظالم اغتصب حقاً ليس له، فقال عليه السلام: «... لأجاهدَنَّ بالسيف قدماً، ولأضيقنَّ من السيوف جوانبها، ومن الرماح أطرافها، ومن الخيل سناكبها» ودعاهم إلى مؤازرته عليه السلام. ولكنهم كانوا يأملون من بيعة الإمام الحسن عليه السلام عدم القتال، ولذلك وصفهم الواصف: كأنما أجموا بلجام الصمت.

(١) المناقب (ش)/ ج ٣ ص ٣٨٢.

(٢) الإرشاد ص ٢٠٤.

(١٩)

خلافة الإمام الحسن عليه السلام

استمرت خلافة الإمام الحسن عليه السلام على العراق، وخراسان، والحجاز، واليمن، ونحوها من البلدان ستة أشهر وثلاثة أيام^(١). فقد «بويح للحسن بن علي بن أبي طالب بالكوفة بعد وفاة أبيه بيومين في شهر رمضان من سنة أربعين، ووجه عماله إلى السواد والجبال»^(٢). وربما قصد المسعودي (ت ٣٤٦هـ) أنه بويح للحسن عليه السلام بعد جرح أبيه بيومين، وهو الأصح. أي بويح للحسن عليه السلام يوم وفاة أبيه علي عليه السلام، وبعد الانتهاء من دفنه عليه السلام. وكان بين الجرح والوفاة يومان.

وكان أول شيء أحدثه الإمام الحسن عليه السلام هو زيادة رواتب الجنود، فقد «زاد المقاتلة مائة مائة، وقد كان علي عليه السلام فعل ذلك يوم الجمل، والحسن عليه السلام فعله على حال الاستخلاف، فتبعه الخلفاء من بعد ذلك»^(٣).

وبعد ذلك «رتب العمال وأمر الأمراء، وأنفذ عبد الله بن العباس إلى البصرة ونظر في الأمور»^(٤).

رؤيته عليه السلام الشرعية للدولة :

وكان للإمام الحسن عليه السلام رؤية شرعية لإدارة الدولة، عكسها علمه في حقوق الناس وواجباتهم، وعلمه في كونه إماماً معصوماً من أئمة أهل البيت عليهم السلام، الذين أوصى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله الأمة، وألزمها عليهم السلام طاعتهم وعدم معصيتهم عليهم السلام. فلا عجب أن

(١) إعلام الوری / ج ١ ص ٤٠٢.

(٢) مروج الذهب / ج ٣ ص ٤.

(٣) مقاتل الطالبیین ص ٥٥.

(٤) الإرشاد ص ١٧٠.

يرى رضي الله عنه السياسة رعايةً لحقوق الله، وحقوق الناس، فيقول رضي الله عنه في معنى السياسة: «هي أن ترعى حقوق الله، وحقوق الأحياء، وحقوق الأموات. فأما حقوق الله فأداء ما طلب، والاجتناب عما نهى. وأما حقوق الأحياء فهي أن تقوم بواجبك نحو إخوانك، ولا تتأخر عن خدمة أمتك، وأن تخلص لولي الأمر ما أخلص لأئمة، وأن ترفع عقيرتك في وجهه إذا ما خلا عن الطريق السوي. وأما حقوق الأموات فهي أن تذكر خيراتهم وتتغاضى عن مساوئهم، فإن لهم رباً يحاسبهم»^(١). وواجب ولي الأمر - في نظر الإمام رضي الله عنه - هو ان «يخاف الله في السر والعلانية، ويعدل في الغضب والرضا، ويقصد في الفقر والغنى، ولا يأخذ الأموال غصباً، ولا يأكلها إسرافاً وتبذيراً، ولا يضره ما تمتع به من دنياه، إذا كان من خلته»^(٢).

رد معاوية على الإمارة الجديدة:

ولما بلغ معاوية استشهاد أمير المؤمنين رضي الله عنه وبيعة الحسن رضي الله عنه، تمرد على الإمام الحسن رضي الله عنه عبر: ١- دس الدسائس على ولي الأمر الجديد رضي الله عنه ليفسد الأمر عليه، ومنها إرسال الجواسيس إلى الكوفة والبصرة. ٢- احتجاج معاوية على الإمام رضي الله عنه في استحقاقه الأمر، عبر مكاتبات بينه وبين الحسن رضي الله عنه.

١- دس الدسائس على الإمام رضي الله عنه:

ومن مصاديق تمرد معاوية، والي الشام المتمرد أبداً، على خلافة الإمام الحسن رضي الله عنه إرساله الجواسيس إلى الكوفة والبصرة، يقول الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ): «فلما بلغ معاوية بن أبي سفيان وفاة أمير المؤمنين رضي الله عنه وبيعة الناس ابنه الحسن رضي الله عنه دس رجلاً

(١) تاريخ يعقوبي - أحمد بن أبي يعقوب / ج ٢ ص ٢٠٢.

(٢) تاريخ يعقوبي / ج ٢ ص ٢٠٢.

من حمير إلى الكوفة، ورجلاً من بني القين إلى البصرة، ليكتبا إليه بالأخبار، ويفسد على الحسن عليه السلام الأمور. فعرف الحسن عليه السلام ذلك، فأمر باستخراج الحميري من عند لحام بالكوفة، فأخرج وأمر بضرب عنقه. وكتب إلى البصرة باستخراج القيني من بني سليم، فأخرج وضربت عنقه، وكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية^(١):

«أما بعد: فأنتك دسست إليّ الرجال، للاحتيال والاعتيال، وأرصدت العيون، كأنك تحبّ اللقاء وما أشكّ في ذلك، فتوقّعه، إن شاء الله، وقد بلغني: أنك شمتت بما لا يشمت به ذوو الحجي، وإنما مثلك في ذلك كما قال الأول:

فقل للذي يبغى خلاف الذي مضى تجهز لأخرى مثلها فكأن قدا

فأنا ومن قد مات منّا لكالذي يروح فيمسي في المبيت ليغتدى»^(٢)

فأجابه معاوية: «أما بعد. فقد وصل كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه. ولقد علمت بما حدث، فلم أفرح ولم أحزن، ولم أشمت ولم آس، وأنّ علي بن أبي طالب كما قال أعشى بن قيس بن ثعلبة:

وأنت الجواد وأنت الذي إذا ما القلوب ملأن الصدورا

جدير بطعنة يوم اللقاء تضرب منها النساء النحورا

وما مزبّد من خليج البحا ر يعلو الأكام ويعلو الجسورا

بأجود منه بما عنده فيعطي الألوف ويعطي البدورا»^(٣)

وكتب عامل الإمام الحسن عليه السلام على البصرة (عبد الله بن العباس) إلى معاوية في استنكار تلك الحادثة:

(١) الإرشاد ص ١٧٠.

(٢) الإرشاد ص ١٧٠.

(٣) مقاتل الطالبين ص ٥٣.

«أما بعد. فانك ودسك أخوا بني قين إلى البصرة، تتلمس من غفلات قريش، مثل الذي ظفرت به من يمانيتك لكما قال أمية بن الأسكر:

لعمرك أي والخزاعي طارقاً كنعجة غار حتفها تتحفرف
أثارت عليها شفرة بكراعها فظلت بها من آخر الليل تنحر
شمت بقوم من صديقك أهلکوا أصابهم يوم من الدهر أصفر»
فأجابه معاوية: «أما بعد. فان الحسن بن علي، قد كتب بنحو ما كتبت به، وأنبأني بما لم أجز ظناً وسوء رأي، وإنك لم تصب مثلكم ومثلي، ولكن مثلنا ما قاله طارق الخزاعي يجب أمية عن هذا الشعر:

فوالله ما أدري وإني لصادق إلى أي من يظنني^(١) أتعدرف
أعنف إن كانت زبينة أهلكت ونال بني لحيان شرٌّ فانفروا^(٢)

دلالات التجسس على دولة الإمام عليه السلام:

١- لما تمت البيعة للإمام الحسن عليه السلام، اضطرب الأمر على معاوية، فأخذ يبعث الجواسيس الى الكوفة والبصرة - أكبر معاقل الإمام عليه السلام - للاحتيال والاغتيال، وزعزعة دولة الحسن عليه السلام.

٢- إن معرفة الإمام الحسن عليه السلام بجواسيس معاوية، يعني أن حكومة الإمام عليه السلام كانت واعية ومدركة خطورة الوضع، وإلا فكيف يُرصد الجواسيس ما لم يكن هناك نظام أمني عام تسير عليه الحكومة؟ ولاشك أن الإمام الحسن عليه السلام كان قد ورث النظام

(١) يظنّ: إفتعل من الظنّة بالكسر أي التهمة، أصله: اظننّ، أبدلت التاء إلى الظاء، ثم أدغمت في الأولى.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٥٣.

الحكومي المتقن لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام.

٣- أسلوب معاوية كان أسلوب مراوغة، فهو وإن لم يطعن في علي عليه السلام في رسالته إلى الحسن عليه السلام، إلا أنّ معاوية لم يستطع دفن ما في نفسه من أحقاد أموية على أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنه وترهم في بدر، وأحد، والأحزاب. ولذلك استخدم شعر أعشى بن قيس بن ثعلبة ليعبر عما جاش في خاطره، من كرهه لعلي عليه السلام، وشيئة بمقتله، ولاشك أنّ مصاديق كره معاوية لأمر المؤمنين عليه السلام جلية للعيان، فهذا مؤذنه يلعن علياً عليه السلام ويتبرأ منه خمس مرات في اليوم.

٤- دلّت رسالة الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية على أنّ الإمام عليه السلام كان يتصرف تصرف الحاكم الشرعي المبسوط اليد، فهو حاكم الدولة الإسلامية. فقد عاقب الجواسيس بضرب أعناقهم، وكتب إلى معاوية يوبّخه على فعل ذلك، ويهدده بالحرب. وهذا التصرف من قبل الإمام الحسن عليه السلام، هو تصرف الإمام المسؤول عن أمور دولته ورعيته.

٢- الاحتجاج على الخلافة :

وكان تمرد معاوية بن أبي سفيان على الإمام الحسن عليه السلام خليفة المسلمين، يقابله نصح وإرشاد من قبله عليه السلام. فالإمام عليه السلام كان دائماً يبادر بالنصح والإرشاد، عبر رسائل مختومة بختمه كان يرسلها إلى الشام من أجل إلقاء الحجّة عليه. وكان الحسن عليه السلام يحتج بالقرآن، والسنة النبوية الشريفة وإجماع المسلمين على ولايته.

بينما كان معاوية يرد على رسائل الإمام الحسن عليه السلام عبر:

أ- وسائل التمرد والمراوغة السياسية.

ب- الترغيب والترهيب دون نظر إلى مصلحة الإسلام أو المسلمين.

الإمام الحسن عليه السلام يحذر معاوية :

فحذّر الإمام الحسن عليه السلام معاوية ثانيةً من نشوب الحرب، ودعاه إلى إلقاء السلاح والدخول في طاعته، فكتب عليه السلام إليه:

«من الحسن بن عليّ أمير المؤمنين، إلى معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك، فاني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد. فان الله جل جلاله، بعث محمداً رحمةً للعالمين، ومنةً للمؤمنين، وكافةً للناس أجمعين ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١)، فبلغ رسالات الله، وقام بأمر الله، حتى توفاه الله غير مقصّرٍ ولا وانٍ، وبعد أن أظهر الله به الحقّ ومحقّ به الشرك، وخصّ به قريشاً خاصةً، فقال له: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ...﴾^(٢). فلما توفّي، تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه ولا يحلّ لكم أن تنازعونا سلطان محمدٍ وحقّه، فرأت العرب أنّ القول ما قالت قريش، وأنّ الحجّة في ذلك لهم على من نازعهم أمر محمدٍ، فأنعمت لهم، وسلمت إليهم. ثم حاجبنا نحن قريشاً، بمثل ما حاججت به العرب، فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها.

إنّهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالإنصاف والاحتجاج، فلما صرنا أهل بيت محمدٍ وأولياءه إلى محاجتهم، وطلب النصف منهم، باعدونا واستولوا بالاجتماع على ظلمنا، ومراغمتنا وللعنت منهم لنا. فالموعد الله، وهو الوليّ النصير.

ولقد كنّا تعجّبنا لتوثّب المتوثّبين علينا في حقّنا، وسلطان نبينا. وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، وأمسكنا عن منازعتهم، مخافةً على الدين أن يجد المنافقون

(١) سورة يس: الآية ٧٠.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٤٤.

والأحزاب في ذلك مغمزاً يثلمونه، أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من إفساده.

فاليوم فليتعجب المتعجب، من توثبك يا معاوية، على أمرٍ لست من أهله، لا بفضلٍ في الدين معروفٍ، ولا أثرٍ في الإسلام محمودٍ. وأنت ابن حزبٍ من الأحزاب، وابن أعدى قريشٍ لرسول الله صلى الله عليه وآله ولكتابه. والله حسيبك فسترد عليه، وتعلم لمن عقبى الدار، وبالله لتلقين عن قليلٍ ربك، ثم ليجزينك بما قدمت يدك. وما الله بظلامٍ للعبيد.

إنّ علياً لما مضى لسبيله رحمة الله عليه يوم قبض، ويوم من الله عليه بالإسلام، ويوم يبعث حياً، ولآني المسلمون الأمر من بعده، فاسأل الله ان لا يؤتينا في الدنيا الزائلة شيئاً، ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامةٍ.

وإنما حملني على الكتابة إليك، الأعذار فيما بيني وبين الله عز وجل في أمرك، ولك في ذلك إن فعلته الحظّ الجسيم والصلاح للمسلمين.

فدع التهادي في الباطل، وأدخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي، فإنك تعلم: أني أحقّ بهذا الأمر منك، عند الله، وعند كلّ أوابٍ حفيظٍ، ومن له قلب منيب. وأتق الله، ودع البغي، واحقن دماء المسلمين، فوالله ما لك خيرٌ في أن تلقى الله من دمائهم، بأكثر مما أنت لاقية به. وأدخل في السلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله، ومن هو أحقّ به منك، ليطفئ الله النائرة بذلك، ويجمع الكلمة، ويصلح ذات البين.

وإن أنت أبيت الا التهادي في غيِّك، سرت إليك بالمسلمين، فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا، وهو خير الحاكمين»^(١).

مغزى رسالة الإمام الحسن عليه السلام :

١- تعكس هذه الرسالة التصرف الحكيم للخليفة الجديد عليه السلام، فقد وجّه تلك الرسالة إلى معاوية وهو رجل أراد شق عصا الطاعة على إمام المسلمين علي بن أبي طالب عليه السلام ومن بعده ابنه الإمام الحسن عليه السلام. فشرحت الرسالة له تأريخ نزول الدين على محمد المصطفى عليه السلام، وفصّلت له طبيعة الصراع بين قريش وبين أهل البيت عليهم السلام. فقد كان محور الصراع: الولاية الشرعية.

فالرسالة تعبر عن الموعدة الحسنة الحكيمة، التي يفترض بولي الأمر أن يقوم بها تجاه العاصين المنشقين عن إمام الحق عليه السلام. فقام بها الإمام المعصوم عليه السلام على أحسن وجه.

٢- قدح الإمام الحسن عليه السلام في فضيلة معاوية المزعومة، بل نفى له أي فضيلة أو معروف أو أثر محمود في الإسلام، فقد عادى هو وأبوه (أبو سفيان) رسول الله عليه السلام، وجيـش الجيوش لمحاربة إمام الحق علي بن أبي طالب عليه السلام، وجعل الخلافة ملكاً عضواً حيث تمتعت بنو أمية بخيرات البلاد، ومنعوا العباد، وأفسدوا في البلاد. وهذا إسحاق بن راهويه، شيخ البخاري، قال لاحقاً: «إنه لم يصح في فضائل معاوية شيء»^(١).

٣- بيّن الإمام الحسن عليه السلام أنه أحق بولاية الأمر، فهو الإمام المعصوم العادل الذي وجبت طاعته بعنق كل مسلم، كما أفاد رسول الله عليه السلام: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»^(٢). ولذلك فقد دعاه عليه السلام للدخول في بيعته وطاعته وحقن دماء المسلمين.

٤- ثبت الإمام الحسن عليه السلام نقطة مهمة وهي إنه لما إستشهد أبوه علي بن أبي طالب عليه السلام ولّاه المسلمون الأمر من بعده. وبذلك أراد عليه السلام التأكيد على شرعية الولاية.

(١) فتح الباري - ابن حجر / ج ٧ ص ٨٣.

(٢) الارشاد ص ٢٠٤.

فكانت بوصية من رسول الله صلى الله عليه وآله، ووصية من علي بن أبي طالب عليه السلام، وبيعة من المسلمين، وتلك ولاية شرعية كاملة لا يחדشها شيء.

التمادي في الباطل: كتاب معاوية

أدرك معاوية مضمون خطاب الإمام الحسن عليه السلام، فحاول ردّ ما فيه من آراء، فكتب مجاباً الحسن عليه السلام:

«قد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت به محمداً رسول الله من الفضل، وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله: قديمه وحديثه، وصغيره وكبيره، وقد والله بلغ وأدّى، ونصح وهدى، حتى أنقذ الله به من الهلكة، وأنار به من العمى، وهدى به من الجهالة والضلالة، فجزاه الله أفضل ما جزى نبياً عن أمته وصلوات الله عليه يوم ولد، ويوم بعث، ويوم قبض، ويوم يبعث حياً. وذكرت وفاة النبي صلى الله عليه وآله وتنازع المسلمين الأمر بعده، وتغلبهم على أبيك، فصرحت بتهمة أبي بكر الصديق، وعمر الفاروق، وأبي عبيدة الأمين، وحواري رسول الله، وصلحاء المهاجرين والأنصار، فكرهت ذلك لك. إنك امرؤ عندنا وعند الناس غير الظنين، ولا المسيء، ولا اللئيم، وأنا أحب لك القول السديد، والذكر الجميل. ان هذه الأمة لما اختلفت بينها لم تجهل فضلكم، ولا سابقتمكم، ولا قرابتكم من نبيكم، ولا مكانكم في الإسلام وأهله. فرأت الأمة أن تخرج من هذا الأمر لقريش، لمكانها من نبيها، ورأى صلحاء الناس من قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعوامهم، أن يولوا هذا الأمر من قريش أقدمها إسلاماً، واعلمها بالله، وأحبها له، وأقواها على أمر الله، فاختروا أبا بكر، وكان ذلك رأي ذوي الدين والفضل، والناظرين للأمة، فأوقع ذلك في صدوركم لهم التهمة، ولم يكونوا متهمين، ولا فيما أتوا بالمخطئين، لو رأى المسلمون أن فيكم من يغني غناه، ويقوم مقامه، ويذب

عن حريم الإسلام ذبه، ما عدلوا بالأمر إلى غيره، رغبة عنه. ولكنهم عملوا في ذلك بما رأوه صلاحاً للإسلام وأهله، والله يجزيهم عن الإسلام وأهله خيراً.

وقد فهمت الذي دعوتني إليه من الصلح، والحال فيما بيني وبينك اليوم، مثل الحال التي كنتم عليها أنتم وأبو بكر بعد وفاة النبي! فلو علمت: أنك أضبط مني للرعية وأحوط على هذه الأمة، وأحسن سياسة، وأقوى على جمع الاموال، وأكد للعدو، لأجبتك إلى ما دعوتني إليه، ورأيتك لذلك أهلاً. ولكن قد علمت أني أطول منك ولاية، وأقدم منك بهذه الأمة تجربة، وأكبر منك سنًا، فأنت أحق أن تجيبني إلى هذه المنزلة التي سألتني.

فأدخل في طاعتي، ولك الأمر من بعدي، ولك ما في بيت مال العراق من مال بالغاً ما يبلغ تحمله إلى حيث أحببت، ولك خراج أي كور العراق شئت، معونة لك على نفقتك يجيبها أمينك ويحملها إليك في كل سنة، ولك أن لا يستولى عليك بالإساءة، ولا تقضى دونك الأمور، ولا تعصى في أمر أردت به طاعة الله. أعاننا الله وإياك على طاعته، إنه سميع مجيب الدعاء، والسلام»^(١).

وحالما بعث معاوية بالكتاب، وردت له أفكار جديدة فكتب كتاباً آخر للإمام الحسن رضي الله عنه قائلاً: «إما بعد. فان الله عز وجل، يفعل في عباده ما يشاء، ﴿... لَا مُعَقَّبَ حُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٢)، فاحذر أن تكون منيتك على يد رعا من الناس، وائس من أن تجد فينا غميمة»^(٣)، وإن أنت أعرضت عما أنت فيه وبايعتني، وفيت لك بما وعدت، وأجزت لك ما شرطت، وأكون في ذلك كما قال اعشى بني قيس بن ثعلبة:

(١) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٤ ص ١٢.

(٢) سورة الرعد: الآية ٤١.

(٣) الغميمة: المطعن.

وإن أحد أسدى إليك أمانة فأوف بها تدعى إذا مت وافياً
ولا تحسد المولى إذا كان ذا غنى ولا تحفه إن كان في المال فانياً
ثم الخلافة لك من بعدي، فأنت أولى الناس بها والسلام»^(١).

وعندما ورد الكتابان إلى الحسن عليه السلام أيقن عليه السلام بأن معاوية لا تنفع معه الموعظة الحسنة ولا يستقيم معه المنطق، فردّ عليه باقتضاب: «بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد. فقد وصل إليّ كتابك، تذكر فيه ما ذكرت، فتركت جوابك خشية البغي عليك، وبالله أعود من ذلك، فاتبع الحقّ، تعلم أي من أهله. وعليّ إثم أن أقول فأكذب، والسلام».

دلالات كتاب معاوية :

١- أبرز معاوية في رده ذلك صفحة غير صحيحة من التاريخ، حيث تجاهل وصية رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب عليه السلام في غدير خم، قبل واقعة السقيفة بسبعين يوماً فقط حين قال صلى الله عليه وآله للمسلمين: «ان الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعليّ مولاه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار. ألا فليبلغ الشاهد الغائب»^(٢).

ومن قبلها في غزوة تبوك حيث أشاع بعض الذين في قلوبهم مرض أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد ترك عليّاً كرهاً واستثقلاً. فقال صلى الله عليه وآله: «لقد كذبوا، انما خلفتك لمن تركتهم ورائي فارجع وأخلفني في أهلي وأهلك»، وقد تأول قوله تعالى: ﴿... وَقَالَ مُوسَى

(١) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٤ ص ١٢-١٣.

(٢) أسد الغابة / ج ٣ ص ٣٠٧ / ج ٥ ص ٢٠٥.

لأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١﴾. ثم أردف عليه السلام قائلاً موجهاً كلامه إلى علي عليه السلام: «أما ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟». وإلى ذلك اشار ابن أبي الحديد: «... فقد كان معاوية حاضراً يوم الغدير، لأنه حج معهم حجة الوداع؛ وقد كان أيضاً حاضراً يوم تبوك حين قال له بمحضر من الناس كافة: أنت مني بمنزلة هارون من موسى» (٢).

٢- حاول معاوية التقيص من فضل علي عليه السلام. وعلي بن أبي طالب عليه السلام الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث العشيرة والدار عندما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٣)، واستخف به قومه: «يا أبا الحسن، أنت لها، قُضِيَ الْقَضَاءُ وَجَفَّ الْقَلَمُ. يا علي اصطفاك الله بأولها، وجعلك وليَّ آخرها» (٤)، وعندما آثر عليه السلام أن ينام على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل الهجرة نزلت فيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٥). وعندما آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه مع علي عليه السلام في المدينة، فكان محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء وعلي عليه السلام أخوين (٦) في الإيوان والعقيدة، وفي معركة بدر عندما كان المسلمون قلّة بحيث وصفهم القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ (٧). ووصفهم المشركون على لسان أبي جهل: ما هم إلا أكلة رأس، لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد. وبالرغم من اختلاف الروايات في عدد الذين قتلهم

(١) سورة الأعراف: الآية ١٤٢.

(٢) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ١٨ ص ٢٤.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٤) سعد السعود - ابن طاووس ص ١٠٦.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٠٧.

(٦) سيرة ابن هشام - عبد الملك بن هشام / ج ٢ ص ١٥٠.

(٧) سورة آل عمران: الآية ١٢٣.

علي عليه السلام، إلا أن المرجح تأريخياً أنه قتل النصف ممن قُتل في بدر، وكانوا من نخبة قريش وأكابرها وقادتها، خصوصاً من بني أمية، وبني العاص، وآل المغيرة. بينما قتل بقية المسلمين النصف الآخر، ووقف علي عليه السلام منافحاً عن الإسلام طول حياته، ولا نريد في هذا المقام ان نسهب في ذكر فضائل علي عليه السلام، فقد فضلنا ذلك في كتاب (الصديق الأكبر)، ولكننا نريد ان نشير إلى كذب معاوية فيما وصف به علي بن أبي طالب عليه السلام من أوصاف.

٣- حاول معاوية رفع نفسه إلى مستوى الفضيلة، فزعم انه أضبط من الحسن عليه السلام للرعية، وأحسن سياسة، وأقوى على جمع المال، وأكد للعدو. وقد نسي معاوية أنّ الحسن عليه السلام وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله بأعظم الأوصاف وهي صفة الإمامة إن حمل السيف أو قعد عن حمله لاسباب شرعية، فقال صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»^(١). وفي الحسن عليه السلام نزلت آية التطهير: ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢). وكان صلى الله عليه وآله غالباً ما يردد: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»^(٣).

٤- حاول معاوية استخدام قميص عثمان، فاتهم علياً عليه السلام بقتل الخليفة الثالث، مع أن أمير المؤمنين عليه السلام كان من القلة التي دافعت عن عثمان وبعث ولديه الحسن والحسين عليهما السلام أيضاً للدفاع عنه.

٥- وحاول معاوية أخيراً استخدام أسلوبه المعروف في شراء أعدائه بالمال، فقال: «ولك ما في بيت مال العراق من مال بالغاً ما يبلغ»، وهو أسلوب يتعد، على أقل تقدير،

(١) الارشاد ص ٢٠٤.

(٢) سورة الاحزاب: الآية ٣٣.

(٣) المناقب - (ش) / ج ٣ ص ٣٩٤.

عن مباني الدين في إدارة بيت المال. وفيه استهانة بالولاية الشرعية للإمام المعصوم عليه السلام.

(٢٠)

التهيؤ لقتال معاوية

لما علم معاوية ان الإمام الحسن عليه السلام مزع على المسير إلى الشام، كتب إلى جميع ولاته رسالة نصها:

«من معاوية أمير المؤمنين، إلى فلان بن فلان، ومن قبله من المسلمين سلام عليكم. فأني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فالحمد لله الذي كفاكم مؤونة عدوكم، وقتله خليفتمكم [عثمان]. إن الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعلي بن أبي طالب رجلاً من عباده، فاغتاله فقتله، فترك أصحابه متفرقين مختلفين، وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم، يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائهم، فأقبلوا إليّ حين يأتيكم كتابي هذا، بجندكم وجهدكم، وحسن عدتكم، فقد أصبتم بحمد الله الثأر، وبلغتم الأمل، وأهلك الله أهل البغي والعدوان، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»^(١).

ولما وصلت تلك الرسالة إلى عماله وولاته، قاموا بتحريض الناس وحثهم على الخروج والاستعداد، وفي وقت قصير، التحقت به قوى هائلة منظمة، من حيث الكراع والسلاح، والعدد والعدّة، قال أبو الفرج: «فاجتمعت العساكر إلى معاوية بن أبي سفيان، وسار قاصداً إلى العراق»^(٢).

وعندما وصل إلى جسر (منبج) بلغ الإمام الحسن عليه السلام ذلك.

وفي ذلك معانٍ:

(١) مقاتل الطالبين ص ٥٩.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٥٩.

١- كان مقتل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عند معاوية هو اصابة الثأر وبلوغ الأمل وهلاك أهل البيت عليهم السلام، وأهل البيت عليهم السلام بلغة معاوية: أهل البغي والعدوان، وبلغة الله ورسوله عليه السلام: الذين أذهب الله عنه الرجس وطهرهم تطهيراً، ولذلك كانت رسالته إلى ولاته بعيدة عن روح الإسلام وأخلاقه العظيمة في الصدق، والإذعان للحق.

٢- يفصح معاوية في رسالته عن خيانة النخبة من أصحاب الحسن عليه السلام، ويعكسها إلى طلب الأمان لأنفسهم وعشائريهم.

(أ) في الكوفة

وعندما علم الإمام الحسن عليه السلام بتحرك معاوية وجيشه نحو العراق، أمر حبر بن عدي: أن يأمر العمال والناس بالاستعداد للمسير، ونادى المنادي: الصلاة جامعة، فأقبل الناس يثوبون ويجمعون، وأشار الحسن عليه السلام على أصحابه بأن جماعة الناس إذا رضيت فعليهم أن يعلموه، فجاءه سعيد بن قيس الهمداني، واعلمه بالاجتماع فخرج عليه السلام وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أما بعد: فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسمّاه كُفْراً، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: ﴿...وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١). فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون، إلا بالصبر على ما تكرهون. أنه بلغني أنّ معاوية بلغه أنّنا كُنّا أزمعنا على المسير إليه فتحرّك لذلك، فأخرجوا رحمكم الله، إلى معسكركم بالنخيلة، حتى ننظر وتنظروا، ونرى وترؤا»^(٢).

«فسكتوا، فما تكلم منهم أحد ولا أجاب بحرف. فلما رأى ذلك عدي بن حاتم،

(١) سورة الانفال: الآية ٤٦.

(٢) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٤ ص ١٣.

قال: أنا ابن حاتم، سبحان الله، ما أقبح هذا المقام؟ ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم، أين خطباء مضر؟ أين المسلمون؟ أين الخواضون من أهل المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة، فإذا جدّ الجدد فرّوا غون كالثعالب، أما تخافون مقت الله...

ثم استقبل الحسن بوجهه فقال: «أصاب الله بك المرشد، وجنّبك المكاره، ووفّقك لما يحمد ورده وصدره، فقد سمعنا مقاتلك، وانتهينا إلى أمرك، وسمعنا منك، وأطعناك فيما قلت وما رأيت. وهذا وجهي إلى معسكري، فمن أحب أن يوافيني فليواف». ثم مضى لوجهه فخرج من المسجد ودابته بالباب، فركبها ومضى إلى النخيلة، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه، وكان عدي أول الناس عسكرياً.

ثم قام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، ومقل بن قيس الرياحي، وزيايد بن صعصعة التيمي فأنبوا الناس، ولا موهم، وحرصوهم، وكلموا الحسن عليه السلام بمثل كلام عدي بن حاتم في الإجابة والقبول.

فقال لهم الحسن عليه السلام: «صدقتم رحمكم الله، ما زلتُ أعرفكم بصدق النية، والوفاء بالقول، والمودة الصحيحة فجزاكم الله خيراً». ثم نزل وخرج الناس فعسكروا ونشطوا للخروج. وخرج الحسن عليه السلام إلى معسكره، واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب، وأمره بحثّ الناس واشخاصهم إليه، فجعل يستحثهم ويخرجهم، حتى التأم المعسكر^(١).

الدلالات:

١- وقف الإمام الحسن عليه السلام داعياً الناس إلى الجهاد والصبر على ما يكرهون، وقد سمي الله الجهاد كرهاً فقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى

(١) مقاتل الطالبين ص ٦٠.

أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾، وجعل لهم موعداً في معسكر النخيلة خارج الكوفة.

٢- يتبين من القراءة الدقيقة للنصوص أنّ أصحاب الإمام الحسن عليه السلام كانوا أقلّة قليلة من المؤمنين، منهم: عدي بن حاتم، وقيس بن سعد، ومعقل بن قيس، وزيايد بن صعصعة وغيرهم، أما الأغلبية من الناس فقد كان هواها مع عدم القتال، كان موقف الإمام عليه السلام مع الناس صعباً للغاية. فواجهه الشرعي هو ان يكلف الناس بالقتال، ولكن إذا تناقل الناس عن الجهاد، فما عساه أن يفعل؟

وجاء المتناقلون:

وعندما جاء المتناقلون، والإمام الحسن عليه السلام يعرفهم جيداً، وحاولوا إظهار الطاعة زوراً فقالوا: أنت خليفة أبيك ووصيه! ونحن السامعون المطيعون لك فمرنا بأمرك!
أجابهم الإمام عليه السلام: «كذبتم والله ما وفيتم لمن كان خيراً مني، فكيف تفنون لي؟ وكيف أطمئن إليكم، ولا أثق بكم، إن كنتم صادقين فموعد ما بيني وبينكم معسكر المدائن فوافوا إلى هناك».

فركب وركب معه من أراد الخروج، وتخلف عنه كثير، فما التزموا بما قالوا، ولا وفوا بما وعدوا، وغروه كما غروا أمير المؤمنين عليه السلام من قبله، فقام خطيباً، وقال: «غررتوني كما غررتم من كان من قبلي، مع أيّ إمام تقاتلون بعدي؟ مع الكافر الظالم الذي لم يؤمن بالله ولا برسوله قطّ، ولا أظهر الإسلام هو وبنو أمية إلا فرقاً من السيف؟ ولو لم يبق لبني أمية إلا عجوز درداء لبغت دين الله عوجاً. وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله»^(١).

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

(٢) بحار الأنوار / ج ٤٤ ص ٤٣.

مقدمات الحرب:

وجه الإمام الحسن رضي الله عنه قائداً يدعى الحَكَمُ في أربعة آلاف، وكان من كندة وأمره رضي الله عنه أن يعسكر بالأنبار ولا يحدث شيئاً حتى يأتيه أمره^(١)، لكن معاوية أغراه فانقلب إليه. وأبلغ الإمام رضي الله عنه بذلك، فبعث رجلاً من مراد في أربعة آلاف أخرى، فغدر المرادي أيضاً وانضمَّ إلى معاوية.

الحَكَمُ والمرادي: الغدر المبيت

وتفصيل ذلك: أنه عندما نزل الحَكَمُ في الأنبار، وعلم معاوية بذلك «بعث إليه رسالاً وكتب إليه معهم: أنك إن أقبلت إليّ، أولئك بعض كور الشام والجزيرة، غير منفس عليك، وأرسل إليه بخمسة ألف درهم، فقبض الكندي المال وانقلب على الحسن رضي الله عنه، وصار إلى معاوية في مائتي رجل من خاصته وأهل بيته، فبلغ ذلك الإمام الحسن رضي الله عنه فقام خطيباً، وقال:

«هذا الكنديّ توجّه إلى معاوية، وغدر بي وبكم، وقد أخبرتكم مرة بعد مرة أنه لا وفاء لكم، أنتم عبيد الدنيا، وأنا موجه رجلاً آخر مكانه، وإني اعلم أنه سيفعل بي وبكم ما فعل صاحبه، ولا يراقب الله في ولا فيكم»^(٢).

وعندما وصل المرادي إلى الأنبار في أربعة آلاف أرسل معاوية إليه رسالاً وكتب إليه بمثل ما كتب إلى صاحبه، وبعث إليه بخمسة آلاف درهم ومناه أي ولاية أحب من كور الشام والجزيرة، فانقلب على الحسن رضي الله عنه، وأخذ طريقه إلى معاوية، ولم يحفظ ما أخذ عليه من العهود. وبلغ الحسن رضي الله عنه ما فعل المرادي، فقام خطيباً، فقال: «قد أخبرتكم مرة

(١) بحار الأنوار / ج ٤٤ ص ٤٣.

(٢) بحار الأنوار / ج ٤٤ ص ٤٣.

بعد أخرى أنكم لا تفون الله بعهود، وهذا صاحبكم المرادي غدر بي وبكم، وسار إلى معاوية^(١).

قال الشيخ المفيد (ت ١٣٤ هـ) يصف جيش الإمام عليه السلام: «ومع الحسن عليه السلام أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه، وبعضهم محكمة (خوارج) يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة [ولم يكن همهم نصر الحسن عليه السلام]، بل كان هدفهم قتال معاوية]، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكاك، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين»^(٢).

(ب) في النخيلة

وانتهز معاوية خيانة هؤلاء القادة، فكتب إلى الحسن عليه السلام يدعو إليه، ويعلمه بغدر الناس به وبأبيه عليه السلام من قبل.

ولكن الإمام الحسن عليه السلام، ومن أجل إلقاء الحجة كاملة على أهل الكوفة، أصر على دعوتهم إلى معسكره بالنخيلة، وكان عليه السلام هو أول من سار على طريق النخيلة وعسكر هناك، وبقي عشرة أيام، فلم يحضره إلا أربعة آلاف.

ثم انصرف راجعاً إلى الكوفة، فصعد المنبر وقال: «يا عجباً من قوم لا حياء لهم ولا دين، ولو سلمت له الأمر فإيم الله لا ترون فرجاً أبداً مع بني أمية، والله ليسومونكم سوء العذاب حتى تتمنوا أن عليكم جيشاً جيشاً، ولو وجدت أعواناً ما سلمت له الأمر لأنه محرّم على بني أمية، فأف وترحاً يا عبيد الدنيا»^(٣).

(١) بحار الأنوار / ج ٤٤ ص ٤٣.

(٢) الإرشاد ص ١٧١.

(٣) بحار الأنوار / ج ٤٤ ص ٤٣.

ثم كتب عليه السلام جواباً لمعاوية: «إنما هذا الأمر لي والخلافة لي ولأهل بيتي، وإنها محرمة عليك وعلى أهل بيتك، سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله والله لو وجدت صابرين عارفين بحقي، غير منكرين، ما سلمت لك، ولا أعطيتك ما تريد»^(١).

(ج) في المدائن

ثم توجه الإمام عليه السلام من الكوفة إلى المدائن بجيشه المتواضع حتى أتى دير عبد الرحمن، فأقام به ثلاثاً حتى اجتمع الناس، ثم دعا عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب فقال له: «يا بن عمّ، إني باعث معك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب وقرّاء المصر الرجل منهم يزن الكتبية. فسر بهم وألن جانبك وابسط وجهك، وافرش لهم جناحك، وأدّهم من مجلسك فإنهم بقية ثقة أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وسر بهم على شطّ الفرات، حتى تقطع بهم الفرات، ثم تصير إلى (مسكن)، ثم امض حتى تستقبل معاوية، فإن أنت لقيته فاحبسه حتى آتيك، فإني في أثرك وشيكاً، وليكن خبرك عندي كلّ يوم، وشاور هذين - يعني قيس بن سعد، وسعيد بن قيس - فإذا لقيت معاوية فلا تقاتلنه حتى يقاتلك، فان فعل فقاتل، فإن أصبت فقيس بن سعد على الناس، وإن أصيب قيس، فسعيد بن قيس على الناس»^(٢).

ثم أمره بما أراد. و«سار عبيد الله حتى انتهى إلى شينور، حتى خرج إلى شاهي، ثم لزم الفرات والفالوجة حتى أتى مسكن»^(٣).

«وأخذ الحسن عليه السلام على حمام عمر حتى أتى دير كعب، ثم بكر فنزل ساباط دون

(١) بحار الأنوار / ج ٤٤ ص ٤٣.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٤٠.

(٣) مقاتل الطالبين ص ٤٠.

القنطرة. فلما أصبح نودي في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمعوا، وصعد المنبر فخطبهم، فحمد الله، فقال:

«الحمد لله كلّمنا حمده حامد، وأشهد أن لا إله إلا الله كلّمنا شهد له شاهد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أرسله بالحق، وأتتمنه على الوحي عليه السلام.

أما بعد. فوالله اني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنّه، وأنا أنصح خلق الله لخلقهم، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضعيفته، ولا مريداً له سوءاً ولا غائلةً، ألا وإنّ ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبّون في الفرقة، ألا وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردّوا عليّ رأيي، غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرّضا»^(١).

ففهم من كان حاضرًا نية الإمام عليه السلام مهادنة معاوية وعدم قتاله، فكثرت اللغظ بينهم، وقام بعضهم بنهب متاع الحسن عليه السلام، وطعن الإمام عليه السلام بخنجر مسموم، فوقعت الضربة في ساقه، فسقط الحسن عليه السلام إلى الأرض، وحمل عليه السلام وهو جريح إلى المدائن، وكان بها سعد بن مسعود الثقفي والياً عليها من قبله، وكان علي عليه السلام قد ولّاه فأقره الحسن بن علي عليه السلام، فأقام عنده يعالج نفسه.

(٢١)

الخيانة الكبرى

وعندما نزل معاوية في (مسكن) في قرية يقال لها الجنوبية، أقبل عبيد الله بن العباس أحد قواد جيش الإمام عليه السلام، فنزل بازائه. وحصلت مناوشات بين الفريقين. وعندما أرخى الليل سدوله، استخدم معاوية أسلوباً في الدهاء فبعث إلى عبيد الله بن العباس،

(١) المستدرک علی الصحیحین / ج ٣ ص ١٧٤.

وأدعى بأن الحسن عليه السلام قد راسله في الصلح وهو مسلّم الأمر إليه، وكتب معاوية: فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، وإلا دخلت وأنت تابع. ولك إن جئني الآن أن اعطيك ألف ألف درهم، يعجل لك في هذا الوقت النصف وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر. فانسلّ عبيد الله ليلاً، فدخل معسكر معاوية، فوفى له بما وعده^(١).

كان امتحان الحسن عليه السلام صعباً للغاية، فقد سار معاوية بجيشه نحو العراق، وعزم الإمام عليه السلام على مقابلته، وحرّض الناس على قتاله، ولكن الناس ثاقلت عن القتال، وكانت تمد أعناقها لأموال معاوية وأمانيه. وكان قادة جيش الإمام عليه السلام يتسللون من معسكر الحسن عليه السلام، مغترين بوعود معاوية.

بل راسل زعماء أهل الكوفة معاوية ووعدوه بتسليم الإمام عليه السلام إليه. وكانوا بعد ذلك يأتون إلى الإمام عليه السلام فيظهرون له الطاعة والولاء، ويقولون له: أنت خليفة أبيك ووصيه، ونحن السامعون المطيعون لك، فمرنا بأمرك!

وكانت سياسة معاوية مبتنية على أساس إغراء قادة جيش الحسن عليه السلام، بالمال، والأمان، والمناصب، مقابل التخلي عن القتال، والتخلي عن إمامهم عليه السلام. ولما رأى الإمام الحسن عليه السلام افتتان أصحابه بإغراءات معاوية، قال لهم بمرارة:

«ويلكم! والله إن معاوية لا يفي لأحدٍ منكم بما ضمنه في قتلي، وإني أظنّ إن وضعتُ يدي في يده فأسلمه، لم يتركني أدين لدين جدّي، وأني أقدر أن أعبد الله عز وجل وحدي، ولكنّي كأني أنظر إلى أبنائكم، واقفين على أبواب أبنائهم، يستسقونهم ويستطعمونهم، بما جعل الله لهم، فلا يسقون ولا يطعمون، فبعداً وسحقاً لما كسبته أيديهم، فسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون!».

(١) مقاتل الطالبين ص ٤٢.

وأمام هذا الموقف الصعب الذي تمثل في تضارب الولاءات في جيش الحسن عليه السلام بسبب المال والتشاغل عن الجهاد، أراد الإمام عليه السلام تذكيرهم بأن الموت في ذات الله عز وجل أمضى من الحياة في معصيته، فقال لهم:

«أما والله ما ثننا عن قتال أهل الشام ذلّة ولا قلّة، ولكن كنّا نقاتلهم بالسلامة والصبر، فثيب السلامة بالعدواة، والصبر بالجزع، وكنتم في مسيركم إلى صفّين ودينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم اليوم وديناكم أمام دينكم، وكنّا لكم وكنتم لنا، وقد صرتم اليوم علينا، ثم أصبحتم تصدّون قتيلين، قتيلاً بصفّين تبكون عليه، وقتيلاً بالنهر وان تطلبون بثأره. فأما الباكي فخاذل، وأما الطالب فثائر. وإنّ معاوية قد دعا إلى أمر ليس فيه عزّ، ولا نصفة. فإن أردتم الحياة قبلناه منه، وأغضينا على القذى، وإن أردتم الموت بذلناه في ذات الله، وحاكمناه إلى الله [بظبات السيوف]».

فكان جوابهم: البُقيّة البُقيّة والحياة على الموت والجهاد^(١).

وهكذا أدرك الإمام عليه السلام أن جيش الكوفة غير قادر على القتال، وأنّ ألقامه في قتال غير متوازن مع معاوية، يعني هزيمة عسكرية قاسية، وانهمازماً للمبدأ، لأن انتصاراً عسكرياً لمعاوية يعني سحق فكرة الولاية، لاسيما أن الناس لم تختبر ولاية أهل البيت عليهم السلام بما فيه الكفاية، ولم تتعود على معاناتهم الأبدية في سبيل الدين.

خيانة النخبة:

ولم ينحصر الأمر في هبوط معنويات الجنود، بل تعدى إلى خيانة القادة وأصحاب الشرف، وهم النخبة من أصحابه عليهم السلام، وتنازعهم في أمر معاوية، وفشلهم في التخطيط السياسي، وبلغ الأمر ذروته عندما بلغه عليه السلام كتاب قيس بن عباد، نجبره عن بتوجه أهل

(١) بحار الأنوار/ ج ٧٥ ص ١٠٧.

العراق إلى معاوية، فدعا عليه السلام حينئذ أصحابه وقال لهم:

«يا أهل العراق ما أصنع بجماعتكم معي وهذا كتاب قيس بن سعد^(١)، يخبرني بأن أهل الشرف منكم قد صاروا إلى معاوية. أما والله ما هذا بمنكر منكم؛ لأنكم أنتم الذين أكرهتم أبي يوم صفين على الحكمين، فلما أمضى الحكومة وقبّل منكم اختلافتم، ثم دعاكم إلى قتال معاوية ثانية فتوانيتم. ثم صار إلى ما صار إليه من كرامة الله إياه. ثم إنكم بايعتموني طائعين غير مكرهين، فأخذت بيعتكم وخرجت في وجهي هذا. والله يعلم ما نويت فيه، فكان منكم إلى ما كان. يا أهل العراق! فحسبي منكم، لا تغروني في ديني فإنّي مسلمٌ هذا الأمر إلى معاوية...»^(٢).

دلالات خيانة النخبة:

١- لاشك أنّ خيانة النخبة تعدُّ من أعظم الانتكاسات التي تصيب الحركات الدينية والاجتماعية. لأن الإمام أو الزعيم إنما يعتمد على النخبة في تنظيم العمل الاجتماعي مع الأمة، وقراءة دقيقة في خطاب الإمام الحسن عليه السلام تكشف ذلك فهو يقول: «... وهذا كتاب قيس بن سعد يخبرني بأن أهل الشرف منكم قد صاروا إلى معاوية». فإذا كان أهل الشرف (وهم النخبة التي تطيع الإمام وتنقل أفكاره إلى الناس) قد تخلّوا عن الإمام عليه السلام، فإن أي تحرك اجتماعي بدونها يعني الانتحار بعينه.

٢- إنّ طبيعة تغير سياسة النخبة من أهل الشرف، كان غريباً. فلم تكن لديهم

(١) قال ابن سعد كاتب الواقدي: «ولم يزل قيس بن سعد مع علي حتى قتل علي، فصار مع الحسن بن علي. فوجهه على مقدمته يريد الشام. ثم صالح الحسن بن علي معاوية، فرجع قيس إلى المدينة فلم يزل بها حتى توفي في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان» الطبقات الكبرى لابن سعد / ج ٦ ص ٣٤.

(٢) الفتوح / ج ٣ ص ٢٩١.

الجرأة على مواجهة الإمام الحسن عليه السلام في البداية، وكانوا يظهرون له الولاء والسمع والطاعة وكان لسان حالهم يقول: «نحن السامعون المطيعون لك فمرنا بأمرك». ولكن الحسن عليه السلام اكتشف خيانتهم عبر رسالة قيس بن سعد، وهذا في غاية الخطورة؛ لأن ذلك الموقف كان قد دبر لبيل، أي أنه كان خيانة بكل معنى الكلمة.

٣- لم يكن أمام الإمام الحسن عليه السلام إلا إمضاء الهدنة مع معاوية، وهو عليه السلام كاره. لأن قتال معاوية لم يكن ليتم في الوضع الذي شرحناه للتو، فكيف يُقاتل معاوية، وأركان جيش الحسن عليه السلام قد استسلموا للعدو قبل البدء بالقتال.

اكتمال المؤامرة:

وعندما اكتملت مؤامرة أهل الكوفة على الإمام الحسن عليه السلام بمحاولة قتله، أو محاولة اختطافه وتسليمه إلى معاوية حياً، دخل عليه زيد بن وهب الجهني وأخبره باضطراب الناس وتخيرهم في أمرهم، وسأله ماذا يقدر لهم، فأجابه الإمام عليه السلام - وكان متوجعاً بسبب الطعنة - وقد عدد له مثالبهم، فقال:

«... هؤلاء يزعمون أنهم لي شيعة، ابتغوا قتلي، وانتهبوا ثقتي، وأخذوا مالي، والله لئن أخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي، وآمن به في أهلي، خير من أن يقتلوني فيضيع أهل بيتي وأهلي^(١). والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً، فوالله لئن أسأله وأنا عزيز، خير من أن يقتلني وأنا أسير، أو يمنّ عليّ فيكون سبباً على بني هاشم إلى آخر الدهر، ومعاوية لا يزال يمنّ بها وعقبه على الحيّ منا والميت»^(٢).

فيسمع زيد بن وهب ذلك، وهاله ان يتعرض الإمام الحسن عليه السلام إلى تلك المعاملة

(١) أهل بيتي: أهل بيت النبوة عليهم السلام. أهلي: يقصد شيعتي.

(٢) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي / ج ٢ ص ١٠.

من أصحابه، فيسأله عن مصير شيعته بعد الهدنة، فيقول له الحسن رضي الله عنه:

«وما أصنع يا أخا جهينة؟ إني والله، لأعلم بأمرٍ قد أدى به إليّ عن ثقاته، إن أمير المؤمنين رضي الله عنه قال لي ذات يومٍ وقد رأني فرحاً: يا حسن أتفرح؟ كيف بك إذا رأيت أباك قتيلاً! أم كيف بك إذا ولي هذا الأمر بنو أمية، وأميرها الرحب البلعوم، الواسع الأعفاج. يأكل ولا يشبع، يموت وليس له في السماء ناصر، ولا في الأرض عاذر. ثم يستولي على شرقها وغربها، تدين له العباد، ويطول ملكه. يستن بسنن البدع والضلال، ويميت الحقّ وسنة رسول الله ﷺ. يقسم المال في أهل ولايته، ويمنعه من هو أحقّ به، ويدلّ في ملكه المؤمن، ويقوي في سلطانه الفاسق. ويجعل المال بين أنصاره دُولاً، ويتخذ عباد الله خولاً، يدرس في سلطانه الحقّ، ويظهر الباطل، ويلعن الصالحين، ويقتل من ناواه على الحقّ، ويدين من والاه على الباطل. وكذلك حتى يبعث الله رجلاً في آخر الزمان، وكُلب من الدهر^(١)، وجهل من الناس، يؤيده الله بملائكته، ويعصم أنصاره وينصره بآياته، ويظهره على الأرض، حتى يدينوا له طوعاً وكرهاً، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، ونوراً وبرهاناً، يدين له عرض البلاد وطولها، لا يبقى كافر إلا آمن، ولا طالح إلا صلح، ويصطلح في ملكه السباع، وتخرج الأرض نبتها، وينزل من السماء بركتها، وتظهر له الكنوز، يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً، فطوبى لمن ادرك أيامه وسمع كلامه»^(٢).

دلالات محاولات الاغتيال:

١- إن محاولة اغتيال الإمام الحسن رضي الله عنه، ومحاولة تسليمه أسيراً إلى معاوية كانتا من أخطر المحاولات التي قام بها اعداء أهل البيت رضي الله عنهم، الذين كانوا يتظاهرون بالولاء، ويضمرون العداة لهم.

(١) كُلبُ الزمان: شدة حاله وضيقة.

(٢) معادن الحكمة - الكاشاني / ج ٢ ص ٢٥.

٢- لو إفترضنا أنه تم أسر الإمام الحسن عليه السلام من قبل بعض اصحابه المزعومين، وتم تسليمه إلى معاوية، وبدل ان يقتله معاوية يمنّ عليه بفكّك رقبتة، لكان ذلك - في عرف العرب - عاراً على بني هاشم. ولذلك قال عليه السلام: «... فوالله لئن أسأله وأنا عزيز، خيرٌ من أن يقتلني وأنا أسيره، أو يمنّ عليّ فيكون سبّةً على بني هاشم إلى آخر الدهر...». ولذلك كان قرار الإمام الحسن عليه السلام بالهدنة مع معاوية قراراً لاحتفظ فيه المتغيرات التالية:

أ- أراد بعض الاتباع قتل الإمام عليه السلام، وانتهاب ماله وبيته. وهذا في منتهى القباحة، لأنه لم يحصل مع أي من الرسل أو أئمة أهل البيت عليهم السلام أو الصالحين، فلم يذكر لنا التاريخ يوماً أن مجموعة من أصحاب المصلح أو الإمام تأمروا عليه وسلموه إلى عدوه. نعم، يمكن أن يقوم العدو بذلك، لكن لم نعهد في التاريخ أن أصحاب المصلح أو الإمام فعلوا ذلك، فكانت فعلتهم تلك سابقة لم يسبقهم فيها أحد في التاريخ.

ب- أصبح عهد الهدنة الذي تحدث عنه الإمام عليه السلام سابقاً، هو الخيار الوحيد الذي لا مفر منه، فعن طريق الهدنة يستطيع الإمام عليه السلام، وهو عزيز الجانب، أن يشترط شروطاً واقعية على معاوية، ولسوف تبقى تلك الشروط في عنق معاوية وفي بها أو تراجع عنها أو خالفها.

ج- لو إفترضنا أن الإمام الحسن وأهل بيته وأخاه الحسين عليهم السلام قد دخلوا الحرب مع معاوية بتلك الطريقة، واستشهدوا جميعاً لكانت تلك نهايةً لدور أئمة أهل البيت عليهم السلام في الحياة الدينية والاجتماعية للمسلمين، وهذا مخالف لوصية رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد أوصى عليه السلام علياً عليه السلام وآل البيت عليهم السلام بالصبر والانتظار حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

٣- تنبأ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأن معاوية سوف يستولي على حكم المسلمين،

وتدين له العباد ويطول ملكه فيميت الحق ويُظهر الباطل، فينتشر الظلم في كل مكان. وقد صدق علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد تحقق كل ما تنبأ به من ملك بني أمية، وظلمهم العباد، وفسادهم في الأرض، وهذا يعني بأن الله عز وجل أكرمهم بكشف مقدار من الغيب لهم.

٤- أعلن الإمام عليه السلام أيضاً ظهور المهدي عليه السلام في آخر الزمان من أجل أن ينشر العدل الالهي مقابل الظلم الذي نشره بنو أمية بين الناس، وتلك إشارة إلى أن الظلم لن يدوم، وأن العدل سيتحقق على الأرض في آخر الزمان.

(٢٢)

الهدنة مع معاوية

وعندما أدرك الإمام عليه السلام القدرة القتالية المحدودة لجيشه، ورأى المصلحة الشرعية في مهادنة معاوية، كتب إليه:

«أما بعد. فإن خطبي انتهى إلى اليأس من حقّ أحييته، وباطل أمته. وخطبك خطب من انتهى إلى موارده، وإني أعترزل هذا الأمر وأخليه لك. وإن كان تحلّيتي إياه شرّاً لك في معادك. ولي شروط أشترطها، لأبتهظنك إن وفيت لي بها بعهد، ولا تخف إن غدرت^(١). وستندم يا معاوية كما ندم غيرك، ممّن نهض في الباطل أو قعد عن الحقّ، حين لم ينفع الندم والسلام».

وفي تعبير آخر ان الإمام الحسن عليه السلام كتب لمعاوية: «أما بعد: فإنني كنت أريد أن أحيي الحقّ وأميت الباطل، وأنفذ حكم الكتاب والسنة، ولم يوافقني الناس على ذلك. والآن أصالحك على شروط، اعلم أنّك لا تفني بها. ولا تفرح بما تيسر لك من هذه الرئاسة،

(١) وكتب الشرط في كتاب آخر فيه يمنيّه بالوفاء وترك الغدر.

وعمّا قريبٍ ستندم كما ندم من مضى قبلك، ولا تنفَعك الندامة».

قال الشيخ المفيد (ت ١٣٤هـ): «كتب إليه معاوية في الهدنة والصلح، وأنفذ إليه بكتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك به، وتسليمه إليه، فاشتراط له على نفسه في إجابته إلى صلحه شروطاً كثيرة، وعقد له عقوداً كان في الوفاء بها مصالح شاملة.

فلم يثق به الحسن عليه السلام وعلم باحتياله بذلك واغتياله، غير أنه لم يجد بداً من إجابته إلى ما التمس من ترك الحرب وإنفاذ الهدنة، لما كان عليه أصحابه مما وصفناه من ضعف في البصائر في حقه، والفساد عليه، والخلف منهم له، وما انطوى عليه كثيرٌ منهم في استحلال دمه، وتسليمه إلى خصمه، وما كان من خذلان لابن عمه له^(١)، ومصيره إلى عدوه، وميل الجمهور منهم إلى العاجلة، وزهدهم في الآجلة، فتوثق عليه السلام لنفسه من معاوية بتوكيد الحجة عليه، والاعذار فيما بينه وبين الله تعالى، وعند المسلمين كافة...»^(٢).

وهكذا انتهت خلافة الإمام الحسن عليه السلام التي استمرت ستة أشهر وثلاثة أيام.

(٢٣)

وثيقة الهدنة

ولما انتهى الأمر إلى المهادنة مع معاوية، كتب الإمام عليه السلام وثيقة الهدنة بشروطها، في الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ٤١ للهجرة، ثم أعاد كتابتها عبد الله بن عامر -رسول معاوية إلى الإمام الحسن عليه السلام- وأخذها إلى معاوية، و فقرات الوثيقة متناثرة في المصادر التاريخية، ويمكن جمعها وصياغتها بالشكل التالي:

(١) وهو عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الذي خانته معاوية، وكان معه وقت خيافته

اثنا عشر ألفاً من فرسان العرب.

(٢) الإرشاد ص ١٧٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب، معاوية بن أبي سفيان.

صالحه: على أن يعمل فيهم بكتاب الله، وبسنة رسوله صلى الله عليه وآله (١).

وليس لمعاوية بن أبي سفيان: أن يعهد لأحد - من بعده - عهداً بل يكون الأمر للحسن من بعده (٢)، فإن حدث به حدث، فلا أخيه الحسين (٣).

وأن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة، وأن لا يذكر علياً إلا بخير (٤).

واستثناء ما في بيت مال الكوفة، وهو خمسة آلاف ألف، على معاوية أن يحمل إلى الحسين كل عام ألفي ألف درهم. وأن يفضل بني هاشم في العطاء... وأن يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين - يوم الجمل - وأولاد من قتل معه - بصفين - ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك، من خراج (دار أجرد) (٥).

وعلى أن الناس آمنون، حيث كانوا من أرض الله، في شامهم، وعراقهم، وحجازهم، ويمنهم، وأن يؤمن الأسود والأحمر، وأن يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم، وأن لا يتبع أحداً بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق بإحنة (٦).

وعلى أمان أصحاب علي حيث كانوا، وأن لا ينال أحداً من شيعة علي بمكروه،

(١) المناقب - (ش) / ج ٣ ص ١٩٥.

(٢) تاريخ الخلفاء - السيوطي ص ١٩، البداية والنهاية / ج ٨ ص ٤١.

(٣) عمدة الطالب ص ٥٢.

(٤) مقاتل الطالبين ص ٢٦.

(٥) تاريخ الطبري - محمد بن جرير الطبري / ج ٦ ص ٩٢. دار أجرد: ولاية بفارس على حدود الأهواز.

(٦) مقاتل الطالبين ص ٢٦. والإحنة: الحقد في الصدور.

وأن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم، وأموالهم، ونسائهم، وأولادهم، وأن لا يتعقب عليهم شيئاً، وأن لا يتعرض لأحدٍ منهم بسوءٍ، ويوصل إلى كل ذي حقٍ حقه. وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله، وميثاقه، وما أخذ الله على أحدٍ من خلقه، بالوفاء بما أعطى من نفسه.

وعلى أن لا يبغى للحسن بن علي، ولا لأخيه الحسين، ولا لأحدٍ من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله غائلةً سرّاً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أفقٍ من الآفاق^(١)، شهد عليه بذلك الله، وكفى بالله شهيداً، والسلام^(٢).

وعندما وصل الكتاب (الوثيقة) إلى معاوية، أعاد معاوية كتابة جميع ذلك بخطه، وختمه بخاتمه، وبذل عليه العهود المؤكدة، والأيمان المغلظة، وأشهد على ذلك جميع رؤساء أهل الشام، وكتب بهامشه: «وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه، وما أخذ الله على أحدٍ من خلقه، بالوفاء، وبما أعطى الله من نفسه»^(٣). ووجه به إلى عبد الله بن عامر، فأوصله إلى الحسن عليه السلام^(٤).

دلالات وثيقة الهدنة:

إنّ دراسة متأنية لما وصلنا تاريخياً من وثيقة الهدنة بيّن لنا أنّ الإمام الحسن عليه السلام حاول الحفاظ على مبدأ الدين، والولاية، والموازين، فقد راعى الإمام المعصوم الواجب الطاعة عليه السلام - مبدئياً - حقوق الدين والإمامة، وناصح عن الأمة عبر صيانة مالها، ونفسها، وعرضها، وهنا لا بد من طرح المعالم التالية:

(١) بحار الأنوار/ ج ٤٤ ص ٦٥.

(٢) الإمامة والسياسة ص ٢٠٠.

(٣) بحار الأنوار/ ج ٤٤ ص ٦٥.

(٤) الإمامة والسياسة ص ٢٠٠.

أولاً: نستطيع أن نفكك الوثيقة بأفكارها الدينية والاجتماعية، فتكون مؤلفة من خمسة أفكار اساسية، هي:

- ١- العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله.
- ٢- العهد للإمام الحسن عليه السلام بعد موت معاوية.
- ٣- رفع سب أمير المؤمنين عليه السلام من على المنابر.
- ٤- إبقاء ما تبقى من بيت مال الكوفة بيد الحسن عليه السلام. وإجراء نظام عطاء مالي معين لبني هاشم، وأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، من اليتامى والأرامل.
- ٥- إعطاء الأمان لجميع الناس في أموالهم، وأنفسهم، واعراضهم. وإعطاء الأمان بالخصوص لشعبة علي عليه السلام، وعدم إيدائهم، أو التعرض لهم، وعدم البغي على ذرية النبي صلى الله عليه وآله، لاسيماً الحسنين عليه السلام، ومن تعلق بهما.

ثانياً: هادن الإمام الحسن عليه السلام معاوية على أن لا يسميه أمير المؤمنين و«لا يقيم عنده شهادة، وعلى أن لا يتعقب على شيعة عليّ شيئاً...»^(١)، وكان من تدبير الإمام الحسن عليه السلام أنه قد أسقط إمرة المؤمنين عن معاوية، وفي هذا تأكيد على عدم أهلية معاوية لإمارة المؤمنين وإدارة الدولة، فهي ليست مبايعة لمعاوية، كما يزعم البعض. بل هي مهادنة، حتى يتم الله أمراً كان مفعولاً.

قال «يوسف: فسمعت القاسم بن محيصة يقول: ما وفي معاوية للحسن بن علي عليه السلام بشيء عاهده عليه، وإني قرأت كتاب الحسن عليه السلام إلى معاوية يعدُّ عليه ذنوبه إليه، وإلى شيعة علي عليه السلام، فبدأ يذكر عبد الله بن يحيى الحضرمي، ومن قتلهم معه.

(١) التاريخ الكبير - محمد بن إسماعيل البخاري / ج ٨ رقم ٣٣٧٥ رواها الشيخ الصدوق بأسناده عن يوسف بن مازن الراسبي.

فتقول رحمك الله: إنَّ ما قاله يوسف بن مازن من أمر الحسن عليه السلام ومعاوية عند أهل التمييز والتحصيل تسمى المهادنة والمعاهدة. ألا ترى كيف يقول: ما وفي معاوية للحسن بن علي عليه السلام بشيء عاده عليه وهادنه ولم يقل بشيء بايعه عليه. والمبايعة على ما يدعيه المدعون على الشرائط التي ذكرناها، ثم لم يف بها لم يلزم الحسن عليه السلام، وأشد ما هاهنا من الحجة على الخصوم معاهدته إياه أن لا يسميه أمير المؤمنين، والحسن عليه السلام عند نفسه لا محالة مؤمن، فعاهده أن لا يكون عليه أميراً. إذ الأمير هو الذي يأمر فيؤتمر له، فاحتال الحسن صلوات الله عليه [حيلة تدبير] لإسقاط الإتيار لمعاوية إذا أمره أمراً على نفسه، والأمير هو الذي أمره مأمور من فوقه، فدلل على أنه عليه السلام لم يؤمره عليه ولا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أمره عليه»^(١).

ثالثاً: إنَّ وثيقة الهدنة تدلّ على أنّ من تبقى من خاصة شيعته عليهم السلام لا يقومون لجيش معاوية، قال الطبرسي في إعلام الوري: «وإنما هادنه عليه السلام خوفاً على نفسه، إذ كتب إليه [أي معاوية] جماعة من رؤساء أصحابه في السر بالطاعة، وضمنوا له تسليمه إليه عند دنوّهم من عسكره، ولم يكن منهم من يأمن غائلته، إلا خاصة من شيعته لا يقومون لأجناد الشام»^(٢).

(٢٤)

خطبة الإمام الحسن عليه السلام بعد الهدنة

ولما تمت كتابة الوثيقة، وتم التوقيع عليها، خرج الإمام الحسن عليه السلام للقاء معاوية، وكان الإمام عليه السلام في المدائن، وفيها خطب بالناس، فقال عليه السلام:

«ألا إن أمر الله واقع، وإن كرهه الناس، وإني ما أحب أن يكون لي من أمر أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم

(١) علل الشرائع الباب ١٥٩ ص ٢١٢.

(٢) إعلام الوري / ج ١ ص ٤٠٣.

مثقال حبة من خردلٍ يهراق فيه ملء محجمة من دم إذ علمت ما ينفعني مما يضرني، وإني لا أجدني لأحد لي ولكم، فاحلقوا بطمأنينتكم»، يعني بأمنكم^(١).

وبعد ذلك تحرك الركبان إلى النخيلة، ولما اجتمعوا قام معاوية خطيباً فصعد المنبر ثم تكلم. فقال، خلافاً لنصوص الاتفاق: «أيها الناس هذا الحسن بن علي، وابن فاطمة، رأنا للخلافة أهلاً، ولم ير نفسه لها أهلاً، وقد أتانا ليباع طوعاً». ثم دعا الحسن عليه السلام للخطاب، فقام الإمام خطيباً فقال عليه السلام في خطبته المفصلة المعروفة:

«الحمد لله المستحمد بالآلاء وتتابع النعماء، وصارف الشدائد والبلاء عن الفهماء وغير الفهماء، المدعين من عباده لامتناعه بجلاله وكبريائه، وعلوه عن لحوق الأوهام ببقائه، المرتفع عن كنه تظنيات المخلوقين، من أن تحيط بمكنون غيبه روايات عقول الرائيين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده في ربوبيته، ووجوده ووحدانيته، صمداً لا شريك له، فرداً لا ظهير له معه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اصطفاه وانتجبه وارفضاه وبعثه داعياً إلى الحق سراجاً منيراً، وللعباد مما يخلفون نذيراً، ولما يأملون بشيراً، فنصح للأمة، وصدع بالرسالة، وأبان لهم درجات العمالة، شهادة عليها أموت وأحشر، وبها في الآجلة أقرب وأحبر.

وأقول معشر الخلائق فاسمعوا ولكم أفئدة وأسماع فعوا، إنا أهل بيتٍ أكرمنا الله بالإسلام، واختارنا واصطفانا واجتباننا، فأذهب عنا الرجس، وطهرنا تطهيراً، والرجس هو الشك، فلا نشك في الله الحق ودينه أبداً، وطهرنا من كل أفنٍ وعيبةٍ مخلصين إلى آدم نعمةً منه. لم يفترق الناس قطّ فرقتين إلا جعلنا الله في خيرهما. فأدت الامور، وأفضت الدهور، إلى أن بعث الله محمداً للنبوّة واختاره للرسالة، وأنزل عليه كتابه، ثم أمره

(١) تاريخ مدينة دمشق / ج ١٢ ص ٥٣٦. ومقتل الحسين عليه السلام - الخوارزمي / ج ١ ص ١٣٤.

بالدعاء إلى الله تعالى، فكان أبي أول من استجاب لله ولرسوله، وأول من آمن وصدق الله ورسوله، وقد قال الله تعالى في كتابه المنزل على نبيه المرسل ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ...﴾^(١) وأبي الذي يتلوه وهو شاهد منه، وقد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله حين أمره أن يسير إلى مكة والموسم ببراءة «سر بها يا عليّ فإني أمرت أن لا أسير بها إلا أنا، أو رجل مني وأنت هو». فعليّ من رسول الله ورسول الله منه.

وقال له نبيّ الله صلى الله عليه وآله حين قضى بينه وبين أخيه جعفر بن أبي طالب، ومولاه زيد بن حارثة في ابنة حمزة «أما أنت يا عليّ فمني وأنا منك، وأنت وليّ كلّ مؤمنٍ من بعدي»، فصدق أبي رسول الله سابقاً ووقاه بنفسه. ثم لم يزل رسول الله في كلّ موطنٍ يقدمه ولكلّ شديدة يرسله، ثقةً منه به وطمأنينةً إليه، لعلمه بنصيحته لله ورسوله، وأنه أقرب المقربين من الله ورسوله، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٢) فكان أبي سابق السابقين إلى الله عز وجل، وإلى رسوله، وأقرب الأقرين وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً...﴾^(٣).

فأبي كان أوّهم إسلاماً وإيماناً، وأوّهم إلى الله ورسوله هجرةً ولحوقاً، وأوّهم على وجده ووسعه نفقةً قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٤). فالناس من جميع الأمم يستغفرون له بسببه إياهم إلى الإيمان بنبيّه، وذلك أنه لم يسبقه إلى الايمان به أحد، وقد قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

(١) سورة هود: الآية ١٧.

(٢) سورة الواقعة: الآية ١٠-١١.

(٣) سورة الحديد: الآية ١٠.

(٤) سورة الحشر: الآية ١٠.

وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ... ﴿١﴾. فهو سابق لجميع السابقين، فكما أن الله عز وجل فضل السابقين على المتخلفين والمتأخرين، فكذلك فضل سابق السابقين، وقد قال الله عز وجل: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ ﴿٢﴾. فهو المجاهد في سبيل الله حقاً، وفيه نزلت هذه الآية، وكان ممن استجاب لرسول الله، عمه حمزة، وجعفر ابن عمه، فقتلا شهيدين رضي الله عنهما، في قتلى كثيرةٍ معها من أصحاب رسول الله، فجعل الله تعالى حمزة سيّد الشهداء من بينهم، وجعل لجعفر جناحين يطير بهما مع الملائكة كيف يشاء من بينهم، وذلك لمكانها من رسول الله، ومنزلتها وقربتها منه، وصلى رسول الله على حمزة سبعين صلاة، من بين الشهداء الذين استشهدوا معه.

وكذلك جعل الله تعالى لنساء النبيّ المحسنة منهنّ أجرين، وللمسيئة منهنّ وزرين ضعفين، لمكانهن من رسول الله، وجعل الصلاة في مسجد رسول الله بألف صلاةٍ في سائر المساجد، إلا المسجد الحرام: مسجد خليله إبراهيم بمكة، وذلك لمكان رسول الله من ربه. وفرض الله عز وجل الصلاة على نبيّه على كافة المؤمنين، فقالوا يا رسول الله كيف الصلاة عليك، فقال قولوا: «اللهم صلّ على محمدٍ وآل محمد»، فحقّ على كلّ مسلم أن يصليّ علينا مع الصلاة على النبيّ، فريضةً واجبةً.

وأحلّ الله تعالى خمس الغنيمة لرسول الله، وأوجبها له في كتابه، وأوجب لنا من ذلك ما أوجب له، وحرّم عليه الصدقة وحرّمها علينا معه، فأدخلنا - وله الحمد - فيما أدخل فيه نبيّه، وأخرجنا ونزّهنا مما أخرج منه ونزّهه عنه، كرامةً أكرمنا الله عز وجل بها، وفضيلةً فضلنا بها على سائر العباد، فقال الله تعالى لمحمدٍ حين جحدته كفره أهل الكتاب

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٠.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٩.

وحاجّوه: ﴿... فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهَلُ فَنَجْعَل لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١) فأخرج رسول الله من الأنفس معه أبي، ومن البنين أنا وأخي، ومن النساء أمي فاطمة، من الناس جميعاً فنحن أهله، ولحمه، ودمه، ونفسه، ونحن منه وهو منّا، وقد قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢). فلما نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله أنا وأخي وأمّي وأبي، فجللنا ونفسه في كساءٍ لأمّ سلمة خيبري، وذلك في حجرتها وفي يومها، فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، وهؤلاء أهلي وعترتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» فقالت أمّ سلمة: أأدخل معهم يا رسول الله؟ فقال لها رسول الله: يرحمك الله أنت على خير، وإلى خير، وما أَرْضاني عنك، ولكنها خاصة لي ولهم».

ثم مكث رسول الله بعد ذلك بقية عمره، حتى قبضه الله، يأتينا في كل يوم عند طلوع الفجر فيقول: «الصلاة يرحمكم الله، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»، وأمر رسول الله بسدّ الأبواب الشارعة في مسجده غير بابنا، فكلّموه في ذلك فقال: «أما إني لم أسدّ أبوابكم، ولم أفتح باب عليٍّ من تلقاء نفسي، ولكنني أتبع ما يوحى إليّ، وإنّ الله أمر بسدّها وفتح بابها» فلم يكن من بعد ذلك أحد تصيبه جنابة في مسجد رسول الله ويولد فيه الاولاد، غير رسول الله، وأبي علي بن أبي طالب، تكرمه من الله تعالى، وفضلاً اختصنا به على جميع الناس، وهذا باب أبي قرين باب رسول الله في مسجده، ومنزلنا من منازل رسول الله، وذلك أنّ الله أمر نبيّه أن يبني مسجده فبنى فيه عشرة آياتٍ تسعةً لبنيه وأزواجه وعاشرها وهو متوسّطها لأبي، وها هو بسبيلٍ مقيم، والبيت هو المسجد المطهر، وهو الذي قال الله تعالى: ﴿أهل البيت﴾ فنحن أهل

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

البيت، ونحن الذين أذهب الله عنا الرجس، وطهرنا تطهيراً.

أيها الناس أني لو قمت حولاً فحولاً، أذكر الذي أعطانا الله عز وجل، وخصنا به من الفضل في كتابه، وعلى لسان نبيّه، لم أحصه. وأنا ابن النذير والبشير، والسراج المنير الذي جعله الله رحمة للعالمين، وأبي عليّ وليّ المؤمنين، وشبيه هارون، وإن معاوية بن صخر زعم، أني رأيت للخلافة أهلاً، ولم أر نفسي لها أهلاً، فكذب معاوية، وإيم الله، لأننا أولى الناس بالناس في كتاب الله، وعلى لسان رسول الله غير أنّا لم نزل أهل البيت مخيفين، مظلومين مضطهدين منذ قبض رسول الله، فالله بيننا وبين من ظلمنا حقنا، ونزا على رقابنا، وحمل الناس على أكتافنا، ومنعنا سهمنا في كتاب الله من الفياء والغنائم، ومنع أمنا فاطمة إرثها من أبيها، إنّنا لا نسمي أحداً، ولكن أقسم بالله قسماً تالياً لو أنّ الناس سمعوا قول الله ورسوله لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولما اختلف في هذه الأئمة سيفان، ولأكلوها خضراء خضرة إلى يوم القيامة، وإذا ما طمعت فيها يا معاوية، ولكنّها لما أخرجت سالفاً من معدنها، وزحزحت عن قواعدها، تنازعتها قريش بينها، وترامتها كترامي الكرة، حتى طمعت أنت فيها يا معاوية وأصحابك من بعدك، وقد قال رسول الله: «ماولت أمة أمرها رجلاً قطّ، وفيهم من هو اعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفلاً، حتى يرجعوا إلى ما تركوا» وقد تركت بنو اسرائيل، وكانوا أصحاب موسى، هارون أخاه وخليفته ووزيره وعكفوا على العجل، وأطاعوا فيه سامريّهم، وهم يعلمون: أنه خليفة موسى. وقد سمعت هذه الأمة رسول الله يقول ذلك لأبي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبيّ بعدي» وقد رأوا رسول الله حين نصبه لهم بغدير خم، وسمعوه نادى له بالولاية، ثم أمرهم أن يبلغ الشاهد منهم الغائب، وقد خرج رسول الله حذراً من قومه إلى الغار لما اجتمعوا على أن يمكروا به وهو يدعوهم، لما لم يجد عليهم أعواناً، ولو وجد عليهم أعواناً لجاهدهم.

وقد كفّ أبي يده، وناشدهم واستغاث أصحابه فلم يُغث، ولم يُنصر، ولو وجد عليهم أعواناً ما أجاهم، وقد جعل في سعةٍ كما جعل النبيّ في سعةٍ، وقد خذلتني الأمة، وبايعتك، وقد جعل هارون في سعة حين استضعفه قومه وعادوه، كذلك أنا وأبي في سعة من الله حين تركتنا الأمة، وبايعت غيرنا، ولم نجد عليهم أعواناً وإنما هي السنن والأمثال، يتبع بعضها بعضاً.

أيها الناس إنكم لو التستم بين المشرق والمغرب، رجلاً جدّه رسول الله، وأبوه وصيّ رسول الله، لم تجدوا غيري وغير أخي، فاتّقوا الله ولا تذلّوا بعد البيان، وكيف بكم، وإني قد هادنت^(١) هذا - وأشار بيده إلى معاوية - ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٢).

أيها الناس إنّه لا يعاب أحد بترك حقّه، وإنما يعاب أن يأخذ ما ليس له، وكلّ صوابٍ نافع، وكلّ خطأ ضارٌّ لأهله وقد كانت القضية ففهمناها سليمان، فنفعت سليمان، ولم تضرّ داود^(٣)، فأما القرابة فقد نفعت المشرك، وهي والله للمؤمن أنفع.

أيها الناس اسمعوا وعوا، واتّقوا الله وراجعوا، وهيئات منكم الرجعة إلى الحقّ، وقد صار عكم النكوص، وخامركم الطغيان والجحود، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون.

(١) في النص: (بايعت هذا)، وهو مخالف لسياق كلام الإمام عليه السلام، والصحيح (هادنت هذا).

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١١١.

(٣) يشير عليه السلام إلى قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يُجَاهِدَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾ سورة الأنبياء: الآية ٧٨ - ٧٩. والقصة أن داود وسليمان عليهما السلام (وصيه من بعده) كانا يتشاوران في حكم على قضية، وهي دخول غنم القوم زرعاً فأفسدته، ففهمها الله تعالى لسليمان. والحكم واحد، ولكنها عليها السلام اختلفا في كيفية إجرائه عملاً. حكّم داود لصاحب الحرث برقاب الغنم، بينما حكم سليمان له بمنافعها في تلك السنة من ضرع وصوف ونتاج. صدّق الله تعالى حكم سليمان، فكان هو حكمه.

والسلام على من اتبع الهدى»^(١).

فقال معاوية: والله ما نزل الحسن حتى أظلمت عليّ الارض، وهممت أن أبطش به، ثم علمت: أن الإغضاء أقرب إلى العافية.

دلالات خطاب الإمام عليه السلام بعد الهدنة :

١- زعم معاوية في خطبته أن الإمام الحسن عليه السلام رأى في معاوية أهلية الخلافة، وهذا خلاف صريح لنصوص المعاهدة التي اشترطت الهدنة، وقد عاهد النبي صلى الله عليه وآله المشركين في صلح الحديبية، وقد عارض من عارض، لكن لم يتجرأ أحد على تفسير ذلك بولاية المشركين على المؤمنين.

٢- عرض الإمام الحسن عليه السلام تأريخ أهل البيت عليهم السلام ودورهم في الحياة الدينية والاجتماعية في إطار الصورة المتناسكة التي تجمع النبي محمد صلى الله عليه وآله مع عليّ وفاطمة وذريتهما عليهم السلام، فأشار إلى أن الله تعالى أحلّ لهم ما أحلّ لنبيه، وحرّم الله عليهم ما حرّم على نبيه صلى الله عليه وآله، أحلّ لهم الخمس، وحرّم عليهم الصدقة، ونزلت عليهم آية التطهير، والمباهلة، والصلاة عليه وعلى آله.

٣- نافح الإمام الحسن عليه السلام عن أسبقية علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الإسلام وجهاده مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومنزلته العظيمة في قلوب المؤمنين، وقد عصى معاوية أمير المؤمنين علياً عليه السلام وحاربه، وهو الإمام والأمير الذي وجبت طاعته في اعناق المسلمين جميعاً.

٤- فند الإمام الحسن عليه السلام مزاعم معاوية بأنه كان أهلاً للخلافة، وبأن الحسن عليه السلام لم يرّ نفسه أهلاً لها، وذكر عليه السلام منزلته عند رسول الله صلى الله عليه وآله، ولو أنهم اتبعوا النبي صلى الله عليه وآله ووصاياه، لأعطتهم السماء قطرها والأرض بركتها، ولما اختلفت في هذه الأمة سيفان.

(١) رواها الشيخ الطوسي في اماليه باسناد معتبر عن علي بن الحسين عليه السلام، ص ٥٦٧.

معاوية وتدارك الموقف:

والظاهر، أنه وبعد سماع خطبة الإمام الحسن عليه السلام في النخيلة، أراد معاوية تدارك الموقف فنودي في الناس: (الصلاة جامعة) فاجتمع الناس وصلى بهم ضحى النهار، ثم خطب معاوية، فكان مما قال، على ما رواه اليعقوبي: «أما بعد، ذلكم فإنه لم تختلف أمة بعد نبيها، إلا غلب باطلها حقها» وانتبه لما وقع فيه، فقال: «إلا ما كان من هذه الأمة، فإنَّ حقها غلب باطلها»^(١).

وروى المدائني: أنه استطرد قائلاً: «والله إني ما قاتلتكم لتصلوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجوا، ولا لتزكوا» ثم ارتج عليه فتوقف ثانية، وفكر قليلاً، ثم استدرك قائلاً: «إنكم لتفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك، وأنتم له كارهون»^(٢).
«ألا إنَّ كل دم أُصيب في هذه الفتنة مطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين، ولا يصلح الناس الا ثلاث: إخراج العطاء عند محله، وإفقال الجنود لوقتها، وغزو العدو في داره، فإن لم تغزوهم غزوكم»^(٣).

وهكذا كان، فقد وضع معاوية كل الشروط التي اشترطها الإمام الحسن عليه السلام في وثيقة الهدنة تحت قدميه.

(٢٥)

رحلة معاوية إلى العراق (سنة ٤١هـ)، والحجاز (سنة ٥٠، و٥٦هـ)

كان سفر معاوية إلى العراق سنة احدى وأربعين للهجرة، والظاهر ان ذلك كان في ربيع الثاني من تلك السنة، فأقام بالنخيلة أياماً كما ذكرنا، وكان معاوية قد سار إلى

(١) تاريخ اليعقوبي / ج ٢ ص ٢١٦.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٤٥.

(٣) الارشاد ص ١٧٣.

الموصل بعد مقتل أمير المؤمنين عليه السلام مباشرة، وإلى ذلك أشار اليعقوبي في تأريخه فقال: «وأقبل معاوية لما انتهى إليه الخبر بقتل علي عليه السلام، فسار إلى الموصل بعد قتل علي عليه السلام بثمانية عشر يوماً»^(١). وحج سنة خمسين، واعتمر في رجب سنة ستة وخمسين، وكان في تلك الأسفار يسعى لتثبيت خلافته، ويروم مبايعة الناس لابنه يزيد بالخلافة بعد وفاته، وفي ذلك أحداث ومواقف سياسية مهمة.

سفرة العراق:

كانت زيارة معاوية إلى العراق بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والهدنة التي تمت بينه وبين الحسن عليه السلام، تثبيتاً لحكمه الجديد، فكان محور الزيارة هو تبشير الناس بخلافة معاوية!

والظاهر أن سفر معاوية إلى العراق بعد الهدنة كان لها أبعادٌ سياسيةٌ على النحو التالي:

أ- عبّرت تلك الرحلة عن مظهر من مظاهر السيطرة السياسية التامة على الخلافة، لاسيما وأن الكوفة التي لا تبعد عن النخيلة كثيراً، كانت لايامٍ خلت عاصمة الخلافة الإسلامية زمن الإمام علي عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام.

ب- كانت لهجة معاوية مع أهل الأمصار عموماً، والعراق بالخصوص تحمل في طياتها وجوه الانتقام، فهو لم يقاتلهم على تطبيق الإسلام، كما في تعبيره، بل قاتلهم من أجل السيطرة على مقدراتهم، والتأمر عليهم.

ج- أعلن معاوية في تلك الرحلة نقض كل ما تعهد به أمام الإمام الحسن عليه السلام،

(١) تاريخ اليعقوبي / ج ٢ ص ٢١٤.

وبذلك تبين للعيان مدى بُعد هذا الحاكم الظالم عن الإسلام، وعن مبادئ الأخلاق والأعراف الاجتماعية التي تدعو إلى الوفاء بالعهود والمواثيق.

(٢٦)

مع المسلمين بعد الهدنة

وبعد النخيلة توجه الإمام الحسن عليه السلام إلى الكوفة، وعندما وصلها كان أهلها بانتظاره فتوجه إليهم، وقال عليه السلام لهم:

«يا أهل الكوفة اتقوا الله في جيرانكم وضيفانكم، وفي أهل بيت نبيكم عليه السلام، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

ثم توجه ثانية إلى جماعة أخرى، وقال عليه السلام:

«أيها الناس! إن أكيس الكيس^(١) التقي، وأحق الحمق الفجور، والله لو طلبتم ما بين جابلق وجابرس رجلاً جده رسول الله عليه السلام ما وجدتموه غيبي وغير أخي الحسين، وقد علمتم أن الله هداكم بجدي محمد، فأنقذكم به من الضلالة، ورفعكم به من الجهالة، وأعزكم به بعد الذلة، وكثركم به بعد القلة. إن معاوية نازعني حقاً هو لي دونه، فنظرت لصلاح الأمة، وقطع الفتنة، وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمته، وتحاربوا من حاربت، فرأيت أن أسالم معاوية، وأضع الحرب بيني وبينه وقد هادنته^(٢)، وقد رأيت أن حقن الدماء خير من سفكها، [وأن يكون ما صنعت حجةً على من كان يتمنى هذا

(١) الكَيْسُ: الخفة والتوقد. وكَيْسَ الفعل: حَسَنَهُ. أنشد ثعلب:

فَكُنْ أَيْسَ الكَيْسِ إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ وَإِنْ كُنْتَ فِي الحِمْقَى، فَكُنْ أَنْتَ أَحَقُّ

(٢) وفي النص زيادة: (وقد بايعته). والصحيح: هادنته. ولو كانت للحسن عليه السلام بيعة لما احتاج

الأمر إلى معاهدة.

الأمر] (١)، ولم أرد بذلك إلا صلاحكم وبقاءكم، وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين» (٢).

وقال عليه السلام الثالثة:

«أيها الناس! إن الله هداكم بأولنا وأحقن دماءكم بأخرنا، وإن لهذا الأمر مدّة، والدنيا دول. قال عليه السلام لنبية محمد عليه السلام: ﴿... وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ * إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجُحْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ. وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (٣)» (٤).

وقال عليه السلام رابعة:

«فوالذي بعث محمداً بالحق، لا ينتقص من حقنا - أهل البيت - أحد الا نقصه الله من علمه، ولا تكون علينا دولة إلا وتكون لنا العاقبة، ولتعلمن نبأه بعد حين» (٥).

قوة حجة الإمام الحسن عليه السلام :

وبقي معاوية في العراق فترة لا تعرف مقدارها، وكان يتمنى لو أشار الإمام عليه السلام له ببناء أو مدح، ولكن الإمام الحسن عليه السلام كان يعيش في عالم علي بن أبي طالب عليه السلام وتقواه وزهده. فأصرّ معاوية على الحسن عليه السلام أن يرتقي المنبر، فقام عليه السلام وقال في خطبته:

«الحمد لله الذي توحد في ملكه، وتفرد في ربوبيته، يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، والحمد لله الذي أكرم بنا مؤمنكم، وأخرج من الشرك أولكم، وحقق دماء

(١) هذه الجملة محذوفة في كتاب (كشف الغمة).

(٢) كشف الغمة - الأربلي ص ١٧٠.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٩-١١١.

(٤) البداية والنهاية / ج ٨ ص ١٨، وتاريخ الطبري / ج ٦ ص ٩٣.

(٥) مروج الذهب / ج ٦ ص ٦١-٦٢.

آخركم، فبلاؤنا عندكم قديماً وحديثاً أحسن البلاء. إن شكرتم أو كفرتم، أتيها الناس! إنَّ ربَّ عليٍّ كان اعلم بعليٍّ حين قبضه إليه، ولقد اختصّه بفضله لم تعهدوا بمثله، ولم تجدوا مثل سابقته، فهيهات هيات، طالما قلبتم له الأمور، حتى أعلاه الله عليكم، وهو صاحبكم، وعدوكم في بدرٍ وأخواتها، جرّعكم رنقاً، وسقاكم علقاً، وأذلّ رقابكم، وأشرككم بريقكم، فلستم بملومين على بغضه.

وايم الله لا ترى أمة محمدٍ خصباً، ما كانت سادتهم وقادتهم في بني أمية، ولقد وجه الله اليكم فتنّة، لكن لن تصدّوا عنها حتى تهلكوا، لطاعتكم طواغيتكم، وانضوائكم إلى شياطينكم، فعند الله أحسب ما مضى وما ينتظر من سوء رغبتكم، وحيث حكمكم.

يا أهل الكوفة لقد فارقتكم بالأمس سهم من مرامي الله صائب على أعداء الله، نكال على فجّار قريش، لم يزل آخذاً بحناجرها، جاثماً على أنفاسها، ليس بالملومة في أمر الله، ولا بالسروقة لمال الله، ولا بالفروقة في حرب أعداء الله، أعطى الكتاب خواتيم وعزائم، دعاه فأجاب، وقاده فاتبعه، لا تأخذه في الله لومة لائم، فصلوات الله عليه ورحمته»^(١).

(٢٧)

القصور في فهم خطورة الموقف

والظاهر أنّ أهل الكوفة، لما علموا بهدنة الإمام عليه السلام، مع معاوية، أكثروا اللغظ، خصوصاً عندما جهلوا الحكمة في عمل الإمام عليه السلام. وعجيب أمر هؤلاء، فإذا دعاهم الإمام عليه السلام إلى الجهاد تقاعسوا وثاقلوا، بل أوصلوا جسورهم مع العدو، وإذا تمت المهادنة قاموا على الحسن عليه السلام واعترضوا، وكأن لهم الحق في ذلك!

والحكمة في تصرف الإمام الحسن عليه السلام تكمن في أنه لم يجد أنصاراً ينهضون إلى

(١) بحار الأنوار/ ج ٤٤ ص ٤٢.

جيش معاوية ومقاتلته، فأراد للقلّة من أتباعه العزّة، وعدم القتل.

وبالجملّة، فإن إنكار بعض أتباع الامام الحسن عليه السلام لقضية الهدنة إنما يرجع إلى قصورهم في فهم خطورة الموقف، من حيث تهديد فكرة الإمامة، وسفك الدماء، وقطع الارحام، وإدامة الفتنة، واليأس من حسم الموقف، وموقف الإمام عليه السلام في مهادنة معاوية يتلخص في ثلاثة مبادئ:

الأول: طالما كان الإمام الحسن عليه السلام حجة الله على خلقه وإماماً عليهم بعد علي ابن أبي طالب عليه السلام، فإنّ له الحق في التصرف بما يراه صالحاً للأمة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله له ولأخيه: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»^(١). فهو إمام إن سلّ السيف لسبب شرعيّ، أو هادن لسبب شرعيّ.

الثاني: صالح رسول الله صلى الله عليه وآله بني ضمرة، وبني أشجع، وصالح أهل مكة حين انصرف من الحديبية، وأولئك كانوا كفاراً بالتنزيل، وكان معاوية وأصحابه كفار بالتأويل.

الثالث: عندما قام الخضر عليه السلام بخرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، التبس وجه الحكمة على موسى عليه السلام، فسخط عليه حتى أخبره الخضر بحكمة ما فعل، فرضي موسى عليه السلام.

ولكن الناس لم يفهموا دواعي الهدنة، فأكثروا اللغظ فيها، وقد ضخّمت فكرة الإنكار على الإمام الحسن عليه السلام في الروايات، خدمةً لسياسة معاوية في محاولته لتقليل شأن الإمام عليه السلام، وهناك شكوك كثيرة في صحة تلك الروايات التي تُنكر عليه عليه السلام هدنته مع معاوية.

(٢٨)

تداعيات الهدنة والخروج من الكوفة

وما أن خرج الإمام الحسن عليه السلام من الكوفة حصل ما كان متوقعا، فقد نقض معاوية جميع بنود الاتفاق.

معاوية ينقض بنود الهدنة :

فلم يعمل معاوية بالبند الأول وهو العمل بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، بل استمرت الدسائس، وأساليب القتل على الظنة والشبهة، وإرعاب الناس، وحرمان فقراء المؤمنين من بيت مال المسلمين.

ونقض البند الثاني وهو العهد للإمام الحسن عليه السلام بعد موت معاوية، بل دس معاوية السُم للإمام الحسن عليه السلام وقتله، ثم اوصى ليزيد بالخلافة من بعده.

ونقض البند الثالث عندما أصبح سب أمير المؤمنين عليه السلام سنة متبعة عند بني أمية إلى حد زوال حكمهم في القرن الثاني الهجري.

ونقض البند الرابع وهو إبقاء ما تبقى من بيت مال الكوفة بيد الحسن عليه السلام، ولم تشر الدلائل التاريخية إلى أن الحسن عليه السلام كان يتصرف بذلك المال، ولم يعمل بنظام العطاء المالي المعين من بيت المال لبني هاشم، وأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من اليتامى والأرامل، بل أن الذي حصل هو العكس، فقد تعرّض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام للمضايقات في العطاء والرزق، بحيث أصبح معظمهم في حالة شديدة من الفقر والحرمان.

ونقض البند الخامس بإعطاء الأمان لجميع الناس في أموالهم وأنفسهم وأعراضهم، بحيث أصبح المعارض لمعاوية يخاف القتل والسلب والهتك، ولم يعط الأمان لشيعته

علي رضي الله عنه، بل تعقبهم معاوية تحت كل شجر ومدر، وقتلهم، وأسبل عيونهم، وقطع ألسنتهم. وبغى على ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاسيماً الحسينين رضي الله عنهما، ومن تعلقَ بها، فقام معاوية بمطاردة ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى انتهى الأمر بمقتل الإمام الحسين رضي الله عنه في زمن يزيد بن معاوية مباشرة بعد استلامه الحكم.

وسوف نبحث معاهدة الصلح بشكل مفصّل في الفصل الرابع بإذنه تعالى.

الخروج من الكوفة :

وعندما خرج الإمام الحسن رضي الله عنه وإلى جنبه الحسين رضي الله عنه من الكوفة، خرج الناس يشيعونهما، وكان فيهم جندب بن عبد الله، والمسيب بن نجية، وسليمان بن صرد، ونحوهم، فلما جاوزوا دير هند، نظر الحسين رضي الله عنه إلى الكوفة فتمثل قول زميل بن أبيير الفزاري (ابن أم دينار)^(١):

فما عن قلى فارتت دارَ معاشر هُم المانعونَ باحتي وذماري
ولكنه ما حُمَّ لأبدَ واقِع نظارُ تُرَقَّبُ ما يُحْمُّ نظارِ

وأوصى الإمام الحسن رضي الله عنه من جاءه من الشيعة كمحمد بن بشر الهمداني، وسفيان بن ليلى، وغيرهم: «ليكنْ كُلُّ امرئٍ منكم جَلِيساً مِنْ أحلاسِ بيتِه»^(٢) ما دامَ هذا الرجلُ حيّاً، فإن يهلك وأنتم أحياءٌ رَجونا أن يُخَيِّرَ اللهُ لنا ويؤتينا رُشدنا، ولا يكلنا إلى أنفسنا ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(٣)»^(٤).

(١) أنساب الأشراف - البلاذري / ج ٣ ص ١٤٨ حديث ٩. قلى: بغض. حُمَّ: قضى وقدر.

(٢) جلساً من أحلاس بيته: أي جليس بيته.

(٣) سورة النحل: الآية ١٢٨.

(٤) أنساب الأشراف / ج ٣ ص ١٥٠ حديث ١١.

وما أن شارف الإمام الحسن عليه السلام صحراء العراق حتى لحقه رسول معاوية، طالباً منه: أن يرجع إلى الكوفة لقتال طائفة من الخوارج خرجت عليه، فكتب إليه الإمام: «لو أثرت أن أقاتل أحداً من أهل القبلة، لبدأت بقتالك، فإني تركتك لصلاح الأمة، وحقن دماءها»^(١).

مطاردة أتباع الإمام عليه السلام :

ولما رجع الإمام عليه السلام إلى المدينة وخلا الجو لمعاوية وعماله، بدؤوا بمطاردة شيعة الإمام عليه السلام، ومن ذلك أن زياد بن أبيه طلب سعيد بن أبي سرح من أجل تشييعه، فأتى الحسن بن علي عليه السلام مستجيراً به. فوثب زياد على أخيه وولده وامرأته فحبسهم، ونقض داره وصادر أمواله، ولما علم الإمام الحسن عليه السلام ذلك شق عليه، فكتب من فوره إلى زياد، يأمره بان يعطي الأمان لسعيد، ويخلي سبيل عياله وأطفاله، ويشيد داره ويرد عليه أمواله، وهذا نص كتابه:

«من الحسن بن عليّ إلى زياد: أما بعد: فإنك عمدت إلى رجلٍ من المسلمين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، فهدمت داره، وأخذت ماله، وحبست أهله وعياله، فإن اتاك كتابي هذا، فابن له داره، وأردد عليه عياله وماله، وشفّعي فيه فقد أجرته، والسلام».

ولما بلغ كتاب الإمام عليه السلام إلى زياد، استشاط غضباً، لأن الإمام عليه السلام لم ينسبه إلى أبي سفيان، فأجابه بما يلي: «من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة، اما بعد: فقد أتاني كتابك، تبدأ فيه بنفسك قبلي وأنت طالب حاجة، وأنا سلطان وأنت سوقة، وتأمري فيه بأمر المطاع المسلط على رعيتك، كتبت إليّ في فاسق أويته إقامةً منك على سوء الرأي، ورضاً منك بذلك، وأيم الله لا تسبقني به، ولو كان بين جلدك ولحمك، فإن أحبّ لحمٍ

(١) الكامل في التاريخ - محمد بن الاثير / ج ٣ ص ١٦٣.

عليّ أن آكله اللحم الذي أنت منه، فسلمه بجريرته إلى من هو أولى به منك، فإن عفوت عنه لم أكن شفعتك فيه، وإن قتلته لم أقتله إلا لحبه اباك والسلام».

وصل هذا الجواب إلى الإمام عليه السلام فما زاد أن كتب في رده:

«من الحسن بن فاطمة إلى زياد بن سمية، أما بعد فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر»، والسلام».

وزياد بن أبيه كان مولوداً على فراشٍ عبيدٍ ثقيف، ولم يعرف له أب، لأن أمه كانت من ذوات الأعلام، فنسبه معاوية إلى أبيه (أبو سفيان) وسماه (زياد بن أبي سفيان). وهذا خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، كما أشار الإمام الحسن عليه السلام في كتابه.

ثم كتب الإمام عليه السلام إلى معاوية برد زياد عليه، وأرفقه بكتاب زياد إليه، فلما بلغ معاوية ذلك، غضب على زياد، وكتب إليه:

«إما بعد، فإنّ الحسن بن علي بعث إليّ بكتابك إليه، جواباً عن كتاب كتبه إليك في ابن أبي سرح، فأكثر العجب منك، وعلمت: أنّ لك رأيين، أحدهما من أبي سفيان، والآخر من سمية. فأما الذي من أبي سفيان فحلّم وحزم، وأما الذي من سمية فما يكون من رأيٍ مثلها. من ذلك كتابك إلى الحسن تشتم أباه وتعرض له بالفسق، ولعمري إنك لأولى بالفسق من أبيه، فأما أن الحسن بدأ بنفسه ارتفاعاً عليك، فإن ذلك لا يضعك لو عقلت. وأما تسلطه عليك بالأمر فحق لمثل الحسن أن يتسلط، وأما تركك تشفيعه فيما شفع فيه إليك، فحظ دفعته عن نفسك إلى من هو أولى به منك، وإذا ورد عليك كتابي فخل ما في يديك لسعيد بن أبي سرح، وابن له داره، وأررد عليه ماله، ولا تتعرض له، فقد كتبت إلى الحسن، ان يخيره، إن شاء أقام عنده، وإن شاء رجع إلى بلده، ولا سلطان لك عليه لا بيد ولا لسان، وأما كتابك إلى الحسن باسمه واسم أمه، ولا تنسبه إلى أبيه،

فإنَّ الحسن ويحك من لا يرمي به الرجوان، وإلى أيِّ أمٍ وكلته لا أم لك؟ أما علمت أنها فاطمة بنت رسول الله؟ فذاك أفخر له لو كنت تعلمه وتعلقه.

أما حسن فابن الذي كان قبله إذا سار سار الموت حيث يسير
وهل يلد الرئبال إلا نظيره وذا حسن شبه له ونظيره
ولكنه لو يوزن الحلم والحجا بأمر لقالوا يذبل وثبير^(١)

انتهت رسالة معاوية.

أقام الامام الحسن عليه السلام في المدينة المنورة بعد خروجه من الكوفة عشر سنوات^(٢).

(٢٩)

الإمام الحسن عليه السلام في مجتمع المسلمين

وكانت وظيفة الإمام الحسن عليه السلام إرشاد الأمة إلى دينها، وتصحيح مواقفها، وإرشادها إلى الفضائل، وكان المسلمون يتقربون من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله عبر طلب العلم والسؤال عن دينهم وديانهم، وكان عليه السلام يختلط بالناس، ويعرف وجوه القوم، ويحييهم عن مسائلهم مباشرة، ولم تكن الهدنة مع معاوية لتثنيه عن وظيفته الشرعية في إمامة المسلمين، خصوصاً في المدينة.

يقول ابن كثير: «... وكان ابن عباس يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركبا، ويرى هذا من النعم عليه، وكانا إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونها مما يزدحمون عليها للسلام عليها رضي الله عنها وارضاهما»^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٤ ص ٧٢، وص ٧. والعقد الفريد - ابن عبد ربه / ج ٣ ص ٥.

(٢) إعلام الوری / ج ١ ص ٤٠٣.

(٣) البداية والنهاية / ج ٨ ص ٣٦.

مع الناس:

وعندما يطوف عليه السلام في بيت الله الحرام يسأله رجل عن معنى الجواد فيقول عليه السلام له وهو لا يزال في الطواف:

«إنّ لكلامك وجهين، فإن كنت تسأل عن المخلوق، فإنّ الجواد الذي يؤدّي ما افترض عليه، والبخيل الذي يبخل بما افترض عليه. وإن كنت تسأل عن الخالق، فهو الجواد إن أعطى، وهو الجواد إن منع. لأنه إن أعطى عبداً أعطاه ما ليس له، وإن منع منع ما ليس له»^(١).

ويأتيه الرجل في مناسبة اخرى، ويقول له: يا بن رسول الله إني من شيعتكم! فيقول عليه السلام: «... لا تقل: أنا من شيعتكم، ولكن قل: أنا من مواليكم ومحبيكم ومعادي أعدائكم، وأنت في خيرٍ وإلى خير»^(٢).

ويوعظ عليه السلام الناس ويذكرهم بالآخرة، فيقول: «اتقوا الله عباد الله، وجدّوا في الطلب... وبادروا العمل قبل مقطعات النعمات، وهادم اللذات، فإنّ الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا يؤمن فجيعةها، ولا تتوقّى مساوئها، غرور حائل، وسناد مائل، فاتعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بالأثر. وازدجروا بالنعيم. وانتفعوا بالمواعظ، فكفى بالله معتصماً ونصيراً، وكفى بالكتاب حجيجاً وخصيماً، وكفى بالجنة ثواباً، وكفى بالنار عقاباً ووبالاً»^(٣).

ويمشي في السوق ويرى عليه السلام من يهتم بطعامه ولا يهتم بدينه، فيقول: «عجبت لمن

(١) مجمع البحرين - الطريحي. مادة (جود).

(٢) تنبيه الخواطر ونزهة المناظر ص ٣٠١.

(٣) تحف العقول - ابن شعبة الحراني ص ١٦٧.

يفكر في مأكوله، كيف لا يفكر في معقوله، فيجَنَّب بطنه ما يؤذيه، ويودع صدره ما يرديه! ^(١).

ويقول عليه السلام أيضاً: «إنَّ الشَّاةَ أَعْقَلُ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ، تَنْزَجِرُ بِصِيَّاحِ الرَّاعِي عَنْ هَوَاهَا، وَالْإِنْسَانُ لَا يَنْزَجِرُ بِأَمْرِ اللَّهِ وَكُتْبِهِ وَرَسُولِهِ».

وكان الناس يتجمعون حول الحسن عليه السلام في المسجد ويسألونه: من أحسن الناس عيشاً؟ فيقول: «من أشرك الناس في عيشه»، ثم يسألونه: ومن أشرَّ الناس؟ فيقول عليه السلام: «من لا يعيش في عيشه أحد»، ثم يسألونه مرة أخرى: ومن شرَّ الناس؟ فيقول عليه السلام: «من يرى أنه خيرهم».

ويأتيه الرجل الذي أصابته مصيبة بذويه، فيسليه ويقول عليه السلام له: «إن كانت المصيبة أحدثت لك موعظةً، وكسبتك أجراً فهو، وإلا فمصيبتك في نفسك أعظم من مصيبتك في ميتك» ^(٢).

قال ابن عبد ربه: «وخطب الحسن في دم، فأجابه صاحب الدم، فقال: قد وضعت ذلك الدم لله ولوجوهكم، قال له الحسن عليه السلام: «ألا قلتَ قد وضعتُ ذلك لله خالصاً؟» ^(٣).

وكان عليه السلام يتوجه إلى الشباب ويقول لهم: «معاشر الشباب: عليكم بطلب الآخرة، فوالله رأينا أقواماً طلبوا الآخرة فأصابوا الدنيا والآخرة، ووالله ما رأينا من طلب الدنيا فأصاب الآخرة».

(١) بحار الأنوار / ج ١ ص ٢١٨ عن دعوات الراوندي.

(٢) تنبيه الخواطر ونزهة المناظر ص ٤١١.

(٣) العقد الفريد / ج ٣ ص ٦.

العمل والجزاء :

وكان ﷺ يخاطب الناس ويدعوهم إلى تقوى الله، فيقول ﷺ: «اعلموا أن الله لم يخلقكم عبثاً، وليس بتارككم سدى، كتب آجالكم وقسم بينكم معائشكم، ليعرف كل ذي لب منزلته، وأن ما قدر له أصابه وما صرف عنه فلن يصيبه، قد كفاكم مؤونة الدنيا وفرغكم لعبادته، وحثكم على الشكر، وافترض عليكم الذكر، وأوصاكم بالتقوى، منتهى رضاه.

والتقوى باب كل توبة، ورأس كل حكمة. وشرف كل عملٍ بالتقوى، فاز من فاز من المتقين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾^(١)، وقال: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢). فاتقوا الله عباد الله، وإعلموا: أنه من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ويسدده في أمره، ويهيئ له رشده، ويفلحه بحجته، ويبيض وجهه، ويعطه رغبته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصدّيقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً»^(٣).

ويسير الإمام الحسن ﷺ في بعض الطرق، وقد لبس ثياباً طاهرة نظيفة فضفاضة وركب بغلة بيضاء، وحفت به حاشيته، فرآه أحدهم، فقال له: إن جدك رسول الله ﷺ يقول: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فأنت المؤمن وأنا الكافر، وما الدنيا إلا جنة لك تتنعم فيها وتستلذ بها وأنت مؤمن وما أراها إلا سجناً قد أهلكني حرّها وأجهدي فقرها.

فقال الحسن ﷺ: «لو نظرت إلى ما أعد الله لي وللمؤمنين في الدار الآخرة، ممّا لا

(١) سورة النبأ: الآية ٣١.

(٢) سورة الزمر: الآية ٦١.

(٣) تحف العقول ص ٢٣٢.

عين رأيت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، لعلمت: أني قبل انتقالي إليها وأنا في هذه الحالة سجين، ولو نظرت إلى ما أعدّ الله لك ولكلّ كافرٍ في دار الآخرة، من سعير نار جهنّم، ونكال العذاب الأليم المقيم، لرأيت قبل مصيرك إليه أنّك في جنّةٍ واسعةٍ، ونعمةٍ جامعةٍ»^(١).

وكان عليه السلام يردد: «إذا طلبتم الحوائج، فاطلبوها من أهلها». فقيل له: يا بن رسول الله! ومن أهلها؟ قال عليه السلام: «الذي خصّ الله في كتابه، وذكرهم فقال: ﴿...إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾»^(٢). هم أولوا العقول»^(٣).

(٣٠)

الإمام الحسن عليه السلام خلال حكم معاوية

الظاهر من الروايات التاريخية أن الإمام الحسن عليه السلام قد حضر بعض مجالس معاوية، حسبما اقتضته ظروفه الاجتماعية. وكان عليه السلام يرد على الاشكالات التي كان يطرحها رواد ذلك المجلس أو من يكن حاضراً فيه، ولم نعر على رواية تزعم بأن الإمام الحسن عليه السلام قد ذهب إلى الشام لزيارة معاوية، ولكن يبدو أنّ حضور الإمام عليه السلام في مجلس معاوية كان في فترة الاتفاق على الهدنة، وما أعقبها من خطب وردود، كانت أشبه بالمناظرات.

حول الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله: ففي مناسبة احتدم في ذلك المجلس جدلٌ حول الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعد أن أدلى الحاضرون بدلوههم، قال الإمام الحسن عليه السلام:

«...إنّ الناس قد اجتمعوا على أمورٍ كثيرة، ليس بينهم اختلاف فيها، ولا تنازع ولا فرقة: على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وعبده، والصلوات الخمس،

(١) الفصول المهمة ص ١٦١.

(٢) سورة الرعد: الآية ١٩.

(٣) بحار الانوار / ج ١ ص ٤٨.

والزكاة المفروضة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، ثم أشياء كثيرة من طاعة الله، التي لا تحصى ولا يعدّها إلا الله، واجتمعوا على تحريم الزنا، والسرقة، والكذب، والقطيعة، والخيانة، وأشياء كثيرة من معاصي الله لا تحصى ولا يعدّها إلا الله.

واختلفوا في سنن اقتتلوا فيها، وصاروا فرقاً يلعن بعضهم بعضاً، وهي الولاية، وبراً بعضهم من بعض، ويقتل بعضهم بعضاً، أيهم أحقّ وأولى بها، إلا فرقة تتبع كتاب الله، وسنة نبيه عليه السلام، فمن أخذ بما عليه أهل القبلة الذي ليس فيه اختلاف، وردّ علم ما اختلفوا فيه إلى الله، سلم ونجا به من النار، ودخل الجنة. ومن وّفقه الله، ومنّ عليه، واحتجّ عليه، بأن نور قلبه بمعرفة ولادة الأمر من أئمتهم ومعدن العلم أين هو، فهو عند الله سعيد، والله وليّ، وقد قال رسول الله عليه السلام: «رحم الله إمرءاً علم حقاً فقال فغتم، أو سكت فسلم».

نحن نقول أهل البيت: إنّ الأئمة منّا، وإنّ الخلافة لا تصلح إلا فينا، وإنّ الله جعلنا أهلها في كتابه وسنة نبيه عليه السلام، وإنّ العلم فينا ونحن أهلّه، وهو عندنا مجموع كلّه بحذافيره، وإنّه لا يحدث شيء إلى يوم القيامة، حتّى أرش الخدش إلا وهو عندنا مكتوب بأملأ رسول الله عليه السلام، وخط عليّ عليه السلام بيده...»^(١).

(٣١)

في مبادئ الدين وأخلاقه

تصدى الإمام الحسن عليه السلام للأمر الإعتقادية، وقام بواجبه في الإمامة الدينية الكبرى، لاسيما في إرشاد الناس إلى طريق الهداية والحق، وكان عليه السلام يخاطب الناس، ويردّ على إشكالاتهم، ويجيب على الرسائل التي كانت ترده، ويصحح ما يراه خاطئاً.

(١) الاحتجاج / ج ٢ ص ٦.

في التوحيد والصفات:

عن فتح بن يزيد الجرجاني^(١) قال: لقيت الحسن بن علي، على الطريق، عند منصرفي عن مكة إلى خراسان وهو سائر إلى العراق، فتلطفت في الوصول إليه، فوصلت، فسلمتُ، فرد عليَّ السلام، ثم قال:

«يا فتح! من أَرْضَى الخالق، لم يبالِ بسخط المخلوق، ومن أسخط الخالق فقم ان يسَلِّط عليه سخط المخلوق، وإنَّ الخالق لا يوصف إلا بها وصف به نفسه، وأنِّي يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحده، والأبصار عن الإحاطة به! جلَّ عما وصفه الواصفون، وتعالى عما ينعتة الناعتون، نأى في قربه، وقرب في نأيه، قريب [في بعده] وفي قربه بعيد، كيف الكيف، فلا يقال له: كيف. وأين الأين، فلا يقال له: أين، إذ هو مبدع الكيفيّة، والأينويّة...»^(٢).

الولاية وحقوقها:

وكتب الإمام الحسن عليه السلام إلى أحد أتباعه وهو إسحاق بن إسماعيل النيسابوري^(٣) كتاباً يشرح فيه طبيعة الولاية، يقول فيه:

«إنَّ الله تعالى بمَنِّه ورحمته، لما فرض عليكم الفرائض، لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليه، بل رحمةً منه إليكم، لا إله إلا هو، ليميز الخبيث من الطيب، وليبتي ما في

(١) فتح بن يزيد الجرجاني: مختلفٌ فيه. قال ابن الغضائري: مجهول (معجم رجال الحديث / ج ١٤ ص ٢٦٥). وبعض الروايات تذكر أنه من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام. ولا بد من العلم بأن مجهولية الراوي لا تعني ضعفه في جميع الحالات.

(٢) الكافي / ج ١ ص ١٣٨.

(٣) إسحاق بن إسماعيل النيسابوري - إمامي مما لا ريب فيه، إلا أنه مجهول الحال (تنقيح المقال في علم الرجال - المامقاني / ج ٩ ص ٥٠).

صدوركم، وليمحّص ما في قلوبكم، ولتسابقوا إلى رحمته، ولتفاضل منازلكم في جنّته، ففرض عليكم الحجّ والعمرة، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصّوم، والولاية، وجعل لكم باباً لتفتحوا به أبواب الفرائض، ومفتاحاً إلى سبيله، ولولا محمّد عليه السلام، والأوصياء من ولده، كنتم حيارى.... لا تعرفون فرضاً من الفرائض وهل تدخل قرية إلا من بابها، فلما منّ الله عليكم بإقامة الاولياء بعد نبيكم عليه السلام قال الله عز وجل: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾^(١)، وفرض عليكم لأوليائه حقوقاً، فأمركم بأدائها اليهم، ليحلّ لكم ما وراء ظهوركم، من أزواجكم وأموالكم، ومأكلكم ومشربكم، ويعرفكم بذلك البركة والنماء والثروة، وليعلم من يطيعه منكم بالغيب، وقال الله تبارك وتعالى ﴿...قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...﴾^(٢) فاعلموا: أنّ من يبخل، فإنما يبخل على نفسه، إنّ الله هو الغني وأنتم الفقراء إليه، لا إله إلا هو، فاعملوا من بعد ما شئتم ﴿...فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣) والعاقبة للمتقين، والحمد لله ربّ العالمين^(٤).

من مواعظه عليه السلام للناس:

وكان مما يعظ به الناس: «يا بن آدم: عَفَّ عن محارم الله تكن عابداً، وأَرْضَ بما قسم الله تكن غنياً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن عادلاً. إنه كان بين يديكم أقوام يجمعون كثيراً، وينون مشيداً،

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

(٤) بحار الانوار / ج ٢٣ ص ١٠٠، وعلل الشرائع ص ٢٤٩-٢٥٠.

ويأملون بعيداً، أصبح جمعهم بوراً، وعملهم غروراً، ومساكنهم قبوراً. يا بن آدم: لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فخذ مما في يديك لما بين يديك، فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع»^(١).

ويقول عليه السلام أيضاً: «مكارم الأخلاق عشرة: صدق اللسان، وصدق البأس، واعطاء السائل، وحسن الخلق، والمكافأة بالصنائع، وصللة الرحم، والتذميم»^(٢) على الجار، ومعرفة الحق للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء»^(٣).

(٣٢)

في الحج

ولم يدع الإمام الحسن عليه السلام عاماً لم يحج فيه، خصوصاً بعد وفاة أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام. فقد حج خمساً وعشرين حجة في حياته ماشياً على قدميه، والرواحل تقاد بين يديه^(٤). وروي أنه كان يمشي وأخوه الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة، وقد اشتد على الناس أنهم يركبون الجمال، وإبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمشيان، فما كان منهما، وهما القدوة في الأخلاق، إلا أن تنكبا الطريق وسلكا طريقاً آخر مشياً على غير الجادة، حتى يتركا الناس وشأنهم في الركوب. وكان عليه السلام يقول: «إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته»^(٥).

ولم يكتفِ الحسن عليه السلام بالحج ماشياً، بل كان على الأغلب يمشي حافياً في صحراء الحجاز، وقد نقل لنا شهود ووصفاً لطبيعة رحلته من المدينة إلى مكة، يقول محمد بن إسحاق:

(١) بحار الأنوار/ ج ٧٥ ص ١١٢.

(٢) التذميم: مأخوذ من أذمه، أي أجاره وأخذه تحت حمايته.

(٣) تاريخ يعقوبي ج ١ - ص ٢٠١.

(٤) كشف الغمة ص ١٦٤، واسعاف الراغبين ص ١٧٦.

(٥) بحار الأنوار/ ج ٤٣ ص ٣٣٩.

ولقد رأيت في طريق مكة، نزل عن راحلته فمشى، فما من خلق الله أحد إلا نزل ومشى، وكان من ضمنهم سعد بن أبي وقاص^(١). وكان عليه السلام يقول: «إن الله يباهي ملائكته بعباده يوم عرفة فيقول: عبادي جاؤوني شعثاً يتعرضون لرحمتي، فأشهدكم أني قد غفرت لمحسنهم، وشفعت محسنهم في مسيئهم، وإذا كان يوم القيامة فمثل ذلك»^(٢).

(٣٣)

الإمام الحسن عليه السلام في شخصيته

كان الحسن عليه السلام أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٣): خَلْقاً، وَهَيَاةً، وَهَدِيَاءً، وَسُؤْدَاداً^(٤). وكان عليه السلام «أبيض اللون، مشرباً بحمرة، أَدْعَجَ العَيْنَيْنِ^(٥)، سهل الخدين، دقيق المسربة^(٦)، كث اللحية، ذا وفرة^(٧)، كأن عنقه إبريق فضة^(٨)، عظيم الكراديس^(٩)، بعيد ما بين المنكبين، ربعة، ليس بالطويل ولا بالقصير، مليحاً، من أحسن الناس وجهاً، وكان يخضب بالسواد، وكان جعد الشعر^(١٠)، حسن البدن»^(١١).

(١) إعلام الوري ج ١ ص ١٣٤، والمناقب (ش)، ح ٤ ص ٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق / ج ١٢ ص ٥٢٩.

(٣) الاستيعاب - ابن عبد البر / ج ١ ص ٣٨٤.

(٤) أسد الغابة / ج ٥ ص ٤٦٧.

(٥) أَدْعَجَ العَيْنَيْنِ: عندما تصير العين شديدة السواد مع سعتها.

(٦) المسربة: شعر وسط الصدر إلى البطن.

(٧) شعر إلى شحمة الأذن.

(٨) إبريق فضة: أي سيف فضة في البريق واللمعان.

(٩) الكراديس: كل عظيمين التقيا في مفصل فهو كردوس مثل المنكبين والركبتين.

(١٠) الجعد ضد البسط.

(١١) ذخائر العقبى - الطبري ص ١٢٨.

وكان سيداً سخياً حليماً^(١)، عليه سيماء الأنبياء وهيبة الملوك^(٢)، وما بلغ أحد من الشرف، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ما بلغ الحسن بن علي^(٣)، وهو عليه السلام القائل: «أنا شعبة من خير الشعب، آبائي أكرم العرب، لنا الفخر والنسب والساحة عند الحسب، من خير شجرة أنبتت فروعاً نامية، وأثماراً زاكية وأبداناً قائمة، فيها أصل الإسلام، وعلم النبوة، فعلونا حين شمخ بنا الفخر، واستطلنا حين امتنع منا العز، بحور زاخرة لا تنزف، وجبال شاخحة لا تقهر»^(٤).

ويصف نفسه عليه السلام في مناسبة ثانية: «كل ما في كتاب الله جزء: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ...﴾»^(٥) فوالله ما أراد به إلا علي بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة وأنا والحسين، لأننا نحن أبرار آبائنا وأمهاتنا، وقلوبنا علت بالطاعات والبر، وتبرأت من الدنيا وحبها، وأطعنا الله في جميع فرائضه، وآمنّا بوحدانيته، وصدّقنا برسوله»^(٦).

وكان عليه السلام عزيز النفس، متعففاً عما في أيدي الناس، فتصوّروا أن فيه عظمة، وصار حوه بذلك، فقالوا له: يا بن رسول الله فيك عظمة! فقال عليه السلام: «بل في عزة، قال الله صلى الله عليه وآله: ﴿... وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...﴾»^(٧)^(٨).

وكان الحسن عليه السلام إذا قام إلى الصلاة لبس أجود ثيابه، فقيل له في ذلك،

(١) قاله المدائني.

(٢) قاله واصل بن عطاء.

(٣) رواه انس بن مالك وذكره الطبرسي في إعلام الوري / ج ١ ص ١٣٤.

(٤) بحار الأنوار/ ج ٤٤ ص ٩٣-٩٥.

(٥) سورة الإنسان: الآية ٥. وسورة الإنفطار: الآية ١٣. وسورة المطففين: الآية ٢٢.

(٦) المناقب (ش)/ ج ٤، ص ٢.

(٧) سورة المنافقون: الآية ٨.

(٨) تحف العقول ص ٢٣٤.

فقال: «إن الله جميل يحب الجمال، فأتجمل لربي، وقرأ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(١)»^(٢).

وكان شديد الخوف من الله عز وجل، يذكر الناس بالآخرة، ويقول رضي الله عنه لهم: «إن الله تعالى لم يجعل الأغلال في أعناق أهل النار لأنهم أعجزوه، ولكن إذا أطفئ بهم اللهب أرسبهم في قعرها»، ثم يغشى عليه، فلما يفيق من غشوته يقول رضي الله عنه: «يا بن آدم نفسك نفسك، فإنما هي نفس واحدة، إن نجت نجوت وإن هلكت لم ينفعك نجاة من نجا»^(٣).

وكتب رضي الله عنه على فص خاتمه^(٤):

قدّم لنفسك ما استعطت من التّقى إنّ المنية نازل بك يا فتى
أصبحت ذا فرح كأنك لا ترى أحباب قلبك في المقابر والبلى
في سلوكه رضي الله عنه الشخصي مع الناس:

ويأتيه الرجل ليتزود من معارف الإسلام، فيرشده رضي الله عنه إلى القيم الاخلاقية، ويقول رضي الله عنه له: «من أحبّ الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه، ومن ازداد حرصاً على الدنيا، لم يزد منها إلا بعداً، وازداد هو من الله بغضاً.

والحريص الجاهل، والزاهد القانع كلاهما مستوفٍ أكله، غير منقوصٍ من رزقه شيئاً، فعلام التهافت في النار؟ والخير كله في صبر ساعةٍ واحدةٍ، تورث راحةً طويلةً، وسعادةً كثيرةً.

(١) سورة الأعراف: الآية ٣١.

(٢) تفسير الصافي - الفيض الكاشاني / ج ٢ ص ١٨٩.

(٣) إرشاد القلوب - الدليمي ص ٣٥ - ٣٦.

(٤) تاريخ مدينة دمشق / ج ٤ ص ٢١٩.

والناس طالبان: طالب يطلب الدنيا حتى إذا أدركها هلك، وطالب يطلب الآخرة حتى إذا أدركها فهو ناجٍ فائز.

واعلم - أيها الرجل - أنه لا يضرّك ما فاتك من الدنيا، وأصابك من شدائدها إذا ظفرت بالآخرة، وما ينفعك ما أصبت من الدنيا، إذا حرمت الآخرة^(١).

ويمر في يوم فطرٍ بقومٍ يلعبون ويضحكون، فيقف على رؤوسهم، ويقول عليه السلام لهم: «إن الله جعل شهر رمضان مضماراً لخلقهِ، فيستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق قوم ففازوا، وقصر آخرون فخابوا، فالعجب كل العجب من ضاحكٍ لاعب، في اليوم الذي يثاب فيه المحسنون، ويخسر فيه المبطلون. وإيم الله لو كشف الغطاء، لعلموا: أنّ المحسن مشغول بإحسانه، والمسيء مشغول بإساءته»^(٢).

ويأتيه الإنسان العابر، ويطلب منه عليه السلام أن يكون له جليساً وصديقاً دائماً، فيشترط عليه الحسن عليه السلام شروطاً: «إياك أن تمدحني، فأنا أعلم بنفسي منك، أو تكذبني فإنه لا رأي لمكذوب، أو تغتاب عندي أحداً». فقال الرجل: ائذن لي في الانصراف. قال عليه السلام له: «نعم، إذا شئت»^(٣).

وعندما رزق الإمام عليه السلام غلاماً أتته الناس تهنئته فقالوا: يهنيك الفارس، فقال عليه السلام: «أي شيء هذا القول؟ ولعله يكون راجلاً». فقال له جابر: كيف تقول يا بن رسول الله؟ فقال عليه السلام: «إذا ولد لأحدكم غلام فأتيموه فقولوا له: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، وبلغ الله به أشدّه، ورزقك برّه»^(٤).

(١) إرشاد القلوب ص ٢٢.

(٢) تحف العقول ص ٢٣٦.

(٣) تحف العقول ص ٢٣٦.

(٤) مكارم الأخلاق - الطبرسي ص ٢٢١.

وعندما كان يذهب عليه السلام ليستحم، ويخرج كان يقال له: طاب استحمامك، أو طاب حمامك، أو طاب حميمك. فكان يقول عليه السلام لهم: قولوا: «طاب ما طهر منك، وطهر ما طاب منك»^(١).

فلا ريب أن يسمى الإمام الحسن عليه السلام بالمجتبي، فقد اجتباه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعله إماماً للأمة بعد أبيه عليه السلام.

في عبادته ودعائه عليه السلام:

كان الإمام الحسن عليه السلام كثير العبادة، شديد الخشوع، وكان يتوجه إلى الله تعالى بهذا الدعاء: «يا من بسلطانه ينتصر المظلوم، وبعونه يعتصم المكولم، سبقت مشيتك، وتمت كلمتك، وأنت على كل شيء قدير، وبما تمضيه خير، يا حاضر كل غيب، وعالم كل سر، وملجأ كل مضطر، ضلت فيك الفهوم، وتقطعت دونك العلوم.

أنت الله الحي القيوم، الدائم الديموم، قد ترى ما أنت به عليم، وفيه حكيم، وعنه حلِيم، وأنت بالتناصر على كشفه والعون على كفه غير ضائق، وإليك مرجع كل أمر كما عن مشيتك مصدره، وقد أبنت عن عقود كل قوم، وأخفيت سرائر آخرين، وأمضيت ما قضيت، وأخرت ما لا فوت عليك فيه، وحملت ما تحملت في غيبك، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيي عن بينة، وإنك أنت السميع العليم، الأحد البصير، وأنت الله المستعان وعليك التوكّل، وأنت ولي من توليت، لك الأمر كله، تشهد الانفعال، وتعلم الاختلال، وترى تحاذل أهل الخبال، وجنوحهم إلى ما جنحوا إليه من عاجلٍ فانٍ، وحطامٍ عقباه حميمٍ آنٍ، وعود من قعد، وارتداد من ارتد، وخلوي من النصّار،

(١) مكارم الأخلاق ص ٥٤.

وانفرادي عن الظهار، وبك أعتصم، وبحبلك أستمسك، وعليك أتوكل...»^(١).

وكان عليه السلام يقول: «ما فتح الله جبرئيل على أحدٍ باب مسألة فخرن عنه باب الإجابة، ولا فتح على رجلٍ باب عملٍ فخرن عنه باب القبول، ولا فتح لعبدٍ باب شكرٍ فخرن عنه باب المزيد»^(٢).

(٣٤)

دس السُّم إليه عليه السلام

حاول معاوية بن أبي سفيان قتل الإمام الحسن عليه السلام بالسُّم أكثر من مرة، إلا أن الله جبرئيل نجَّاه وشافاه، وفي المرة الثالثة، سقته السُّم زوجته جعدة بنت محمد بن الأشعث الكندي، وبإشارة من معاوية ووعدٍ منه، في شهر محرم من سنة خمسين للهجرة. وضمن معاوية لجعدة أن يزوجه من يزيد ابنه، وأوصل إليها مائة ألف درهم فسقته السُّم^(٣). وبقي عليه السلام مريضاً نحو أربعين يوماً أو ما يقارب ذلك، والظاهر أن جعدة كانت تتلقى تعليقات معاوية عن طريق أخيها محمد بن الأشعث.

ولما سقِيَ الإمام السُّمَّ، جاءه أخوه الحسين، فقال له الإمام عليه السلام: «لقد سقيت السُّمَّ مراراً، ما سقيت مثل هذه المرّة...»^(٤).

وفي رواية عبد الله البخاري أنه قال: «يا أخي! إنِّي مفارقك ولاحقُ برِّي، وقد سقيت السُّمَّ... وإنني لعارف بمن سقاني، ومن أين دهيت، وأنا أخاصمه إلى الله جبرئيل». ثم قال عليه السلام في شأن معاوية والسُّم الذي دسه إليه: «لقد حاقت شربته، وبلغ أمنيته، والله

(١) مهج الدعوات - ابن طاووس ص ٤٧.

(٢) بحار الأنوار/ ج ٧٥ ص ١١٣.

(٣) إعلام الوری / ج ١ ص ٤٠٣.

(٤) المناقب (ش) / ج ٣ ص ٢٠٢.

ما وفي بما وعد، ولا صدق فيما قال»^(١).

وجاءه الحسين عليه السلام مرة أخرى وسأله عن حاله، فقال عليه السلام:

«أجدني في أول يومٍ من أيام الآخرة، وآخر يومٍ من أيام الدنيا، واعلم أني لا أسبق أجلي، وأنني وارد على أبي وجددي، وعلى كره مني لفراقك، وفراق إخوتك، وفراق الأحبة. واستغفر الله من مقاتلي هذه، بل على محبة مني للقاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام، وأمي فاطمة عليها السلام، وحمزة، وجعفر، وفي الله عز وجل خلفٌ من كل هالك، وعزاءٌ من كل مصيبة، ودركٌ من كل مافات»^(٢).

وجاءه الحسين عليه السلام الثالثة يسأل فلم يعطه جواباً، فبكى الحسين عليه السلام، فقال له

الحسن عليه السلام:

«إنّ الذي يأتي إليّ بسمّ يدبّر إليّ فأقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزلف إليك ثلاثون ألف رجل، يدعون: أنهم من أمة جدنا، ويتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك، وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسبي ذراريك ونسائك، وأخذ ثقلك، فعندها تحلّ ببني أمية اللعنة، وتمطر السماء رماداً ودماً، ويكي عليك كل شيءٍ حتى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار»^(٣).

وفي تلك المناسبة قال الطبيب الذي يختلف إليه: هذا رجل قطع السم أمعاءه، فقال الحسين عليه السلام: «يا أبا محمدٍ أخبرني من سقاك؟». قال: ولم يا أخي؟ فأشار الحسين عليه السلام بأنه يريد الاقتصاد منه. فقال الحسن عليه السلام: «يا أخي إنما هذه الدنيا ليالٍ فانية، دعه حتى

(١) روضة الواعظين ص ١٦٧.

(٢) أمالي الطوسي / ج ١ ص ١٦٠.

(٣) أمالي الصدوق ص ١٧٨.

التقي أنا وهو عند الله». وأبى أن يسميه^(١).

وإلى ذلك أنشد عليه السلام^(٢):

قل للمقيم بغير دار إقامة حان الرحيل فودّع الأحبابا
إنّ الذين لقيتهم وصحبتهم صاروا جميعاً في القبور ترابا

(٣٥)

وصايا عليه السلام

وكان من عادة أئمة أهل البيت عليهم السلام أنهم إذا علموا بدنو أجلهم، أو صوا بوصايا الحكمة للمسلمين عموماً، ولحبيهم، وأتباعهم، وأولادهم بالخصوص.

وصايا عليه السلام العامة :

ومن ذلك، دخل جنادة بن أبي أمية^(٣) على الإمام عليه السلام وقال له: «عظني يا بن رسول الله» فقال له الإمام عليه السلام:

«يا جنادة! استعدّ لسفرك، وحصّل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنّك تطلب الدنيا والموت يطلبك، ولا تحمل همّ يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه، واعلم إنك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك، إلّا كنت فيه خازناً لغيرك، واعلم: أنّ الدنيا في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، وفي الشبهات عتاب، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة، خذ منها ما يكفيك، فإن كان حلالاً كنت قد زهدت فيه، وإن كان حراماً لم يكن

(١) البداية والنهاية / ج ٨ ص ٤٧.

(٢) المناقب (ش) / ج ٣ ص ١٨١.

(٣) جنادة بن أبي أمية الأزدي، سكن مصر، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ذكره الشيخ الطوسي في رجاله (معجم رجال الحديث - السيد الخوئي / ج ٥ ص ١٣٧ رقم ٢٣٨٥).

فيه وزر، فأخذت منه كما أخذت من الميتة، وإن [كان] العقاب، فالعقاب يسير.

واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً
وإذا أردت عزاً بلا عشيرة، وهيباً بلا سلطان، فأخرج من ذل معصية الله إلى عزّ
طاعة الله عز وجل.

وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة، فاصحب من إذا صحبته زانك، وإذا
أخذت منه صانك، وإذا أردت منه معونة أعانك، وإن قلت صدق قولك، وإن صلت
شدّ صولتك، وإن مددت يدك بفضلٍ مدها، وإن بدت منك ثلثة سدّها، وإن رأى
منك حسنة عدّها، وإن سألته أعطاك، وإن سكت عنه ابتدأك، وإن نزلت بك إحدى
الملهمات واساك، من لا تأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك
عند الحقائق، وإن تنازعتما منقسماً آترك^(١).

وعندما كان عليه السلام يُسأل عليه السلام في تلك الفترة عن الموت الذي جهلته الناس، كان عليه السلام
يقول: «أعظم سرورٍ يرد على المؤمنين، إذا نقلوا عن دار النكد إلى نعيم الأبد، وأعظم
ثبور يرد على الكافرين، إذا نقلوا عن جنتهم، إلى نارٍ لا تبيد ولا تنفذ»^(٢)، وعندما يزوره
الرجل الذي كان يخشى الموت ليله ونهاره، مشتكياً: «إني أخاف الموت! يردّ الحسن عليه السلام
عليه: «ذاك أنك أخرت مالك، ولو قدمته لسرك أن تلحق به»^(٣).

وفي يوم، مرّ عليه السلام على ميتٍ يراد دفنه، فقال: «إنّ أمراً هذا آخره، لحقيق بأن يزهد في
أوله، وإنّ أمراً هذا أوله لحقيق أن يخاف من آخره»^(٤).

(١) بحار الأنوار/ ج ٤٤ ص ١٣٩.

(٢) بحار الأنوار/ ج ٦ ص ١٥٤ عن معاني الاخبار.

(٣) تاريخ اليعقوبي/ ج ٢ ص ٢٦٩.

(٤) المحاسن والأضداد - الجاحظ ص ٢٥٦.

وكان الإمام الحسن عليه السلام شديد النصح لولده، وولد الحسين عليه السلام، وكان عليه السلام ينصح الشاب منهم، فيقول: «يا بني لا تؤاخ أحداً حتى تعرف موارده ومصادره، فإذا استنبطت الخبرة ورضيت العشرة، فأخيه على إقالة العثرة، والمواساة في العسرة»^(١)، و«يا بني وبني أخي، إنكم صغار قوم، وتوشكون أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يرويه أو يحفظه، فليكتبه في بيته»^(٢).

وصاياه عليه السلام الخاصة:

ولما دنت منه الوفاة استدعى أخاه الحسين عليه السلام، فقال له: «اكتب يا أخي»، وأملى عليه هذه الوصية:

«هذا ما أوصى به الحسن بن عليٍّ إلى أخيه الحسين بن علي، أوصى أنه: يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنه يعبده حقَّ عبادته، لا شريك له في الملك، ولا وليَّ له من الدلِّ، وأنه خلق كلَّ شيء، فقدَّره تقديراً، وأنه أولى من عبْد، وأحقَّ من مُحمَّد، من أطاعه رَشَد، ومن عصاه غوى، ومن تاب إليه اهتدى، فإني أوصيك يا حسين بمن خلفت من أهلي، وولدي، وأهل بيتك: أن تصفح عن مسيئهم، وتقبل من محسنهم، وتكون لهم خلفاً ووالداً.

وأن تدفني مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فإني أحقُّ به، وببيته، ممَّن أدخل بيته بغير إذنه، ولا كتاب جاءهم من بعده، قال الله فيما أنزله على نبيِّه في كتابه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ...﴾^(٣)، فوالله ما أذن لهم في الدخول عليه في حياته بغير

(١) تحف العقول ص ٢٣٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي / ج ٢ ص ٢٧٠.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٥٣.

إذنه، ولا جاءهم الإذن في ذلك من بعد وفاته، ونحن مأذون لنا في التصرف فيما ورثناه من بعده، فإن أبت عليك الامراة، فأنشذك بالله، وبالقرابة التي قرب الله عز وجل منك، والرحم الماسة من رسول الله: أن لا تهريق في محجمة من دم، حتى نلقى رسول الله، فنختصم اليه، ونخبره بما كان من الناس إلينا من بعده»^(١).

وفي رواية اخرى، أن وصيته عليه السلام كانت:

«يا أخي! إني أوصيك بوصية فاحفظها، فإذا أنا مت فهيتني، ثم وجهني إلى رسول الله، لأجدد به عهداً ثم أصرفني إلى أمي فاطمة، ثم ردني، فادفني بالبيع، واعلم: أنه سيصنبي من الحمراء ما يعلم الناس صنيعها، وعداوتها لله ولرسوله، وعداوتها لنا أهل البيت»^(٢).

«يا أخي! إن هذه آخر ثلاث مرات سقيت فيها السم، ولم أسقه مثل مرّي هذه، وأنا ميت من يومي، فإذا أنا مت فادفني مع رسول الله عليه السلام، فما أحد أولى بقربه مني، إلا أن تمنع من ذلك، فلا تسفك في محجمة دم»^(٣).

«يا أخي! إذا أنا مت، فغسلني وحنطني وكفني، واحملني إلى جدّي عليه السلام، حتى تلحدني إلى جانبه، فإن منعت من ذلك، فبحق جدك رسول الله، وأبيك أمير المؤمنين، وأمك فاطمة الزهراء: أن لا تحاصم أحداً، وأردد جنازتي من فورك إلى البيع، حتى تدفني مع أمي»^(٤).

وفي تلك الأثناء واللحظات الحرجة سأل قبراً، وقال عليه السلام: «يا قنبر: انظر هل ترى

(١) أمالي الشيخ الطوسي ص ١٥٩.

(٢) كشف الغمة / ج ٢ ص ٢٠٨.

(٣) تاريخ اليعقوبي / ج ٢ ص ٢٢٥.

(٤) عيون المعجزات - حسين بن عبد الوهاب ص ٥٨.

وراء بابك مؤمناً من غير آل محمد»، فقال: الله ورسوله وابن رسوله اعلم، قال عليه السلام: «امضِ فادعُ لي محمد بن علي» [يقصد محمد بن الحنفية]، قال: فأتيته، فلما دخلت عليه قال: هل حدث إلا خير؟ قلت: أجب أبا محمد، فعجل عن شسع نعله فلم يسوّه، فخرج معي يعدو.

فلما قام بين يديه سلم، فقال له الحسن عليه السلام: «اجلس، فليس يغيب مثلك عن سماع كلام يحيا به الأموات، ويموت به الأحياء، كونوا أوعية العلم ومصايح الدجى، فإن ضوء النهار بعضه أضوأ من بعض، أما علمت أن الله عز وجل جعل ولد إبراهيم أئمة، وفضل بعضهم على بعض، وآتى داود زبوراً، وقد علمت بما استأثر الله عز وجل محمدًا عليه السلام.

يا محمد بن علي! إني لا أخاف عليك الحسد، وإنما وصف الله تعالى به الكافرين فقال: ﴿...كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ...﴾^(١) ولم يجعل الله للشيطان عليك سلطاناً.

يا محمد بن علي، ألا أخبرك بما سمعت من أبيك عليه السلام فيك؟ قال: بلى.

قال: سمعت أباك يقول يوم البصرة: من أحب أن يبرني في الدنيا والآخرة فليبر محمدًا.

يا محمد بن علي! لو شئت أن أخبرك وأنت نطفة في ظهر أبيك لأخبرتك.

يا محمد بن علي! أما علمت: أن الحسين بن علي بعد وفاة نفسي ومفارقة روحي جسمي، إمام من بعدي، وعند الله في الكتاب الماضي، وراثته النبي أصابها في وراثته أبيه وأمه، علم الله أنكم خير خلقه، فاصطفى منكم محمدًا واختار محمدًا عليه السلام علياً، واختارني علي عليه السلام للإمامة، واخترت أنا الحسين عليه السلام.

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

فقال له محمد بن علي: أنت إمامي وسيدي، وأنت وسيلتي إلى محمد، والله لو ددت أن نفسي ذهبت قبل أن أسمع منك هذا الكلام، ألا وإن في رأسي كلاماً لا تنزفه الدلاء، ولا تغيّره بعد الرياح كالكتاب المعجم، في الرق المنمنم، أهمّ بإبدائه فأجدني سبقت إليه سبق الكتاب المنزل، وما جاءت به الرّسل، وإنه لكلام يكَلّ به لسان الناطق، ويد الكاتب ولا يبلغ فضلك، وكذلك يجزي الله المحسنين، ولا قوة إلا بالله.

الحسين اعلّمنا علماً، وأثقلنا حلماً، أقربنا من رسول الله رحماً، كان إماماً قبل أن يخلق، وقرأ الوحي قبل أن ينطق، ولو علم الله أن أحداً خير منّا ما اصطفى محمداً عليه السلام، فلمّا اختار محمداً واختار محمداً علياً إماماً، واختارك عليّ بعده، واخترت الحسين بعدك، سلّمنا ورضينا بمن هو الرضا، وبمن نسلم به من المشكلات^(١).

ثم استدعى أخاه الحسين عليه السلام ووصّاه بجملة وصايا أمام عدد من الحاضرين، فقال عليه السلام: «أوصيك يا أخي بأهلي وولدي خيراً، واتبع ما أوصى به جدك وأبوك وأمك عليهم أفضل الصلوات والسلام.

يا أخاه لا تحزن عليّ، فإن مصابك أعظم من مصيبي، ورزءك أعظم من رزئي. فإنك تقتل - يا ابا عبد الله الحسين - بشطّ الفرات بأرض كربلاء عطشاناً لهيفاً وحيداً فريداً مذبوحاً، يعلو صدرك أشقى الأمة، ويحمحم فرسك ويقول في تحمحمه: الظليمة الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيها، وتسبى حريمك ويتم أطفالك، ويسيرون حريمك على الأقتاب بغير وطاءٍ ولا فراش، ويحمل رأسك يا أخي على رأس القنا، بعد أن تقتل ويقتل انصارك، فياليتني كنت عندك أذبّ عنك كما يذبّ عنك أنصارك بقتل الأعداء، ولكنّ هذا الأمر يكون وأنت وحيد لا ناصر لك منا، ولكن لكلّ أجل كتاب، ﴿يَمْحُو

(١) إعلام الوري / ج ١ ص ٤٢٢.

اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿١﴾، فعليك يا أخي بالصبر على البلاء حتى تلحق بنا. ثم إلتفت إلى الحاضرين فقال:

أيها الحاضرون، اسمعوا وانصتوا ما أقول لكم الآن، هذا الحسين أخي إمامٌ بعدي فلا إمامَ غيره، ألا فليبلغ الحاضر الغائب، والوالد الولد، والحرّ والعبد والذكر والانثى، وهو خليفتي عليكم لا أحد يخالفه منكم، فمن خالفه كفر وأدخله الله النار ويئس القرار، ونحن ریحانتا رسول الله، وسيدا شباب أهل الجنة، فلعن الله من يتقدم أو يُقدّم علينا أحداً، فيعذبه الله عذاباً أليماً، وإني ناصٌّ عليه كما نصّ رسول الله عليه السلام على أمير المؤمنين عليه السلام، وكما نصّ أبي علي عليه السلام، وهو الخليفة بعدي من الله ومن رسوله عليه السلام.

حفظكم الله، استودعكم الله، الله خليفتي عليكم وكفى به خليفة، وإني منصرف عنكم ولا حقّ بجدي وأبي وأمي وأعمامي. ثم قال: عليكم السلام يا ملائكة ربّي ورحمة الله وبركاته»^(١).

وفي تلك الأثناء، كتب الإمام الحسن عليه السلام عوذة لنجله (قاسم) وشدها في عضده ثم قال له: «إذا أصابك ألمٌ وهمٌّ، فعليك بحل العوذة وقراءتها، فافهم معناها، واعمل بكل ما تراه مكتوباً فيها» وحلّ القاسم بن الحسن العوذة يوم عاشوراء فإذا فيها:

«يا ولدي يا قاسم! أوصيك: أنك إذا رأيت عمك الحسين في كربلاء، وقد أحاطت به الأعداء، فلا تترك البراز والجهاد لأعداء الله وأعداء رسوله، ولا تبخل عليه بروحك، وكلّمها هناك عن البراز، عاوده ليأذن لك في البراز، لتحظى في السعادة الأبدية»^(٢).

(١) معالي السبطين - محمد مهدي الخائري ص ٤٧.

(٢) وفيات الأئمة - علماء البحرين والقطيف ص ١٢٨.

(٣٦)

استشهاد الإمام عليه السلام

ولما حضرت الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام الوفاة، بكى، ثم قال: «إنما أبكي لخصلتين: لهول المطلع، وفراق الأحبة»^(١). وقال عليه السلام: «إني أموت بالسّم، كما مات رسول الله صلى الله عليه وآله»^(٢).

وفي اللحظات الأخيرة كرر الإمام الحسن عليه السلام وصيته إلى أخيه الحسين عليه السلام وقال: «يا أخي أوصيك بوصية فاحفظها، فإذا أنا متُّ فهيني، ثم وجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لاحدث به عهداً، ثم أصرفني إلى أمي فاطمة سلام الله عليها، ثم ردني فادفني في البقيع...»^(٣).

ولما توقف قلبه عليه السلام وأطبقت أجفانه وأسلم الروح لرب العالمين، قام الحسين عليه السلام داعياً ابن عباس، وعبد الله بن جعفر، وعلي بن عبد الله بن العباس، قائلاً لهم: «اغسلوا ابن عمكم». فغسلوه، وحنطوه، وألبسوه أكفانه، كان ذلك في السابع من شهر صفر سنة خمسين للهجرة.

ثم خرجوا به حتى صلّوا عليه في المسجد، ثم حملوا جنازته إلى حرم رسول الله كي يجدد عهداً بقبره ثم دفنوه في البقيع، كما أوصى عليه السلام.

وكان الظرف السياسي دقيقاً، وحرماً للغاية، ويؤيد ذلك ما ورد في وجه من وجوه وصيته عليه السلام، بعد ان أعطى الحسين عليه السلام مواريث الإمامة التي سلمها إليه أبوه علي بن أبي طالب عليه السلام، وتمنى أن يُدفن بجانب قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله: «...فإن مُنعتَ

(١) بحار الأنوار/ ج ٣٦ ص ٢٨٨.

(٢) بحار الأنوار/ ج ٤٣ ص ٣٢٧.

(٣) الكافي/ ج ١ ص ٣٠٢.

من ذلك فبحق جدك رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبيك أمير المؤمنين، وأمك فاطمة الزهراء عليها السلام أن لا تخاصم أحداً، وأردد جنازتي من فورك إلى البقيع حتى تدفني مع أُمِّي عليها السلام»^(١).
والمشهور أنه دفن في البقيع، قريباً من والدته فاطمة الزهراء عليها السلام.

روى ابن عساکر: «لما قُبِضَ الحسن بن علي بن أبي طالب، وقف على قبره أخوه محمد بن علي، فقال: يرحمك الله أبا محمد، فإن عَزَّتْ حياتُك لقد هَدَّتْ وفاتك، ولنعم الروح روحٌ تضمّنه بدنك، ولنعم البدن بدن تضمّنه كفنك، وكيف لا يكون هذا؟ وأنت سليل الهدى، وحليف أهل التقى، وخامس أصحاب الكساء، غذتكَ أكف الحق، وربيت في حجور الإسلام، ورضعت ثدي الإيمان، فطبتَ حياً وميتاً، وإن كانت أنفسنا غير طيبة بفراقك، فلا نشك في الخيرة لك، يرحمك الله...»^(٢).

وروي أن الحسين عليه السلام قال «يرثي أخاه الحسن عليه السلام»:

وأدهن رأسي أم أطيّب محاسني	ورأسك معفور وأنت تريبُ
وأستمع الدنيا بشيء أحبه	بلى كل ما أدنى إليك حبيبُ
فلا زلت أبكي ما تغتت حمامة	عليك وما هبت صبا وجنوبُ
وما هملت عين من الماء قطرة	وما أخضرت في دوح الحجاز قضيبُ
بكائي طويل والدموع غزيرة	وأنت بعيد والمزار قريبُ
وليس حريباً من أصيب بهاله	ولكن من وارى أخاه حريبُ
غريب وأطراف البيوت تحوطه	ألا كل من تحت التراب غريبُ
فلا يفرح الباقي ببعده الذي مضى	فكل فتى للموت فيه نصيبُ» ^(٣)

(١) عيون المعجزات ص ٦٢.

(٢) ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ص ٢٣٤ رقم ٣٧٠. رواه عن عمر بن علي بن أبي طالب.

(٣) مقتل الحسين / ج ١ ص ١٤٢.

وعندما دُفن الحسن عليه السلام بالبقيع، قام الحسين عليه السلام يرثيه مرة أخرى، قائلاً: «...
فإلى روحٍ وريحانٍ وجنةٍ نعيمٍ، أعظمَ اللهُ لنا ولكمُ الأجرَ عليه، ووهبَ لنا ولكم السلوةَ
وحُسنَ الأسي عنه»^(١).

ويوم استشهاده عليه السلام كان له سبع وأربعون سنة وأشهر، فسلامٌ عليه يوم ولد، ويوم
استشهد، ويوم يبعثُ حياً.

(١) عيون الأخبار - ابن قتيبة الدينوري / ج ٢ ص ٣١٤.

الفصل الثالث

الخصائص الشخصية

• الإمامة:

١- الدليل اللفظي.

٢- الدليل العقلي.

٣- الدليل الشرعي.

• الأفضلية في العلم، والحلم وحسن الخلق، والإحسان والكرم والجود،
والزهد، والعبادة، والتقوى، والشجاعة، والصبر، والفصاحة.

• المعجزة الخاصة بالإمام عليه السلام.

• في إطلاق (الابن) على ابن بنت.

• الصبا والإمامة.

الإمامة

تعدُّ الإمامة الشرعية من أهم خصائص شخصية الحسن بن علي عليه السلام، فالإمامة تلك، صفة جامعة، تغطي مساحة واسعة من أركان شخصيته القريبة من رسول الله صلى الله عليه وآله، وللإمامة متطلبات لا تتوفر إلا للنخبة الساوية التي انتخبها السماء كالعلم، والحلم، وحسن الخلق، والإحسان، والجود، والكرم، والزهد، والعبادة، والتقوى، والشجاعة، والفصاحة، والصبر، ونحوها من الفضائل، والإمامة الشرعية عمودها صفة مهمة، هي: العصمة، فالعصمة هي ملكة تعصم صاحبها عن الخطأ والنسيان والجهل والعصيان. وبدون ملكة العصمة، لا يستحق ذلك الإنسان أن يتبوأ مقعد الإمامة الكبرى في الأمة، وسنبحث الإمامة من عدة طرق، هي طرق: الدليل اللفظي، والدليل العقلي، والدليل الشرعي.

١ - الدليل اللفظي

تتوارد أربعة ألفاظ في هذا البحث، وغالباً ما تستخدم من قبل أهل العلم والمعرفة، ولكل لفظ دلالات لغوية متباينة، وهي: الإمامة، والقيادة، والخلافة، والولاية.

أ- الإمامة:

قال في (لسان العرب): «أَمَّ القوم وأَمَّ بهم: تقدَّمهم، وهي الإمامة. والإمام كل من ائتمَّ به قومٌ، أكانوا على الصراط المستقيم، أو كانوا ظالمين»^(١).

(١) لسان العرب / ج ١٢ ص ٢٤.

فكلمة (الإمام) مطلقة في الهداية والضلال، وهو كل من تقدّم لفرقة فاتبعه الناس، قال تعالى في أئمة الضلال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾^(١)، ﴿...فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ...﴾^(٢). وقال تعالى في أئمة الهدى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ...﴾^(٣)، والأئمة المقصودون في الآية السابقة هم إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام، وقال تعالى في حق إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾^(٤).

وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾^(٥) «أي قاتلوا رؤساء الكفر وقادتهم الذين ضعفوا عنهم تبع لهم»^(٦).

واثتمّ به أي اقتدى به.

والإمام: المثال، قال النابغة:

أَبُوهُ قَبْلَهُ، وَأَبُو أَبِيهِ بَنَوْا مَجْدَ الْحَيَاةِ عَلَى إِمَامٍ
وَالْإِمَامُ الْحَيْطُ الَّذِي يُمَدُّ عَلَى الْبِنَاءِ فَيُبْنَى عَلَيْهِ وَيُسَوَّى عَلَيْهِ سَافُ الْبِنَاءِ، وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ:

وَحَلَقَّتْهُ، حَتَّى إِذَا تَمَّ وَإِسْتَوَى كَمُخَّةٍ سَاقٍ أَوْ كَمَتْنِ إِمَامٍ

(١) سورة القصص: الآية ٤١.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٢.

(٣) سورة الانبياء: الآية ٧٣.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

(٥) سورة التوبة: الآية ١٢.

(٦) لسان العرب / ج ١٢ ص ٢٤.

أي كهذا الحَيْطُ الممدود على البناء في الاملاسِ والاستواء، يصف سَهْمًا، يدل على ذلك قوله: قَرَنْتُ بِحَقْوَيْهِ ثَلَاثًا فَلَمْ يَزَعْ، عن القَصْدِ، حتى بُصِّرَتْ بِدِمَامِ.

وفي الصحاح: الإمامُ خشبة البناءِ يُسَوِّي عليها البناء.

وإمامُ القبلة: تَلْقَاؤُهَا.

والهادي: إمامُ الإبل، وإن كان وراءها لأنه الهادي لها.

والإمامُ الطريقُ.

وقوله عنه: ﴿وإِنَّهَا لِبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾، أي لِبَطْرِيقٍ يُرْمَى أَي يُقْصَدُ فَيَتَمَيَّزُ، يعني قومَ لوط وأصحاب الأيكة^(١).

و«قال أبو بكر [الباقلاني]: معنى قولهم يُرْمَى القَوْمَ أَي يَتَقَدَّمُهُمْ، أُخِذَ مِنَ الأَمَامِ. يقال: فُلَانٌ إِمَامٌ القَوْمِ، معناه هو المتقدّم لهم، ويكون الإمامُ رَئِيسًا كقولك: إِمَامٌ المسلمِين، ويكون الكتابُ، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾، ويكون الإمامُ الطريقَ الواضحَ، قال الله تعالى: ﴿وإِنَّهَا لِبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾... والدليل: إِمَامُ السَّفَرِ»^(٢).

وعليه، فالإمامة عند العرب هي صفة: التقدم على الناس، والافتداء من التابعين، ورئيس القوم، والطريق الواضح.

ب- القيادة:

وتستخدم اليوم كلمة مرادفة للإمامة، وهي كلمة (القيادة)، ولكنك ترى فرقاً

(١) لسان العرب / ج ١٢ ص ٢٥.

(٢) لسان العرب / ج ١٢ ص ٢٦.

واسعاً بين المعنيين، فالإمام هو من يتقدم الناس، والقائد هو من يقود الدابة من أمامها، كالفرس، والبعير، ونحوها.

قال في (لسان العرب): «الْقَوْدُ: نقيض السَّوقِ، يَقُودُ الدَّابَّةَ من أمامِها وَيَسُوقُها من خَلْفِها، فالقَوْدُ من أمامِ والسَّوقُ من خَلْفِ. قُدْتُ الفرس وغيره أَقُودُه قَوْداً ومَقَادَةً وَفَيْدُودَةً، وقاد البعيرَ وأقْتادَه: معناه جَرَّه خلفه...»

والقَوْدُ: الخيل، يقال: مرَّ بنا قَوْدٌ. الكسائي: فرس قَوُودٌ، بلا همز، الذي ينقاد، والبعير مثله، والقَوْدُ من الخيل التي تُقَادُ بِمَقَاوِدِها ولا تتركب، وتكون مُودَعَةً مُعَدَّةً لوقت الحاجة إليها. يقال: هذه الخيلُ قَوْدٌ فلان القَائِدِ، وجمع قائد الخيل قَادَةٌ... وأقاده خيلاً: أعطاه إياها يَقُودُها، وأقَدْتُك خيلاً تُقُودُها.

والمُقُودُ والقيادُ: الحبل الذي تقود به. الجوهري: المقود الحبل يشدُّ في الزِّمامِ أو اللِّجامِ تُقَادُ به الدَّابَّةُ.

والمُقُودُ: حَيْطٌ أو سير يجعل في عنق الكلب أو الدابة يقاد به.

وفلان سَلِسٌ القِيادِ وصَعْبُهُ، وهو على المثل.

وفي حديث علي، رضوان الله عليه: فمن اللهج باللذة السلس القِيادِ للشَّهْوَةِ، واستعمل أبو حنيفة القِيادِ في العاسيب فقال في صفاتها: وهي مُلوك النحل وقادتها.

وفي حديث السَّقِيفَةِ: فانطلق أبو بكر وعمر يَتَقَاودان حتى أتوهم أي يَذْهبان مُسْرِعِينَ كأن كل واحد منهما يَقُودُ الآخرَ لِسُرْعَتِهِ.

وأعطاه مَقَادَتَه: انقاد له.

والانقيادُ: الخُضُوعُ. تقول: قُدُّتُه فانقادَ واستقادَ لي إذا أعطاك مَقَادَتَه...»

وفرس قَوْود: سَلِسْ مُنْقَادٌ.

وبعير قَوْود وَقِيدٌ وَقِيدٌ، مثل مَيْت، وَأَقْوَدٌ: ذليل مُنْقَاد، والاسم من ذلك كله القِيَادَةُ^(١).

وترى الخطأ الذي وقع فيه بعض الكتاب عندما وصفوا الإمام الحسن عليه السلام بالقائد وتركوا وصف الإمامة.

ج- الخلافة:

قال عز وجل في شأن آدم مخاطباً الملائكة: ﴿...إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾^(٢)، وقال تعالى مخاطباً النبي داود عليه السلام: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ...﴾^(٣)، وبخصوص موسى وهارون: ﴿...وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾^(٤). وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام في غزوة تبوك: «يا علي إنما خلفتك على أهلي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى...»^(٥).

وفي اللغة: «وَأَسْتَخْلَفَ فلاناً من فلان: جعله مكانه. وَخَلَفَ فلان فلاناً إذا كان خَلِيفَتَهُ. يقال: خَلَفَهُ في قومه خِلافةً. وفي التنزيل العزيز: ﴿...وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي...﴾^(٦). والخليفة: السُّلْطَانُ الأعْظَمُ، وَيُؤَنَّثُ، كَالْخَلِيفِ،

(١) لسان العرب / ج ٣ ص ٣٧٠. مادة (قود).

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٣) سورة ص: الآية ٢٦.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٤٢.

(٥) الخصائص - النسائي ص ١٤. رواها عن سعد بن ابي وقاص.

(٦) سورة الأعراف: الآية ١٤٢.

وجمعها: خَلَائِفٌ وَخُلَفَاءُ^(١).

فلا بد من أن يكون الاستخلاف عن الله عز وجل، وعن رسوله صلى الله عليه وآله، فيكون خليفة الله، أو خليفة رسوله صلى الله عليه وآله، والخلافة تقتضي النيابة والبدلية.

أنشد الفراء:

وأنت خليفةُ ذاك الكمالِ أبوك خليفةٌ ولَدتُه أخرى

د- الولاية :

الولاية تقتضي التكفل، بمعنى ان يقوم الولي بكفالة المؤمنين مهما كان عددهم. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٢). و«الولاية بالكسر: السلطان. والولاية والولاية: النصرة... الولي: القرب والدنو». يقال: تباعد بعد ولي. وكل مما يليك، أي مما يقاربك.

الولي: ضد العدو. يقال منه: تَوَلَّاهُ.

والموالاتة: ضد المعادة. ويقال: والى بينهما ولاءً، أي تابع^(٣).

والخلاصة: أن الإمامة الشرعية، وبالخصوص إمامة الهدى، تعني - لفظاً - التقدم على الناس، والإمام هو الرئيس، وهو الطريق الواضح، وهو المثال والقودة. بينما القائد هو من يقود الدواب، لاسيما الخيل بمقودها، وهو الحبل أو السير يوضع في عنقها للاقتياد.

أما الخلافة فهي تقتضي النيابة عن الله تعالى أو عن رسوله صلى الله عليه وآله، وأما الولاية فتقتضي

(١) لسان العرب / ج ٩ ص ٨٣. مادة (خَلَفَ).

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(٣) الصحاح في اللغة - الجوهري / ج ٦ ص ٢٥٣.

التكفل أو كفالة المؤمنين كافة. والإمامة الشرعية إطار جامع للخلافة والولاية؛ فالإمام المعصوم خليفة لله تعالى، ولرسوله ﷺ، وولي للمؤمنين جميعاً.

٢- الدليل العقلي

الإمامة الهادية من أهم عناصر تماسك المجتمع الإنساني، وهي الوسيلة لإيصاله إلى بر الأمان، فرسول الله ﷺ أو الإمام المعصوم ﷺ هو المحرك الرئيسي لجمهور المؤمنين، وهو صاحب التأثير على الأفراد والجماعة، وهو الجهة العملية والقدوة الحسنة التي يقتدي بها الناس، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾^(١). و﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢)، ونبحث فيما يلي، على ضوء الدليل العقلي: الإمامة الحقّة، وأهداف الإمامة، وشخصية الإمام، وخصائصه، ووظيفته.

الإمامة الحقّة :

الإمامة الحقّة، لفظٌ يطلق ليصفَ التقدّم من قبل إنسان، يمتلك صفات متكاملة، ليأتمّ الناس، ويرشدّهم إلى خير دنياهم وآخرتهم، وتلك الصفات المتكاملة نتعارف عليها بالعصمة: وهي التنزه عن الجهل والخطأ، والابتعاد أبداً عن معصية الله تعالى، ولاشك أن الإمامة تقتضي وجود إمام ومأمومين، أو متبوع وتابعين، أو رئيس ومرؤوسين.

والإمامة ضرورة إنسانية؛ لأنها تجمع بين حاجتين وتلبي إرادتين:

الأولى: حاجة الناس إلى العلم والهداية والإرشاد والعدالة. ومن أراد الهداية فعليه

التوجه للإمام ﷺ.

(١) سورة النساء: الآية ٨٠.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

الثانية: إرادة الإمام عليه السلام وتشوقه لأداء وظيفته الشرعية؛ لأنه يمتلك اللياقة العلمية والعصمة بما فيها التقوى، والزهد، وطاعة الله عز وجل في كل الأحوال.

فهنا لا بد من الأخذ والعطاء، فالإمام مثله مثل النبع الصافي للماء الذي يبعث بهادته النقية الزلال إلى تخوم الأرض حيث ينتفع منها الناس في الشرب والزراعة والرعي، وكل ما تتطلبه الحياة. والنبع لا يحتمل أن يبقى نبعاً لا ينتفع منه الناس، بل كلما أخذ منه الناس ازداد عطاءً وكرماً.

وإذا كانت الإمامة الحقبة بتلك الهيئة، فلا بد للإمام عليه السلام من التعامل مع الإنسان عبر أربعة مكونات، هي:

١- العقل، حيث يتعامل الإمام عليه السلام مع عقل الإنسان فيخاطبه مخاطبة الدليل والإثبات، والهداية والإرشاد، قال الإمام الحسن عليه السلام في معرض حديثه للناس، وهو يدعوهم إلى التماس طريق العلم: «...والتمسوا ذلك عند أهله، فإنهم خاصة نور يستضاء بهم، وأئمة يقتدى بهم. بهم عيش العلم وموت الجهل، وهم الذين أخبركم حلمهم عن جهلهم، وحكم منطقتهم عن صحتهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الحق ولا يخالفون فيه. وقد خلت لهم من الله سنة، ومضى فيهم من الله حكم، إن في ذلك لذكرى للذاكرين، واعقلوه إذا سمعتموه عقل رعاية، ولا تعقلوه عقل رواية، فإن رواية الكتاب كثير، ورعاته قليل...»^(١).

٢- البدن، حيث يقوم الإمام بتعليم الناس العبادات وكل ما يتعلق بها من طهارة البدن، والصلاة، والصيام، والحج، والجهاد، ونحوها.

كان الإمام الحسن عليه السلام يعلم الناس، وعلى لسانه أوامر الله عز وجل: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا

(١) تحف العقول ص ١٦٣.

الصَّلَاةَ وَاتَّقَوْهُ...»^(١)، و«...وَاتُوا الزَّكَاةَ...»^(٢)، و«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»^(٣)، و«...وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا...»^(٤). بينما كان مناوئته يقول للناس: «والله إني ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتزكوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا، وإنما قاتلتكم لتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون»^(٥). والفارق بين الطرفين هو عدم معصية الله تعالى من قبل المعصوم عليه السلام، وعدم الاكتراث بالمعصية من قبل الآخر.

٣- القلب، عن طريق حث الناس على الخشوع لله تعالى، والاطمئنان لذكره عز وجل، كما قال تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ»^(٦). يشير الإمام الحسن عليه السلام إلى ذلك بالقول: «أيها الناس إنه من نصح الله وأخذ قوله دليلاً هُدي للتي هي أقوم، ووقفه الله للرشاد وسدده للحسنى، فإن جار الله آمن محفوظ، وعدوه خائف مخذول، فاحترسوا من الله بكثرة الذكر، وأخشوا الله بالتقوى، وتقربوا إلى الله بالطاعة، فإنه قريب مجيب، قال الله تبارك وتعالى: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ»^(٧).

فاستجيبوا لله وآمنوا به، فانه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعاضم، فإن رفعة الذين يعلمون عظمة الله أن يتواضعوا، وعز الذين يعرفون ما جلال الله أن يتذللوا له،

(١) سورة الأنعام: الآية ٧٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

(٥) مقاتل الطالبين ص ٤٥.

(٦) سورة الرعد: الآية ٢٨.

(٧) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

وسلامة الذين يعلمون ما قدرة الله أن يستسلموا له، ولا ينكروا أنفسهم بعد المعرفة، ولا يضلوا بعد الهدى...»^(١).

٤- النفس، تذكيرهم بأن النفس وشهواتها، تأمر الإنسان بالمعصية، فينقاد لها الإنسان. يقول عليه السلام محذراً: «إن لم تطعك نفسك فيما تحملها عليه مما تكرهه، فلا تطعها فيما تحملك عليه مما تهوى».

إن أهم ما يميّز الإمامة الحققة هي السلطة المعنوية على الناس، وإذا اقترنت السلطة المعنوية بالسلطة المادية كالخلافة ونحوها، تحققت العدالة الاجتماعية وأكل الناس من الخيرات من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم، كما قال الحسن عليه السلام: «... أقسم بالله قسماً تالياً لو أن الناس سمعوا قول الله ورسوله صلى الله عليه وآله [في ولاية أهل البيت عليهم السلام] لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولما اختلف سيفان، ولأكلوها خضراء خضرة إلى يوم القيامة...»^(٢).

أهداف الإمامة :

إن من أهداف الإمامة تفسير الرؤية الشرعية للحياة الإنسانية، وما بعدها من معادٍ وحسابٍ، وثوابٍ وعقابٍ، وعندما يقوم الإمام عليه السلام بذلك التفسير، يصبح للحياة هدف ومعنى، ويمكن إجمال أهداف الإمامة بالنقاط التالية:

أولاً: هداية الناس إلى طريق الخير، والصراف المستقيم، وتقريبهم من القرآن الكريم، وتعليمهم أمور دينهم، قال الإمام الحسن عليه السلام في خطابه بعد بيعة الناس له:

«نحن حزب الله الغالبون، وعتره رسول الله الأقربون، وأهل بيته الطيبون

(١) تحف العقول ص ١٦٣.

(٢) رواها الشيخ الطوسي في (الأمالي) بإسناد معتبر عن علي بن الحسين عليهما السلام، ص ٥٦٧.

الطاهرون، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله في أمته، ثاني كتاب الله الذي فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعول علينا تفسيره، لا نتظنن تأويله بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١)، وقال: ﴿... وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ...﴾^(٢) «...»^(٣).

ثانياً: توحيد الأمة على حب الخالق ﷻ، وحب النبي ﷺ وأهل البيت ﷺ، وتثبيت فكرة اليقين بالله ﷻ ورسالته، كما قال ﷺ في قضية الهدنة: «ما تدرّون ما عملت، والله الذي عملت خيراً لشيعتي ما طلعت عليه الشمس»^(٤) وقال ﷺ «أيها الناس إن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بأخرنا...»^(٥).

ثالثاً: تشخيص أهداف الحياة الدينية عبر إشعال شرارة الإيمان عند مرديه، ورؤية المستقبل رؤية حكيمة، ويتم ذلك من خلال تشخيص الأهداف القريبة الأمد (كمحاربة الناكثين والمارقين والقاسطين)، وتشخيص الأهداف البعيدة الأمد «كبناء الإنسان المؤمن الذي تحرّكه القيم الأخلاقية بعيداً عن المصالح السياسية الدنيوية»، قال له أبوه أمير المؤمنين ﷺ: «...أم كيف بك إذا ولي هذا الأمر بنو أمية، وأميرها الرحب البلعوم، الواسع الأعفاج؟ يأكل ولا يشبع، يموت وليس له في السماء ناصر، ولا في

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٣.

(٣) بحار الأنوار/ ج ١٠ ص ٩٩.

(٤) كمال الدين ص ٣١٦.

(٥) تاريخ يعقوبي / ج ٢ ص ١٩٢.

الأرض عاذر، ثم يستولي على شرقها وغربها، تدين له العباد، ويطول ملكه، يستن بسنن البدع والضلال، ويميت الحق وسنة رسول الله ﷺ، يقسم المال في أهل ولايته، ويمنعه من هو أحق به، ويذل في ملكه المؤمن، ويقوي في سلطانه الفاسق، ويجعل المال بين أنصاره دُولاً، ويتخذ عباد الله خولاً، يدرس في سلطانه الحق، ويظهر الباطل...»^(١).

رابعاً: تشخيص مصلحة الموالين، بالسلم أو الحرب، بالرخص أو الشدة، كما يقول ﷺ: «... والله لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي، وآمن به في أهلي [شيعتي]، خير من أن يقتلوني فيضيع أهل بيتي وأهلي [شيعتي]...»^(٢).

خامساً: الوعد بالجزاء الإلهي على ولائهم، وأفضل جائزة يستلمها الموالي هو العيش في أجواء المعصوم في الحياة الآخرة. وقد روى المتقي الهندي بإسناده عن علي ﷺ: «أنَّ النبي ﷺ أخذ بيد حسن وحسين، فقال: من أحبني وأحب هذين وأبهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»^(٣). وهي أصل فكرة (الشفاعة) يوم القيامة.

والإمامة على ما فيها من مهام جسيمة في هداية الناس، تنظر إلى الحياة من عينين:

- ١- عين الهداية لأولئك الذين تفتحت قلوبهم للهداية والإيمان.
- ٢- عين الصراع مع أولئك الذين صمموا حياتهم على أساس الشر، ومقارعة الحق، والتهادي في الغي والباطل.

شخصية الإمام ﷺ:

عندما ذكرنا أن الإمامة لا تتم إلا بالجعل الإلهي للقلة المصطفاة من قبله تعالى، كنا

(١) معادن الحكمة / ج ٢ ص ٢٥.

(٢) معادن الحكمة / ج ٢ ص ٢٥.

(٣) كنز العمال / ج ١٣ ص ٦٣٩ رقم ٣٧٦١٣، ورواه السيد شهاب الدين أحمد في (توضيح

الدلائل) ص ٧٠٠.

قد أخرجنا أغلب الناس منها، وحصرناها في تلك النخبة السماوية التي انتخبها السماء. قال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿...إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١)، فأئمة أهل البيت عليهم السلام، بطبيعة تكوينهم، مقدمون على الآخرين. بمعنى أنهم ومنذ نعومة أظفارهم، كانت الناس تنقاد لهم. وبكلمة ثالثة كانوا يمتلكون اللياقة العلمية والروحية التي تجعل الانقياد لهم من قبل الناس أمراً مقبولاً. ولذلك، فنحن في موضوع الإمامة، نتحدث عن الإمام عليه السلام وخصائصه أكثر مما نتحدث عن الأتباع أو المواليين.

والإمامة إرادة إلهية، كما قال تعالى: ﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢)، تتعامل مع ضعف الإنسان وقوته، فالإنسان ربما يضعف أمام مغريات الدنيا، فتكون الإمامة علاجاً لضعفه فترشده لما فيه مصلحته في الدارين. وربما يكون الإنسان قوياً في إيمانه، متوقداً في ذهنه، فالإمامة تقوي ذلك التوجه الروحي والعقلي عند الإنسان.

تعيش الإمامة عند أهل البيت عليهم السلام بالنص والتعيين، فلا شك أن النبي صلى الله عليه وآله هو الذي يعين الخليفة من بعده، وتعيينه صلى الله عليه وآله يأتي بأمر مباشر من السماء، فهو صلى الله عليه وآله ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(٣). وقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله الحسن عليه السلام في أسماء خلفائه الإثني عشر، وقال له ولأخيه الحسين عليهما السلام فيما رواه علماء الفريقين: «أنتما الإمامان ولأمكما الشفاعة»^(٤). وأوصاه أبوه أمير المؤمنين عليه السلام بالقول: «يا بني أنت ولي الأمر وولي الدم»^(٥). وأشهد على

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٣) سورة النجم: الآية ٣.

(٤) الإتحاف بحب الأشراف - الشبراوي الشافعي ص ١٢٩. ونزهة المجالس - الصفوري

الشافعي / ج ٢ ص ١٨٤.

(٥) شرح أصول الكافي - المازندراني ص ١٥٠.

وصيته الحسين عليه السلام ومحمداً وجميع ولده وأهل بيته ومواليه، كما مر بنا سابقاً. والإمامة الشرعية مرتبطة ارتباطاً مباشراً بذرية النبي إبراهيم عليه السلام: ﴿... قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١)، ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾^(٢) أي أن الأئمة المعصومين عليهم السلام يولدون، وهم يحملون بذور الإمامة في شخصياتهم، فهو جعل إلهي، فلا يمكن صنع الإمام عن طريق المدرسة والاساتذ، وليست هناك آلية اجتماعية لصناعة الإمام المعصوم عليه السلام، مع أن هناك آليات عديدة لصناعة القائد السياسي أو الفكري في المجتمع، أي أن بذور الإمامة متجذرة في شخصياتهم الوراثية.

والإمام المعصوم عليه السلام لا يلهو ولا يلعب، بل يتزين بثوب الوقار، ويستغرق قلبه بالفيض العلمي الالهي، ولذلك يشير الإمام الباقر إلى خصائص الإمام في الطفولة ويحصرها بثلاث خصال: (طهارة المولد، وحسن المنشأ، ولا يلهو ولا يلعب)^(٣).

فالإمامة تركيز كبير على شخصية الإمام، باعتبارها شخصية محورية تدور عليها رحى الهداية، والتبليغ، والإقتداء، والتعليم. ويكون الأتباع في بعض الأحيان من أطوع الناس لإمامهم، وفي أحيان أخرى يتمردون ويتناقلون عن أداء التكليف، بل لا يمكن الثقة بهم، فيكون للإمام الدور الأعظم في إيصال المخلصين منهم إلى الهدف الصحيح. والإمامة، أقرب في المصطلح الاجتماعي، إلى الأتوقراطية، وهي الاهتمام بدراسة شخصية الرئيس دون الأتباع.

خصائص الإمام عليه السلام:

لا بد من أن تكون للإمام خصائص عظيمة في التأثير على فكر الآخرين وسلوكهم، موالين كانوا أو غير موالين، وعليه فالإمام:

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٩.

(٣) الكافي: كتاب الحجّة - باب الأمور التي توجب حجة الإمام عليه السلام - حديث ٤ / ج ١ ص ٣١١.

أ- أن يكون قدوة حسنة، وانموذجاً مثالياً للآخرين، أي أنه إذا أمر بالقتال مثلاً يكون هو أول من يقاتل مع جنوده، وإذا أمر بالزهد يكون هو أول زاهد فيهم، وإذا أمر بطلب العلم كان هو اعلمهم، وهكذا.

والإنسان، بطبيعته، يرغب في رؤية إمامه متخلياً عن الدنيا، ويسعد في رؤية هم إمامه منصباً على هداية الآخرين إلى السعادة الأبدية، ولذا ترى أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يرقع لباسه ويقول: «أما والله لقد رقت مدرعتي حتى استحيت من راقعها حتى قال لي قائل: ألا تنبذها عنك؟ فقلت: أعزب عني، فعند الصباح يحمد القوم السرى. ما لعلي لذة تفنى ونعيم يبلى»^(١).

ب- أن يكون إمام فكر بالإضافة إلى كونه إمام عمل، فهو كالقرآن الناطق يترجم أفكار الكتاب السماوي الخاتم إلى شخصية قرآنية، ويترجم أفكار السنة النبوية إلى شخصية سلوكها قريب من سيرة النبي صلى الله عليه وآله، وتلك إمامة فكرية تعيش مع الأمة إلى أبد الدهر، والإمام الحق هو الذي يطبق التكليف على نفسه أولاً، ثم يدعو الناس إليها ثانياً، أي أنه لا يدعو الناس إلى صفة الزهد ويستثني نفسه منها، وقد قال تعالى يدين حال اليهود: ﴿آتَمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

ج- تكون شخصيته متكاملة يشد بعضها بعضاً، وأن يجمع الفضائل جمعاً متميزاً، فالإمام زاهد في حياته، لكنه بطل في الحرب، ولكن ما أن تضع الحرب أوزارها، حتى تراه من أعظم أهل البلاغة كما كان قبل لحظات أعظم الفرسان.

وبكلمة أخرى، إن زهد الإمام لا يؤثر على شجاعته في الحرب، وشجاعته في

(١) أمالي الصدوق ص ٧١٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٤.

الحرب لا تؤثر سلباً على بلاغته في الوعظ والارشاد، وبلاغته لا تؤثر على تواضعه لله تعالى وللناس. وهذا ما يصطلح عليه بالأفضلية، فالإمام المعصوم عليه السلام في زمانه أفضل الناس في العلم، والإيمان، والتقوى، والزهد، والعبادة، والإنابة، والفصاحة، والشجاعة، والصبر، ونحوها من صفات الفضيلة، وتلك قضية عقلية مسلّمة لا يحتاج الاستدلال عليها إلى كثير من المؤونة.

د- تمسك الإمام بمبدئه مهما كان الثمن، ومهما كانت الظروف، وإذا كان التمسك بالمبدأ بتلك الدرجة من القوة، كان الإمام حاسماً حازماً في قراره، وغير متردد البتة. والمشكلة أحياناً أن القلّة من الأتباع ترى ما يراه الإمام، بينما تُحطّئ الأكثرية تقدير الموقف، بل قد تعارضه، فيثبت الإمام على مبدأه مهما كلّفه ذلك من ثمن، وهذا ما حصل مع أمير المؤمنين عليه السلام عندما عارضه من عارض، إلا أنه ثبت على موقفه حتى النهاية، وكان الخطبُ مشابهاً للحسن والحسين عليهما السلام.

إنّ الإمامة، في نظر المعصوم، تمسكٌ بالعقيدة حتى النهاية، فلم نرَ إماماً معصوماً تخلّى عن عقيدته أو إمامته في فترة من فترات حياته، أبداً.

وظيفة الإمام عليه السلام :

وظيفة الإمام تنسجم في كل الأحيان، انسجاماً تاماً مع شروط الموقف الذي يمر به، ومقتضيات الزمان، فالإمام عليه السلام، مع أنه ينظر إلى المقدمات، إلا أنه ينظر إلى النتائج، ويلمس مطابقتها للميزان الشرعي.

فمن وظيفة الإمام عليه السلام :

١- صنع القرار: فالإمام يصنع القرار الديني الذي يهّم المواليين بصورة مباشرة،

كقرار الحرب والسلام، وقرار التصدي للخلافة أو عدمها، وقرار الدخول في معاهدة أو هدنة ونحوها، ولذلك دخل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ثلاث حروب فرضت عليه في خلافته، ودخل الإمام الحسن عليه السلام حرباً مع معاوية لم تكتمل مقدماتها، ودخل الإمام الحسين عليه السلام حرباً غير متكافئة مع جيش يزيد. ودخل الإمامان السجاد والباقر عليهما السلام حالات التقية الواجبة، وأمرا مواليتهم بالالتزام بها. وإنسانٌ بهذا القدر من الأهمية، كالإمام عليه السلام، لابد من أن تكون له نخبة تساعده، وأصحابٌ يزودون عنه بأنفسهم.

٢- إدارة الأزمات الكبيرة والتعامل معها بالحكمة المعهودة من قبل المعصوم عليه السلام.

ولو بدأنا برسول الله صلى الله عليه وآله لرأينا حجم تعامله مع المشركين والمنافقين، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تعامل مع أزمات كبيرة مثل تمرد إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وآله عليه في حرب الجمل، وتمرد أحد الولاة المعزولين عليه في حرب صفين، وتمرد شطرٌ من جيشه في معركة النهروان.

والإمام الحسن عليه السلام تعامل مع أزمات كبيرة مثل خيانة بعض أصحابه وقادة جيشه، وقلة الناصر، وتآمر معاوية عليه، وقضية الهدنة.

والإمام الحسين عليه السلام تعامل مع أزمات كبيرة مثل خيانة أهل الكوفة، وقلة الناصر، وثباته عليه السلام حتى النهاية مع ابنائه وأصحابه في معركة قاسية لا رحمة فيها، ولكل إمام معصوم أزمة عظيمة لابد من أن يواجهها، ويديرها لمصلحة الدين.

٣- تشخيص المحيط الاجتماعي: وذلك لا يتم إلا بعد فهم المحاور أو المفاصل التي تحرك المجتمع، فهناك الموالون المخلصون، وهناك المشاقلون، والأعداء، والرعاع، والخائنون مع كل تيار. أو كما وصفوا في كتاب (الإرشاد) عند حديثه عن جنود جيش الإمام الحسن عليه السلام: «بعضهم شيعته له ولأبيه، وبعضهم خوارج، وبعضهم أصحاب فتن

وطمع في الغنائم، وبعضهم شكاك، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين»^(١).

ومن أجل التعامل مع المشاكل الاجتماعية التي يواجهها الإمام رضي الله عنه، لابد من ملاحظة أمرين. الأول: إدارة مؤسسات الدولة. الثاني: إشاعة ثقافة الإمامة.

الأول: الإدارة: إن للإدارة معنى يختلف عن معنى الإمامة، فعن طريق إدارة الجيش مثلاً يتم التخطيط للحرب أو السلم، وتنظيم الجنود وتدريبهم وإعطاء رواتبهم، وتهذيب سلوكهم. وعن طريق إدارة بيت المال يتم تحقيق قدر أكبر من العدالة الاجتماعية عبر توزيع الصدقات والحقوق التي تتجمع في بيت المال، ولاشك أن الفقراء هم أكثر المستفيدين من عدالة توزيع الثروة الاجتماعية، وغالباً ما تكون للإدارة تخطيطاً قصير الأمد لأموال مثل الحرب أو الدفاع أو الأمور المالية ونحوها.

والإدارة مرتبطة بالخلافة مباشرة، فعن طريق الخلافة يتم تعيين الولاة على الأمصار، ويتم تنظيم بيت المال لتوزيع الصدقات ونحوها على الفقراء، ويتم تحقيق الأمن الاجتماعي، وتأمين حرية التعبير، وحرية العبادة والاعتقاد.

أما الإمامة فهي قضية أكبر من مجرد الإدارة أو الخلافة، هي قضية تُلهم الأفراد عن طريق إلهام زعيمهم لهم، فالإمام رضي الله عنه يثبت الأمر إلى أمد بعيد، بل إلى قيام الساعة، فههدف الإمام رضي الله عنه يستوعب حياة كل إنسان عاش معه أو عاش بعده.

والإمام يخلق عند القلة هذا الشعور بالإلهام والقرب من الله تعالى، والرغبة في تطبيق أحكام الدين، وحتى لو عارضته الأكثرية خطأً في فهمها للمقدمات، إلا أنه يبقى ملهماً للأجيال القادمة على مر الزمان.

(١) الإرشاد ص ١٧١.

وأهم ما يسعى إليه الإمام عليه السلام في الإدارة هو تحقيق العدالة الاجتماعية والحقوقية بين الناس، وتثبيت الحق ودحر الباطل، ونشر الفضائل السامية بين الناس، والحكم الصائب على الأمور، لاسيما عندما تكون رؤية الحق عند الناس رؤية ضبابية غير واضحة المعالم.

إن النظرة البعيدة التي ينظرها الإمام عليه السلام، مع الأخذ بالاعتبار وظيفته في تفسير الشريعة، وسلوكه الذي يكشف الحق عن الباطل، والصواب عن الخطأ، تخلق تسليماً لإمامته عند المؤمنين.

وقضية الإدارة الاجتماعية (أو الخلافة) قضية يقوم بها الإمام إذا تحققت الشروط الكفيلة بنجاحها، أما إذا كانت الشروط الاجتماعية لا تساعد على القيام بمهام الخلافة والإدارة، فإن الإمام يتمسك بالإمامة لهداية الناس، وأهل الدهاء والمكر يستطيعون سلب الإمام عليه السلام حقه في الإدارة والخلافة، لكنهم لا يستطيعون تقمص الإمامة الشرعية حتى لو حاولوا ذلك؛ لأن الإمامة الشرعية جعل إلهي أودعه الله تعالى في تلك النفوس الزكية التي اصطفها الله تعالى، ورفعها إلى أعلى درجات الفضيلة والكمال.

الثاني: إشاعة ثقافة الإمامة: إن الإسلام، بتأكيده على قضية الأفضلية في العلم والنسب والشجاعة والارتباط برسول الله صلى الله عليه وآله، أراد من الإمام أن يشيع ثقافة (الإمامة) في مجتمع العرب، كان ذلك المجتمع العشائري يعتقد بأن الإمامة ينبغي أن تكون فيمن هو أكبرهم سنّاً، وأكثرهم دهاءً، وكان لا يعير أهمية كبيرة لحجم العلم عند الزعيم أو الإمام.

فإذا بالإسلام يأمر بإمامة الحسن عليه السلام لكماله في الفضائل والعلم دون النظر إلى سنّه أو علاقته بالنبذة الحاكمة من أهل الدهاء من بني أمية، ولذلك كان معاوية يكرر

قوله للحسن عليه السلام: «... ولكن قد علمت أني أطول منك ولاية، وأقدم منك بهذه الأمة تجربة، وأكبر منك سنًا، فأنت أحق أن تحييني...»^(١). وكان الغاية تبرر الوسيلة، وكان المقدمات الباطلة تفضي إلى نتيجة عادلة!

٤- تعليم الناس وتذليل سبل الهداية لهم، وهذا يتم عبر أمرين:

الأول: القابلية اللغوية الفائقة عند الإمام المعصوم عليه السلام، وهي القابلية على استخدام الألفاظ الواضحة الجليلة التي تؤدي إلى المعنى المطلوب استخداماً بلاغياً يعجز عنه الآخرون، فالإمام عليه السلام لا يأمر أتباعه بالإشارة، بل أنه يخاطبهم خطاباً صريحاً بليغاً، فدلالة ألفاظ الإمام تدل على المعاني دلالة تامة.

الثاني: تذليل سبل الهداية للناس عبر سلوكٍ انموزجيٍّ يرقى إلى مستوى الكمال في الصدق، والأمانة، والعبادة، والزهد، والمعرفة، وأئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام، سلكوا سلوكاً نموذجياً، يصعب على الإنسان العادي سلوكه، لاسيما في مجالات العلم، والتقوى، والزهد، والابتعاد عن المعصية، وفعل الطاعات والمستحبات.

إن أهم آثار الإمامة الشرعية هو تحفيز الناس على شحذ الهمم الداخلية عند الإنسان نحو تطبيق الشريعة، وربط هوية الموالين له بالإطار الأعظم للإسلام، فالإمامة تمنح الإنسان طاقة عظيمة في تهذيب السلوك الاجتماعي والفردية.

٥- النزول إلى مستوى الموالين والعمل معهم، بل والرحمة بالفقراء والمستضعفين، كما في الروايات أن الحسن عليه السلام كان يجلس مع الفقراء ويأكل معهم، ثم يدعوهم إلى مائدته.

وقد روي أنه عليه السلام «مرّ على فقراء، وقد وضعوا كسيرات من الخبز على الأرض، وهم

(١) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٤ ص ١٢.

فعود يلتقطونها ويأكلونها، فقالوا: هلم يا بن رسول الله إلى الغداء، فنزل وقال: ﴿... إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾^(١)، وجعل يأكل معهم حتى اكتفوا والزاد على حاله ببركته، ثم دعاهم إلى ضيافته، وأطعمهم وكساهم^(٢). وهذا يعني أن من وظيفة الإمام عليه السلام التآسي بالفقراء والمساكين، والتحسس لآلامهم ومعاناتهم، لاسيما ألم الجوع.

٣- الدليل الشرعي

بعد أن انتهينا من شرح الدليل العقلي في الإمامة، وانتهينا إلى ضرورة وجود الإمام الحق الذي يهدي الناس إلى شريعة الدين، نبحت في الدليل الشرعي للإمامة.

أصول الإمامة^(٣):

إن تنظيم الحياة الدينية والاجتماعية للإنسان تقتضي وجود زعيم كامل الصفات والسلوك، تطيعه الناس وتجد فيه المعنى الحقيقي للحياة، وذلك هو الإمام المعصوم الواجب الطاعة، ومنصبٌ خطيرٌ بتلك الدرجة لا بد من أن يكون مرتبطاً بالله تعالى، فهنا نقطتان:

الأولى: إن الإمامة لا تتم إلا بالتعيين من قبل الله تعالى، كما ذكرنا ذلك سابقاً، فالإمام المعصوم لا يكون إماماً إلا بإرادة آهية وجعل رباني، أي أن الإنسان لا يستطيع، مهما اجتهد ودرس، أن يكون بمنزلة الإمام المعصوم عليه السلام، فالقضية إرادة آهية اقتضت أن يكون هؤلاء الأطهار من آل البيت عليهم السلام أئمة هدى، وإلى ذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ

(١) سورة النحل: الآية ٢٣.

(٢) المناقب (ش)/ ج ٤ ص ٢٣.

(٣) راجع كتاب (الإمام علي بن الحسين عليه السلام) للمؤلف. قم: مطبعة ستارة ١٤٢٥.

اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿١﴾، فالإرادة الإلهية شاءت أن تحصر الإمامة الشرعية الكلية بهم عليهم السلام.

الثانية: إن الإمامة منصبٌ إلهيٌّ، وليست منصباً سياسياً أو اجتماعياً، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾^(٢)، فالإمامة تنتهي إلى من له ملك السموات والأرض فيقلدها من اصطفاه من عباده، ويجعلها لمن ابتلاه من خيرة خلقه، وبمعنى آخر، أن الإمامة لا تجري مجرى الانتخاب أو التصويت، بل هي بالتعيين الإلهي أو الاصطفاء.

ويشترط فيمن تكون له الولاية والإمامة أن تكون له اللياقة التامة الكاملة، من قبيل إمتلاكه الفضائل الإنسانية، والكمالات الروحية، والجسمية، والملكات القدسية، وتلك صفات أساسية يعلمها الله تبارك وتعالى لعباده الذين يصطفاهم لتلك المهمة العظيمة.

من شروط الإمامة: اللياقة العلمية، والعصمة

وأهم شروط الإمامة هو العلم، وعدم ارتكاب المعصية، وتقترن معها أخلاق سامية كالشجاعة، والكرم، والزهد، ونحوها من الصفات.

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

اللياقة العلمية

فالإمامة الإلهية لا تكتمل إلا بعلم رباني، وفيض إلهي يحيط بجميع شؤون ولاية الإمام عليه السلام، بمعنى أنه لا بد للإمام من العلم بجميع حقائق الشريعة، وتام خصوصيات الأحكام، وفهم تام لجميع آيات القرآن، وإدراك تام لعوالم الوجود، فاللياقة العلمية تقتضي علماً كاملاً بعوالم التشريع والتكوين، وموارد الولاية على الناس، وأولويات التصرف فيها.

وتشير جملة من الآيات القرآنية الشريفة إلى مراتب العلم الإلهي، فيقول تعالى بخصوص الخضر عليه السلام: ﴿... وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾^(١)، وبخصوص لقمان عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ...﴾^(٢)، وفي شأن داود عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ...﴾^(٣)، وفي حق وزير سليمان بن داود عليه السلام: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ...﴾^(٤)، وبخصوص عيسى عليه السلام: ﴿... وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ...﴾^(٥). وفي جميع تلك الآيات هناك مقدار من العلم الإلهي قد أودع فيهم، قدره الله تعالى لهم لإكرامهم، وإنجاز وظيفتهم الرسالية.

(١) سورة الكهف: الآية ٦٥.

(٢) سورة لقمان: الآية ١٢.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٨٠.

(٤) سورة النمل: الآية ٤٠.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

يذكر الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) رسالة الإمام الحسن بن علي عليه السلام إلى علي بن محمد بن اسحاق يقول فيها:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِمَنَّةٍ وَرَحْمَةٍ، لَمَا فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْفَرَائِضَ، لَمْ يَفْرَضْ ذَلِكَ لِحَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهِ، بَلْ رَحْمَةً مِنْهُ إِلَيْكُمْ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لِيَمَيِّزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَلِيَبْتَلِيَ مَا فِي صُدُورِكُمْ، وَلِيَمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ، وَلِتَسَابِقُوا إِلَى رَحْمَتِهِ، وَلِتَتَفَاضَلَ مِنْزَلُكُمْ فِي جَنَّتِهِ، فَفَرَضَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ، وَإِقَامَ الصَّلَاةَ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةَ، وَالصُّوْمَ، وَالْوَلَايَةَ، وَجَعَلَ لَكُمْ بَابًا لَتَفْتَحُوا بِهِ أَبْوَابَ الْفَرَائِضِ، وَمِفْتَاحًا إِلَى سَبِيلِهِ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ عليه السلام وَالْأَوْصِيَاءُ مِنْ وَلَدِهِ، كُنْتُمْ حَيَارَى... لَا تَعْرِفُونَ فَرَضًا مِنَ الْفَرَائِضِ، وَهَلْ تَدْخُلُ قَرْيَةً إِلَّا مِنْ بَابِهَا، فَلَمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِإِقَامَةِ الْأَوْلِيَاءِ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ عليه السلام قَالَ اللَّهُ عز وجل: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾^(١) وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ لِأَوْلِيَائِهِ حَقُوقًا، فَأَمْرَكُمْ بِأَدَائِهَا إِلَيْهِمْ، لِيَحْلَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ظَهُورِكُمْ، مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَمَأْكَلِكُمْ وَمَشْرَبِكُمْ، وَيَعْرِفَكُم بِذَلِكَ الْبُرْكَهَ وَالنَّاءَ وَالثَّرْوَةَ، وَلِيَعْلَمَ مِنْ يَطِيعِهِ مِنْكُمْ بِالْغَيْبِ، وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٢)، فَاعْلَمُوا: أَنَّ مَنْ يَبْخُلُ فَإِنَّا يَبْخُلُ عَلَى نَفْسِهِ إِنْ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَاعْمَلُوا مِنْ بَعْدِ مَا شِئْتُمْ ﴿... فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣) وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٤).

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

(٤) علل الشرائع ص ٢٤٩-٢٥٠، وبحار الأنوار / ج ٥ ص ٣١٥.

الاستدلال على اللياقة العلمية :

وفي الاستدلال على اللياقة العلمية للإمام نأتي بآيتين لها خصوصية في هذا المقام:

الأولى: قوله تعالى في قصة آدم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾^(١).

وهذه الآية صريحة في ان الإمامة الإلهية أو الخلافة، لا تتم إلا باللياقة العلمية الربانية الشاملة لجميع الحقائق والكليات، وهي موهبة خاصة لا تتوفر للملائكة الذين جبلوا على الطاعة، والعبادة، والتقديس، فالخلافة أو الإمامة هنا، لا تحصل إلا بإفاضة العلم الرباني على الخليفة الرباني.

الثانية: قوله تعالى: ﴿...قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٢)، وهذه الآية غالباً ما يستشهد بها أئمة أهل البيت عليهم السلام على قدرتهم العلمية والإعجازية، وهذا الذي عنده علم الكتاب ويكون شهيداً بين النبي صلى الله عليه وآله وقومه لا بد من أن يكون حائزاً على فيض رباني، وعلم إلهي، وفضيلة حتى يكون مؤهلاً للشهادة لرسول الله صلى الله عليه وآله شهادة تامة من جميع الجوانب، وكيف يستطيع ذلك الشاهد إدراك أفضلية خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله ما لم يكن فاضلاً نفسه.

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠ - ٣٣.

(٢) سورة الرعد: الآية ٤٣.

وعلمُ الكتاب يعني العلم بكل شيء؛ لأن الكتاب الذي يعلمه لا بد أن يكون أحد أمرين: إما اللوح المحفوظ الذي دوّن فيه كل شيء، وإما القرآن الكريم الذي يصرح بأنه ﴿...تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ...﴾^(١)، ﴿...وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢)، وإذا انحصر الكتاب بالقرآن الكريم، فمن عنده علم الكتاب هو العالم العارف بكليات القرآن الكريم وجزئياته، وإذا كان الذي عنده علم من الكتاب قادراً على إحضار عرش بلقيس ملكة سبأ قبل أن يرتد إلى سليمان رضي الله عنه طرفه، فإن الذي عنده علم الكتاب (وهو الإمام المعصوم) قادر على الإحاطة العلمية الكاملة بقضايا التشريع والتكوين، بإذن الله تعالى.

الإمامة في القرآن الكريم:

قال تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا...﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(٤)، فالإمامة هي الهداية التي تقع بأمر الله تعالى. وهنا جملة نقاط:

١- إن الإمام هادٍ يهدي بأمر ملكوتي أو إلهي يصاحبه دائماً، فالإمامة هي ولاية على الناس في أعمالهم، وهدايتهم إلى الهدف المنشود، وهذا يعني إيصالهم إلى المقصود حقيقة، لا مجرد إظهار خارطة الطريق، وتركهم لوحدهم في تدبير سيرهم، أي إن الهداية غير التبليغ، فالهداية من الله تعالى إيصالٌ عن طريق الهادي، أما التبليغ، فهو

(١) سورة النحل: الآية ٨٩.

(٢) سورة الانعام: الآية ٥٩.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٧٣-٧٣.

(٤) سورة السجدة: الآية ٢٤.

نصح وموعظة حسنة وإراءة الطريق، وليس فيها إيصال إلى المقصود. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١)، وقال تعالى في مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٣).

٢- إنَّ درجة الإمامة، لشرفها وعظمتها، إنما تمنح لسبيين:

الأول: الصبر، وثمرته النجاح في الابتلاء والامتحان. قال تعالى في بيان سبب إعطائهم الإمامة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(٤).

الثاني: اليقين، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^(٥)، ويترسخ اليقين عندما يرتفع ذلك الحجاب من الجهل والمعصية عن قلوب هؤلاء المقربين، كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يُشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٦)، وأهل اليقين بالله لا تحجبهم رذيلة المعصية، ولا رذيلة الجهل عن ربهم.

(١) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٢) سورة غافر (المؤمن): الآية ٣٨.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٢.

(٤) سورة السجدة: الآية ٢٤.

(٥) سورة الأنعام: الآية ٧٥.

(٦) سورة المطففين: الآية ١٤ - ٢١.

٣- إنَّ هذا العالم له وجهان: ظاهري مكشوف، وباطني محجوب (غير مكشوف). وإذا كان الإمام الحق، ذو اليقين التام، يهدي بأمر الله تعالى، فلا بد له من أن يرى العالم بوجهيه: الظاهري والباطني، لأن الهداية بأمر الله تعالى لها علاقة بالقلوب والأعمال.

وعالم الإنسان له وجهان أيضاً: ظاهري وباطني، وإذا كان الإمام رضي الله عنه يعلم أفعال القلوب والأعمال، فلا بد أن يرى الأشياء بوجهيها في عالمي الشهادة والغيب، بإذن الله تعالى.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ...﴾^(١)، إن الإمام المقصود هنا هو الإمام الحق، وليس الإمام كتاب الأعمال كما يُظن، فالإمام الحق يسوق الناس إلى الله سبحانه يوم القيامة^(٢).

٤- إنَّ الإمامة لا تُمنَحُ إلَّا إلى المهتدي إلى الحق بنفسه بإذن الله، ولا تُمنَحُ إلى المهتدي بغيره، قال تعالى: ﴿...أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٣). والمهتدي بغيره لا يكون هادياً.

٥- إنَّ أفعال الإمام إنما هي خيرات يهتدي إليها بتسديد ألهي، فالإمام يجب أن يكون معصوماً عن الضلال والمعصية، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾^(٤).

٦- لخص العلامة الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) مسائل الإمامة بسبع نقاط هي:

١- إنَّ الإمامة مجعولة.

(١) سورة الإسراء: الآية ٧١.

(٢) تفسير الميزان / ج ١ ص ٢٧٣.

(٣) سورة يونس: الآية ٣٥.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

- ٢- إنَّ الإمامَ يجب أن يكون معصوماً بعصمة إلهية.
- ٣- إنَّ الأرضَ ومن فيها من الناس، لا تخلو من إمام حق.
- ٤- إنَّ الإمامَ يجب أن يكون مؤيداً من عند الله تعالى.
- ٥- إنَّ أعمالَ العباد غير محجوبة عن علم الإمام.
- ٦- إنَّه يجب أن يكون عالماً بجميع ما يحتاج إليه الناس في أمور معاشهم ومعادهم.
- ٧- إنَّه يستحيل أن يوجد فيهم من يفوقه في فضائل النفس^(١).

(١) تفسير الميزان / ج ١ ص ٢٧٤-٢٧٥.

العصمة

ونبحثها في اللغة وفي الاصطلاح:

أ- **العصمة في اللغة:** في (لسان العرب): «المنع. وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقُه. عصمه يعصمه عصياً: منعه ووقاه... قال الزجاج في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ جِبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ...﴾^(١) أي يمنعني من الماء، والمعنى من تغريق الماء، قال: ﴿...لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ...﴾^(٢). المعنى: لكن من رحم الله فإنه معصوم...»^(٣).

و«اعتصم فلانٌ بالله إذا امتنع به. والعصمة الحفظُ. يقال: عصمته فأنعصم. واعتصمتُ بالله إذا امتنعتَ بطفه من المعصية... واعتصم به واستعصم: امتنع وأبى، قال الله عز وجل حكاية عن امرأة العزيز حين راودته عن نفسه: ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾، أي تابى عليها ولم يُجبها إلى ما طلبت... وفي الحديث: «من كانت عصمته شهادة أن لا إله إلا الله، أي ما يعصمه من المهالك يوم القيامة».

العصمة: المنعة. والعاصم: المانع الحامي. والاعتصام: الامتسكُ بالشيء، افتعال منه. ومنه شعر أبي طالب: ثمأل اليتامى عصمةً للأراملِ، أي يمنعهم من الضياع والحاجة»^(٤).

(١) سورة هود: الآية ٤٣.

(٢) سورة هود: الآية ٤٣.

(٣) لسان العرب / ج ١٢ ص ٤٠٣. مادة (عصم).

(٤) لسان العرب / ج ١٢ ص ٤٠٤. مادة (عصم).

وفي (مقاييس اللغة): «معنى العِصْمَة: أن يعصمُ اللهُ تعالى عبْدَه من سوءٍ يقع فيه. واعتصم العبدُ بالله تعالى، إذا امتنع. واستعصم: التجأ. وتقول العربُ: أعصمتُ فلاناً، أي هيأتُ له شيئاً يعتصم بما نالته يده أي يلتجئ ويتمسك به. قال النابغة:

يَظُلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَأَحُ مُعْتَصِماً بِالْخَيْرِ رَانَةٍ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ رَعْدٍ^(١)

وفي (الصحاح في اللغة): «... قال النابغة الذبياني: وكنت ربيعاً لليتامي وعِصْمَةً... أي: كنت لليتامي في إحسانك إليهم بمنزلة الربيع الذي به عيش الناس. والعِصْمَةُ: ما يُعْتَصَمُ به الإنسانُ من الهلاك»^(٢).

والخلاصة، أن معنى العصمة لغوياً: هو الامتناع، بلطف الله تعالى، عن ارتكاب المعصية.

ب- العِصْمَةُ فِي الْمَصْطَلَحِ: العِصْمَةُ هي مَلَكَةٌ رُوحِيَّةٌ تَصُونُ صَاحِبَهَا عَنِ الْخَطَا، والنسيان، والجهل، والعصيان. وبتعبير آخر، إن الإمام يجب أن يكون معصوماً عن ارتكاب المخالفات الشرعية، أو ارتكاب الأعمال التي يستقبحها العقل، بصورة كلية أو جزئية، عمداً أو سهواً، ومن الصبا المبكر وحتى الممات.

فالمعصوم ينبغي أن لا يخالف التكاليف الشرعية، مع قدرته عليها، لعدة أسباب:

الأول: إن الهدف من الإمامة هو حفظ الشريعة، فلا بد أن يكون الإمام حافظاً للدين، ومن أجل تحقيق ذلك لا بد أن يكون معصوماً. أي لا بد أن لا يخطأ، ولا ينسى، ولا يجهل أمور الدين، وأن لا يرتكب المعصية الشرعية، أو العقلية وهو قادر عليها. ولا يمكن أن تكون العصمة في الدين متجزأة، أي لا يمكن أن يكون له فهم في أمور،

(١) مقاييس اللغة / ج ١٢ ص ٤٠٤. مادة (عصم).

(٢) الصحاح في اللغة / ج ٣ ص ١٩٨. مادة (وحد).

وجهل في أمور أخرى. بل لا بد أن تكون العصمة تامة، كاملة، وشاملة لجميع موارد الدين، بما فيها الإعتقادات، والعبادات.

الثاني: أن الحاجة من وجود الإمامة هو عدم تفويت المصالح على العباد، أي أن الإمام المعصوم يمنع الظلم، ويتصرف للمظلوم، ويرفع الفساد، ويحمل الناس على الطاعة، ويمنعهم عن ارتكاب الفواحش والمنكرات، ويحسم مادة الفتن، ويقيم الحدود والفرائض، ولو جازت المعصية من إنسان من هذا القبيل لانتفت المصلحة من وجوده.

وغير المعصوم يمكن أن يرتكب المعصية، فلا تحصل الفائدة من إمامته، وغير المعصوم تصدر منه الصغائر التي لا تنافي العدالة، ولا تحصل الفائدة من وجوده، لأنه يحتاج عندئذ إلى إمام آخر لا يرتكب الصغائر، والإمام الذي يخطئ يحتاج إلى إمام آخر يمنعه عن ارتكاب الاخطاء، وحتى لو كان معذوراً، فإن العذر لا يصحح تفويت تلك المصالح على العباد.

وبذلك نستنتج بأن الإمام ينبغي أن يكون معصوماً عصمة تامة، حتى تُحرز العدالة الواقعية من أفعاله وأقواله، ويؤيدها قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١)، وهي صريحة في أن الولاية أو الإمامة لا ينالها الظالم، والمعصية مهما كان حجمها لا تتعدى كونها أحد أنواع الظلم الثلاثة، وهي: ظلم بحق الله تعالى، أو ظلم بحق الناس، أو ظلم بحق النفس. وكلها تعدُّ تعدياً لحدود الله، وقد قال تعالى: ﴿...وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢).

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢٩.

قال السيوطي (ت ٩١١ هـ) في (الدر المنثور) في تفسير الآية الآنفة الذكر: «قال ابن عباس:.... لا ينال عهده من هو في رتبة ظالم، ولا ينبغي أن يوليه شيئاً من أمره. وعن مجاهد: أن المعنى هو أن لا أجعل إماماً ظالماً يقتدى به»^(١).

الثالث: هناك إحتمال بأن يخالف غير المعصوم الحقَّ عمداً أو خطأً، فيلزم عندئذٍ الخروج عن طاعته، والإنكار عليه من باب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وإذا تمّ ذلك كان خلاف الهدف الذي تم فيه نصب الإمام، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾^(٢). والآية صريحة في وجوب طاعة أولي الأمر على الإطلاق، كوجوب طاعته عليه السلام، وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله، وهذا لا يتحقق إلا بالعصمة؛ لأن غير المعصوم قد يأمر بالمعصية خطأً أم نسياناً أم جهلاً، وعندئذٍ يجب مخالفته، بينما أوجبت الآية طاعته، فعندئذٍ يقع التناقض بين وجوب الطاعة للولي، وحرمة الطاعة في معصية الله عز وجل، وهذا مستحيل بحق القرآن.

الرابع: إن الإمام هو مثل أعلى للناس، فإذا لم يكن معصوماً وصدرت منه المعصية أحياناً، ولو كانت من الصغائر، أصبح مورداً لعدم الاطمئنان به وبقيادته؛ لأن الصغيرة من الإمام أقبح من الكبيرة من عموم الناس؛ فهنا يسقط من القلوب ولا تنقاد الناس إلى إمامته؛ قال تعالى في خطابه إلى نساء النبي صلى الله عليه وآله: ﴿... مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(٣).

العصمة في القرآن الكريم:

أشار القرآن الكريم إلى فكرة (العصمة) في كثير من الآيات القرآنية، واعتبرها

(١) الدر المنثور - السيوطي / ج ١ ص ١١٨.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٠.

إلهاماً، وعلماً، تصون المعصوم عن المعصية، والجهل، وفي ذلك نقاط:

١- العصمة نوعٌ من العلم يمنع صاحبه التلبس بالمعصية والخطأ، بل هو علمٌ مانعٌ عن الضلال، ولو افترضنا أن إنساناً كان من أهل التقوى والدين، فهو - وإن تنزه عن الوقوع في الرذيلة - لا يصل حد الكمال في صيانة نفسه من الرذيلة طول حياته، فينجر الإنسان أحياناً إلى الانزلاق في الشهوة بفعل الغريزة أو قوة الانجذاب للرذيلة. ثم يتوب ويعود إلى ساحة التقوى والمغفرة.

إلا أن العصمة شيء آخر، فهي نوعٌ من العلم أفصحت عنه الآية الكريمة: ﴿... وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(١)، والمراد هنا «نوعان من العلم: أحدهما: التعليم بالوحي، ونزول الروح الأمين على النبي ﷺ، والآخر: التعليم بنوع من الإلقاء في القلب والإلهام الخفي الإلهي من غير [نزول الوحي] وهذا هو الذي تؤيده الروايات الواردة في علم النبي ﷺ...»

إن هذه الموهبة الإلهية التي نسميها قوة العصمة نوع من العلم والشعور يغيّر سائر أنواع العلوم؛ فهي تصون صاحبها من الضلال والخطيئة مطلقاً، وقد ورد في الروايات أن للنبي ﷺ وللإمام ﷺ روحاً تسمى روح القدس تسدده وتعصمه عن المعصية والخطيئة، وهي التي يشير إليها قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا...﴾^(٢)، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾^(٣). والمراد به تسديد روح

(١) سورة النساء: الآية ١١٣.

(٢) سورة الشورى: الآية ٥٢.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

القدس للإمام بفعل الخيرات وعبادة الله سبحانه^(١).

٢- العصمة ملكة في الإنسان تصونه عن الوقوع في الخطأ أو المعصية، والعصمة عند الأنبياء ﷺ على ثلاثة أقسام: العصمة عن الخطأ في تلقي الوحي، والعصمة عن الخطأ في إدراك واستيعاب رسالة الدين واستيعابها وتبليغها إلى الناس، والعصمة عن معصية الله تعالى. والعصمة عند الأئمة ﷺ على قسمين: العصمة عن الخطأ في إدراك واستيعاب رسالة الدين وتبليغها إلى الناس، والعصمة عن معصية الله تعالى، أما الخطأ في الأمور الحياتية، فالكلام فيها خارج هذا البحث.

دليل العصمة :

ودليل العصمة عن الخطأ في تلقي الوحي وتبليغ الرسالة هو الآيات التالية:

أ- قوله تعالى: ﴿...فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ...﴾^(٢)، فالله سبحانه بعث الأنبياء ﷺ للتبشير والإنذار، وأنزل معهم الوحي ليعينوا للناس الحق في الاعتقاد، والعمل، وإذا أراد الله شيئاً، فهو لا يضل في فعله ولا يخطئ - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - وقد قال: ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾^(٣)، و﴿...إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^(٤)، و﴿...وَاللَّهُ غَالِبٌ

(١) تفسير الميزان / ج ٥ ص ٧٩ - ٨٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

(٣) سورة طه: الآية ٥٢.

(٤) سورة الطلاق: الآية ٣.

عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

ب- إنَّ الله تعالى بعث رسله، ثم سلَّحهم بالوحي، ثم بعث من يراقب ما بين أيديهم وما خلفهم، حتى يتحقق تبليغ رسالات ربهم كاملة، فالرسالة السماوية محفوظة ومصونة من التغيير، يقول تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۖ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا. يَعْلَمُ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(٢). ويقول أيضاً: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^(٣).

وطالما كان النبي ﷺ مأموراً بتبليغ الحق، فتحقق المعصية منه يعني تناقضاً لا يمكن القبول به. ولا يمكن لمأمور من السماء كالنبي ﷺ أن يبلغ بأمرين متضادين، فإن ذلك يبطل نبوته، فعصمة النبي في تبليغ الرسالة متلازمة مع عصمته عن المعصية.

ويدل على عصمة الأنبياء ﷺ قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبُهِدَاهُمْ أَفْتَدِيهِمْ...﴾^(٤)، وجميع الأنبياء ﷺ كُتبت لهم الهداية، قال تعالى: ﴿...وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ. وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ...﴾^(٥).

«قال تعالى: ﴿...مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾^(٦)،

فنفي عن المهتدين هدايته كل مضل يؤثر فيهم بضلال، فلا يوجد فيهم ضلال، وكل

(١) سورة يوسف: الآية ٢١.

(٢) سورة الجن: الآية ٢٦-٢٨.

(٣) سورة مريم: الآية ٦٤.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٩٠.

(٥) سورة الزمر: الآية ٣٦-٣٧.

(٦) سورة الكهف: الآية ١٧.

معصية ضلال، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ. وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾^(٧)، فقد كل معصية ضلالاً حاصلاً بإضلال الشيطان بعدما عدّها عبادة للشيطان، فإثبات هدايته تعالى في حق الأنبياء ﷺ، ثم نفي إضلال عمن اهتدى بهداه، ثم [اعتبار] كل معصية ضلالاً، [يعني] تبرئة منه تعالى لساحة أنبيائه عن صدور المعصية منهم، وكذا عن وقوع الخطأ في فهمهم الوحي وإبلاغهم إياه^(٨).

ج- جعل الله سبحانه طاعة النبي ﷺ أمراً حتمياً في الرسالة، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾^(٩). ويفهم من ذلك تعلق إرادته تعالى بكل ما يُطاع فيه الرسول من قول أو فعل. ولو تحقق من الرسول خطأ في فهم الوحي أو التبليغ لكان ذلك إرادة منه تعالى لغير الحق، والله تعالى لا يريد إلا الحق.

ولو افترضنا أن معصية منهي عنها صدرت من الرسول، لتتج عن ذلك أمرٌ ونهيٌ، إرادةٌ وعدم إرادة، وحبٌ وبغضٌ لفعل واحد، وهذا يعني تناقضاً في الأفعال والصفات تعالى الله عنه علواً كبيراً.

د- إرسال الرسل ﷺ فيها حجة على قطع أعذار الناس، فإن الناس كثيراً ما تتحجج بعدم علمها بالأوامر الإلهية، فإرسال الرسل هو قطع للعدر، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(١٠)، وفعل الرسول ينبغي أن يوافق إرادة الله ورضاه حتى تكتمل الحجة على

(٧) سورة يس: الآية ٦٠-٦٢.

(٨) تفسير الميزان / ج ٢ ص ١٣٧.

(٩) سورة النساء: الآية ٦٤.

(١٠) سورة النساء: الآية ١٦٥.

الناس، وأي خطأ أو معصية يعدُّ نقضاً لإرادته، وهدفه تعالى من إرسال الرسل. وهناك ميزة أخرى للإمامة، بالإضافة إلى العلم والعصمة، وهي النسب الطاهر المتصل برسول الله ﷺ.

ذرية رسول الله ﷺ :

إن أنصح مثال لشرف النسب هو انتساب الحسن والحسين عليهما السلام لرسول الله ﷺ، وإلى ذلك أشار الشيخ كمال الدين بن طلحة قائلاً: «حصل للحسن وأخيه الحسين عليهما السلام من الشرف ما لم يحصل لغيرهما؛ فإنهما سبطا رسول الله ﷺ وريحاناه، وسيدا شباب أهل الجنة، فجدهما رسول الله ﷺ، وأبوهما علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وأمهما البتول الطهر فاطمة الزهراء ابنة رسول الله ﷺ.

ولله درّ القائل:

نسبٌ كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عموداً
هذا النسب الذي تتقاصر عنده الأنساب، وجاء بصحته الأثر، وصدّقه الكتاب، فهو وأخوه دوحه النبوة التي طابت فرعاً وأصلاً ومحتدأً، وشعبتا الفتوة التي سمت رفعةً ونبلاً، وقد اكتنفها العزّ والشرف، ولازمها السؤدد، فما له عنهما منصرف»^(١).

ويسوق الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) دليلاً آخر، فيقول على لسان الشعبي: «كنتُ عند الحجاج فأتي بيحيى بن يعمر فقيه خراسان من بلخ مكبلاً بالحديد، فقال له الحجاج: أنت زعمت أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله ﷺ؟ فقال: بلى. فقال الحجاج: لتأتيني بها واضحة بيّنة من كتاب الله أو لأقطعنك عضواً عضواً، فقال: آتيك

(١) الفصول المهمة ص ١٥٢.

بها واضحة بيّنة من كتاب الله، يا حجاج. قال: فتعجبتُ من جرأته بقوله: يا حجاج، فقال له: ولا تأتني بهذه الآية ﴿... نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾^(١). فقال: آتيك بها واضحة من كتاب الله وهو قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن دُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، فمن كان أبو عيسى وقد ألحق بذرية نوح؟ قال: فأطرق ملياً ثم رفع رأسه، فقال: كأني لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله...»^(٣).

دلائل إمامة الحسن عليه السلام :

لأشك أن لهذا المنصب الخطير دلائل ذكرناها في طيات هذا الكتاب، أهمها: الخصائص الشخصية للإمام نفسه كالعصمة من الجهل، والمعصية، والنص أو التعيين من قبل الله تعالى على لسان النبي صلى الله عليه وآله، أو الإمام عليه السلام قبله.

وقد لخص الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)^(٤) دلائل إمامة الحسن عليه السلام في ست نقاط:

١- ثبوت وجوب الإمامة في كل زمان من جهة العقل، وإن الإمام لا بد أن يكون معصوماً، منصوفاً عليه، والحق لا يخرج عن أمة محمد صلى الله عليه وآله.

٢- تواتر فقهاء الشيعة على أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام نصّ على ابنه الحسن عليه السلام

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٨٣-٨٦.

(٣) تفسير الرازي - فخر الدين الرازي / ج ٢ ص ١٩٤.

(٤) إعلام الوری ص ٢٠٦.

بحضرة شيعته، واستخلفه عليهم بصريح القول.

٣- اشتهر في الناس وصية أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسن عليه السلام خاصة من بين ولده، وأهل بيته عليهم السلام، والوصية من الإمام عليه السلام توجب الاستحقاق للموصى إليه، على ما جرت به عادة الأنبياء عليهم السلام، والائمة عليهم السلام في أوصيائهم. لاسيما، والوصية علم عند آل محمد عليهم السلام إذا انفرد بها واحد بعينه على استخلافه، وإشارة إلى إمامته، وتنبية على فرض طاعته، وإجماع آل محمد عليهم السلام حجة.

يضاف إلى ذلك إجماع المسلمين على إمامة الحسن عليه السلام، قال الأربلي (ت ٦٩٣هـ) في (كشف الغمة):

«الكلام في الحسن بن علي عليه السلام في باب الإمامة لا يخالفنا فيه أحد من المسلمين، فإما غيره من الائمة عليهم السلام فالمخالفة فيهم، ونحن نقرر في هذا قاعدة [تطبق] في الجميع، فإنّ القائلين بإمامة الجماعة بعد النبي صلى الله عليه وآله قائلون بإمامة الحسن عليه السلام، بما رووه أن الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تعود ملكاً، وبأن علياً عليه السلام أوصى بها إليه، وأفاض رداها عليه، فهي مسألة إجماع، وقد سلم مدعي إمامته عن النزاع»^(١).

٤- الاستدلال بالأخبار الواردة عن محمد بن يعقوب الكليني، وهو من أجل رواة الشيعة وثقاتها، وقد نقلنا بعضاً منها فيما مضى.

٥- دعوة الحسن بن علي عليه السلام إلى الأمر بعد أبيه، ومبايعة الناس له على أنه الخليفة والإمام، وقد ذكرنا خطبته في صبيحة الليلة التي قبض فيها أمير المؤمنين عليه السلام، وقيام عبد الله بن العباس بين يديه، قائلاً: معاشر الناس هذا ابن نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه، فتبادر الناس إلى البيعة له بالخلافة، فلا بد أن يكون محققاً في دعوته مستحقاً للإمامة مع

(١) كشف الغمة / ج ١ ص ٥٣١.

شهادة النبي له، ولأخيه بالإمامة والسيادة في قوله عليه السلام: «ابناني هذان إمامان قاما أو قعدا»^(١)، وقوله عليه السلام: «الحسن والحسين سيदा شباب أهل الجنة»^(٢)، وشهادة القرآن بعصمتها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣).

٦- أظهر الله عز وجل على يديه العلم المعجز، ومن جملته حديث حياة الوالدية، وملخصه أن تلك المرأة سألت أمير المؤمنين علي عليه السلام عن دلالة الإمامة، فأشار بيده إلى حصة، فطبع فيها بخاتمه، وقال عليه السلام: إذا ادّعى مدّع الإمامة فقدّر أن يطبع مثلها طبع، فاعلمي أنه إمامٌ مفترض الطاعة، وعندما استشهد عليه السلام جاءت إلى الحسن عليه السلام فعمل مثلها عمل علي عليه السلام، وهكذا بقية الأئمة عليهم السلام، وتوفيت حياة خلال حياة الامام الرضا عليه السلام^(٤).

الوصية بالإمامة:

ومن أهم دلالات التعيين أو النص على الإمامة هي الوصية الشرعية التي يوصيها النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام المعصوم عليه السلام من قبله، شفوية كانت الوصية أم مكتوبة، وفيما يلي بعض من وصايا الإمام علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام بالإمامة:

١ - الوصية الشفوية :

عن ابن أبي عمير ، عن عبد الصمد بن بشير ، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام لما حضره الذي حضره، قال لابنه الحسن: إدنُ مني حتى أسرّ إليك ما أسرّ رسول الله صلى الله عليه وآله إليّ، واتمّنك على ما اتمّنني عليه. ففعل^(٥).

(١) الإرشاد ص ٢٠٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه / ج ٤ ص ١٧٩.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٤) إعلام الوری ص ٢٠٦.

(٥) الكافي / ج ١ ص ٢٩٨.

٢- الودیعة المادیة :

أ- (الكتب والسلاح) : عن سلیم بن قیس قال: شهدتُ وصیة أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام، وأشهد على وصيته الحسين عليه السلام، ومحمداً، وجميع ولده، ورؤساء شيعته، وأهل بيته، ثم دفع الكتاب والسلاح، وقال لابنه الحسن عليه السلام: يا بني أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أوصي إليك، وأن أدفع إليك كتبي، وسلاحي، كما أوصى إلي رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع إليّ كتبه، وسلاحه، وأمرني أن أمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين عليه السلام...^(١).

ب- المال : قال الإمام الحسن عليه السلام في خطبته: «...وما خلف صفراء، ولا بيضاء، إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله»^(٢).

٣- الودیعة المعنویة :

أوصى أمير المؤمنين عليه السلام للحسن عليه السلام بالإمامة، فقال: «يا بُني، إني مقبوض في ليلتي هذه، فاسمعا قولي، وأنت يا حسن وصيي^(٣)، والقائم بالأمر بعدي، وأنت يا حسين شريكه في الوصية، فاصمت وكن لأمره تابعاً ما بقي، فإذا خرج من الدنيا فأنت الناطق من بعده، والقائم بالأمر عنه»^(٤).

ثم أوصى وصايا أخرى، منها: «الحمد لله حق قدره، متبعين أمره وأحمده كما أحبّ، ولا إله إلا الله الواحد الأحد الصمد كما انتسب، أيها الناس كلّ امرئ لاقٍ في فراره ما منه يفرّ، والأجل مساق النفس إليه، والهرب منه موافاته، كم اطردت الأيام، أبحثها عن

(١) الكافي / ج ١ ص ٢٩٧.

(٢) أمالي الصدوق ص ٣٩٧.

(٣) الإرشاد ص ١٩٢.

(٤) إثبات الهداة / ج ٥ ص ١٤٠.

مكنون هذا الأمر، فأبى الله عز ذكره إلا أخفاه.

هيهات علمٌ مكنون، أما وصيتي فأَنْ لا تشرکوا بالله جل ثناؤه شيئاً، ومحمد عليه السلام فلا تضيّعوا سنته، أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين، وخلاكم ذمّ، ما لم تشردوا، حَمَلْ كُلَّ امرئٍ مجهوده، وخففَ عن الجهلة، ربُّ رحيمٌ، وإمامٌ عليهم، ودينٌ قويٌّ.

أنا بالأمس صاحبكم وأنا اليوم عبرة لكم، وغداً مفارقكم، إن تثبت الوطأة في هذه المزلّة فذاك المراد، وإن تدحض القدم، فإننا كنا في أفياء أغصان وذرى رياح، وتحت ظل غمامة اضمحل في الجو متلفقها، وعفا في الأرض محطّها.

إنما كنت جاراً جاوركم بدني أياماً، وستعقبون مني جثة خلاء، ساكنة بعد حركة، وكاظمة بعد نطق، ليعظكم هدوي، وخفوت إطراقي، وسكوت أطرافي، فإنه أوعظ لكم من الناطق البليغ، ودعتكم وداع مرصد للتلاقي، غداً ترون أيامي، ويكشف الله عز وجل عن سرائري، وتعرفونني بعد خلوّ مكاني، وقيام غيري مقامي، إن أبق فأنا وليّ دمي، وإن افنّ فالفناء ميعادي، وإن أعفّ فالعفو لي قربة، ولكم حسنة، فاعفوا واصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم، فيا لها حسرة على كل ذي غفلة، أن يكون عمره عليه حجة، أو توذيه أيامه إلى شقوة. جعلنا الله وإياكم ممن لا يقصر به عن طاعة الله رغبة، أو تحلّ به بعد الموت نقمة، فإننا نحن له وبه». ثم أقبل على الحسن عليه السلام فقال: يا بني ضربة مكان ضربة، ولا تأثم^(١).

(١) الكافي / ج ١ ص ٢٩٩.

الأفضلية

الأفضلية: ١ - المعنى

قالت العرب: «الْفَضْلُ وَالْفَضِيلَةُ: معروفٌ ضدَّ النقص والنقيصة، والجمع فُضُول... ورجلٌ فَضالٌ ومُفَضَّلٌ: كثيرُ الفضل. والفَضِيلَةُ: الدرجةُ الرفيعةُ في الفضل، والفاضلةُ الاسمُ من ذلك... والتفاضلُ بين القوم: أن يكون بعضهم أفضلَ من بعض. ورجلٌ فاضلٌ: ذو فضل... ورجلٌ مفضولٌ: قد فضله غيره... وقوله تعالى: ﴿... وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١)، قيل: تأويله أن الله فضَّلهم بالتميز»^(٢).
وتقول العرب: فلانٌ أمثلُ قومه أي أفضل قومه، وأهل البيت عليهم السلام أمثالُ القوم، أي خيارهم.

ونقصد بالأفضلية في المصطلح العلمي أعلى درجات الفضيلة، بحيث لا يجاريه أحد في العلم، والمعرفة، والفضائل، والكمالات، وتلك الأفضلية مختصة بالمعصوم عليه السلام فقط.

فلا بد أن يكون الإمام المعصوم أفضل الناس، ولو كان من الناس من هو أفضل منه لانتقلوا إلى الأفضل، وهكذا تنتقل الناس من المفضول إلى الفاضل حتى تنتهي إلى أفضل إنسان زمن إمامته.

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

(٢) لسان العرب / ج ١١ ص ٥٢٤. مادة (فضل).

روى ابن عساكر بإسناده عن حذيفة بن اليمان: «أن النبي صلى الله عليه وآله قال: ألا أن الحسن بن علي قد أعطي من الفضل ما لم يعط أحد من ولد آدم، ما خلا يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم خليل الله»^(١).

وينقل محمد بن اسحاق: «ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ما بلغ به الحسن بن علي، كان يُسقط له على باب داره، فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما يمر أحد من خلق الله إجلالاً له، فإذا علم قام ودخل بيته فيمرّ الناس»^(٢).

يصف الإمام الحسن عليه السلام (٣) الفاضل من الناس، بطريقته المجازية البديعة، حيث يتصور أن هناك شخصاً له مواصفات الفضل، فيقول عليه السلام:

«أني أخبركم عن أخ، كان من أعظم الناس في عيني، وكان عظيم ما عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه، كان خارجاً عن سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد.

وكان خارجاً عن سلطان فرجه، فلا يستخفّ له عقله ولا رأيه.

وكان خارجاً عن سلطان جهله، فلا يمدّ يداً إلا على ثقة المنفعة، ولا يخطو خطوة إلا لحسابه.

وكان لا يسخط ولا يتبرم.

كان إذا اجتمع بالعلماء يكون على أن يسمع، أحرص منه على أن يتكلم، وكان إذا

(١) ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ص ١٢١ رقم ١٩٤، ورواه أبو نعيم في (أخبار اصبهان) / ج ٢ ص ٢٤٢.

(٢) المناقب (ش) / ج ٣ ص ١٧٤.

(٣) وينسب هذا القول إلى الإمام علي عليه السلام أيضاً.

غلب على الكلام، لا يغلب على الصمت.

كان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بَدَّ القائلين.

وكان لا يشارك في دعوى، ولا يدخل في مراء، ولا يدلي بحجة، حتى يرى قاضياً يقول ما لا يفعل ويفعل ما لا يقول، تفضلاً وتكرماً.

كان لا يغفل عن إخوانه، ولا يختص بشيء دونهم.

كان لا يلوم أحداً فيما يقع القدر بمثله.

كان إذا ابتدأه أمران، لا يدري أيهما أقرب إلى الحق، نظر فيها هو أقرب إلى هواه فخالفه»^(١).

الأفضلية : ٢- المبنى العقلي

الأفضلية هي مجموعة الخصائص الشخصية، التي تجعل الإنسان المشار إليه أفضل الأحياء الموجودين في زمانه، وهذا يُبنى على أمور أربعة:

الأول: الحكم العقلي بأنه أفضل الناس، وهذا الحكم مستندٌ على تقييم شخصية الفاضل من قبل مجموعة كبيرة من العقلاء، وغيرهم.

ولو رجعنا إلى إمامة الحسن عليه السلام، لرأينا أن فقهاء المسلمين وصفوا الحسن عليه السلام بأعظم الصفات، فأنس بن مالك كان يصفه عليه السلام: «ما بلغ أحد من الشرف، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بلغ الحسن بن علي»^(٢)، ويصفه المدائني: «كان سيداً سخياً حليماً»^(٣)، ويصفه

(١) تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي / ج ١٢ ص ٣١١.

(٢) إعلام الوری / ج ١ ص ٤١٣.

(٣) إعلام الوری / ج ١ ص ٤١٣.

واصل بن عطاء: «عليه سيماء الأنبياء، وهيبة الملوك»^(١). وإنما ذكرنا ذلك على سبيل المثال، لا الحصر، وتجد في هذا البحث الكثيراً ممن وصف الإمام رضي الله عنه بأوصاف الشرف، والعلم، والحلم، من مريديه، ومن أعدائه على حدٍ سواء.

الثاني: يجب أن يكون الأفضل أفضل الناس طول حياته، بحيث لو نازعه شخص آخر في مقامه، سقط المنازع، وبقي الأفضل في موضعه السامي.

وقد نازعه معاوية على الخلافة، وتآمر عليه، ووضع الأحاديث المزورة عنه رضي الله عنه، وما زاده ذلك إلا شرفاً وعظمة؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو جاعل الإمام والإمامة، وهو الحافظ لها على مر الزمن.

الثالث: ينبغي أن تكون هناك خيارات يختار منها الإنسان الأفضل، أي لا ينبغي أن يكون هناك إكراه على الإنسان في الاختيار، وأنت ترى أن لكل إمام حق قابله إمام باطل. فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قابله معاوية بن أبي سفيان. والحسن بن علي رضي الله عنه قابله معاوية مرة أخرى. والحسين بن علي رضي الله عنه قابله يزيد بن معاوية. وموسى الكاظم رضي الله عنه قابله هارون العباسي، وهكذا.

الرابع: أن يقترن سلوك الأفضل بمعاني الكمال في الحياة الإنسانية، لاسيما على مستوى العلم، والأخلاق، وعدم معصية الله تعالى.

إن للأفضلية معنىً أخلاقياً إلهامياً، أي إننا عندما نبحث في حياتنا الدنيوية عن معاني الكمال في الأشياء، فإننا نجدها عند الأفضل من البشر.

وهل تتغير الأفضلية بتغير الزمان والمكان؟ أي أن الإمام الحسن رضي الله عنه كان أفضل أهل زمانه، فلماذا نأخذ بأفضليته الآن؟ الجواب على ذلك في نقاط:

(١) إعلام الوري / ج ١ ص ٤١٣.

١- إن الفضائل ثابتة بغض النظر عن اختلاف الأزمنة والأمكنة، فالعلم الديني، والأخلاق السامية، وعدم المعصية أمور داخلية في الإنسان لا تتبدل بزمان ولا بمكان، فنحن نستقي علوم الدين من كتاب الله المجيد، وسنة رسول الله ﷺ التي تمتد في أئمة الهدى عليهم السلام. وتلك الفضائل لم ولن تتبدل بمرور الزمان أو المكان، فيكون الإمام المعصوم الأفضل في زمانه، فاضلاً بعد مماته أيضاً، وتكون أفضليته ملموسة في كل زمان.

٢- عندما يتغير سلوك البشر على مر الأزمنة، فإن الفضائل الثابتة عند المعصوم عليه السلام تشجع الناس على الرجوع إلى الصواب كلما أخطؤوا. فإذا انتشر الكذب والغش في زماننا مثلاً، فإن الناس تلتمس من سلوك الإمام عليه السلام ما يساعدها على تصحيح أخطائها وتقويم سلوكها.

٣- إن اختيار الأفضل يعني سد الطريق أمام المفضول إذا طمح بالصعود، وعندما أراد معاوية الخلافة، وصل إليها وتقمصها، لكنه لم يستطع أن يصل إلى مستوى الإمامة الدينية؛ لأنه لم يكن الأفضل في العلم، والدين، والصفات الأخلاقية، وهكذا، كان وجود الأفضل (الإمام المعصوم) حاجزاً مانعاً يمنع المتسلقين، الذين لا يملكون مؤهلات الإمامة، من التصدي لها.

ونبحث هنا: الأفضلية في العلم، والأفضلية في الحلم وحسن الخلق، والأفضلية في الإحسان، والأفضلية في الزهد، والأفضلية في العبادة، والأفضلية في التقوى، والأفضلية في الشجاعة، والأفضلية في الصبر، والأفضلية في الفصاحة، والبلاغة، ولنا كلمة حول المعجزة الخاصة بالإمام عليه السلام، وفي إطلاق (الابن) على ابن البنت، والإمامة والصبا.

(١)

الأفضلية في العلم

لاشك ان الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما كان اعلم الناس زمن إمامته، فقد نهل العلم من جده رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمه فاطمة الزهراء رضي الله عنهما، وأبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان علمه رضي الله عنه قد ملأ الدنيا وأركانها، ومع أن ما وصلنا من علمه إلا النزر اليسير، إلا أنه يدل على رسوخ علم أهل البيت رضي الله عنهم، وأنه رضي الله عنه كان أهلاً للإمامة الكبرى.

بعد الهدنة، عاد الإمام رضي الله عنه من الكوفة إلى المدينة المنورة مهبط الوحي على جده المصطفى صلى الله عليه وآله، وراح ينشر العلم بين الناس عموماً، وأصحابه خصوصاً، وانصرف إلى تربيتهم وإرشادهم.

قال محمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢هـ): «كان الله عز وجل قد رزقه الفطرة الثاقبة في إيضاح مرشد ما يعاينه، ومنحه الفطنة الصائبة لإصلاح قواعد الدين ومبانيه، وخصه بالجلبة التي درت لها أحلاف عاداتها، بصور العلم ومعانيه، ومرت لها أطباء الاهتداء من تجدي جده وأبيه، فيجيء بفكرة منجية نجاح ما يقتضيه، وقريحة مصحبة في كل مقام يقف فيه، ثم اكتنفه الأصلان: الجد والأب، وفي المثل السائر: ولدُ الفقيه نصفُ الفقيه، وكان يجلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، ويجتمع الناس حوله فيتكلم بما يشفي غليل السائلين، ويقطع حجج القائلين»^(١).

كان الحسن رضي الله عنه في المدينة «مشرق الهداية، ومعقل العلم، وموئل المسلمين، ومن حوله الطوائف التي نفرت من كل فرقة لتتفقه في الدين، ولتنذر قومها إذا رجعت إليهم، فكانوا تلامذته، وحملة العلم، والرواية عنه، وكان بما أتاح الله له من العلم،

(١) مطالب السؤول - محمد بن طلحة ص ١٦٨.

وبها مكن له في قلوب المسلمين من المقام الرفيع، أقدر إنسان على توجيه الأمة وقيادتها الروحية، وتصحيح العقيدة، وتوحيد أهل التوحيد^(١).

في تفسير القرآن:

١- روى أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في (تفسيره الوسيط) ما يرفعه بسنده: «أن رجلاً قال: دخلت مسجد المدينة، فإذا أنا برجل يحدث عن رسول الله ﷺ والناس حوله، فقلت له: أخبرني عن: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾^(٢). فقال: نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم عرفة.

فجزته إلى آخر يحدث، فقلت: أخبرني عن ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾؟ فقال: نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم النحر.

فجزتها إلى غلام كأن وجهه الدينار [أي الذهب]، وهو يحدث عن رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني عن ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾؟ فقال: نعم، أما الشاهد فمحمد ﷺ، وأما المشهود فيوم القيامة، أما سمعته يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿...ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾^(٤).

فسألت عن الأول، فقالوا: ابن عباس، وسألت عن الثاني، فقالوا: ابن عمر، وسألت عن الثالث، فقالوا: الحسن بن علي بن أبي طالب...»^(٥).

(١) صلح الامام الحسن عليه السلام - الشيخ راضي آل ياسين ص ٣١.

(٢) سورة البروج: الآية ٣.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٤٥.

(٤) سورة هود: الآية ١٠٣.

(٥) بحار الأنوار/ ج ٣٤ ص ٣٤٥.

أقول: وأنت تلحظ أن الإمام الحسن رضي الله عنه استدل على تفسيره بالقرآن الكريم، وهذا أعظم العلم، وهو ما يسمى اليوم عند المفسرين بتفسير القرآن بالقرآن.

٢- قال الإمام الحسن رضي الله عنه في بعض مناظراته أن الخليفة الثاني أراد أن يكتب القرآن في مصحف، فبعث إلى علي رضي الله عنه وطلب منه. فاحتج عليه رضي الله عنه بقوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ...﴾^(١) إياي عنى ولم يعنك ولا أصحابك... ثم قالوا: قد ضاع منه قرآن كثير. بل كذبوا والله، بل هو مجموع محفوظ عند أهله.

ثم «أمر [الخليفة الثاني] قضاته: أجهدوا آراءكم واقضوا بما ترون أنه الحق، فلا يزال هو وبعض ولاته قد وقعوا في عزيمة، فيخرجهم منها أبي، ليحتج عليهم بها، فتجتمع القضاة عند خليفتهم، وقد حكموا في شيء واحد بقضايا مختلفة، فأجازها لهم! لأن الله لم يؤته الحكمة وفصل الخطاب، وزعم كل صنف من مخالفينا من أهل هذه القبلة: أنه معدن الخلافة والعلم دوننا، فنستعين بالله على من ظلمنا، وجحدنا حقنا، وركب رقابنا، وسن للناس علينا ما يحتج به مثلك، وحسبنا الله ونعم الوكيل»^(٢).

في صفة الله عز وجل:

عندما سأله السائل عن صفة الله تعالى قال رضي الله عنه: «الحمد لله الذي لم يكن له أول معلوم، ولا آخر متناه، ولا قبل مدرك، ولا بعد محدود، ولا أمدٌ بحتى، ولا شخصٌ فيتجزأ، ولا اختلافٌ صفةً فيتناهى، فلا تدرك العقول وأوهامها، ولا الفكر وخطراتها، ولا الألباب وأذهانها صفةً، فيقول: متى؟ ولا بدئٌ مم؟ ولا ظاهر على مم؟ ولا باطن فمما؟ ولا تارك فهلا؟ خلق الخلق فكان بديناً بديعاً، ابتداءً ما ابتدع، وابتدع ما ابتداءً،

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٢) (كتاب) سليمان بن قيس ص ٣٦٩.

وفعل ما أراد، وأراد ما استزاد، ذلكم الله رب العالمين»^(١).

وفي حديث له ﷺ مع من سأله: «يا فتح! كل جسم مغذًى بغذاء، إلا الخالق الرازق، فإنه جسم الأجسام، وهو ليس بجسم ولا صورة، لم يتجزأ، ولم يتناه، ولم يتزايد، ولم يتناقص، مبرأ من ذات ما ركب في ذات من جسمه، وهو اللطيف الخبير، الواحد الأحد، الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. منشئ الأشياء، ومجسم الأجسام، ومصوّر الصور. لو كان كما تقول المشبهة لم يعرف الخالق من المخلوق، ولا الرازق من المرزوق، ولا المنشئ من المنشأ. لكنه المنشئ، فرق بين من جسمه وصوره، وشيأه وبينه، إذا كان لا يشبهه شيء».

قلت: فالله واحد، والإنسان واحد، فليس قد تشابهت الوجدانية؟

قال ﷺ: «أحلت - ثبتك الله - إنما التشبيه في المعاني، وأمّا في الأسماء فهي واحدة، وهي دلالة على المسمّى، وذلك أنّ الإنسان وإن قيل: واحد فانه مجزأ، إنه جثة واحدة وليس باثنين. و[لكن] الإنسان نفسه ليس بواحد؛ لأن أعضائه مختلفة، وألوانه مختلفة غير واحدة، وهو أجزاء متجزأة، ليس سواء، دمه غير لحمه، ولحمه غير دمه، وعصبه غير عروقه، وشعره غير بشره، وسواده غير بياضه، وكذلك سائر جميع الخلق، فالإنسان واحد في الإسم، لا واحد في المعنى، والله جلّ جلاله واحد لا واحد غيره، ولا اختلاف فيه، ولا تفاوت، ولا زيادة، ولا نقصان، فأما الإنسان، المخلوق المصنوع المؤلّف، فمن أجزاءٍ مختلفة، وجواهر شتى، غير أنّه بالاجتماع شيء واحد».

قلت: فقولك: اللطيف، فسره لي، فإني اعلم: أن لطفه خلاف لطف غيره للفصل،

غير أنّي أحبّ أن تشرح لي.

فقال ﷺ: «يا فتاح إنما قلت: اللطيف للخلق اللطيف، ولعلمه بالشيء اللطيف، ألا ترى إلى أثر صنعه في النبات اللطيف وغير اللطيف، وفي الخلق، من أجسام الحيوان، من الجرجس، والبعوض، وما هو أصغر منهما، مما لا يكاد تستبينه العيون، بل لا يكاد يستبان لصغره، الذكر من الأنثى، والمولود من القديم، فلما رأينا صغر ذلك في لطفه، واهتدائه للسفاد، والهرب من الموت، والجمع لما يصلحه ممّا في لجج البحار، وما في لحاء الأشجار، والمفاوز والقفار، وأفهام بعضها عن بعضٍ منطقتها، وما تفهم به أولادها عنها، ونقلها الغذاء إليها، ثم تأليف ألوانها: حمرة مع صفرة، وبياضاً مع حمرة، علمنا: أنّ خالق هذا الخلق لطيف، وإنّ كلّ صانع شيءٍ فمن شيءٍ صنع، والله الخالق اللطيف الجليل، خلق وصنع لا من شيء».

قلت: جعلت فداك. وغير الخالق الجليل خالق؟

قال ﷺ: «إنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿...فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(١) فقد أخبر: أنّ في عباده خالقين وغير خالقين، منهم عيسى ﷺ خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله، فنفخ فصار طائراً بإذن الله. والسامريّ خلق لهم عجلاً جسداً له خوار». قلت: إنّ عيسى خلق من الطين طيراً، دليلاً على نبوته، والسامريّ خلق عجلاً جسداً لنقض نبوة موسى ﷺ، وشاء الله أن يكون ذلك كذلك، إنّ هذا هو العجب.

فقال ﷺ: «ويحك - يا فتاح - إنّ الله إرادتين ومشيئتين: إرادة حتم وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، أو ما رأيت أنّه نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة، وهو شاء ذلك، ولو لم يشأ لم يأكلا، ولو أكلا لغلبت مشيئتها مشية الله. وأمر إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل ﷺ وشاء أن لا يذبحه، ولو لم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشيئة إبراهيم مشية الله عز وجل».

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

قلت: ... إنك قلت: السميع البصير، سميع بأذنٍ وبصير بالعين؟

فقال ﷺ: «إنه يسمع بما يبصر، ويرى بما يسمع، بصير لا بعينٍ مثل عين المخلوقين، وسميع لا بمثل سمع السامعين، لكن لما لا تخفى عليه خافية، من أثر الذرة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، تحت الثرى والبحار، قلنا: بصير لا بمثل عين المخلوقين، وسميع بما لم تشبهه عليه ضروب اللغات، ولم يشغله سمع عن سمع. قلنا: سميع لا بمثل السامعين».

قلت: جعلت فداك، قد بقيت مسألة.

قال ﷺ: «هات لله أبوك».

قلت: يعلم القديم، الشيء الذي لم يكن، أن لو كان كيف كان يكون؟

قال ﷺ: «ويحك... أما سمعت الله يقول: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(١) وقوله: ﴿...وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾^(٢) وقال - ويحكى قول أهل النار -: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾^(٣) وقال: ﴿...وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٤) فقد علم الشيء الذي لم يكن، أن لو كان كيف كان يكون»^(٥).

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٩١.

(٣) سورة فاطر: الآية ٣٧.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٢٨.

(٥) بحار الانوار / ج ٤ ص ٨٢.

في الجبر والتفويض والقدر:

ويكتب له الحسن البصري (ت ١١٠هـ) سائلاً: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد فإنكم معشر بني هاشم، الفلك الجارية واللجج الغامرة، والأعلام النيرة الشهيرة، أو كسفينة نوح عليه السلام التي نزلها المؤمنون، ونجا فيها المسلمون، كتبت اليك يا بن رسول الله عند اختلافنا في القدر، وحيرتنا في الاستطاعة، فأخبرنا بالذي عليه رأيك، ورأي آباءك عليهم السلام، فان من علم الله علمكم وأنتم شهداء على الناس، والله الشاهد عليكم، ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

فيجيبه الحسن عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم. وصل إلي كتابك... أما بعد فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره، وأن الله يعلمه فقد كفر، ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر. إن الله لم يطع مكرهاً، ولم يعص مغلوباً، ولم يهمل العباد سدىً من المملكة، بل هو المالك لما ملّكهم، والقادر على ما عليه أقدارهم، بل أمرهم تخيراً، ونهاهم تحذيراً، فإن إثمروا بالطاعة لم يجردوا عنها صاداً، وإن انتهوا إلى معصية فشاء أن يمنّ عليهم بأن يحول بينهم وبينها فعل، وإن لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها جبراً، ولا ألزموها كرهاً، بل منّ عليهم بأن بصّرهم وعرفّهم وحدّتهم، وأمرهم ونهاهم، لا جبلاً لهم على ما أمرهم به فيكونوا كالملائكة، ولا جبراً لهم على ما نهاهم عنه، ﴿...فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢) والسلام على من اتبع الهدى»^(٣).

واللافت للنظر أنه وبعد سنوات يسأل الحسن البصري الإمام الحسين عليه السلام سؤالاً مشابهاً، فيأتيه جواب مشابه.

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٤.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.

(٣) تحف العقول ص ٢٣١.

ويكتب له أهل البصرة كتاباً، يسألونه فيه عن حقيقة الأمر في الجبر والتفويض، فيكتب ﷺ لهم: «من لم يؤمن بالله وقضائه وقدره فقد كفر، ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر. إن الله لا يطاع استكراهاً. ولا يعصى لغلبة؛ لأنه المليك لما ملكهم، والقادر على ما أقدرهم، فإن عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما فعلوا، فإذا لم يفعلوا فليس هو الذي أجبرهم على ذلك، فلو أجبر الله الخلق على الطاعة لأسقط عنهم الثواب، ولو أجبرهم على المعاصي لأسقط عنهم العقاب، ولو أهملهم لكان عجزاً في القدرة، ولكن له فيهم المشيئة التي غيَّبها عنهم، فإن عملوا بالطاعات كانت له المنَّة عليهم، وإن عملوا بالمعصية كانت الحجة عليهم»^(١).

ومن كلامٍ للحسن ﷺ في خطبة له، قال: «الحمد لله الذي من تكلم سمع كلامه، ومن سكت علم ما في نفسه، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه معاده. والحمد لله الواحد بغير تشبيه، الدائم بغير تكوين، القائم بغير كلفة، الخالق بغير منصب، الموصوف بغير غاية، المعروف بغير محدودية، العزيز لم يزل قديماً في القدم، وعتت القلوب لهيبته، وذهلت العقول لعزته، وخضعت الرقاب لقدرته، فليس يخطر على قلب بشر مبلغ جبروته، ولا يبلغ الناس كنه جلاله، ولا يفصح الواصلون منهم لكنَّه عظمته. ولا تبلغه العلماء بألبابها، ولا أهل التفكير بتدبير أمورها. اعلم خلقه به الذي بالحد لا يصفه. يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير.

أما بعد، فإن القبور محلتنا، والقيامه موعدنا، والله عارضنا، وإن علياً ﷺ باب من دخله كان آمناً، ومن خرج منه كان كافراً...»^(٢).

(١) جمهرة رسائل العرب / ج ٢٥ ص ٢٥.

(٢) بحار الأنوار / ج ٧٥ ص ١١٢.

ممن روى عن الإمام الحسن عليه السلام :

ذكر ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) جملة «ممن روى عن الإمام الحسن عليه السلام»: روى عنه ابنه الحسن بن الحسن، والمسيب بن نجية، وسويد بن غفلة، والعلاء بن عبد الرحمن، والشعبي، وهبيرة بن مريم، والأصبع بن نباتة، وجابر أبو خالد، وأبو الحوراء (ربيعة بن شيان)، وعمير بن مأموم، ويقال مأمون بن زرارة، وأبو يحيى عمير بن سعد النخعي، وأبو مريم قيس الثقفي، وطحرب العجلي، وإسحاق بن يسار والد محمد بن إسحاق، وعبد الرحمن بن عوف، وسفيان بن أبي الليل، وعمرو بن قيس^(١).

وقد وردت في كتب الرجال أسماء آخرين، مثل: عبد الرحمن بن أبي ليلى، وابن أبي هالة، وابن شهاب أبو بكر بن محمد بن مسلم، وغيرهم.

تلاميذ الإمام الحسن عليه السلام :

الأحنف بن قيس، والأصبع بن نباتة، والأشعث بن سواد، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو إسحاق الهمداني، وأبو إسحاق السبيعي، وجعيد الهمداني، وجارود بن المنذر، وجارود بن أبي بشير، وحبيب بن مظاهر، وحذيفة بن الأسد، وحاتب بن الأعور، وحجر بن عدي، وحنة بن جوين العرني، وحبابة الوالبية، ورشيد الهجري، ورفاعة بن شداد، وزيد بن أرقم، وسليم بن قيس الهلالي، وسفيان بن أبي الليل الهمداني، وسليمان بن صرد الخزاعي، وسويد بن غفلة، وظالم بن عمير المكنى بأبي الأسود الدؤلي، وعتابة بن عمرو، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وعامر بن وائلة، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وعمرو بن قيس المشرقي، وقيس بن سعد بن عبادة، وكميل بن زياد، وكيسان بن كليب، ولوط بن يحيى، ومسلم بن البطين،

(١) ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، ص ٦.

ومسعود مولى أبي وايل، وميثم التمار، ومسيب بن عتبة، ومسلم بن عقيل، وهلال بن بشار.

أصحاب الإمام عليه السلام:

قال ابن شهر آشوب في كتابه (المناقب): «ومن أصحابه عليه السلام: عبد الله بن جعفر الطيار، ومسلم بن عقيل، وعبيد الله بن العباس، وحباة بنت جعفر الوالدية، وحذيفة بن أسيد، والجارود بن أبي بشر، والجارود بن المنذر، وقيس بن أشعث بن سوار، وسفيان بن أبي ليلى الهمداني، وعمرو بن قيس المشرقي، وأبو صالح كيسان بن كليب، وأبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي، ومسلم بن بطين، وأبو رزين بن مسعود ابن أبي وائل، وهلال بن يساف، وأبو إسحاق بن كليب السبيعي.

وأصحابه من خواصّ أبيه مثل: حجر، ورشيد، ورفاعة، وكميل، والمسيب، وقيس، وابن وائلة، وابن الحوق، وابن أرقم، وابن صرد، وابن عقلة، وجابر، والدؤلي، وحنة، وعباية، وجعيد، وسليم، وحبيب بن قيس، والأحنف، والأصبغ، والأعور وغيرهم»^(١).

(٢)

الأفضلية في الحلم وحسن الخلق

وكان الإمام الحسن عليه السلام أحلم الناس، وأحسنهم خلقاً. قال ابن كثير: «لما مات الحسن عليه السلام بكى عليه مروان في جنازته، فقال له الحسين عليه السلام: أتبكيه، وقد كنت تجرّعه ما تجرّعه؟ فقال: إني كنت أفعل إلى أحلم من هذا. وأشار إلى الجبل»^(٢). وروى المجلسي

(١) المناقب (ش)/ ج ٤ ص ٤٠.

(٢) البداية والنهاية / ج ٨ ص ٣٨.

(ت ١١١ هـ) أن مروان بن الحكم، شتم الحسن بن علي رضي الله عنهما فلما فرغ، قال الحسن رضي الله عنه: «أني والله لا أحو عنك شيئاً، ولكن مهدك الله، فلئن كنت صادقاً جزاك الله بصدقك، ولئن كنت كاذباً فجزاك الله بكذبك، والله أشدّ نقمة مني»^(١).

وروى ابن عساكر بإسناده عن عبيد الله بن عباس عن شيخ من بني جمع عن رجل من أهل الشام، قال: «قدمت المدينة فرأيت رجلاً جهرياً كحالته، فقلت من هذا؟ قالوا: الحسن بن علي، قال: فحسدتُ والله علياً أن يكونَ له ابنٌ مثله. قال: فأنتيه فقلت: أنت ابن أبي طالب؟ قال: إني ابنه، فقلت: بك وبأبيك، وبك وبأبيك. قال: وأزم لا يرد إليّ شيئاً، ثم قال «أراك غريباً فلو استحملتنا حملناك، وإن استرفدتنا رفدناك، وإن استعنت بنا أعناك. قال: فانصرفتُ والله عنه، وما في الأرض أحدٌ أحبَّ إليّ منه»^(٢).

ونقل ابن شهر آشوب رواية مشاهة، وإنما أكثر تفصيلاً: «...ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرباناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حركت رحلك إلينا، وكنت ضيفاً إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأن لنا موضعاً رحباً، وجاهاً عريضاً، ومالاً كبيراً...»^(٣).

وروى عن كتاب (الفنون) عن أحمد بن المؤدب، و(نزهة الأبصار) عن ابن مهدي: «أنه مر الحسن بن علي رضي الله عنهما على فقراء، وقد وضعوا كسيرات على الأرض، وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها، فقالوا: هلم يابن رسول الله إلى الغداء. قال: فنزل، وقال: إن الله

(١) بحار الأنوار/ ج ٤٣ ص ٣٥٢.

(٢) ترجمة الإمام الحسن رضي الله عنهما، ص ١٤٩ رقم ٢٥٠، ورواه الخوارزمي في الفصل السادس من (مقتل الحسين)/ ج ١ ص ١٣١ باختلاف يسير.

(٣) المناقب (ش)/ ج ٤ ص ١٩.

لا يجب المستكبرين، وجعل يأكل معهم حتى اكتفوا والزاد على حاله ببركته، ثم دعاهم إلى ضيافته، وأطعمهم وكساهم^(١).

ولاشك أن الحسن عليه السلام استلهم حلمه من حلم أبيه علي عليه السلام، فعندما سمع علياً عليه السلام قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام في حرب صفين، نهاهم عن ذلك، وقال لهم: «إني أكره أن تكونوا سبائين في القول، ولكنكم لو وصفتهم أعمالهم، وذكرتم حالهم، وقتلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به...»^(٢).

وتمر الأيام، ويحيى رسول معاوية إلى الحسن عليه السلام، وكان فيما قال له: «أسأل الله أن يحفظك ويهلك هؤلاء القوم»، فقال له الحسن عليه السلام: «رفقاً، لا تحن من أئمتك، وحسبك أن تحبني لحب رسول الله صلى الله عليه وآله ولأبي ولأمي، ومن الخيانة أن يثق بك قوم وأنت عدو لهم وتدعو عليهم...»^(٣).

يقول عليه السلام في العقل والحلم: «اعلموا أن العقل حرز، والحلم زينة، والوفاء مروءة، والعجلة سفه، والسفه ضعف، ومجالسة أهل الدنيا شين، ومخالطة أهل الفسوق ريبة، ومن استخف بإخوانه فسدت مروءته، ولا يهلك إلا المرتابون، وينجو المهتدون الذين لم يتهموا الله في آجالهم طرفة عين، ولا في أرزاقهم. فمروءتهم كاملة، وحيأؤهم كامل، يصبرون حتى يأتي بهم الله برزق، ولا يبيعون شيئاً من دينهم ومروءاتهم بشيء من الدنيا، ولا يطلبون شيئاً منها بمعاصي الله.

ومن عقل المرء ومروءته أن يسرع إلى قضاء حوائج إخوانه، وإن لم ينزلوها به،

(١) المناقب (ش)/ ج ٤ ص ٢٣.

(٢) شرح نهج البلاغة (ح)/ ج ١ ص ٤٢٠ - ٤٢١.

(٣) الملاحم والفتن - ابن طاووس ص ١٤٣.

والعقل أفضل ما وهب الله تعالى للعبد، إذ به نجاته في الدنيا من آفاتهما، وسلامته في الآخرة من عذابهما، وقد قيل: إنهم وصفوا رجلاً عند رسول الله صلى الله عليه وآله بحسن عبادته، فقال صلى الله عليه وآله: انظروا إلى عقله، فإنما يجزى العباد يوم القيامة على قدر عقولهم، وحسن الأدب دليل على صحة العقل»^(١).

(٣)

الأفضلية في الإحسان والكرم والجود

وكان صلى الله عليه وآله جواداً كريماً، كثير البر، كثير الصفح، وكان قلبه الكبير يسع الناس بجميع أطيافهم، الصديق والعدو، والمحب والمبغض، والمادح والشاتم. ولذلك مدحه البعض وقال: «وكان صلى الله عليه وآله من كبار الأجواد، وله خاطر الوقاد...»^(٢). وعندما شتمه أحد الناس، بنى الحسن صلى الله عليه وآله ذلك على احتمالية أنه ربما شبهه بشخصٍ آخر، فيقول صلى الله عليه وآله له: «أيما الشيخ أظنك غريباً، ولعلك شبهت، فلو استعتبتنا أعتبتنا، ولو سألتنا أعطيناك...»^(٣).

وعندما يسأله المحتاج لاداء حاجته، يقول له الإمام صلى الله عليه وآله: «يا هذا حق سؤالك يعظم لدي، ومعرفتي بما يجب لك يكثر لدي، ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله، والكثير في ذات الله عز وجل قليل، وما في ملكي وفاء لشكرك، فإن قبلت الميسور رفعت عني مؤنة الاحتفال والاهتمام بما أتكلّفه من واجبك، فعلت»^(٤). ثم يعطيه صلى الله عليه وآله ما يكفيه.

وكان صلى الله عليه وآله يعطي السائل شيئاً، كثيراً أو قليلاً، ولا يرده أبداً، فقليل له في ذلك،

(١) إرشاد القلوب ص ٢٣٩.

(٢) تذكرة الخواص - سبط الجوزي ص ١٩٤.

(٣) المناقب (ش) ج ٣ ص ١٨٤.

(٤) الفصول المهمة ص ١٥٧.

فقال ﷺ: «إني لله سائل، وفيه راغب، وأنا أستحي أن أكون سائلاً، وأردّ سائلاً، وإن الله عودني عادة أن يفيض نعمه عليّ، وعودته أن أفيض نعمه على الناس، فأخشى إن قطعت العادة أن ينعني العادة»^(١). ثم أنشأ يقول:

إذا ما أتاني سائل قلت: مرحباً بمن فضله فرض عليّ معجّل
ومن فضله فضل على كل فاضلٍ وأفضل أيام الفتى حين يسأل
ويسأله ﷺ آخر فيعطيه خمسين ألف درهم، وخمسة دينار، ويقول له: أتت بحمّال
يحمل لك. فأتى بحمّال فأعطاه طيلسانه، فقال ﷺ: «هذا كرى الحمّال»^(٢).

ويأتيه أعرابي فيقول: أعطوه ما في الخزانة، فوجد فيها عشرون ألف درهم. فيدفعها إلى الأعرابي، فيقول الأعرابي: يا مولاي ألا تركتني أبوح بحاجتي وأنثر مدحتي، فينشأ الحسن ﷺ:

نحن أناس نوالنا خضل يرتع فيه الرجاء والأمل
تجود قبل السؤال أنفسنا خوفاً على ماء وجه من يسأل
لو علم البحر فضل نائلنا لغاض من بعد فيضه خجل^(٣)
ولذلك قال عنه الفقهاء وأصحاب السير: إن «الكرم والجود غريزة مغروسة فيه، وإتصال صلاته للمعتقين نهج ما زال يسلكه ويقتفيه»^(٤). و«إن الحسن بن علي كان يجيز الرجل الواحد بمائة ألف»^(٥)، ويوماً سمع الحسن ﷺ «إلى جنبه رجلاً يسأل أن يرزقه الله

(١) نور الأبصار - الشبلنجي ص ١١١.

(٢) الفصول المهمة ص ١٥٧.

(٣) الفصول المهمة ص ١٥٧، ورواه الخضرمي في (وسيلة المآل) ص ٣٤٧.

(٤) الفصول المهمة ص ١٥٧.

(٥) ترجمة الإمام الحسن بن علي ﷺ ص ١٤٣ رواه ابن عساكر عن ابن سيرين.

عشرة آلاف درهم، فانصرف فبعث بها إليه»^(١).

ويوماً «سأل رجل الحسن بن علي عليه السلام شيئاً فأعطاه خمسين ألف درهم وأعطى^(٢) الحِمَالَ طيلسانه كراءً، وقال: تمام المروّة إعطاء الأجرة لحمل الصدقة»^(٣).

وعندما مرّ على أحد جيرانه من أهل الحاجة، أمر له «بألف درهم، فقال: جزاك الله خيراً يا بن رسول الله، فقال: ما أراك أبقيت لنا من المكافأة شيئاً»^(٤).

وينقل الحسن عليه السلام عن جده عليه السلام: «كان رسول الله عليه السلام إذا سأله أحد حاجة لم يرده إلا بها، أو بميسور من القول...»^(٥).

وكان عليه السلام يعمل بها عمل به جده المصطفى عليه السلام، فقد وقف رجل عليه عليه السلام، فقال: يا بن أمير المؤمنين، بالذي أنعم عليك بهذه النعمة التي ما تليها منه بشفيح منك إليه، بل إنعاماً منه عليك إلا ما أنصفتني من خصمي فإنه غشوم ظلوم، لا يوقر الشيخ الكبير، ولا يرحم الطفل الصغير! وكان عليه السلام متكئاً، فاستوى جالساً، وقال له: من خصمك حتى أنتصف لك منه؟ فقال له: الفقر. فأطرق عليه السلام ساعة، ثم رفع رأسه إلى خادمه، وقال له: أحضر ما عندك من موجود، فأحضر خمسة آلاف درهم، فقال عليه السلام: ادفعها إليه، ثم قال له: بحق هذه الأقسام التي أقسمت بها عليّ، متى أتاك خصمك جائراً إلا ما أتيتني منه متظلماً»^(٦).

(١) ترجمة الإمام الحسن بن علي عليه السلام ص ١٤٣، رواه السيد شهاب الدين أحمد في (توضيح الدلائل)

ص ٧١٢. رواه ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز.

(٢) ترجمة الإمام الحسن بن علي عليه السلام، ص ١٥١ رقم ٢٥٣.

(٣) إرشاد القلوب، باب ٤٣ ص ٢٢٥.

(٤) ربيع الأبرار، باب الجزاء والمكافأة ص ١٩٠.

(٥) تاريخ اليعقوبي / ج ٢ ص ٢١٥.

(٦) بحار الأنوار/ ج ٤٣ ص ٣٥٠.

وروي «أن رجلاً دفع إليه رقعةً في حاجةٍ، فقال له قبل أن ينظر في رقعته: حاجتك مقضية، فقيل له: يابن رسول الله ﷺ لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك. فقال: أخشى أن يسألني الله تعالى عن ذل مقامه بين يديّ حتى أقرأ رقعته»^(١).

وفي رواية أخرى أنه بعد أن كتب أحدهم حاجته، أضعفها له الإمام ﷺ، فقال له بعض جلسائه: ما كان أعظم بركة الرقعة عليه يابن رسول الله؟ فقال ﷺ: «بركتها علينا أعظم، حين جعلنا للمعروف أهلاً. أما علمت أن المعروف ما كان إبتداء من غير مسألة، فأما من أعطيته بعد مسألة، فإنما أعطيته بما بذل لك من وجهه. وعسى أن يكون بات ليلته متململاً أرقاً، يميل بين اليأس والرجاء، لا يعلم بما يرجع من حاجته أبكآبة الرد، أم بسرور النجاح، فيأتيك وفرائصه ترعد وقلبه خائف يخفق، فإن قضيت له حاجته فيما بذل من وجهه، فإن ذلك أعظم مما نال من معروفك»^(٢).

وخرج الإمام الحسن ﷺ يوماً «يطوف بالكعبة، فقام إليه رجل، فقال: يا أبا محمد، اذهب معي في حاجتي إلى فلان، فترك الطواف وذهب معه، فلما ذهب خرج إليه رجل حاسد للرجل الذي ذهب معه، فقال: يا أبا محمد تركت الطواف، وذهبت مع فلان إلى حاجته؟ قال: فقال الحسن ﷺ: «وكيف لا أذهب معه ورسول الله ﷺ قال: من ذهب في حاجة أخيه المسلم فقضيت حاجته كتبت له حجة وعمرة، وإن لم تقض له كتبت له عمرة، فقد اكتسبت حجةً وعمرةً ورجعتُ إلى طوافي»^(٣).

(١) توضيح الدلائل ص ٧١١.

(٢) بحار الأنوار/ ج ٤٧ ص ٥٣. والحديث ينسب إلى الإمام الصادق ﷺ أيضاً.

(٣) ترجمة الإمام الحسن ﷺ باسناده عن علي بن الحسين.

(٤)

الأفضلية في الزهد

الزُّهد: ضد الرغبة والحرص على الدنيا. فالزهد، حقيقةً، هو ترك ملاذ الدنيا، والابتعاد عن أهلها، والقرب من الله تعالى، وفي المأثور: «أفضلُ الناس مؤمنٌ مُزهدٌ»^(١). قال الأعشى:

فلن يطلبوا سرَّها للغنى ولن يسلموها لآزهادها
وأعظم مصاديق الزهد هو بذل النفس في سبيل الله تعالى.

كان الإمام الحسن عليه السلام زاهداً في الدنيا، ولا يعني الزهد ارتداء الملابس الرثة أو الممزقة والاعتكال على الآخرين في الرزق، بل أن الزهد الواقعي هو الزهد العقلي، أي أن الإنسان الزاهد لا يرغب في الدنيا؛ لأنه في حالة عقلية متواصلة مع الحياة الآخرة، ونعيم القرب من الله تعالى، وإلى ذلك أشار ابن حجر قائلًا: «كان الحسن عليه السلام سيداً كريماً حليماً زاهداً...»^(٢).

ومن قوله عليه السلام: «يا بن آدم: عَفَّ عن محارم الله تكن عابداً، وارضَ بما قسمَ اللهُ تكن غنياً، وأحسِن جوارَ من جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما تحبُّ أن يصاحبوك تكن عادلاً. إنه كان بين يديكم أقوام يجمعون كثيراً، وبينون مشيداً، ويأملون بعيداً، أصبح جمعهم بوراً، وعملهم غروراً، ومساكنهم قبوراً.

يابن آدم: لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فخذ مما في يديك لما بين يديك، فإنَّ المؤمن يتزود، والكافر يتمتع»^(٣).

(١) الصحاح في اللغة / ج ٢ ص ٤٨١. مادة (زهد).

(٢) الصواعق المحرقة ص ٨٢، وأورده القندوزي في بنابيع المودة ص ٢٩٢.

(٣) بحار الأنوار/ ج ٧٥ ص ١١٢.

كان زهد الإمام الحسن عليه السلام أمراً مشهوراً في القرون الهجرية الثلاثة الأولى، بحيث أن محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت ٣٨١هـ) كتب كتاباً سماه (كتاب زهد الحسن عليه السلام) إلا أنه لم يصلنا، ولا شك أن وسائل التضييل الأموية حاولت أن تخلق صورة مغايرة لطبيعة الإمام الحسن عليه السلام في الزهد، والتقوى، والتعفف عما في أيدي الناس.

(٥)

الأفضلية في العبادة

قيل في معرض الحديث عن عبادة الامام الحسن عليه السلام: «إن العبادة تنقسم إلى ثلاثة أنواع: بدنية، ومالية، ومركب منهما. فالبدنية: كالصلاة، والصيام، وتلاوة القرآن، وأنواع الأذكار. والمالية: كالصدقات، والخيرات، والمبرات. والمركب منها: كالحج، والجهاد. وقد كان الحسن عليه السلام ضارباً في كل واحد من هذه الأنواع بالقدح الفائز، والقدح الحائز»^(١).

وروى الصدوق (ت ٣٨١هـ) بإسناده عن المفضل بن عمر، قال: «قال الصادق عليه السلام: حدثني أبي عن أبيه عليه السلام: أن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام كان أعبد الناس في زمانه، وأزهدهم، وأفضلهم، وكان إذا حج، حج ماشياً وربما مشى حافياً، وكان إذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى، وإذا ذكر البعث والنشور بكى، وإذا ذكر الممر على الصراط بكى، وإذا ذكر العرض على الله تعالى شهق شهقةً يغشى عليه منها، وكان إذا قام في صلاته ترتعد فرائضه بين يدي ربه عز وجل، وكان إذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطراب السليم، ويسأل الله الجنة ويعوذ به من النار، وكان عليه السلام لا يقرأ من كتاب الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا

(١) مطالب السؤول ص ١٧٩.

الَّذِينَ آمَنُوا... ﴿١﴾ إلا قال: لبيك اللهم لبيك، ولم يرَ في شيء من أحواله إلا ذاكراً لله سبحانه، كان أصدق الناس لهجةً وأفصحهم منطقاً»^(٢).

وكان الحسن بن علي عليه السلام «إذا توضأ ارتعدت مفاصله، واصفرَّ لونه، فقليل له في ذلك، فقال: «حقُّ علي كل من وقف بين يدي رب العرش أن يصفرَّ لونه، وترتعد مفاصله». وكان عليه السلام إذا بلغ باب المسجد يرفع رأسه ويقول: «إلهي ضيفك ببابك، يا محسن قد أتاك المسيء، فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم». وكان إذا فرغ من الفجر لم يتكلم حتى تطلع الشمس...»^(٣).

وعن أم إسحاق بنت طلحة^(٤)، أن الحسن عليه السلام كان «يأخذ نصيبه من قيام الليل من أول الليل، وكان الحسين عليه السلام يأخذ نصيبه من آخر الليل»^(٥).

وكان عليه السلام يدعو في قنوته: «اللهم إنك الرب الرؤوف، الملك العطوف، المتحنن المألوف، وأنت غياث الحيران الملهوف، ومرشد الضال المكفوف، وتشهد خواطر اسرار المسرين، كمشاهدتك أقوال الناطقين. أسألك بمغيبات علمك في بواطن أسرار المسرين إليك أن تصلي على محمدٍ وآله صلاةً يسبق بها من اجتهد من المتقدمين، ويتجاوز فيها من يجتهد من المتأخرين، وأن تصلَّ الذي بيننا صلةً من صنعتة لنفسك، واصطنعتة لغيرك، فلم تتخطفه خاطفات الظنن، ولا واردات الفتن حتى نكون لك في الدنيا مطيعين، وفي الآخرة في جوارك خالدين»^(٦).

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٤ .

(٢) أمالي الشيخ الصدوق، المجلس الثالث والثلاثون ص ١٧٨ .

(٣) المناقب (ش) / ج ٤ ص ١٤ .

(٤) أم إسحاق بنت طلحة هي زوجة الإمام الحسن عليه السلام .

(٥) المصنف - عبد الرزاق الصنعاني / ج ٣ ص ٢٧٢ .

(٦) مهج الدعوات ص ٢٩٧ .

قال ابن كثير: «كان الحسن إذا صلى الغداة في مسجد رسول الله يجلس في مصلاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس»^(٧). و«كان يقرأ في بعض خطبه سورة إبراهيم، وكان يقرأ كل ليلة سورة الكهف قبل أن ينام، يقرؤه من لوح كان يدور معه حيث كان من بيوت نسائه، فيقرؤه بعدما يدخل في الفراش، قبل أن ينام»^(٨).

وروى الحافظ ابن الأثير بإسناده عن عمير بن مأمون قال: «سمعت الحسن بن علي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من صلى صلاة الغداة^(٩) فجلس في مصلاه حتى تطلع الشمس كان له حجاب من النار، أو قال: ستر من النار»^(١٠).

وروى الجرزي بإسناده عن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، عن أبيه عن جده الحسن بن علي بن أبي طالب، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي في دبر الصلاة المكتوبة كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرى»^(١١).

يقول الحسن عليه السلام: «كل ما في كتاب الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ...﴾^(١٢) فوالله ما أراد به إلا علي بن أبي طالب عليه السلام، وفاطمة، وأنا، والحسين، لأننا نحن أبرار آبائنا وأمهاتنا، وقلوبنا علت بالطاعات والبر، وتبرأت من الدنيا وحبها، وأطعنا الله في جميع فرائضه، وآمنا بوحدانيته، وصدقنا برسوله»^(١٣).

وكان عليه السلام يخاطب الإنسان ويقول: «يا بن آدم: من مثلك وقد خلى ربك بينه

(٧) البداية والنهاية / ج ٨ ص ٣٧.

(٨) البداية والنهاية / ج ٨ ص ٣٨.

(٩) صلاة الغداة: صلاة الفجر.

(١٠) أسد الغابة / ج ٢ ص ١١.

(١١) أسنى المطالب - الجرزي ص ٣٣.

(١٢) سورة الإنسان: الآية ٥. وسورة الانفطار: الآية ١٣. وسورة المطففين: الآية ٢٢.

(١٣) المناقب (ش) / ج ٤ ص ٢.

وبينك؟ متى شئت أن تدخل إليه، توضأت وقيمت بين يديه، ولم يجعل بينك وبينه حجاباً ولا بواباً، تشكو إليه همومك وفاقتك، وتطلب منه حوائجك، وتستعينه على أمورك»^(١).

و«يا عبد الله كيف يكون المؤمن مؤمناً وهو يسخط قسمه، ويحقر منزلته، والحاكم عليه الله؟ وأنا الضامن لمن لم يهجس في قلبه إلا الرضا أن يدعو الله فيستجاب له»^(٢).

في أدعية الإمام الحسن رضي الله عنه :

هذه نماذج من أدعية الإمام الحسن رضي الله عنه، في الدخول على الظالمين والأشرار:

١- دعاء عند الدخول على ظالم: «بسم الله الرحمن الرحيم. بسم الله العظيم الأكبر، اللهم سبحانك يا قيوم، سبحان الحي الذي لا يموت، أسألك كما أمسكت عن دانيال أفواه الأسود وهو في الحب، أن تمسك عني أمر هذا الرجل، وكلّ عدو لي في مشارق الأرض ومغاربها، من الإنس والجن. خذ بأذانهم، وأسماعهم، وأبصارهم، وقلوبهم، وجوارحهم، واكفني كيدهم بحول منك وقوة، وكن لي جاراً منهم، ومن كلّ شيطانٍ مریدٍ لا يؤمن بيوم الحساب. إنّ وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، فإن تولّوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت وهو ربّ العرش العظيم»^(٣).

٢- دعاء عند الدخول على كافر: «الحمد لله الذي لم يجعلني يهودياً، ولا نصرانياً، ولا مجوسياً، ولا عابداً للشمس والقمر، ولا الصنم والبقر، وجعلني حنيفاً مسلماً، ولم يجعلني من المشركين، تبارك الله ربّ العرش العظيم، والحمد لله ربّ العالمين»^(٤).

(١) إرشاد القلوب ص ٧٩-٨٠

(٢) الكافي ج ٢ ص ٦٢. في مخاطبته عبد الله بن جعفر.

(٣) من لا يحضره الفقيه / ج ص ١٤٣.

(٤) بحار الأنوار / ج ١٠ ص ١٣٢.

٣- دعاء عند الدخول على الأشرار: «اللهم إني أعوذ بك من شرورهم، وأدراك بك في نحورهم، وأستعين بك عليهم، فاكفنيهم كيف شئت، وأنتى شئت، بحولٍ منك، وقوةٍ يا أرحم الراحمين»^(١).

٤- دعاء للتخلص من ظالم: استغاث الناس من زياد بن أبيه بالحسن رضي الله عنه، فرفع يده، وقال: «اللهم خذ لنا ولشيعتنا من زياد بن أبيه، وأرنا فيه نكالا عاجلا، إنك على كل شيء قدير»^(٢). فما لبث قليلا حتى هلك.

٥- احتجاج من المتربصين: «اللهم يا من جعل بين البحرين حاجزا وبرزخا، وحجرا محجورا، يا ذا القوة والسلطان، يا عليّ المكان، كيف أخاف وأنت أمني، وكيف أضام وعليك متكلي. فغطني من أعدائك بسترك، وأظهرني على أعدائي بأمرك، وأيديني بنصرك. إليك ألقا، ونحوك الملتجأ، فاجعل لي من أمري فرجا ومخرجا، يا كافي أهل الحرم من أصحاب الفيل، والمرسل عليهم طيرا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، إرم من عاداني بالتنكيل. اللهم إني أسألك الشفاء من كل داء، والنصر على الأعداء، والتوفيق لما تحب وترضى، يا إله من في السماء والأرض، وما بينهما وما تحت الثرى، بك أستشفى، وبك أستعفي، وعليك أتوكل، فسيكفيهم الله وهو السميع العليم»^(٣).

أدعيته رضي الله عنه في مجمل الأمور:

وهذه أدعية في مناسبات مختلفة: كالإفطار، ودعاء ليلة القدر، وحرز الإمام رضي الله عنه، وقنوته رضي الله عنه، وتسيحه، ونحوها.

(١) الاحتجاج ص ١٤٦. وشرح نهج البلاغة (ح)/ ج ٢ ص ١٦٤.

(٢) بحار الأنوار/ ج ٤٣ ص ٣٢٧.

(٣) مهج الدعوات ص ٢٩٧.

١- الدعاء عند الإفطار: «إن لكل صائم عند فطوره دعوة مستجابة، فإذا كان أول لقمة، فقل: بسم الله، اللهم يا واسع المغفرة اغفر لي». وفي رواية أخرى: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا واسع المغفرة اغفر لي. فإنه من قالها عند إفطاره غُفِرَ له»^(١).

٢- أحد أدعية نبيلة التقدر: «يا باطناً في ظهوره، ويا ظاهراً في بطونه، ويا باطناً ليس يخفى، ويا ظاهراً ليس يرى، يا موصوفاً لا يبلغ بكينونته موصوف، ولا حدّ محدود، ويا غائباً غير مفقود، ويا شاهداً غير مشهود، يطلب فيصاب، ولم يخل منه السموات والأرض وما بينهما طرفة عين، لا يدرك بكيف، ولا يأن بأين، ولا بحيث. أنت نور النور، ورب الأرباب، أحطت بجميع الأمور، سبحان من ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، سبحان من هو هكذا، ولا هكذا غيره»^(٢).

٣- حرز الإمام عليه السلام: «اللهم إني أسألك بمكانك، وبمعاهد عزك، وسكان سماواتك، وأنبيائك، ورسلك أن تستجيب لي. فقد أرهقني من أمري عُسْرٌ. اللهم إني أسألك أن تصلي على محمد وآله، وأن تجعل لي من عسري يسراً»^(٣).

٤- قنوت الإمام الحسن عليه السلام: «يا من بسلطانه ينتصر المظلوم، وبعونه يعتصم المكلوم، سبقت مشيتك، وتمت كلمتك، وأنت على كل شيء قدير، وبها تمضيهِ خبير، يا حاضر كل غيب، وعالم كل سرّ، وملجأ كل مضطرّ، ضلّت فيك الفهوم، وتقطّعت دونك العلوم، أنت الله الحيّ القيوم، الدائم الديموم، قد ترى ما أنت به عليم، وفيه حكيم، وعنه حلیم، وأنت بالتناصر على كشفه، والعون على كفه غير ضائق، وإليك مرجع كل أمر، كما عن مشيتك مصدره، وقد أبت عن عقود كل قوم، وأخفيت سرائر

(١) إقبال الأعمال - ابن طاووس ص ١١٦.

(٢) إقبال الأعمال ص ٢١١.

(٣) مهج الدعوات ص ١٠.

آخرين، وأمضيت ما قضيت، وأحزن ما لا فوت عليك فيه، وحملت العقول، وما تحمّلت في غيبك.

ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيّ عن بينة، وإنك أنت السميع العليم، والأحد البصير، وأنت الله المستعان، وعليك التوكل، وأنت وليّ من توليت، لك الأمر كله، تشهد الانفعال، وتعلم الاختلال، وترى تخاذل أهل الحبال، وجنوحهم إلى ما جنحوا إليه من عاجلٍ فانٍ، وحطامٍ عقباه حميمٍ آنٍ، وعود من قعد، وارتداد من ارتدّ، وخلوى من النصّار، وانفرادي عن الظهار، وبك أعتصم، وبجبلك أستمسك، وعليك أتوكل.

اللهم فقد تعلم أني ما ذخرتُ جهدي، ولا منعتُ وجدي حتى انفلّ حدّي، وبقيتُ وحدي، فاتبعْتُ طريق من تقدمني في كف العادية، وتسكين الطاغية، عن دماء أهل المشايعة، وحرس ما حرسه أوليائي من أمرٍ آخري وديني، فكنتُ ككظمهم أكظم، بنظامهم أنظم، ولطريقتهم أتسّم، وبميسمهم أتسم، حتى يأتي نصرك، وأنت ناصر الحق وعونه، وإن بعُدَ المدى عن المرتاد، ونأى الوقت عن إفناء الأضداد.

اللهم صلّ على محمد وآله، وأمزجهم مع النصاب في سرمد العذاب، وأعم عن الرشد أبصارهم، وسكّعهم في غمرات لذاتهم، حتى تأخذهم بغتة وهم غافلون، وسحرة وهم نائمون بالحق الذي تظهره، واليد التي تبطش بها، والعلم الذي تبديه، إنك كريم عليم»^(١).

٥- دعاء لرفع الحزن: «...يا كهيعص، يا نور، يا قدوس، يا خير، يا الله، يا رحمن [يردها ثلاثاً] اغفر لي الذنوب التي تحلّ بها النقم، واغفر لي الذنوب التي تغير النعم،

واغفر لي الذنوب التي تهتك العصم، واغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء، واغفر لي الذنوب التي تعجل الفناء، واغفر لي الذنوب التي تدل الأعداء، واغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء، واغفر لي الذنوب التي تردّ الدعاء، واغفر لي الذنوب التي تمسك غيث السماء، واغفر لي الذنوب التي تظلم الهواء، واغفر لي الذنوب التي تكشف الغطاء. [ثم يدعو بما يريد]»^(١).

٦- تسبيح الإمام الحسن رضي الله عنه: «سبحان من هو مطّلع على خوازن القلوب، سبحان من هو محصي عدد الذنوب، سبحان من لا يخفى عليه خافية في السموات والأرض، سبحان المطّلع على السرائر، عالم الخفيات، سبحان من لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، سبحان من السرائر عنده علانية، والبواطن عنده ظواهر...»^(٢).

٧- من أدعيته رضي الله عنه: «يا من إليه يفرّ الهاربون، وبه يستأنس المستوحشون، صلّ على محمد وآله، واجعل أنسي بك، فقد ضاقت عني بلادك، واجعل توكلي عليك، فقد مالّ عليّ أعداؤك. اللهم صلّ على محمد وآل محمد، واجعلني بك أصول، وبك أجول، وعليك أتوكل، وإليك أنيب.

اللهم وما وصفتك من صفة، أو دعوتك من دعاء، يوافق ذلك محبتك، ورضوانك، ومرضاتك، فأحيني على ذلك، وأمتني عليه. وما كرهت من ذلك، فخذ بناصيتي إلى ما تحبّ وترضى، بؤت إليك ربي من ذنوبي، واستغفرك من جرمي، ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا هو الحليم الكريم، وصلّى الله على محمد وآله، واكفنا من همّ الدنيا والآخرة، في عافية ياربّ العالمين»^(٣).

(١) المجتبي من الدعاء المجتبي - ابن طاووس ص ٨.

(٢) بحار الأنوار/ ج ٩٤ ص ٢٠٦.

(٣) مهج الدعوات ص ١٤٣ - ١٤٤.

٨- دعاء آخر عنه عليه السلام: «اللهم إنك الخلف من جميع خلقك، وليس في خلقك خلفٌ منك، إلهي من أحسن فبرحمتك، ومن أساء فبخطيئته، فلا الذي أحسن استغنى عن رفدك ومعونتك، ولا الذي أساء استبدل بك وخرج من قدرتك. إلهي بك عرفتك، وبك اهتديت إلى أمرك، ولولا أنت لم أدر ما أنت، فيا من هو هكذا ولا هكذا غيره، صلّ على محمد وآل محمد، وارزقني الإخلاص في عملي والسعة في رزقي.

اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك، إلهي أطعتك ولك المنّة عليّ في أحب الأشياء، إليك الإيمان بك، والتصديق برسولك، ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك، الشرك بك، والتكذيب برسولك، فاغفر لي ما بينهما يا أرحم الراحمين»^(١).

٩- ومن دعاء له عليه السلام: «يا عدّتي عند كربتي، يا غياثي عند شدّتي، يا وليّي في نعمتي، يا منجحي في حاجتي، يا مفزعي في ورطتي، يا منقذي من هلكتي، يا كائي في وحدتي، اغفر لي خطيئتي، ويسّر لي أمري، واجمع لي شملي، وانجح لي طلبتي، واصلح لي شأنِي، واكفني ما أهمني، واجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً، ولا تفرّق بيني وبين العافية أبداً ما أبقيتني، وفي الآخرة إذا توفيتني برحمتك يا أرحم الراحمين»^(٢). «اللهم إني أسألك من كل أمر ضعفت عنه حيلتي أن يعطيني منه ما لم تنته إليه رغبتِي، ولم يخطر ببالي، ولم يجر على لساني، وأن تعطيني من اليقين ما يحجزني عن أمثال أحد من العالمين، إنك على كل شيء قدير»^(٣).

(١) مهج الدعوات ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٢) مهج الدعوات ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٣) المجتبي من الدعاء المجتبي ص ٦٩.

(٦)

الأفضلية في التقوى

قال ابن الأثير: «كان الحسن بن علي عليه السلام حليماً، كريماً، ورعاً، دعاه ورعه وفضله إلى أن ترك الملك والدنيا رغبةً فيما عند الله تعالى...»^(١). أقول: إن الخلافة بالنسبة للإمام عليه السلام لم تكن ملكاً في أي وقت من الأوقات، بل هي من مصاديق وظيفته الشرعية، في إرشاد الناس، وتحقيق العدالة بينهم، وإنما تركها لعدم وجود الناصر.

يقول الحسن عليه السلام في التقوى: «أيها الناس: إنه من نصح الله وأخذ قوله دليلاً، هُديَ للتي هي أقوم، ووقفه الله للرشاد، وسدده للحسنى، فإن جار الله آمن محفوظ وعدوه خائف مخذول، فاحترسوا من الله بكثرة الذكر، واخشوا الله بالتقوى، وتقربوا إلى الله بالطاعة، فانه قريب مجيب، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾»^(٢) فاستجيبوا لله وآمنوا به، فإنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعاضم، فإن رفعة الذين يعلمون عظمة الله أن يتواضعوا، وعزّ الذين يعرفون الله أن يتذلّلوا له، وسلامة الذين يعلمون ما قدرة الله أن يستسلموا له، ولا ينكروا أنفسهم بعد المعرفة، ولا يضلوا بعد الهدى.

واعلموا علماً يقيناً: أنكم لن تعرفوا التقى، حتى تعرفوا صفة الهدى ولن تمسكوا بميثاق الكتاب، حتى تعرفوا الذي نبذه، ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته، حتى تعرفوا الذي حرّفه، فاذا عرفتم ذلك، عرفتم البدع والتكلف، ورأيتم الفرية على الله، والتحريف، ورأيتم كيف يهوي من يهوي. ولا يجهلنكم الذين لا يعلمون، والتمسوا ذلك عند أهلهم، فإنهم خاصة نورٍ يستضاء بهم، وأئمة يقتدى بهم، بهم عيش العلم وموت الجهل، وهم الذين أخبركم حلمهم عن جهلهم، وحكم منطقتهم عن صمتهم، وظاهرهم عن

(١) أسد الغابة / ج ٢ ص ١٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

باطنهم، لا يخالفون الحقّ، ولا يختلفون فيه، وقد خلت لهم من الله سنة، ومضى فيهم من الله حكم، إنّ في ذلك لذكرى للذاكرين...»^(١).

ويصف ﷺ المتقين، فيقول: «لقد أصبحت أقوام كأنهم ينظرون إلى الجنة ونعيمها، والنار وحميمها، يحسبهم الجاهل مرضى وما بهم من مرضٍ، أو قد خولطوا، وإنما خالطهم أمرٌ عظيم: خوف الله ومهابته في قلوبهم. كانوا يقولون: ليس لنا في الدنيا من حاجة، وليس لها خلقتنا، ولا بالسعي لها أمرنا، أنفقوا أموالهم، وبذلوا دماءهم، وأشتروا بذلك رضا خالقهم. علموا أنّ الله اشترى منهم أموالهم وأنفسهم بالجنة، فباعوه وربحت تجارتهم، وعظمت سعادتهم، وأفلحوا، وأنجحوا، فاقتروا آثارهم رحمكم الله، واقتدوا بهم، فإنّ الله تعالى وصف لنبيه ﷺ صفة آبائه إبراهيم، وإسماعيل، وذريتهما وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ...﴾^(٢). واعلموا عباد الله، أنكم مأخوذون الاقتداء بهم والاتباع لهم، فجدّوا، واجتهدوا، وأحذروا أن تكونوا أعواناً للظالم، فإنّ رسول الله ﷺ قال: من مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه فقد خرج من رتبة الإسلام، ومن حالت شفاعته دون حدٍ من حدود الله فقد حادّ الله ورسوله، ومن أعان ظالماً لبيطل حقاً لمسلم، فقد برىء من ذمة الله وذمة رسوله، ومن دعا لظالم بالبقاء، فقد أحبّ أن يُعصى الله، ومن ظلم بحضرة مؤمن أو اغتیب وكان قادراً على نصره ولم ينصره، فقد باء بغضبٍ من الله ومن رسوله، ومن نصره فقد استوجب الجنة من الله تعالى. وإنّ الله تعالى أوحى إلى داود ﷺ: قل: لفلان الجبار إني لم أبعثك لتجمع الدنيا على الدنيا، ولكن لتردّ عني دعوة المظلوم وتنصره، فاني آليت على نفسي أن أنصره، وأنتصر له بمن ظلم بحضرة ولم ينصره»^(٣).

(١) تحف العقول ص ٢٢٧.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٩٠.

(٣) إرشاد القلوب ص ٩٢.

ويقول عليه السلام: بشأن التقوى: «يا بن آدم عَفَّ عن محارم الله تكن عابداً، وارضَ بما قسم الله تكن غنياً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن عادلاً، إنه كان بين ايديكم قوم يجمعون كثيراً، وبينون مشيداً، ويأملون بعيداً، أصبح جمعهم بوراً، وعملهم غروراً، ومساكنهم قبوراً، يا بن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فجد با في يدك، فإنَّ المؤمن يتزود، والكافر يتمتع... وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ عليهم السلام»^(١)»^(٢).

وعنه عليه السلام أيضاً: «اعلموا أن الله لم يخلقكم عبثاً، وليس بتارككم سدىً، كتب آجالكم، وقسم بينكم معاشكم، ليعرف كل ذي لب منزلته، وأن ما قدر له أصابه، وما صرف عنه فلن يصيبه، قد كفاكم مؤونة الدنيا، وفرغكم لعبادته، وحثكم على الشكر، وافترض عليكم الذكر، وأوصاكم بالتقوى، وجعل التقوى منتهى رضاه، والتقوى باب كل توبة، ورأس كل حكمة، وشرف كل عمل، بالتقوى فاز من فاز من المتقين.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾^(٣). وقال: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٤)، فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أنه من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن، ويسدده في أمره، ويبيء له رشده، ويفلجه بحجته، ويبيض وجهه، ويعطيه رغبته، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصدّيقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً»^(٥).

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

(٢) بحار الأنوار/ ج ٧٥ ص ١١٢.

(٣) سورة النبأ: الآية ٣١.

(٤) سورة الزمر: الآية ٦١.

(٥) تحف العقول ص ١٦٧.

(٧)

الأفضلية في الشجاعة

لاشك ان الشجاعة الأدبية اللفظية لا تقلُّ شأنًا عن الشجاعة الجسدية، فالإمام الحسن عليه السلام كان شجاعاً مقداماً في ميدان الحرب حيث كان يقاتل في سبيل الله، وفي مجلس الطغاة حيث كان يكافح بالكلمة الطيبة والحقيقة القاطعة، ولا يخاف في الله لومة لائم، وتلك شجاعة مثلى، لأن البطولة الحقيقية هي التي تناصر الحق، وتقطع الباطل والشر، بالسيف أو بالكلمة.

أ- الشجاعة الجسدية

كان الحسن عليه السلام أشجع المقاتلين، انتقلت تلك الخصلة الكريمة إليه من جده المصطفى محمد عليه السلام، ومن جده أبي طالب شيخ البطحاء، وأبيه علي بن أبي طالب أسد الله وأسد رسوله، وعمّيه سيدي الشهداء حمزة وجعفر، وكانت له مواقف في الجمل، وصفين، والنهر وان، ومظلم ساباط (حيث وقعت معاهدة الهدنة فيه)، وهو الذي «إذا سار، سار الموت حيث يسير» على حد تعبير عدوه فيه.

وتؤكد جميع الروايات التاريخية على شجاعة الحسن عليه السلام وبأسه في صفين وغيرها من المعارك، روي في نهج البلاغة أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرع إلى الحرب في بعض أيام صفين: «املكوا عني هذا الغلام لا يهدني...»^(١). وقوله عليه السلام: «املكوا عني، أي خذوه بالشدة، وأمسكوه لئلا يهدني أي يهدمني ويقوض أركان قوتي بموته في الحرب.

ومن كلام قاله الحسن عليه السلام في ساحة الحرب في صفين يدعو فيها الناس إلى قتال

(١) شرح نهج البلاغة (م)/ج ٢ ص ١٨٦.

معاوية، قال عليه السلام: «إنَّ مما عَظَّمَ اللهُ عليكم من حَقِّه، وأَسْبَغَ عليكم من نعمه، ما لا يحصى ذكره، ولا يؤدِّي شكره، ولا يبلغه قول ولا صفة.

ونحن إنما غضبنا لله ولكم، فإنَّه منَّ علينا بما هو أهله، أن تشكر فيه آلاؤه وبلاؤه ونعمائه، قولاً يصعد إلى الله فيه الرضا، وتنتشر فيه عارفة الصديق يصدق الله فيه قولنا، ونستوجب فيه المزيد من ربنا، قولاً يزيد ولا يبيد، فإنه لم يجتمع قوم قطَّ على أمرٍ واحدٍ إلا اشتدَّ أمرهم، واستحكمت عقدهم، فاحتشدوا في قتال عدوكم وجنوده ولا تحاذلوا، فإنَّ الخذلان يقطع نياط القلوب، وإن الإقدام على الأسنة، نخوة وعصمة، لأنه لم يمتنع قوم قطَّ، إلا رفع الله عنهم العلة، وكفاهم حوائج الذلَّة، وهداهم إلى معالم الملَّة»^(١).

ب - الشجاعة اللفظية :

ذكرنا آنفاً أنَّ الشجاعة اللفظية لا تقلُّ بأساً عن الشجاعة الجسدية، ونعرض نموذجاً لتلك الشجاعة اللفظية في مجلس جمع أعداء أهل البيت عليهم السلام ومبغضهم، فكان الإمام الحسن عليه السلام البطل الذي كان ينافح عن الحق، ويدافع عنه.

في أفضلية علي بن أبي طالب عليه السلام وإمامته :

في كلام للحسن عليه السلام في مجلس معاوية يضع فيها النقاط على الحروف في قضية من أهم قضايا الإسلام، وهي قضية الولاية والإيمان، يقول الحسن عليه السلام موجهاً كلامه إلى معاوية وحاشيته بعد أن طعنوا بعلي بن أبي طالب عليه السلام:

«الحمد لله الذي هدى أولكم بأولنا، وآخركم بأخرنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم. اسمعوا منِّي مقالتي...

(١) بحار الانوار / ج ٣٢ ص ٤٠٥.

أنشدكم بالله! هل تعلمون أنّ الرجل الذي شتمتموه صلّى إلى القبلتين كليهما، وأنت تراهما جميعاً ضلالةً، تعبد اللات والعزّى؟ وبائع البيعتين كليهما: بيعة الرضوان وبيعة الفتح، وأنت يا معاوية بالاولى كافر، وبالآخرى ناكث؟

أنشدكم بالله! هل تعلمون إنما أقول حقاً، أنه لقيكم مع رسول الله يوم بدرٍ، ومعه راية النبي، ومعك يا معاوية راية المشركين، تعبد اللات والعزّى، وترى حرب رسول الله والمؤمنين فرضاً واجباً. ولقيكم يوم أحد، ومعه راية النبي ﷺ، ومعك يا معاوية راية المشركين. ولقيكم يوم الاحزاب ومعه راية النبي ﷺ، ومعك يا معاوية راية المشركين، كلّ ذلك يفلج الله حجته، ويحقق دعوته، ويصدق إحداثه، وينصر رايته، وكلّ ذلك رسول الله ﷺ يرى عنه راضياً في المواطن كلّها؟

ثم أنشدكم بالله هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ حاصر [خير] (١)، ثم بعث عمر بن الخطاب ومعه راية المهاجرين، وسعد بن معاذ ومعه راية الانصار، فأما سعد بن معاذ فجرح وحمل جريحاً، وأما عمر فرجع وهو يجيب أصحابه ويجيبه أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كزار، غير فرار، ثم لا يرجع حتى يفتح الله عليه»، فتعرض لها أبو بكر وعمر وغيرهما من المهاجرين والأنصار، وعليّ يومئذٍ أرمم شديد الرمد، فدعاه رسول الله ﷺ، فتفل في عينيه، فبرأ من الرمد، فأعطاه الراية، فمضى ولم يثن حتى فتح الله عليه، بمنه وطوله، وأنت يومئذٍ بمكة عدوّ لله ورسوله، فهل يسوى بين رجلٍ نصح لله ولرسوله، ورجلٍ عادى الله ورسوله؟! ثم أقسم بالله ما أسلم قلبك بعد، ولكن اللسان خائف، فهو يتكلّم بما ليس في القلب.

(١) في الاصل مكتوب: بني قريظة وبني النضير، ولعله خطأ في النقل.

[ثم] أنشدكم بالله! أتعلمون أن رسول الله إستخلفه على المدينة في غزوة تبوك، ولا سخطه ذلك ولا كرهه، وتكلّم فيه المنافقون، فقال: «لا تخلفني يا رسول الله. فاني لم أتخلف عنك في غزوة قط»، فقال رسول الله عليه السلام: «أنت وصيّي وخليفتي في أهلي، أنت بمنزلة هارون من موسى» ثم أخذ بيد عليّ: ثم قال: «أيها الناس! من تولاني فقد تولّى الله، ومن تولّى عليّاً فقد تولّىني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع عليّاً فقد أطاعني، ومن أحبني فقد أحبّ الله، ومن أحبّ عليّاً فقد أحبني»؟

أنشدكم بالله! أتعلمون أن رسول الله قال في حجة الوداع: «أيها الناس! إني قد تركت فيكم ما لم تضلّوا بعده، كتاب الله فأحلّوا حلاله وحرّموا حرامه، وأعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آمنا بما أنزل الله من الكتاب، وأحبّوا أهل بيتي وعترتي، ووالوا من والاهم، وانصروهم على من عاداهم، وإنهما لم يزالا فيكم، حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة».

ثم دعا - وهو على المنبر - عليّاً، فاجتذبه بيده فقال: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، اللهم من عادى عليّاً فلا تجعل له في الأرض مقعداً، ولا في السماء مصعداً، واجعله في أسفل درك من النار».

أنشدكم بالله! أتعلمون أنّ رسول الله قال له: «أنت الذائد عن حوضي يوم القيامة! تذود عنه كما يذود أحدكم الغربية من وسط إبله»؟

أنشدكم بالله! أتعلمون أنه دخل على رسول الله في مرضه الذي توفّي فيه، فبكى رسول الله، فقال عليّ: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: «يبكيني أني أعلم: أنّ لك في قلوب الرجال من أمتي ضغائن، لا يبدونها حتى أتولّى عنك»؟

أنشدكم بالله! أتعلمون أنّ رسول الله حين حضرته الوفاة، واجتمع أهل بيته قال:

«اللهم هؤلاء أهلي وعترتي، اللهم وال من والاهم، وانصرهم على من عاداهم» وقال:
 «إنما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من دخل فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق»؟
 أنشدكم بالله! أتعلمون: أن اصحاب رسول الله قد سلموا عليه بالولاية في عهد
 رسول الله وحياته؟

أنشدكم بالله: أتعلمون أن علياً أول من حرّم الشهوات كلّها على نفسه، من
 اصحاب رسول الله فأنزل الله ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرُمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ
 وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ. وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
 أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾^(١).

وكان عنده علم المنايا، وعلم القضايا، وفصل الخطاب، ورسوخ العلم، ومنزل
 القرآن...

إنما الناس ثلاثة: مؤمن يعرف حقنا، ويسلم لنا، ويأتم بنا، فذلك ناج محب لله ولي.
 وناصب لنا العداوة يتبرأ منا ويلعننا، ويستحلّ دماءنا، ويجحد حقنا، ويدين الله
 بالبراءة منا، فهذا كافر مشرك فاسق، وإنما كفر وأشرك من حيث لا يعلم، كما سبوا الله
 عدوّاً بغير علم، كذلك يشرك بالله بغير علم^(٢).

ورجل آخذ بما لا يختلف فيه، وردّ علم ما أشكل عليه إلى الله مع ولايتنا، ولا يأتّم
 بنا، ولا يعادينا، ولا يعرف حقنا، فنحن نرجو أن يغفر الله له، ويدخله الجنة، فهذا مسلم
 ضعيف^(٣).

(١) سورة المائدة: الآية ٨٧-٨٨.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾ الأنعام:

١٠٨ - يعني: فكما سب المشركون الله عدوّاً بغير علم، يشرك هؤلاء بالله من غير علم.

(٣) (كتاب) سليم بن قيس ص ١٩٧.

وأشددكم بالله! هل تعلمون أنّ رسول الله بعث إليك، لتكتب لبني خزيمة، حين أصابهم خالد بن الوليد، فانصرف إليه الرسول فقال: هو يأكل، فأعاد الرسول إليك ثلاث مرات، كل ذلك ينصرف الرسول، ويقول هو يأكل، فقال رسول الله، «اللهم لا تشبع بطنه»، فهي والله في نهمتك، وأكلك إلى يوم القيامة؟

أشددكم بالله! هل تعلمون إنما أقول حقاً إنك يا معاوية كنت تسوق بأبيك على جملٍ أحمر، ويقوده أخوك هذا القاعد، وهذا يوم الأحزاب، فلعن رسول الله، الراكب والقائد والسائق فكان أبوك الراكب وأنت السائق. وأخوك هذا القاعد القائد؟

ثم أشددكم بالله! هل تعلمون أنّ رسول الله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن:

أولهنّ حين خرج من مكة إلى المدينة، وأبو سفيان جاء من الشام، فوقع فيه أبو سفيان، فسبّه، وأوعده، وهمّ أن يبطش به، ثم صرفه الله عزّ وجلّ عنه.

والثاني: يوم العير حيث طردها أبو سفيان، ليحرزها من رسول الله.

والثالث: يوم أحدٍ، يوم قال رسول الله: «الله مولانا ولا مولى لكم» وقال أبو سفيان: لنا العزى ولا لكم العزى، فلعنه الله وملائكته ورسوله والمؤمنون أجمعون.

والرابع: يوم [الأحزاب]^(١)، يوم جاء أبو سفيان بجمع قريش وهوازن، وجاء عيينة بغطفان واليهود، فردّهم الله عزّ وجلّ بغيظهم لم ينالوا خيراً^(٢)، هذا قول الله عزّ وجلّ له في

(١) في النصّ حين ولعه تصحيف.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب: الآية ٢٥ ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ...﴾ وهذا في غزوة الأحزاب، وأما الثانية من السورتين، فكأنه أراد قوله تعالى: في سورة الفتح: الآية ٢٤-٢٥: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا. هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾ الآية. وهذا في الحديبية.

سورتين في كليهما يسمي أبا سفيان وأصحابه كفاراً، وأنت يا معاوية يومئذٍ مشرك على رأي أبيك بمكة، وعليّ يومئذٍ مع رسول الله، وعلى رأيه، ودينه.

والخامس: قول الله ﷺ ﴿...وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ...﴾^(١) وصدت أنت وأبوك ومشركو قريش رسول الله صلى الله عليه وآله، فلعن الله لعنة شملته وذريته إلى يوم القيامة.

والسادس: يوم جاء أبو سفيان بجمع قريش، وجاء عيينة بن حصن بن بدر بغطفان، فلعن رسول الله القادة، والأتباع، والساقاة إلى يوم القيامة. فقيل يا رسول الله: أما في الأتباع مؤمن؟ فقال: لا تصيب اللعنة مؤمناً من الأتباع، وأما القادة فليس فيهم مؤمن، ولا مجيب، ولا ناج.

والسابع: يوم الثنية، يوم شدّ على رسول الله اثنا عشر رجلاً، سبعة منهم من بني أمية، وخمسة من سائر قريش، فلعن الله تبارك وتعالى ورسوله من حلّ الثنية غير النبي، وسائقه، وقائده؟

ثم أنشدكم بالله! هل تعلمون أنّ أبا سفيان دخل على عثمان حين بويع في مسجد رسول الله فقال: يابن أخي هل علينا من عين؟ فقال: لا، فقال أبو سفيان، تداولوا الخلافة فتيان بني أمية، فوالذي نفس أبي سفيان بيده ما من جنة ولا نار^(٢).

وأنشدكم بالله! أتعلمون أنّ أبا سفيان أخذ بيد الحسين حين بويع عثمان وقال: يابن أخي أخرج معي إلى بقيع الغرقد فخرج، حتى إذا توسّط القبور اجترّه فصاح بأعلى صوته: يا أهل القبور! الذي كنتم تقاتلوننا عليه، صار بأيدينا وأنتم رميم، فقال

(١) سورة الفتح: الآية ٢٥.

(٢) ذكره ابن عبد البر في (الاستيعاب) / ج ٤ ص ٨٧.

الحسين بن علي: قَبَّحَ اللهُ شَيْبَتِكَ، وَقَبَّحَ وَجْهَكَ، ثُمَّ نَزَّ يَدَهُ وَتَرَكَهُ»^(١).

وينبغي الالتفات إلى أن خطبة الإمام الحسن عليه السلام لها قواسم مشتركة مع خطبة أخيه الحسين عليه السلام في الحج الأخير، قبل موت معاوية بسنة.

الدلالات:

١- ان في خطبة الإمام الحسن عليه السلام من الجرأة والشجاعة ما يعجز القلم عن وصفها. فهي تفضح أسرار معاوية وأبيه في حربهما على الإسلام، أمام حشد من حاشية معاوية كعمرو بن عثمان، وعمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم، وزيايد بن سمية.

٢- فحوى كلام الإمام الحسن عليه السلام يعبر عن أصول ولاية أهل البيت عليهم السلام، وأن الخلافة جُعلت فيهم، ولا يحق لغيرهم أن يدعيها إلا ظلماً.

٣- صنّف الإمام عليه السلام المسلمين إلى ثلاثة اصناف:

الأول: من عرف حق أهل البيت عليهم السلام، وسلّم لهم فهو محبّ لله، وليّ من اولياء الله.

الثاني: من نصب العداوة لهم عليهم السلام فهو كافر، مشرك، فاسق.

الثالث: من لم يعرف حق أهل البيت عليهم السلام، إلا أنه لم ينصب العداوة لهم، فهو مسلم ضعيف، يرجو ان يغفر الله له.

٤- ذكر الإمام الحسن عليه السلام في أبيه علي عليه السلام جملة من الصفات الكريمة، منها: أسبقيته إلى الإسلام، وجهاده مع رسول الله صلى الله عليه وآله ضد المشركين، وإستخلافه على المدينة من قبل النبي صلى الله عليه وآله، وإعطاؤه الولاية بقوله صلى الله عليه وآله: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(٢).

(١) الاحتجاج ص ١٣٨.

(٢) بحار الأنوار/ ج ٣٨ ص ١٤٢.

في الوقت الذي كان فيه رسول الله ﷺ يدين معاوية بن أبي سفيان بالتخلف عنه ﷺ، وكان ﷺ يلعن أبا سفيان لمحاربتة الإسلام.

(٨)

الأفضلية في الصبر

دلّت الروايات التي رويت في مجالس معاوية مع حاشيته، أمثال: عمرو بن العاص، وعتبة بن أبي سفيان، وعمرو بن عثمان بن عفان، والمغيرة بن شعبة، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، ومروان بن الحكم، وعبد الله بن الزبير، وزباد بن أبيه، ونحوهم، وبحضور الحسن ﷺ، على أن الإمام ﷺ كان أصبر الناس قاطبةً وأكثرهم شكيمة.

فقد كان الحسن ﷺ يدعى إلى تلك المجالس، وقد بلغ صبره ﷺ فيها مبلغاً عظيماً، فكان يردُّ على تهكماتهم بالحجة البالغة، والدليل القاطع، وربما كانت تلك مجالس يبيتون فيها أهدافهم في بغض أهل البيت ﷺ، وقد قرأت شطراً منها في ثنايا الكتاب.

وبالإجمال، فإن الحسن ﷺ لقي ما لقيه من:

١- الخيانة والغدر من قبل الناس الذين وثق بهم في جيشه، ومن أهل الكوفة عموماً، فعالج ذلك بالصبر، ولم يسمع منه ما يدلُّ على الغضب إلا الله تعالى.

٢- في موضع النقاش والسجال المبيت من قبل معاوية وأزلامه، كان الحسن ﷺ يردُّ الصاع صاعين، ولكن بالحق والصبر، فيقول لهم معاوية: «قد كنتُ أخبرتكم وأبيتكم، حتى سمعتم ما أظلم عليكم ببيتكم، وأفسد عليكم مجلسكم...»^(١)، ويخاطب مروان بن الحكم: «قد كنتُ نهيئتُك عن هذا الرجل - يعني الحسن ﷺ - وأنت تأبى إلا انهاكاً فيما يعينك، اربع على نفسك، فليس أبوك كأبيه، ولا أنت مثله. أنت ابن الطريد الشريد،

(١) ترجمة الإمام الحسن ﷺ، ص ١٩٥.

وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكريم، ولكن رب باحث عن حثفه، وحافر عن مديته».

(٩)

الأفضلية في الفصاحة والبلاغة

كان الإمام الحسن عليه السلام الأفضل في إيصال الخطاب الديني إلى المكلفين، والأفصح بين العرب، وكلامه يدلّ على فصاحته، وعلمه الجمّ في الدين.

روى الشيخ المفيد (ت ١٣٤٤ هـ) بإسناده عن هشام بن حسان، قال: «سمعتُ أبا محمد الحسن بن علي عليه السلام يخطب الناس بعد البيعة له بالأمر، فقال: نحن حزبُ الله الغالبون، وعترة رسوله الأقرّبون، وأهل بيته الطيبون الطاهرون، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أمته، التالي كتاب الله، فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يده ولا من خلفه. فالمعول علينا في تفسيره لا نتظنّ تأويله بل نتيقن حقائقه. فأطيعونا فإنّ طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله عز وجل ورسوله مقرونة، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ...﴾^(١)، و﴿...وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ...﴾^(٢).

وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان فإنه لكم عدوٌّ مبين، فتكونوا أوليائه الذين قال لهم: ﴿...لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٣). فتلقون إلى الرماح وزرّاً، وإلى السيوف جزراً، وللعمد حطماً، وللسهام غرضاً، ثم ﴿لَا

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٣.

(٣) سورة الانفال: الآية ٤٨.

يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴿١﴾ (٢).

«... ما أنت من قريشٍ فأفاخرِك، أجهلتنِي يا ويحك وأنا ابن خير الآباء، وسيدة النساء، غَدانا رسول الله بعلم الله تبارك وتعالى، فعَلَمنا تأويل القرآن ومشكلات الأحكام، لنا العزة الغلباء، والكلمة العلياء، والفخر والسناء، وأنت من قومٍ لم يثبت لهم في الجاهلية نسب، ولا لهم في الإسلام نصيب، عبدٌ أبَق ما له والافتخار عند مصادمة اللبوث، ومجاحشة الأقران، نحن السادة، ونحن المداويد القادة، نحمي الدمار، وننفي عن ساحتنا العار، وأنا ابن نجيبات الأَبكار...» (٣).

«... نحن أكرم أهل الأرض زُنداً، لنا الشرف الثاقب والكرم الغالب، ثم تزعم: أني سلّمت الأمر، فكيف يكون ذلك ويحك هكذا؟ وأنا ابن أشجع العرب، وقد ولدتني فاطمة سيدة نساء العالمين وخيرة الإماء، لم أفعل ذلك ويحك جبناً ولا ضعفاً، ولكنه بايعني مثلك وهو يطلبني ببرة، ويداجيني الموَدّة، ولم أثق بنصرته، لأنكم أهل بيت غدر، وكيف لا يكون كما أقول؟ وقد بايع أبوك أمير المؤمنين، ثم نكث بيعته، ونكص على عقبه، واختدع حشيةً من حشايا رسول الله ليضلّ بها الناس، فلما دلف نحو الأعنة، ورأى بريق الأسنّة، قُتل مضبِعةً لا ناصر له، وأني بك أسيراً، قد وطأتك الكماة بأظلافها، والخيول بسنابكها واعتلاك الأَشتر، فغصصت بريقك، وأفَعيت على عقيبك، كالكلب إذا احتوشته اللبوث...» (٤).

وقد قرأنا سابقاً صلاة الاستسقاء، وشرحنا معانيها، حيث اللغة المحكّمة الجميلة،

(١) سورة الانعام: الآية ١٥٨ .

(٢) بحار الأنوار/ ج ٤٣ ص ٣٥٩ .

(٣) بحار الأنوار/ ج ٤٤ ص ٩٣-٩٥ .

(٤) المحاسن والمساوي - البيهقي / ج ١ ص ٥٨-٦١ .

والمعاني البليغة: «اللهم هيّج لنا السحاب، وفتح الأبواب بماء عباب ورباب، بانصباب وإسكاب. يا وهاب اسقنا مغدقة مونقة، فتح أغلاقها، ويسر أطباقها، وعجل سياقها بالأندية في بطون الأودية بصوب الماء. يا فعال اسقنا مطراً قطراً، طلاً مطلاً، مطبقاً طبقة، عامماً معماً، دهماً بهماً رجماً، رشاً مرشاً، واسعاً كافياً، عاجلاً طيباً مباركاً، سلاطحاً بلاطحاً، يناطح الأباطح، مغدودقاً مطبوقاً مغرورقاً. واسق سهلنا، وجبلنا، وبدونا، وحضرنا، حتى ترخص به أسعارنا، وتبارك لنا في صاعنا ومدنا، أرنا الرزق موجوداً، والغلاء مفقوداً، آمين رب العالمين»^(١).

(١٠)

المعجزة الخاصة والعامّة

(آيات الإمامة)

(المعجزة) في اللغة: العَجْزُ: الضعف. والمعجزة، وهي عدم القدرة، واحدة مُعْجِزَاتُ الأنبياء عليهم السلام. ومُعْجِزَةُ النبي صلى الله عليه وآله: ما أعْجَزَ به الخِصْمَ عند التحدي، والهَاءُ للمبالغة. وفي (لسان العرب) قال: «...وفي الحديث: لو جُعِلَ القرآنُ في إهابٍ [جلد مدبوغ] ثم أُلْقِيَ في النار ما احترق. قال ابن الأثير: قيل هذا كان مُعْجِزَةً للقرآن في زمن النبي صلى الله عليه وآله، كما تكون الآيات في عصور الأنبياء عليهم السلام. وقيل: المعنى: من علّمه الله القرآن لم تُحرقه نارُ الآخرة، فُجِعِلَ جسمُ حافظِ القرآن كالإهاب له»^(٢).

(المعجزة) في الإصطلاح: قال الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ) في تعريف المعجزة: «أنها أمر خارق للعادة، يعجز البشر متفرقين ومجتمعين على الإتيان بمثله»^(٣). و«المعجز هو ما

(١) من لا يحضره الفقيه / ج ١ ص ٥٣٦.

(٢) لسان العرب / ج ١ ص ٢١٧ مادة (أهب).

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن - الزرقاني / ج ١ ص ٥٦ - ٨٤.

خرق عادة البشر من خصال، لا تستطيع إلا بقوة إلهية تدلّ على أن الله تعالى قد خصّه بها، تصديقاً على اختصاصه برسالته، فيصير دليلاً على صدقه على إدعائه النبوة^(١).

شروط المعجزة:

١- خرق العادة، بحيث تكون على غير العادة التي اعتادها الناس في الظواهر الطبيعية أو السلوك البشري، كانشقاق القمر، وانفجار الماء من بين أصابعه ﷺ، ورد الشمس لأمر المؤمنين ﷺ.

٢- التحدي للمكذبين، فالمعجزة تقترن بالتحدي للمكذبين أو المشككين.

٣- العجز عن الإتيان بمثلها، فمن عارض المعجزة وأتى بأمر مثلها، بطلت تلك المعجزة.

الدليل العقلي:

المعجزة أمرٌ أكبر من القدرة البشرية على صنعه، وأعظم من الناموس الطبيعي الذي وضعه الله سبحانه وتعالى لهذا الوجود. فالمعجزة سلاحٌ فعالٌ بيد الزعيم الديني، كالنبي ﷺ أو الإمام المعصوم ﷺ.

ولا يمكن تفسير المعجزة إلا بكونها إرادة من الله تعالى، كي يثبت للعقل أن المبعوث من قبله تعالى، صادقٌ بدعواه. لاسيما، نحن نعلم أن أغلب الرسل والأئمة ﷺ عاشوا حياتهم فقراء زاهدين، لا يبتغون لانفسهم فضلاً إضافياً، أو منقبة دنيوية تأتي بها المعجزة.

إن حياة النبي ﷺ كانت مليئة بالمعجزات الوقتية، إلا أن المعجزة الدائمة الخالدة

(١) الأنوار في شمائل النبي المختار - البغوي / ج ٢ ص ١-٢٩.

هي: القرآن الكريم. وهو كتاب آلهي يتجدد معناه في كل زمن، وتكتشف فيه الحقائق في كل عصر بما تعجز العصور السابقة عن كشفه.

ومعجزة أئمة أهل البيت عليهم السلام هي: سيرتهم، وسلوكهم، وعلمهم. ولو وضعت سيرتهم، وعلمهم في كتاب، لكان ذلك الكتاب هو مرآة معجزتهم، فنحن لو دققنا في سيرة حياتهم لرأيناها في قمة الكمال، وفي أقصى درجات الطاعة للباري عز وجل. وهذا في حد ذاته معجزة؛ لأن الإنسان قد يخطأ، وقد يرتكب المخالفات الشرعية، بقصد أو دون قصد، إلا أن هؤلاء الأبطال، ترى كتابهم نقياً، خالياً من المعاصي، يرفعهم الله تعالى كل يوم درجات في الشرف، والسمو، والكرامة.

وقيل إن (الآية) أفضل لغة في التعبير من (المعجزة)، وإن الله عز وجل بعث الرسل بالآيات، والآية هي العلامة المميزة للشيء عن غيره، وهي العلامة الخاصة به تعالى. قال تعالى: ﴿...إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١)، و﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا...﴾^(٢)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾^(٣). وقال عن معجزة اليد والعصا لموسى عليه السلام: ﴿...فَدَايَكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾^(٤). وعلى أي تقدير، فإن المعنى واضح، وإن اختلفت الاصطلاحات.

وقد ورد مصطلح المعجزة في القرآن الكريم أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(٥)، أي ظانين أنهم يعجزوننا، ﴿لَا تُحْسِبَنَّ الَّذِينَ

(١) سورة الرعد: الآية ٣.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢٤.

(٣) سورة النساء: الآية ١٧٤.

(٤) سورة القصص: الآية ٣٢.

(٥) سورة الحج: الآية ٥١.

كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ... ﴿١﴾، قيل أن معناها: لا تعجزوننا هرباً في الأرض ولا في السماء.

إنكار المعجزة: إن من ينكر المعجزة، يقوم على إنكار الوقوع، لا على إنكار الإمكان، وإمكان المعجزة أو البرهان أو الآية ضروري في هذه الحياة؛ لأن الله عز وجل يحتج على الناس بالمعجزات والآيات والبراهين، ولأنه تعالى قادر على خرق قوانين الطبيعة التي وضعها هو بالأصل.

والمشكلة في إنكار الوقوع، أن المنكر يقوم بالطعن في إفادة التواتر لليقين، فطالما لم يرها رؤياً العين المجردة، فهي لا تثبت له، ولكن الطعن في التواتر، أو الطعن في إفادة التواتر لليقين، إنما هو طعن في قوانين الفكر؛ فالتواترات هي أحد أقسام الضروريات. ولو طعن في التواتر وما يتبعه من إفادته لليقين، لما بقي خبرٌ عندنا يفيد اليقين.

وبذلك نستنتج، بأن المعجزة أو الآية ممكنة الوقوع، وإذا تيقنها الإنسان للدليل عقلياً، فهي واقعة فعلاً.

المعجزة الوقتية (الخاصة): وهي معجزة وقعت في حياتهم ﷺ، وكان هدفها إقناع الحاضرين بكراماتهم. فهي موجهة للحاضرين دون الغائبين.

ومن ذلك رواية تقول: «إن الحسن عليه السلام خرج، ومعه رجل من ولد الزبير، كان يقول بإمامته. فنزلوا في منهل من المناهل، تحت نخل يابس. فتمنى الرجل أن يأكل رطباً. فرفع الحسن عليه السلام يده إلى السماء، فدعا بكلام لم يفهمه الرجل، فأخضرت النخلة، ثم صارت إلى حالها فأورقت وحملت رطباً، فقال الجمال الذي اكتروا منه: سحر والله. قال الحسن عليه السلام: «ويلك، ليس بسحر، ولكن دعوة ابن نبي مستجابة». قال: فصعدوا

إلى النخلة، فصرموا ما كان فيه فكفاهم»^(١).

تلك الرواية، إن صححت، فهي إعجازٌ ماديٌّ على من كان حاضراً، والناس، وبعد مضي تلك الفترة الطويلة على وقوعها، قد يعتقدون أنها مجرد إخبار، والمعجزة المادية لها هدف، وهو إقناع الحاضرين بخصائص الإمامة وكراماتها.

وقد ساق كتاب (دلائل الإمامة) للطبري (ت ٣١٠هـ) عدداً من الروايات في معاجز الإمام الحسن عليه السلام، وكتاب (الكافي) للكليني (ت ٣٢٩هـ) أيضاً، وكذلك كتاب (المناقب) لابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ).

وتلك المعجزات أو الآيات، وإن كنا نؤمن بصحتها، ونعتقد أنها من كراماتهم وأسلحتهم في الهداية، إلا أننا نبحت عن المعجزة الدائمة، التي تهمنا اليوم.

المعجزة الدائمة (العامة): هي عصمتهم عليهم السلام وكمال سلوكهم، بحيث ورغم الأكاذيب التي افتعلها أعداؤهم ضدهم، لم يرد في الكتب التاريخية ما يقدح في شخصياتهم أو عصمتهم.

ولو تصورت، أيها القارئ الكريم، أن إنساناً عاش خمسين سنة من عمره، ولم يرتكب معصية واحدة من الصبا وحتى الوفاة، بل كان يؤدي واجباته الدينية من صلاة، وصوم، وزكاة، وحج، وجهادٍ في سبيل الله، ولم يظلم أحداً، وكان كاملاً في العلم، واليقين، والحلم، والكرم، والبلاغة، والشجاعة، أليست حياته تلك، وعصمته، معجزة وآية من آيات الله عز وجل؟

أليس مصداق الآية الكريمة: ﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ

وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيرًا ﴿١﴾ لأشخاص متيقنين بالله عز وجل، طاهرين من الذنوب، إنما هو معجزة، أو آية من آيات الله تعالى؟

وإذا علمنا، أن أهل البيت عليهم السلام كانوا يتحدثون من يחדش بطهارتهم من الشك والذنب، ويعجز الطرف المقابل عن النهوض إلى مستواهم أو النهوض إلى مستوى التحدي، لتيقننا بأن سلوكهم وسيرة حياتهم هي المعجزة بعد معجزة القرآن الكريم.

(١١)

في إطلاق (الابن) على ابن البنت

هل أن إطلاق ابن البنت، كالحسن بن فاطمة عليها السلام، بالولد من قبل النبي صلى الله عليه وآله صحيح؟ نحاول الجواب على هذا السؤال في البحث التالي:

السبب في اللغة: السَّبْتُ: وَلَدُ الْوَلَدِ، واحد الأسباط. قال ابن سيده: السَّبْتُ ولد الابن والابنة. وفي الحديث: الحَسَنُ والحُسَيْنُ سِبْطُ رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعناه أي: طائفتان وقطعتان منه. وقيل: الأسباط خاصة الأولاد، وقيل أولاد الأولاد، وقيل: أولاد البنات. وفي الحديث أيضاً: الحسين سِبْطٌ من الأسباط، أي أمّة من الأمم في الخير، فهو واقع على الأمّة، والأمّة واقعة عليه...»^(٢).

الحفيد في اللغة: قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾^(٣).

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٢) لسان العرب - مادة (سبط). ومجمع البحرين / ج ٢ ص ٣٢٦.

(٣) سورة النحل: الآية ٧٢.

ابن البنت هو الولد الذكر للبنت، ويقال له: حفيد، وسبط. والحسن والحسين أولاد فاطمة بنت رسول الله عليه السلام، فيقال لهما: سبطا رسول الله عليه السلام.

واعتبر الفقهاء ابن البنت ابناً على نحو الحقيقة، لا المجاز. قال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) في إجماع المسلمين على ذلك: «دليلنا: إجماع المسلمين على أن عيسى بن مريم من ولد آدم، وهو ولد ابنته، لأنه ولد من غير أب»^(٤).

الحسن عليه السلام سبط رسول الله عليه السلام وابنه، وفي ذلك دلائل، منها:

١- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٥).

٢- كثرة استعماله في الحسن والحسين عليه السلام. قال ابن حجر: «يجوز أن يقال للحسين: أبناء رسول الله عليه السلام، وهو أبُّ لها اتفاقاً»^(٦).

٣- خبر أبي الجارود: «قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا أبا الجارود ما يقولون في الحسن والحسين عليه السلام؟

قلت: ينكرون علينا أنها ابنا رسول الله عليه السلام.

قال عليه السلام: فبأي شيء احتججتهم عليهم؟

قلت: بقول الله عز وجل في عيسى بن مريم: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ

(٤) الخلاف - الشيخ الطوسي / ج ٣ ص ٥٤٧ م ١٥.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٦) الصواعق المحرقة ص ٢٤٣.

وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ
وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١﴾، وجعل عيسى من ذرية إبراهيم.

قال ﷺ: فأى شيء قالوا لكم؟

قلت: قالوا: قد يكون ولد الابنة من الولد ولا يكون من الصلب.

قال ﷺ: فبأى شيء احتججتم عليهم؟

قلت: احتججنا عليهم بقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ
الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ
فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٢﴾.

قال ﷺ: فأى شيء قالوا لكم؟

قلت: قد يكون في كلام العرب ابني رجل واحد، فيقول: أبناؤنا، وإنما هما ابن
واحد.

قال ﷺ: والله يا أبا الجارود لأعطينكها من كتاب الله، أنهما من صلب رسول الله ﷺ
لا يردها إلا كافر.

قلت: جعلت فداك وأين؟

قال ﷺ: حيث قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ
وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ
مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَابِكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم

(١) سورة الأنعام: الآية ٨٤-٨٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦١.

بِهِنَّ فَإِنَّ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴿١﴾ .
فسلهم يا أبا الجارود هل حلّ لرسول الله صلى الله عليه وآله نكاح حليلتهما؟ فإن قالوا: نعم، فكذبوا
والله وفجروا، وإن قالوا: لا، فهما والله ابناه لصلبه، وما حرمتا عليه إلا للصلب»^(٢).

٤- عن أحدهما (الإمام الباقر أو الصادق عليه السلام) أنه قال: «لو لم تحرم على الناس
أزواج النبي صلى الله عليه وآله لقول الله جبرئيل: ﴿... وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا
أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾^(٣)، حرمن على الحسن والحسين عليه السلام
بقول الله جبرئيل: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ...﴾^(٤)، ولا
يصلح للرجل أن ينكح امرأة جده»^(٥).

٥- فيما جرى بين هارون الرشيد والإمام الكاظم عليه السلام:

الرشيد: لم جوّزتم للعامة والخاصة أن ينسبواكم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ويقولون لكم:
يا بني رسول الله، وأنتم بنو علي؟ وإنما يُنسب المرء إلى أبيه، وفاطمة إنما هي وعاء،
والنبي صلى الله عليه وآله جدكم من قبل أمكم؟

الكاظم عليه السلام: لو أنّ النبي صلى الله عليه وآله نشر فخطب إليك كريمةك هل كنت تجيبه؟

الرشيد: سبحان الله ولم لا أجيبه؟ بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك.

الكاظم عليه السلام: لكنه صلى الله عليه وآله لا يخطب إليّ ولا أزوجه.

(١) سورة النساء: الآية ٢٣.

(٢) بحار الأنوار/ ج ٤٣ ص ٢٣٣ ح ٩.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٥٣.

(٤) سورة النساء: الآية ٢٢.

(٥) وسائل الشيعة - الحر العاملي / ج ٢٠ ، ص ٤١٢ ، باب ما يحرم بالمصاهرة، ح ١. الرواية

صحيحة ابن مسلم.

الرشيد: ولم؟

الكاظم عليه السلام: لأنه عليه السلام ولدني، ولم يلدك.

الرشيد: أحسنت يا موسى. كيف قلت: إنا ذرية النبي عليه السلام، والنبي عليه السلام لم يعقب؟
وإنما العقب للذكر لا للإنثى، وأنتم ولد البنت ولا يكون لها عقب...

الكاظم عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١)، من أبو عيسى؟

الرشيد: ليس لعيسى أب.

الكاظم عليه السلام: إنها ألحقناه بذراري الأنبياء عليهم السلام من طريق مريم عليها السلام، وكذلك ألحقنا بذراري النبي عليه السلام من قبل أمنا فاطمة الزهراء عليها السلام...^(٢)

٦- عن الأربلي (ت ٦٩٣هـ): «عن ذكوان مولى معاوية، قال: قال معاوية: لا أعلمن أحداً سمي هذين الغلامين ابني رسول الله عليه السلام، ولكن قولوا ابني علي عليه السلام. قال ذكوان: فلما كان بعد ذلك، أمرني أن أكتب بنيه في الشرف، قال: فكتبت بنيه وبني بنيه، وتركت بني بناته، ثم أتيت بالكتاب، فنظر فيه، فقال: ويحك لقد أغفلت كبر بني. فقلت: من؟ فقال: أما بنو فلانة لابنته بني؟ قال: قلت: الله أيكون بنو بناتك بنيك، ولا يكون بنو فاطمة بني رسول الله عليه السلام؟ قال: مالك قاتلك الله، لا يسمعن هذا أحدٌ منك»^(٣).

(١) سورة الأنعام: الآية ٨٤-٨٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام - الصدوق / ج ٢ ص ٢١٠. والحديث طويل أخذنا موضع الحاجة.

(٣) كشف الغمة / ج ١ ص ٥٥٠.

٧- عن ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ): في حديث «مدرک بن أبي زياد، قلت: لابن عباس، وقد أمسك للحسن والحسين بالركاب، وسوى عليهما، أنت أسنّ منهما تمسك لهما بالركاب. فقال: وما تدري من هذان؟ هذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله، عليّ أن أمسك لهما، وأسوّي عليهما»^(١).

٨- قوله عليه السلام: «املكوا عني هذا الغلام لا يهدني، فإنني أنفُسُ مهدين - يعني الحسن والحسين عليه السلام - على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله».

قال ابن أبي الحديد: فإن قلت: أيجوز أن يقال للحسن والحسين وولدهما: أبناء رسول الله، وولد رسول الله، وذرية رسول الله، ونسل رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قلت: نعم، لأن الله تعالى سبّاهم أبناءه في قوله تعالى: ﴿...قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾^(٢). وإنما عنى الحسن والحسين، ولو أوصى لولد فلان بمال، دخل فيه أولاد البنات. وسمى الله عيسى ذرية إبراهيم في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٣)، ولم يختلف أهل اللغة في أن ولد البنات من نسل الرجل.

فإن قلت: فما تصنع بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ...﴾^(٤)؟ قلت: أسألك عن إبوته لإبراهيم بن مارية، فكلمها تجيب به عن ذلك، فهو جوابي عن الحسن والحسين عليه السلام.

(١) المناقب (ش) / ج ٢ ص ١٤٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٨٤ - ٨٦.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

والجواب الشامل للجميع أنه عنى زيد بن حارثة؛ لأن العرب كانت تقول: زيد بن محمد على عادتهم في تبني العبيد، فأبطل الله تعالى ذلك، ونهى عن سنة الجاهلية، وقال: إن محمداً ﷺ ليس أباً لواحد من الرجال البالغين المعروفين بينكم، ليعتزى إليه بالبنوة. وذلك لا ينفي كونه أباً لأطفال، لم تطلق عليهم لفظ الرجال، كإبراهيم، وحسن، وحسين ﷺ.

فإن قلت: أتقول أن ابن البنت ابن على الحقيقة الأصلية، أم على سبيل المجاز؟ قلت: لذاهب أن يذهب إلى أنه حقيقة أصلية، لأن أصل الإطلاق الحقيقة، وقد يكون اللفظ مشتركاً بين مفهومين، وهو في أحدهما أشهر، ولا يلزم من كونه أشهر في أحدهما إلا يكون حقيقة في الآخر.

ولذاهب أن يذهب إلى أنه حقيقة عرفية، وهي التي كثر استعمالها، وهي في الأكثر مجاز حتى صارت حقيقة في العرف، الرواية للمزادة، والسماء للمطر. ولذاهب أن يذهب إلى كونه مجازاً قد استعمله الشارع، فجاز إطلاقه في كل حال، واستعماله كسائر المجازات المستعملة.

ومما يدل على اختصاص ولد فاطمة دون بني هاشم كافة بالنبي ﷺ، أنه ما كان يحل له عليه أن ينكح بنات الحسن والحسين ﷺ، ولا بنات ذريتهما وإن بعدن وطال الزمان، ويحل له نكاح بنات غيرهم من بني هاشم من الطالبيين وغيرهم، وهذا يدل على مزيد الأقرابية، وهي كونهم أولاده؛ لأنه ليس هناك من القربى غير هذا الوجه، لأنهم ليسوا أولاد أخيه، ولا أولاد أخته، ولا هناك وجه يقتضي حرمتهم عليه ألا كونه والداهم، وكونهم أولاداً له^(١).

(١) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ١١ ص ٢٦-٢٧.

٩- في (شرح نهج البلاغة)، قال: «أرسل إليه عمرو بن العاص يعييه بأشياء، منها أنه يسمي حسناً وحسيناً ولدي رسول الله عليه السلام. فقال لمبعوثه: قل للشاني ابن الشاني^(١)، لو لم يكونا ولديه لكان أبتراً، كما زعمه أبوك»^(٢).

والخلاصة: إن الحسن عليه السلام، ابن فاطمة وابن علي عليه السلام، يعدُّ ابناً لرسول الله عليه السلام على نحو الحقيقة، ذلك لأن عيسى عليه السلام من ذرية آدم عليه السلام ولم يكن له أب، فيكون النسب من أمه مريم عليها السلام. وأن رسول الله عليه السلام دعا الحسن والحسين عليه السلام في المباهلة، ووصفها بأبناها، ويحرم على الحسن والحسين عليه السلام نكاح امرأة جده عليه السلام بسبب القرابة، وبسبب التحريم الخاص بأزواج النبي عليه السلام، ويحرم على النبي عليه السلام نكاح بنات الحسن والحسين عليه السلام ولا بنات ذريتهما، وإن بعدن وطال الزمان، ويجل له نكاح بنات غيرهم من بني هاشم.

ورسول الله عليه السلام، بنص القرآن الكريم، ليس أبتراً، بل له عقب وله ذرية واسعة من الحسن والحسين عليه السلام، ولم يختلف أهل اللغة بأن ولد البنات من نسل الرجل.

(١٢)

الصبا والإمامة

الإمامة في الصبا:

يستغرق قلب المعصوم عليه السلام في فيض العلم الالهي والمعرفة الحقّة، ولا يشتغل إلا بالأنس بعبادة ربه، وعدم اللهو، كما في الرواية عن معاوية بن وهب، قال: قلت لأبي

(١) الشاني: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ سورة الكوثر: الآية ٣. والشاني هو العدو.

(٢) شرح نهج البلاغة (ش)/ ج ٢٠ ص ٣٣٤.

جعفر عليه السلام [الإمام الباقر عليه السلام]: ما علامة الإمام الذي بعد الإمام؟ فقال: «طهارة المولد، وحسن المنشأ، ولا يلهو ولا يلعب»^(١)، ولا بد من أن يتزين بلباس القدسية والاحترام.

فالإمام المعصوم عليه السلام في الصبا يكون حائزاً على العلم والحكمة، وقد أرسل الله سبحانه يحيى عليه السلام بالنبوة صبيّاً، وجعل عيسى عليه السلام في المهدي نبياً مرسلًا، وفي الرواية عن أهل البيت عليهم السلام: «إذا ولد المولود منا، رفع له عمود نور يرى به أعمال العباد، وما يحدث في البلدان»^(٢)، فهناك قوة قدسية مودعة في نفس النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام المعصوم عليه السلام.

وسوف نبحث هذا الموضوع مرة أخرى في الفصل الخامس، في بحث زعم لعب الحسين عليه السلام ودلالته الشرعية والعقائدية.

ولكن قبل ذلك، نعرض موضوع الأنبياء عليهم السلام والصبا في القرآن الكريم، وفيه ثلاثة أنبياء: يوسف، ويحيى، وعيسى عليهم السلام.

١- النبي يوسف عليه السلام:

قال تعالى على لسان إخوة يوسف عليه السلام: ﴿أَرْسَلُهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٣). جاء في (التبيان): «وأسند اللعب إلى يوسف لصغره، ولا لوم على الصغير في اللعب، ولا ذم»^(٤). وفي (مجمع البيان): «وأسند اللعب إلى يوسف لصغره، ولا لوم على الصغير في اللعب»^(٥). وفي (زبدة البيان): «... أو يقال: إنّ المراد اللعب الخاص، وهو الاستباق والانتضال، حتى يعودوا أنفسهم لقتال العدو، بدليل: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا

(١) الكافي / ج ١ ص ٣١١.

(٢) الخدائق الناضرة - المحقق البحراني / ج ٥ ص ٣٣٨.

(٣) سورة يوسف: الآية ١٢.

(٤) التبيان - الشيخ الطوسي / ج ٦ ص ١٠٥.

(٥) مجمع البيان - الطبرسي / ج ٥ ص ٣٦٦.

ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا... ﴿١﴾ على أن في إباحة الاستباق تأملاً، إلا أن يريد الاستباق بالفرس ونحوه، ولكن الظاهر أن الاستباق بالأقدام، فيحتاج إلى جعله من خصائص دين يعقوب عليه السلام، قال في مجمع البيان: أراد به اللعب المباح مثل الرمي والاستباق بالأقدام، وقد روي: «أن كل لعب حرام إلا ثلاثة: لعب الرجل بقوسه، وفرسه، وأهله». والسند غير ظاهر، وفي المستثنى والمستثنى منه تأمل ﴿٢﴾.

والمعارف بين المفسرين: أن يعقوب عليه السلام كان ساكناً في البدو، وكان له اثنا عشر ابناً من أربع زوجات، كان عشر منهم كباراً، عصبه أولي قوة، وكانت رحي حياته تدور عليهم، وكان البقية أخوين صغيرين لأم واحدة وهما يوسف وأخوه، وكان يعقوب عليه السلام يحبهما حباً شديداً، ويتفرس فيهما آثار الكمال والتقوى. فاقترحوا على أبيهم أن: ﴿أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿٣﴾.

أي: إننا ناصحون لك، حافظون له، فإن كنت تخاف عليه من سوء يصيبنا فإننا عصبه أقوىاء، وإن كنت تخاف عليه منا، فإننا نعطيك الضمان بالحفاظ عليه، وعندما رجعوا، ادَّعُوا أَنْ الذَّبَّ قَدْ أَكَلَهُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّبُّ...﴾ ﴿٤﴾، وهي تعني أن يوسف لم يذهب ليلعب معهم، وإنما كان هدف ذهابه معهم هو معاشرتهم ومصاحبتهم، ولذلك قالوا: ﴿... يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا...﴾ ﴿٥﴾.

قال الزمخشري في (الكشاف): «نستبق أي نتسابق، والافتعال والتفاعل يشتركان

(١) سورة يوسف: الآية ١٧.

(٢) زبدة البيان ص ٥٠٧ - ٥٠٨.

(٣) سورة يوسف: الآية ١٢.

(٤) سورة يوسف: الآية ١٧.

(٥) سورة يوسف: الآية ١٧.

كالانتضال والتناضل، والارتقاء والتراخي وغير ذلك، والمعنى نتسابق في العدو أو في الرمي»^(١).

والحاصل أنهم عندما ذهبوا للتسابق، تركوا يوسف عند متاعهم ورحالهم؛ لأنهم ابتعدوا عنها، فكان لا بد من حافظٍ يبقى لحفظها، فأكله الذئب - كما زعموا - وهذا يدلُّ على عدم لعب يوسف معهم، وهو صبي، وفي ذلك دلالة على أن المرسل ﷺ لا يلعب لعب اللهو، وإضاعة الوقت، وإن كان صبيًّا.

٢- النبي يحيى ﷺ: أثنى الله ﷻ عليه ثناءً جميلاً، فكان ﷺ مصدقاً بكلمة الله (نبوة عيسى ﷺ)، وكان سيِّداً، وحصوراً (أي لا يأتي النساء)، وكان نبياً، ومن الصالحين. ومدح ﷺ بيت زكريا ﷺ بقوله: ﴿...إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾^(٢)، وكان في بيت زكريا: يحيى وأبوه (زكريا) وأمه.

قال تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(٣). والمعنى: أمر الله تعالى يحيى بأخذ الكتاب بقوة التحقق بما فيه من المعرفة، والعمل بما فيه من أحكام. وآتيناه الحكم صبيًّا، تعني أنا أعطيناه العلم بالمعارف الحقيقية، المخبوءة تحت ستار الغيب، وهو صبي لم يبلغ الحلم بعد.

وفي مجمع البيان: «عن معمر قال: إن الصبيان قالوا ليحيى: اذهب بنا نلعب. قال: ما للعب خلقنا، فأنزل الله تعالى: ﴿...وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ وروي ذلك عن أبي الحسن الرضا ﷺ»^(٤).

(١) الكشاف/ ج ٢ ص ٤٥٠.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٩٠.

(٣) سورة مريم: الآية ١٢.

(٤) مجمع البيان/ ج ٦ ص ٤٠٨.

وفي الكافي بإسناده عن علي بن أسباط قال: «رأيت أبا جعفر عليه السلام وقد خرج إليّ، فأجذتُ النظر إليه، وجعلتُ أنظر إلى رأسه ورجليه لأصف قامته لأصحابنا بمصر، فبينما أنا كذلك حتى قعد، فقال: يا علي إن الله احتجّ في الإمامة بمثل ما احتجّ به في النبوة، فقال: ﴿...وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(١)، ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾^(٢)، فقد يجوز أن يؤتى الحكمة وهو صبي، ويجوز أن يؤتى الحكمة وهو ابنُ أربعين سنة»^(٣).

٣- النبي عيسى عليه السلام: قوله تعالى بشأن عيسى عليه السلام: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٤). وهي آية خارقة للعادة، لأنه كلّمهم عندما أتت به أمه مريم عليها السلام بعد ولادته مباشرة، قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾^(٥)، والظاهر أنه كان يكلمهم، وهو في المهد، كلاماً تاماً يعتني به العقلاء عادة.

روى ثقة الإسلام الكليني (ت ٣٢٩هـ) في (الكافي): عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن يزيد الكناسي، قال: سألتُ أبا جعفر عليه السلام: أكان عيسى بن مريم عليها السلام حين تكلم في المهد حجة الله على أهل زمانه؟

فقال: «إن عيسى عليه السلام كان يومئذٍ نبياً، حجة الله غير مرسل، أما تسمع لقوله حين

(١) سورة مريم: الآية ١٢.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

(٣) الكافي / ج ١ ص ٣٨٤.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٤٦.

(٥) سورة مريم: الآية ٢٧-٣١.

قال: ﴿...إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾^(١).

قلت: فكان يومئذ حجة الله على زكريا في تلك الحال، وهو في المهدي؟

فقال: كان عيسى في تلك الحال آية للناس، ورحمة من الله لمريم، حين تكلم فعبر عنها، وكان نبياً حجة على من سمع كلامه في تلك الحال، ثم صمت فلم يتكلم حتى مضيت له سنتان، وكان زكريا الحجة لله ﷺ على الناس بعد صمت عيسى بستين، ثم مات زكريا، فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبي صغير، أما تسمع لقوله ﷺ: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(٢).

فلما بلغ عيسى ﷺ سبع سنين، تكلم بالنبوة والرسالة حين أوحى الله تعالى إليه، فكان عيسى الحجة على يحيى وعلى الناس أجمعين، و[لا] تبقى الأرض - يا أبا خالد - يوماً واحداً بغير حجة لله على الناس، منذ يوم خلق الله آدم ﷺ وأسكنه الأرض^(٣).

حكمة أحد صبية آل محمد ﷺ:

وللتدليل على حكمة الصبي من آل محمد ﷺ أورد مصنف كتاب (روض الرياحين في مناقب الصالحين) هذه الرواية عن أحد أبناء الإمام الحسين ﷺ: كان الراوي يمشي في بعض شوارع البصرة فرأى بعض الصبيان يلعبون، وميز صبياً ينظر إليهم ويكي، فظن انه يتحسر على ما في أيدي الصبيان ولا شيء معه فيلعب به. فسأله إن أراد أن يشتري له ما كانت تلعب به الصبيان. «فرجع الصبي بصره إليّ وقال: يا قليل العقل، ما للعب خلقتنا.

(١) سورة مريم: الآية ٣٠-٣١.

(٢) سورة مريم: الآية ١٢.

(٣) شرح أصول الكافي / ج ٦ ص ٣٧١. الرواية معتبرة.

فقلتُ: أي بني، فلماذا خلقنا؟

قال: للعلم والعبادة.

قلت: من أين لك ذلك بارك الله تعالى فيك؟

قال: من قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(١).

قلت له: أي بني، إني أراك حكيماً فعظني وأوجز، فأنشأ يقول:

أرى الدنيا تجهز بانطلاق	مشمرة على قدم وساق
فلا الدنيا بباقية لحي	ولا حي على الدنيا بباقي
كأن الموت والحدثان فيها	إلى نفس الفتى فرسا سباق
فيما مغرور بالدنيا رويداً	ومنها خذ لنفسك بالوساق

ثم رمق السماء بعينه، وأشار إليها بكفيه، ودموعه تنحدر على خديه، وأنشأ يقول:

يامن إليه المبتهل	يامن عليه المتكل
يا من إذا ما أمل	يرجوه لم يُخطِ الأمل

قال: فلما أتم كلامه خرّ مغشياً عليه، فرفعت رأسه إلى حجري، ونفضت التراب

عن وجهه بكمي، فلما أفاق قلت: أي بني، ما نزل بك وأنت صبي صغير لم يكتب عليك ذنب؟

قال:...إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار، فلا تتقد لها إلا بالصغار، وأنا

أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم.

فقلت له: أي بني، أراك حكيماً فعظني وأوجز، فأنشأ يقول:

(١) سورة المؤمنون: الآية ١١٥.

غفلتُ وحادي الموت في أثري يحدو
 أنعمُ جسمي باللباس ولينه
 كأني به قد مرّ في برزخ البلا
 وقد ذهبت مني المحاسن وانمحتُ
 أرى العمر قد ولى ولم أدرك المنى
 وقد كنتُ جاهرت المهيمن عاصياً
 وأرخت خوف الناس سترأمن الحيا
 بلى خفته لكن وثقتُ بحلمه
 فلو لم يكن شيء سوى الموت والبلا
 لكان لنا في الموت شغل وفي البلا
 عسى غافر الزلّات يغفر زلّتي
 أنا عبد سوء خنت مولاي عهده
 فكيف إذا أحرقت بالنار جثتي
 أنا الفردُ عند الموت والفردُ في البلا

فإن لم أرح يوماً فلا بدّ أن أغدو
 وليس لجسمي من لباس البلا بُدُّ
 ومن فوقه ردم ومن تحته لحدُّ
 ولم يبق فوق العظم لحم ولا جلدُ
 وليس معي زاد وفي سفري بُعدُ
 وأحدثت أحداثاً وليس لها ردُّ
 وما خفت من سرّي غداً عنده يبدو
 وأن ليس بعفو غيره فله الحمدُ
 ولم يك من ربي وعيد ولا وعدُ
 عن اللهلول لكن زال عن رأينا الرشدُ
 فقد يغفر المولى إذا أذنب العبدُ
 كذلك عبد سوء ليس له عهدُ
 ونارك لا يقوى لها الحجر الصلْدُ
 وابعث فرداً فارحم الفردَ يا فردُ

قال الراوي: فلما فرغ من كلامه وقعت مغشياً عليّ، وانصرف الصبي، فلما أفقت نظرت إلى الصبيان فلم أره معهم، فقلت لهم: من يكون ذلك الغلام؟... فقيل لي: ذاك من أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب (رضوان الله عليهم أجمعين)»^(١).

والخلاصة: إن النبوة والإمامة لا تخضعان لشروط السنّ، فقد يهب الله سبحانه

(١) شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي / ج ٢٩ ص ٦٥، نقلها عن كتاب (روض الرياحين في مناقب الصالحين) - الشيخ عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي الشافعي اليميني. الحكاية السادسة والخمسون ص ٦٧. ونقلها أيضاً عن: ابن حجر في الصواعق المحرقة (راجع شرح إحقاق الحق / ج ١٢ ص ٤٧٣ / ج ١٩ ص ٦٢٠ / ج ٢٩ ص ٦٧).

الحكمة لصبي، ويلهمه الإدراك الكامل للدين، فيكون حجة لمن سواه من البشر، بل أن القوة القدسية المودعة في نفس النبي صلى الله عليه وآله، أو الإمام المعصوم عليه السلام تجعل إدراكه أكبر من إدراك الكبير في السن، وقد كانت لنا عبرة في أنبياء ورسلكيوسف، ويحيى، وعيسى عليه السلام، وكذلك لنا عبرة بأئمة هدى كالحسن والحسين عليه السلام، فقد كانوا يحملون ثقل الرسالة ومسؤوليتها، وهم في مراحل الصبا وعمر الورود.

الفصل الرابع

الهدنة مع معاوية

- وريقات الحرب والسلام.
- الأجواء المعارضة للهدنة.
- الأجواء المؤيدة للهدنة.
- الاستنتاج.

مقدمة

شكّلت الهدنة بين الإمام الحسن عليه السلام الخليفة الشرعي الواجب الطاعة، وبين معاوية المتمرد الباغي، نقلة تحول في المجرى السياسي الإسلامي في القرن الأول الهجري، فعن طريق تلك الهدنة تبين، في تلك الفترة وما بعدها، الخط الفاصل بين طريق أهل البيت عليهم السلام وما كان يمثل من قيم الإسلام ومبادئه، وبين الطريق الآخر الذي لا يمثل إلا السلطة وامتيازاتها، وما يلحقها من قسوة ووحشية في إبعاد المناوئين أو المعارضين عن الطريق.

القسم الأول:

وريات الحرب والسلام

وهذه وريات تلخص مسار مقدمات الحرب بين جيش الكوفة بزعامة الإمام الحسن عليه السلام خليفة المسلمين الشرعي، وجيش الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان، حتى كتابة معاهدة الهدنة، وما لحقها من أحداث. وتكشف مسار الأحداث السريعة المتوالية، انقلاب الحالة النفسية عند قادة جيش الامام الحسن عليه السلام، وخيانتهم لمبادئ الإسلام، وأصول الإمامة.

الوريقة الأولى : ما بين شخصيتي الحسن بن علي عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان

انّ دراسة متأنية لشخصيتي الحدث: الإمام الحسن بن علي عليه السلام، ومعاوية بن أبي سفيان تظهر جوهر المشكلة التي وقع فيها المسلمون، فهما عالمان مختلفان تمام الاختلاف: الأول عالم الإسلام الحق، والتضحية، والزهد، والآخر عالم السياسة، والمساومات، والقبلية الجاهلية، فكان الصراع بينهما قضية حتمية، لا مفرّ منها.

الإمام الحسن بن علي عليه السلام :

صورة تحكيها كتب الحديث عن الإمام الحسن عليه السلام، فقد عيّنه الذي ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١) رسول الله صلى الله عليه وآله إماماً، فقال له ولأخيه: «أنتما

(١) سورة النجم: الآية ٣-٤.

الإمامان ولأُمكما الشفاعة»^(١)، وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقاً، وخُلُقاً، وهَيَأَةً، وسؤدداً^(٢).

أمره أبوه أمير المؤمنين علي عليه السلام، بعد جرحه، أن يصلي بالناس^(٣)، وأوصاه عند وفاته عليه السلام: «يا بني أنت ولي الأمر، وولي الدم»^(٤)، وأشهد على وصيته الحسين عليه السلام، ومحمد بن الحنفية، وجميع ولده وأهل بيته ورؤساء شيعته، كما مرَّ بنا سابقاً، ودفع له كتبه وسلاحه، كما دفع رسول الله صلى الله عليه وآله كتبه وسلاحه إلى علي عليه السلام، فهو الإمام الواجب الطاعة، وبيعة الناس ليست شرطاً في إمامة المعصوم عليه السلام، وإنما على الناس طاعة النبي صلى الله عليه وآله في ذلك، ولكن الناس بايعته عليه السلام طوعاً، ودون شرط.

فبايعته الكوفة، والبصرة، والمدائن، بل العراق جميعاً، وبايعه أهل الحجاز واليمن على يد قائدها (جارية بن قدامة)، وبلاد فارس على يد عاملها (زياد بن عبيد). ولم يتخلف عن بيعته إلا معاوية ومن اتبعه من أهل الشام.

وكان من وظيفة الإمام المعصوم عليه السلام، مع قيام الحجة بوجود الناصر، قبول البيعة من الناس، ولا مجال للتخلف عن الواجب مع وجود شرطه، وبالإجمال، فقد كانت الخلافة مقام أبيه، وميراثه، وميراث أخيه.

معاوية بن أبي سفيان:

كان طليقاً من طلقاء مكة يوم الفتح، لا مال له، كان يركض حافياً دون نعلين. وعندما أراد ان يتزوج امرأة، انطلقت تلك المرأة لتسأل النبي صلى الله عليه وآله عنه فقال صلى الله عليه وآله لها: «إنه

(١) الاتحاف بحب الأشراف ص ١٢٩.

(٢) الإرشاد ص ١٦٧، تاريخ يعقوبي / ج ٢ ص ٢٠١.

(٣) مروج الذهب / ج ٦ ص ٦١.

(٤) الكافي / ج ١ ص ٢٩٩.

صعلوك لا مال له»^(١)، حارب رسول الله ﷺ في بدر، وإلى ذلك أشار ابن النديم: «سئل هشام بن الحكم عن معاوية أشهد بدرًا؟ فقال: نعم من ذلك الجانب!»^(٢)، أي من طرف كفار مكة.

ثم توفرت له فرصة عمل تحت ركاب علقمة بن وائل الحضرمي في المدينة^(٣).

أبوه: أبو سفیان، المشهور بعدائه للنبي ﷺ، وللإسلام.

وأمه: هند بنت عتبة، التي مضغت كبد حمزة بن عبد المطلب، عم النبي ﷺ في واقعة أحد.

وأقبلت الدنيا على معاوية، عندما تولى ولاية الشام من قبل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، والخليفة الثالث عثمان بن عفان، على مدى عشرين عاماً.

تمرد على الإمام علي عليه السلام في خلافته، وحاربه في صفين، ثم حارب الإمام الحسن عليه السلام، وكانت تلك أربع سنوات من القتل، وانتهاك حرمان الآمنين من أهل التوحيد، وأصاب معاوية الدنيا من أطرافها، بحيث قال: «والله ما بقي شيء يصيبه الناس من الدنيا إلا وقد أصبته»^(٤).

كان معاوية يخذل الناس عن عثمان أيام خلافته، لكن وعندما قُتل تمسك بمقيص

(١) كفاية الأحكام - المحقق السبزواري ص ٨٧. وقد نفى ابن حجر أن يكون المقصود معاوية بن أبي سفيان، فقال: «ليس هو معاوية بن أبي سفيان الذي ولي الخلافة، بل هو آخر». ورده النووي قائلاً: «وهذا غلط صريح، فقد وقع في صحيح مسلم في هذا الحديث معاوية بن أبي سفيان» (الإصابة/ ج ٦ ص ٢٣٩).

(٢) رجال ابن داود - ابن داود الحلي ص ٢٠٠.

(٣) المحاسن والمساوي/ ج ١ ص ٢٠٩.

(٤) المحاسن والمساوي/ ج ١ ص ٢٠٩ - ٢١٠.

عثمان لأهداف سياسية واضحة، يلخصها قول شيبث بن ربعي لمعاوية: «إنه والله لا يخفى علينا ما تعزو وما تطلب، إنك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس وتستميل به أهواءهم، وتستخلص به طاعتهم، إلا قولك: قتل إمامكم مظلوماً فنحن نطلب بدمه، فاستجاب له سفهاء طغام، وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر، وأحببت له القتل لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب. ورُبَّ متمنٍّ أمراً، وطالبه الله عز وجل يحول دونه بقدرته، وربما أوتي المتمني أمنيته وفوق أمنيته. والله ما لك في واحدة منها خير، لئن أخطأت ما ترجو، لأنت شرّ العرب حالاً في ذلك، ولئن أصبت ما تمنى، لا تصيبه حتى تستحق من ربك صلي النار، فاتقِ الله يا معاوية، ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله...»^(١).

الوريقة الثانية: الكوفة

المدينة الغنية بثرواتها الطبيعية، والتي مصّرها المسلمون في السنة السابعة عشرة للهجرة^(٢) بعد فتح العراق مباشرة، وصفها صعصعة بن صوحان العبدي بأنها: «قبة الإسلام، وذروة الكلام، ومُصان^(٣) ذوي الأعلام، إلا أن بها أجلافاً^(٤) تمنع ذوي الأمر الطاعة، وتخرجهم عن الجماعة، وتلك أخلاق ذوي الهيئة والقناعة»^(٥).

وأصبحت الكوفة، عاصمة الخلافة الإسلامية زمن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، مزدهرة بقبائلها العربية التي تقاطرت عليها من اليمن والحجاز، والفرس من المدائن وبلاد فارس، وجنود جيش الإمام علي عليه السلام، وكانت الأجواء الاجتماعية في

(١) تاريخ الطبري / ج ٥ ص ٢٤٣.

(٢) معجم البلدان - الحموي / ج ١ ص ١٢٩.

(٣) مُصان: غلاف القوس.

(٤) الجلف هو الغليظ الجافي.

(٥) مروج الذهب / ج ٦ ص ١١٨.

الكوفة مهياً لبيعة الإمام الحسن عليه السلام، من حيث ارتباطه بجده المصطفى عليه السلام، وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وسعة حلمه عليه السلام، ورجاحة عقله، وزهده، وعبادته.

وكانت الكوفة في البداية، مؤسسة على أساس القبائل التي سكنتها، في سبعة أحياء، وهي:

١- كنانة وحلفاؤهم.

٢- قضاة وغسان، وبجيلة، وختعم، وكندة، وحضرموت، وكانت السيادة في هذا الحي لعشيرتين: بجيلة تحت إمرة جرير بن عبد الله البجلي، وكندة تحت إمرة الأشعث بن قيس.

٣- مذحج، وحمير، وهمدان وهي قبائل يمانية.

٤- تميم.

٥- أسد، وغطفان، ومحارب، ونمير، من بكر بن وائل، وتغلب ومعظمهم من ربيعة.

٦- أياد، وعك، وعبد القيس، والحمراء.

٧- طي.

وقيل: إن الحمراء كانوا حلفاء عبد القيس، وهم جنود من بلاد فارس تحت إمرة قائد يلقب بـ (ديلم)، وقد عرفوا باسم (حمر الديلم)، ويعتقد بأنهم كانوا من شرازم جيش الفرس الذين التجؤوا إلى سعد بن أبي وقاص بعد معركة القادسية، وتحالفوا مع عبد القيس^(١)، وربما كان لهم دور في مقاتلة الحسين عليه السلام في كربلاء سنة ٦١، إلا أن سجل

(١) راجع تاريخ الطبري / ج ٦ ص ١٠٩.

المعركة لا يظهر اسماء فارسية لقادته، ويمكن إرجاع ذلك إلى احتمالين:

الأول: أن يكونوا جنوداً عاديين لم يكن لهم دور قيادي.

الثاني: أنهم قد أبدلوا اسماءهم بأسماء عربية من أجل الاندماج في مجتمع الكوفة.

وفي عهد الإمام علي عليه السلام (٣٦-٤٠ للهجرة) تغير تقسيم الكوفة، واصبح على

الترتيب التالي:

- ١- همدان، وحمير. ٢- مذحج واشعر، وطى. ٣- قيس وعبس، وذبيان وعبد القيس. ٤- كندة وحضرموت وقضاة ومهرة. ٥- الأزد، وبجيلة، وخثعم، والأنصار.
- ٦- بكر وتغلب، وبقية بطون ربيعة عدا عبد القيس. ٧- قريش وكنانة، وأسد، وتميم وظنة.

وعندما ولي امارة الكوفة زياد بن أبيه سنة ٥٠ للهجرة من قبل معاوية، تغير

التقسيم، وأصبحت الكوفة، كشقيقتها البصرة، أربعة أرباع:

الربع الأول: أهل العالية (كنانة وحلفاؤهم). الربع الثاني: تميم وهمدان. الربع

الثالث: ربيعة وبكر وكندة. الربع الرابع: مذحج وأسد. وعلى هذا استقر التقسيم

الحربي العسكري في الكوفة، وكان له رؤساء يعرفون برؤساء الأرباع.

وحاول الأمويون بعد الهدنة دمج قبائل متناحرة مثل: همدان (من أتباع أهل

البيت عليه السلام) مع تميم، تحت أمرة من تراه بنو أمية موالياً لها، وكانت قبائل قيس تعاني

شظف العيش، بينما كان عطاء قبائل اليمن (مذحج وحمير) جزيلاً، وكان معاوية يعتمد

على القبائل اليمنية مثل: عك، والسكاسك، والسكون، وغسان وغيرها.

الوريقة الثالثة : مجتمع الكوفة

كان مجتمع الكوفة خليطاً من عرقيات مختلفة كالعرب والفرس، ومشارب سياسية واجتماعية متباينة: من كان هواه مع الامويين، وقليل من الخوارج، والحمراء المهجّنون من موالي وعبيد.

أ- الأمويون: وقادتهم في الكوفة: عمرو بن حريث، وعمارة بن الوليد بن عقبة، وحجر بن عمرو، وعمر بن سعد بن أبي وقاص، وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري، وإسماعيل وإسحاق ابنا طلحة بن عبيد الله، وغيرهم.

وهؤلاء هم الذين كاتبوا معاوية «بالسمع والطاعة في السرّ، واستحثوه على المسير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن إليه عند دنوّهم من عسكره، أو الفتك به»^(١)، وكانوا «يكاتبونه سرّاً، ويتبرعون له بالمواعيد، ويتخذون عنده الأيادي»^(٢).

فكان هؤلاء اليد الضاربة لمعاوية في الكوفة، وقد أربك وجودهم في الكوفة الوضع إرباكاً شديداً؛ لأنهم كانوا يمتهنون الخيانة، ويتحينون الفرص، ويواصلون مودتهم لولاية الشام.

ب- الخوارج: ولا أرى لهم وجوداً مسلحاً قوياً في الكوفة، لأن الإمام علي عليه السلام قد سحقهم في معركة النهروان، التي لم تجف نداوتها بعد، وما بين النهروان واستشهاد الإمام علي عليه السلام إلا سنة أو أكثر بقليل، وحتى لو كانت المدة ستين، على بعض الروايات، فإنها لا تُحیی حركة الخوارج ولا تقوي شكيمتها، ومع ذلك، كان لهم أقطابٌ ورؤوسٌ في الكوفة منهم: الأشعث بن قيس، وشمر بن ذي الجوشن، وعبد الله بن وهب الراسبي،

(١) الإرشاد ص ١٧٠.

(٢) مروج الذهب / ج ٦ ص ٤٢.

وشبث بن ربعي، وعبد الله بن الكوّاء، وكان هؤلاء مندفعين نحو حرب معاوية من بداية بيعة الإمام الحسن عليه السلام، وقد اشترط بعضهم على الحسن عليه السلام عند بيعته له حرب الحاليين الضالّين، يقصدون معاوية وأهل الشام، إلا أن الإمام الحسن عليه السلام قبض يده عن بيعتهم، وشرط البيعة «على السمع والطاعة، وعلى أن يجاربوا من حارب، ويسالموا من سالم».

وكان من طبيعة الخوارج ودعوتهم هو زرع الشك في نفوس الناس، وهذا أيسر من بناء الاعتقاد، بحيث وصفهم زياد بن أبيه: «لكلام هؤلاء أسرع إلى القلوب من النار إلى اليراع»^(١). ووصفهم المغيرة بن شعبة بالقول: «أنهم لم يقيموا ببلدٍ يومين إلا أفسدوا كل من خالطهم»^(٢).

ج- الحمراء: وهم المهجّنون من موالي وعبيدٍ، من سبايا أهل فارس بين سنة ١٢ الى سنة ١٧ للهجرة، ويقدر عددهم بعشرين ألفاً من مسلّحة الكوفة^(٣)، استوطنوا الكوفة في السبع الذي وضع فيه أحلافهم من بني عبد القيس، وأحياناً توصف الكوفة بـ(كوفة الحمراء) حيث استفحل وجودهم فيها، وهؤلاء لم يفهموا طبيعة التشيع، أو معنى الولاء لأهل البيت عليهم السلام بعد.

د- شيعة علي عليه السلام: وهؤلاء المواليون المخلصون لأهل البيت عليهم السلام، وفيهم بقايا المهاجرين والأنصار الذين لحقوا علياً إلى الكوفة، وكان هؤلاء من أتباع الإمام الحسن عليه السلام المخلصين، ومنهم: قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، وحجر بن عديّ

(١) اليراع: القصب. وقيل أن اليراع جمع يراعة، وهي ذباب يطير بالليل كأنه نار (مجمع البحرين / ج ٤ ص ٥٧٦).

(٢) تاريخ الطبري / ج ٦ ص ١٠٩.

(٣) تاريخ الطبري / ج ٦ ص ١٠٩.

الكندي، وعمرو بن الحِمْق الخزاعي، وسعيد بن قيس الهمداني، وحيب بن مظاهر الأسدي، وعدي بن حاتم الطائي، والمسيب بن نجية، وزباد بن صعصعة، ونحوهم. ولاشك ان المخلصين المتفانين - مهما كان عددهم - هم أقل عدداً من أصحاب المصالح والمطامع، وأهل الغدر والفساد الذين أذاقوا علياً عليه السلام، ولوقت ليس بالبعيد، الأمرين، و«ملئوا قلبه قيحاً، وجرعوه نغب التهام أنفاساً»^(١).

الوريقة الرابعة: الإنذار والاستعداد للحرب

وقف الإمام الحسن عليه السلام موقف الناصح المرشد لمعاوية، واستعمل النصيح على مراتب:

١- الإرشاد: فأرشده عليه السلام إلى السبيل بقدر ما استطاع، وكان عليه السلام يقولها بصوت جلي: «فدع التماذي في الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي، فإنك تعلم أني أحقُّ بهذا الأمر منك عند الله، وعند كل أواب حفيظ، ومن له قلب منيب، وأتق الله، ودع البغي، واحقن دماء المسلمين...»^(٢).

فلم ينفذ ذلك مع معاوية!

٢- التهديد الحكيم: ثم صعد الإمام عليه السلام من لهجته، عندما رأى تماطلاً من الوالي المعزول، ومعاوية هو الباغي على خليفة المسلمين، والإمام المعصوم واجب الطاعة. قال له: «... وإن أنت أبيت إلا التماذي في غيِّك سرُّت إليك بالمسلمين فحاكمتك، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين»^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة (م) / ج ١ ص ٧٠.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٣٦.

(٣) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٤ ص ١٢.

الإنذار المعاكس بالحرب: لكن معاوية كان قد ابتدأ العدوان، فكان جوابه الأخير إلى الإمام الحسن عليه السلام عبر رسوليّه: جندب بن عبد الله الأزدي، والحريث بن سويد التيمي أنه قال لهما: «إرجعا فليس بيني وبينكم إلا السيف»^(١)، خرج معاوية على الخليفة الواجب الطاعة الحسن بن علي عليه السلام، الذي لم يختلف على بيعته أحد من المسلمين غير معاوية وجماعته من أهل الشام، الذين كانوا «أطوع الناس لمخلوق، وأعصاهم للخلاق»^(٢) كما وصفهم صعصعة بن صوحان العبدي.

تمهّل الإمام الحسن عليه السلام الحرب مع معاوية عدة أشهر، أملاً في أن يعدّ قوةً تضمن له وللإسلام النصر، وكان يلتزم بوصية أبيه علي عليه السلام: «لا تدعون إلى مبارزة، فإن دُعيت إليها فأجب، فإنّ الداعي إليها باغٍ، والباغي مصروع»^(٣).

وكان عليه السلام ينظر إلى أن في جيشه مقداراً من عدم الولاء، فمنهم من باع دينه بدنياه، ومنهم من كان ينظر إلى دراهم معاوية أكثر مما ينظر إلى ولاية أهل البيت عليهم السلام، ولذلك أثر عليه السلام تهدئة الوضع والتمهل بالحرب، وعدم البدء بها، إلا إذا ابتدأ معاوية بذلك. وكانت مقدمات الإمام عليه السلام تامة.

الوريقة الخامسة: خروج معاوية بجيشه وتهيؤ الإمام الحسن عليه السلام

خرج معاوية بجيشه من الشام إلى العراق، بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام بزمن قليل قدره اليعقوبي بثمانية عشر يوماً^(٤)، فزحف إلى (جسر منبج)^(٥)، وسار من هناك

(١) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٤ ص ١٠، ١٣.

(٢) مروج الذهب / ج ٦ ص ١١٩.

(٣) شرح نهج البلاغة (م) / ج ٤ ص ٥٢.

(٤) تاريخ اليعقوبي / ج ٢ ص ١٩١.

(٥) (منبج) بلد قديم كبير، بينه وبين جسره على الفرات ثلاثة فراسخ، وبينه وبين حلب عشرة

حيث بلغ أعالي الفرات، و«استنفر عشائره، وجيوشه، فكتب إلى عماله على النواحي التابعة له، بنسخة واحدة، يقول فيها: فاقبلوا إليَّ حين يأتيكم كتابي هذا بجدكم وجهدكم وحسن عدتكم...»^(١).

ومن المرجح أن مشاوريه من أهل الدهاء والمكر قد خرجوا معه لا للقتال، بل للمشورة، أمثال: المغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، ومروان بن الحكم، والوليد بن عتبة، ومسلم بن عقبة، والضحاك بن قيس الفهري، ويزيد بن الحر العبسي^(٢).

وتهياً للإمام الحسن عليه السلام، ودعا إلى الجهاد، واستجاب له المجاهدون المخلصون من حملة القرآن، من المواليين لأهل بيت النبوة عليهم السلام، وهذه أسماء خمسين منهم:

(١) حجر بن عدي الكندي (٢) أبو أيوب الأنصاري (٣) يزيد بن قيس الأرحبي
 (٤) عمرو بن قرصة الأنصاري (٥) عدي بن حاتم الطائي (٦) ضرار بن الخطاب
 (٧) حبيب بن مظاهر الأسدي (٨) وائل بن حجر الحضرمي (٩) هانئ بن عروة
 المرادي (١٠) ميثم التمار (١١) رشيد الهجري (١٢) برير بن خضير الهمداني (١٣)
 قيس بن سعد بن عبادة (١٤) صعصعة بن صوحان (١٥) سعيد بن قيس (١٦) عابس
 بن شبيب (١٧) إبراهيم بن مالك الأشتر (١٨) مسلم بن عوسجة (١٩) عمرو بن
 الحقيق الخزاعي (٢٠) معقل بن سنان الأشجعي (٢١) حبة العرنى (٢٢) حذيفة بن
 أسيد (٢٣) سهل بن سعد (٢٤) الأصبغ بن نباتة (٢٥) أبو حجة عمرو بن محسن

فراسخ (أو يومان). تاريخ المدينة المنورة- ابن شبة النميري / ج ٣ ص ٨٣١).

(١) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٤ ص ١٣.

(٢) دهاة العرب: قالوا: ذوو رأي العرب ومكيدتهم: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وقيس بن سعد، ومن المهاجرين عبد الله بن بديل الخزاعي. وكان قيس وابن بديل مع علي عليه السلام، وكان المغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص مع معاوية (تاريخ الطبري / ج ٥ ص ١٦٣).

(٢٦) هانئ بن أوس (٢٧) عبد الله بن يحيى الحضرمي (٢٨) بشير الهمداني (٢٩) المسيب بن نجية (٣٠) عامر بن وائلة الكناني (٣١) جويرية بن مشهر (٣٢) قيس بن مسهر الصيداوي (٣٣) عبد الله بن مسمع الهمداني (٣٤) عمارة بن عبد الله السلولي (٣٥) هانئ بن هانئ السبيعي (٣٦) عبد الرحمن بن عبد الله بن شداد الأرحبي (٣٧) سعيد بن عبد الله الحنفي (٣٨) كثير بن شهاب (٣٩) عبد الرحمن بن جندب الأزدي (٤٠) عبد الله بن عزيز الكندي (٤١) أبو ثمامة الصائدي (٤٢) عباس بن جعدة الجذلي (٤٣) عبد الرحمن بن شريح الشيباني (٤٤) القعقاع بن عمر (٤٥) قيس بن ورقاء (٤٦) جندب بن عبد الله الأزدي (٤٧) الحرث بن سويد التيمي (٤٨) زياد بن صعصعة التيمي (٤٩) عبد الله بن وال (٥٠) معقل بن قيس الرياحي.

هؤلاء الأبطال الذين وصفهم معاوية بأنهم «لا يُقتلون حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام»، و«قلوبهم جميعاً كقلب رجل واحد»^(١)، و«ما ذكرتُ عيوبهم تحت المغافر بصفين إلا بُس على عقلي»^(٢)، وهم «الذين وصفهم الإمام الحسن عليه السلام لعبيد الله بن عباس بأن الرجل منهم يزيد الكتيبة»^(٣).

وحوى معسكر الحسن عليه السلام بالإضافة إلى هؤلاء الأبطال مجموعة كبيرة من (أشباه الرجال) كما وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام، الكارهين للقتال، وإذا قبلوا القتال فلا أمل لهم إلا بالغنائم، وكما وصفهم الإمام الحسن عليه السلام: «وليس أحدٌ منهم يوافق أحداً في رأي ولا هوى، مختلفون لانية لهم في خيرٍ ولا شرٍّ»^(٤).

(١) تاريخ الطبري / ج ٤ ص ٣.

(٢) الدرجات الرفيعة - ابن معصوم ص ٤٤٦.

(٣) بحار الأنوار / ج ٤٤ ص ٥١.

(٤) الكامل في التاريخ / ج ٣ ص ٦٢.

وكان في الكوفة من المنافقين، من بايع الإمام الحسن عليه السلام ولكن كانوا يتربصون به الدوائر، وينتهزون الفرص ويتآمرون عليه، أمثال: معاوية بن خديج، وأبي بردة الأشعري، والمنذر بن الزبير، وأسحق بن طلحة، وعمر بن سعد، ويزيد بن عمير، وحجار بن أبجر، وعروة بن قيس، ومحمد بن قيس، وحجر بن عمرو، ويزيد بن الحارث بن رويم، وحبيب بن مسلمة، وعبد الله بن مسلم بن سعيد، وأساء بن خارجة، والقعقاع بن الشور الذهلي، ونحوهم.

الوريقة السادسة : كتاب النخيلة

تحرك الإمام الحسن عليه السلام بسرعة، ونادى منادي الكوفة الصلاة جامعة، وعندما اجتمع الناس، دعاهم إلى الجهاد بالسيف، فقال عليه السلام: «أما بعد، فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرهاً، ثم قال لأهل الجهاد: اصبروا إن الله مع الصابرين. فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون. أنه بلغني أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك. لذلك أخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم في النخيلة حتى ننظر وتنظرون، ونرى وترون»^(١).

والنخيلة (مصغر النخلة) موضع قرب الكوفة على سمت الشام، على بعد اثني عشر ميلاً من الكوفة.

صمت الناس، كما ذكرنا ذلك في الفصل الثاني، إلا أن الصحابي الجليل، وسيد طيء، عدي بن حاتم الطائي مَرَّق ذلك الصمت، واستهجن عليهم ذلك الموقف بالقول: «أنا عدي بن حاتم، ما أقبح هذا المقام! ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم؟ أين خطباء المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة، فإذا جدَّ الجدَّ، راغوا كالثعالب؟ أما

(١) مقاتل الطالبين ص ٣٩.

تخافون مقت الله...»^(١). ثم استقبل الحسن عليه السلام بوجهه قائلاً: «أصاب الله بك المرشد، وجنّبك المكاره، ووفقك لما يحمد ورده وصدره. وقد سمعنا مقاتلك، وانتهينا إلى أمرك، وسمعنا لك، وأطعنا فيما قلت ورأيت، وهذا وجهي إلى معسكرنا، فمن أحبّ أن يوافي فليوافي»^(٢).

ثم خرج من المسجد، وركب دابته ومضى إلى النخيلة، وكان أول الناس عسكراً^(٣)، فكان المثل الأعلى لطاعة الإمام المعصوم عليه السلام، وفي طيء ألف مقاتل لا يعصون لعديّ أمراً^(٤)، كما قيل.

وتكلم آخرون من خلّص شيعته، فقال الحسن عليه السلام: «رحمكم الله ما زلتُ أعرفكم بصدق النية، والوفاء، والمودة، فجزاكم الله خيراً».

واستخلف الإمام الحسن عليه السلام على الكوفة ابن عمه: المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأمره بحثّ الناس للخروج إلى النخيلة، ولكن لم تخرج الكتائب المتوقع لها أن تخرج من الكوفة، وبدأت أول بوادر الخيانة، فقد «تخلف عنه خلق كثير، لم يفوا بما قالوا، وبها وعدوا، وغرّوه كما غرّوا أمير المؤمنين عليه السلام من قبله... وعسكر في النخيلة عشرة أيام، فلم يحضره إلا أربعة آلاف، فرجع إلى الكوفة، ليستنفر الناس، وخطب خطبته التي يقول فيها: «قد غررتموني كما غررتم من كان قبلي...»^(٥).

ثم رجع إلى النخيلة مرة أخرى ليشرف على إعداد جيشه، وغادرها، وبلغ دير عبد

(١) مقاتل الطالبين ص ٣٩.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٣٩.

(٣) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٤ ص ١٤.

(٤) تاريخ اليعقوبي / ج ٢ ص ١٧١.

(٥) الخرائج والجرائح - القطب الراوندي / ج ١ ص ٢٢٨.

الرحمن، فأقام ثلاثاً، والتحق به عند هذا الموضع مقاتلون آخرون.

الوريقة السابعة : بين مَسْكِن والمدائن

مَسْكِن: اسم قرية خضراء كثيرة البساتين والشجر، وقعت فيها معركة عبد الملك بن مروان مع مصعب بن الزبير سنة ٧٢ للهجرة وفيها قُتِل الأخير، بينها وبين الدجيل نحو من عشرة كيلومترات.

مَسْكِن هي المنطقة التي خطط لها الحسن عليه السلام أن يقابل فيها عدوه وجهاً لوجه، فهي ساحة الحرب، التي خطط لها الإمام عليه السلام أن يتقاتل الطرفان فيها.

المدائن: سبع مدن متقاربة تتقابل على ضفاف نهر دجلة، وهي عاصمة الدولة الساسانية، وكانت كمدينة بابل في حضارتها وعظمتها في سالف الأزمان، ولم يبق منها اليوم إلا طاق كسرى، ومرقد الصحابي الجليل سلمان الفارسي، فتحها المسلمون سنة ١٥ للهجرة، وكانت المدائن مركزاً لتصدير الصناعات اليدوية الفارسية إلى الكوفة.

من الناحية العسكرية كانت المدائن نقطة التقاء وحماية لخطوط الإمداد من الكوفة والبصرة وفارس، فكانت لها أهمية عظيمة في ظرف الحرب.

وكانت المدائن مقرّاً لجيش الإمام الحسن عليه السلام، وكان يستقبل فيها الإمدادات من الأقاليم الثلاثة.

خطة الحرب:

١- كانت خطة الإمام الحسن عليه السلام العسكرية هو أن يتقابل الجيشان في ملحمة في مَسْكِن، ثم تأتيه الإمدادات من المدائن إذا احتاج إليها، وكانت خطة محكمة؛ لأن ما بين مَسْكِن والمدائن خمسة عشر فرسخاً فقط.

٢- أمر الإمام الحسن عليه السلام أن تتحرك كتيبة المقدمة إلى مسكن حيث تواجه جيش معاوية. فكان المقاتلون في تلك الكتيبة من أبطال الحرب، والمتفانين المخلصين، وهو ما يمثله قول الحسن عليه السلام لعبيد الله: «يا بن عم! إني باعث معك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب، وقرّاء مصر، الرجل منهم يزيد الكتيبة، فسِرْ بهم، وألن لهم جانبك، وأبسط لهم وجهك، وأفرش لهم جناحك، وأدّهم من مجلسك، فإنهم بقية ثقات أمير المؤمنين عليه السلام. وسِرْ بهم على شط الفرات، ثم أمضِ حتى تستقبل بهم معاوية، فإن أنت لقيته، فاحتبسه حتى آتيتك، فإني على أثرك وشيكاً. وليكن خبرك عندي كل يوم...»^(١).

٣- وضع الإمام عليه السلام قيادة عسكرية على الجيش هي أقرب إلى الشورى، من ثلاثة اشخاص: قائد المقدمة (عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب)، و(قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري)، و(سعيد بن قيس الهمداني)، وأمر الإمام عليه السلام عبيد الله بمشاورتها، فقال عليه السلام: «... وشاور هذين - يعني قيس بن سعد، وسعيد بن قيس - ... وإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك، فإن فعل، فقاتله. وإن أُصبت، فقيس بن سعد على الناس، فإن أُصيب فسعيد بن قيس على الناس»^(٢). والقيادة العسكرية مرتبة على أساس المراحل المرتبطة بظروف الحرب: إذا قُتِلَ الأول استلم الثاني، وإذا قُتِلَ الثاني استلم الثالث، وهكذا.

٤- اختار الإمام الحسن عليه السلام قيادة ثلاثية لتلك الكتيبة الكبيرة، وكانت له أسبابه في ذلك:

أ- عبيد الله بن العباس: من بني هاشم، وإنما قدّمه لتاريخ بني هاشم، أنهم أول من يضحى ويقاتل، وإذا رأَت الناس ذلك الحماس وتلك التضحية اندفعت معهم، وعبيد

(١) بحار الأنوار/ ج ٤٤ ص ٥١.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٤٠.

الله بن العباس كان مفجوعاً بولديه الصبيين اللذين قتلا صبراً من قبل بسر بن أرطأة يوم غارته على اليمن.

ب- قيس بن سعد بن عبادة (خليفة عبيد الله بن العباس على الجيش): كان قائداً للجيش ذاته زمن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وكان قائداً عسكرياً محنكاً، من أصحاب علي عليه السلام، شبَّ مع الجهاد، وضحَّى وأبلى أحسن البلاء في حروبه عليه السلام، ومن إخلاصه أنه يوم رجعت له قيادة الجيش في مسكن، خير جنوده بين الالتحاق بالإمام عليه السلام على الهدنة، وبين الاستمرار على حرب معاوية بلا إمام.

ج- سعيد بن قيس الهمداني: (خليفة قيس بن سعد بن عبادة على الجيش)، وهو خبير بشؤون الحرب والجيش أيضاً، ولذلك فقد أمر الإمام عليه السلام عبيد الله باستشارتها. وانفرد اليعقوبي بعدم ذكر سعيد بن قيس من قادة المقدمة، لكن أغلب المصادر التاريخية تذكر أن سعيد بن قيس كان القائد الثالث من قادة مقدمة جيش الحسن عليه السلام. وعدد جيش الإمام الحسن عليه السلام على الأغلب كان عشرين ألفاً- كما ذهب إلى ذلك بعض فقهاء الشيعة الأعلام^(١)- منهم:

أ- مقدمة الجيش بقيادة عبيد الله بن العباس: وكان اثني عشر ألفاً، نستكشف ذلك من قول الامام الحسن عليه السلام: «...إني باعث معك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب، وقرءاء المصر...»^(٢).

ب- كتبية الكندي: وكانت أربعة آلاف، «ثم وجه الحسن عليه السلام لمعاوية قائداً في أربعة آلاف، وكان من كندة، وأمره أن يعسكر بالأنبار، ولا يُحدث شيئاً حتى يأتيه أمره،

(١) كالشيخ آل ياسين في كتابه صلح الإمام الحسن عليه السلام.

(٢) بحار الأنوار/ ج ٤٤ ص ٥١.

فلما توجه إلى الأنبار ونزل بها، وعلم معاوية بذلك، بعث إليه رسلاً... فقبض الكندي المال، وقلب على الحسن، وصار إلى معاوية في مائتي رجل من خاصته وأهل بيته...»^(١).

ج- كتيبة المرادي: وكانت أربعة آلاف أيضاً، «... ثم بعث رجلاً من مراد في أربعة آلاف... أرسل معاوية رسلاً... فقلب على الحسن وأخذ طريقه إلى معاوية»^(٢).

فيكون المجموع عشرين ألف مقاتل، بثلاث كتائب، غدر قادتها جميعاً بالإمام الحسن رضي الله عنه، قبل المعركة بأيام أو ربما بساعات.

الوريقة الثامنة : جيش الإمام الحسن رضي الله عنه

ذكر الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ): «وبعث الحسن رضي الله عنه حجر بن عدي فأمر العمال (يعني أمراء الأطراف) بالمسير، واستنفر الناس للجهاد، فتثاقلوا عنه، ثم خفوا، وخف معه أخلاط الناس، بعضهم شيعة له ولأبيه، وبعضهم محكمّة (خوارج) يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع بالغنائم، وبعضهم شكّاك، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين...»^(٣).

وبدأ الإمام رضي الله عنه حملة واسعة لحث الناس على القتال، لاسيما في الكوفة، عاصمته، والمناطق المحيطة بها، وبعث من المواليين المخلصين لبيثواروح الجهاد والحماسة بين الناس أمثال: عدي بن حاتم، وزباد بن صعصعة، ومعقل بن قيس، وقيس بن سعد، ونحوهم. وقبل ذلك ضاعف رواتب الجنود، و«نشط الناس للخروج إلى معسكرهم»^(٤).

(١) الخرائج والجرائح / ج ٢ ص ٥٧٥.

(٢) الخرائج والجرائح / ج ٢ ص ٥٧٥.

(٣) الإرشاد ص ١٦٩.

(٤) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٤ ص ١٤.

إلا أن ذلك النشاط كان يشوبه لونٌ من الكدر، فقد كان للاختلاط المختلفة التي زادت عدد جيش الكوفة، الذي لم يبلغ بالكاد عشرين ألفاً، تأثيرٌ كبيرٌ على التوجه العام لذلك الجيش، فإذا بأصحاب الفتن، وأصحاب الطمع بالغنائم، وأصحاب العصبية يولّدون رأياً عاماً أقرب منه إلى التلون والتغيّر، بدل الثبات والاستقرار، وكان ذلك الوضع قد شكّل خطراً جسيماً على معنويات الجنود، في ظرف استثنائي مثل ذلك الظرف، فوجودهم كان وجود الأعداء في ثياب الموالين، أو الشياطين في مسوح الرهبان.

و«ازدادت بصيرة الحسن عليه السلام بخذلان القوم له»^(١)، وكان لسان حاله يقول: «وكنتم في مسيركم إلى صفين، ودينكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، وأنتم بين قتيلين، قتيل بصفين تبكون عليه، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، فأما الباقي فخاذل، وأما الباقي فثائر...»^(٢).

وما عسى الحسن عليه السلام أن يفعل، وله في أسلافه الطاهرين عبرة، ففي حنين رأى بعض المسلمين كثرة جيشهم فأعجبهم كثرتهم، وقالوا لن نُغلب من قلة، ولكن جيش المسلمين كان خليطاً، وبينهم الكثيرون ممن جاء للغنيمة، قال تعالى: ﴿...وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذَبِّرِينَ﴾^(٣).

وفي صفين، كان جند علي عليه السلام خليطاً من أمم وقبائل شتى، وهو جند مشاكس معاكس لا يرضخ لأمر ولا يعمل بنصيحة.

(١) الإرشاد ص ١٧٠.

(٢) تاريخ مدينة دمشق / ج ١٣ ص ٢٦٨.

(٣) سورة التوبة: الآية ٢٥.

يقول البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) نقلاً عن معاوية: (وكان - يعني علياً عليه السلام - في أخبث جيش وأشدّهم خلافاً، وكنْتُ في أطوع جنود وأقلّهم خلافاً)^(١)، والسبب في ذلك أن جيش معاوية كان كله من أهل الشام، فالجنود من نسيج اجتماعي واحد، بالإضافة إلى ذلك أن معاوية كان يتعامل مع عدم الولاء بقسوة فائقة، أقلها عقوبة القتل، ولم يكن أئمة أهل البيت عليهم السلام على ذلك المنوال، بل كانوا رحماء مع جنودهم، إلا أن يشهروا سلاحاً ويتبادوا في قتل الناس الأبرياء كالخوارج.

فلم يكن أمام الإمام الحسن عليه السلام من مفرٍّ إلا أن يتعامل مع جيشه، ويتوقع حينها أسوأ الحالات.

الوريقة التاسعة : حرب الشائعات وتأثيراتها

سرت شائعات كثيرة كاذبة في معسكر جيش الحسن عليه السلام، مفادها «أن الحسن عليه السلام يكتب معاوية على الصلح، فلم تقتلون أنفسكم»^(٢)، وكان مصمم شائعات معسكر معاوية: عمرو بن العاص.

وأصابت تلك الشائعات أول من أصابت عبيد الله بن العباس، الذي كان من المفترض فيه أن يرفضها رفضاً تاماً، إلا أن أحابيل الشيطان أبت إلا أن تقع على نسيج فكره، فتخاذل أمام إحدى رسائل معاوية له: «إن الحسن سيضطر إلى الصلح، وخيرٌ لك أن تكون متبوعاً ولا تكون تابعاً...»^(٣)، و«... لك فيه ألف درهم»^(٤).

(١) المحاسن والمساوي / ج ٢ ص ٦٠. ودرر السمط - ابن الأبار ص ٨٨.

(٢) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٤ ص ١٥.

(٣) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٤ ص ١٥.

(٤) تاريخ يعقوبي / ج ٢ ص ١٩١.

فاستجاب عبيد الله لذلك العرض المغربي، وانهمز مع مجموعة من مقاتليه بلغت ثلثي مقدمة جيش الحسن عليه السلام إلى معسكر معاوية تحت جنح الظلام، وعندما انبلج ضياء صباح اليوم التالي، انكشف حجم تلك الخيانة، فنشر جواً من التشاؤم والإحباط في مسكين والمدائن.

وبعث قيس بن سعد إلى الحسن عليه السلام أخبار ذلك الانسلاخ من قبل عبيد الله بن عباس وخاصته، التي بلغت ثمانية آلاف مقاتل^(١) إلى معسكر معاوية، أي أن ثلثي جيش المقدمة قد انصرف إلى معسكر العدو، وما بقي إلا أربعة آلاف أمام ستين ألفاً من جنود جيش الشام.

وكان أحد أساليب معاوية أنه بعث وفداً من: «المغيرة بن شعبة، وعبد الله بن عامر بن كريز، وعبد الرحمن بن الحكم، مع كتب أهل الكوفة إلى الحسن عليه السلام، وكان مضمونها أن رؤساء الكوفة، وزعماء قبائلها ممن اتصفوا بالخيانة، يعرضون له بالسمع والطاعة، ويتبرعون له بالمواعيد، ويتخذون عنده الأيدي، ويستحثونه على المسير نحوهم، ويضمنون له تسليم الحسن عليه السلام عند دنوهم من عسكره، أو الفتك به»^(٢). فلما تيقن الإمام الحسن عليه السلام من صحة توابع الرسائل، أدرك حجم خيانة هؤلاء المنافقين.

ولاشك أن الشائعات سرت بين جند المدائن ومسكين سري النار في الهشيم. وزادت الحرب النفسية لمعاوية الوضع سوءاً «فكان يدسّ إلى عسكر الحسن - في المدائن - من يتحدث: أن قيس بن سعد - قائد مسكين بعد فرار بن عباس - قد صالح معاوية وصار معه، ويوجه إلى عسكر قيس - في مسكين - من يتحدث أن الحسن عليه السلام قد صالح

(١) تاريخ اليعقوبي / ج ٢ ص ١٩١.

(٢) الإرشاد / ج ٢ ص ١٢.

معاوية وأجابه»^(١)، ثم تنتشر إشاعة ثالثة « أن قيس بن سعد قد قُتِلَ فانفروا»^(٢).

ولاشك أن تلك الخيانة كان لها تأثير هائل على معنويات جيش الكوفة، لأن:

١- عبيد الله بن عباس كان قائد المقدمة في مسكن، ومخطط جيش الحسن وثقته رضي الله عنه، وابن عمه، فهو من بني هاشم، ومن أهل البيوتات والشرف، فإذا كان هذا هو موقف المقربين، فما بال الأبعد إذا بدلوا ولاءهم والتحقوا بمعاوية؟!

٢- كسرت تلك الواقعة حاجز الرهبة المعنوية بين التابع والمتبوع، وأخلت بالتوازن العسكري بين الطرفين؛ لأنها خيانة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

٣- كان هناك من الجنود من يحبون العافية، ولا عقيدة لهم بأحقية الجهاد من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل، فنكثوا العهود، وقد قال تعالى: ﴿...فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٣)، فكانوا أول من انقلب إلى معسكر العدو، يحدوه المال، وطلب العافية.

٤- بقيت القلّة المستميتة على القتال، بحيث وصفها ابن كثير على لسان أحد الجنود: «قال أبو العريف: كنا في مقدمة الحسن بن علي بمسكن، مستميتين من الجدل على قتال أهل الشام...»^(٤). ولكن تلك القلّة المؤمنة، مع صلابة عودها، وصدق نيتها، لم تكن لتستطيع أن تواجه جيشاً منظماً مطيعاً لقائده كجيش معاوية.

(١) تاريخ اليعقوبي / ج ٢ ص ١٩١.

(٢) أسد الغابة / ج ٣ ص ١٦٠.

(٣) سورة الفتح: الآية ١٠.

(٤) البداية والنهاية / ج ٨ ص ٢١.

الوريقة العاشرة: دور الإشاعات في الحرب

معاوية والحرب النفسية: علم النفس، علم قديم بقدم الإنسان، والإنسان عموماً يطمح إلى معرفة ما يدور داخل نفسه، ويتشوق إلى معرفة ما يدور داخل نفوس الناس. وعلى ضوء ذلك حاول الإنسان استخدام الإشاعات والخدع في حروب الأغرقيق، والرومان، والعرب، والفرس، ولعل من أوائل من استعمل الحرب النفسية في التاريخ الإسلامي هو معاوية، ومن ذلك، ملاحظة نقاط الضعف والقوة في شخصيات قادة الجيش، ثم بث الأراجيف بينهم، علّهم يغيرون موقفهم، وينقلبون إلى معسكر العدو. واستند في ذلك على أمرين:

الأول: ملاحظة عنصر الخوف عند الإنسان، ومحاولة زيادة وتيرته عبر القتل والترويع، وقد فعل ذلك مبكراً في عهد الإمام علي عليه السلام، عندما بعث بسر بن أرطأة على اليمن والعراق، فعاث في الأرض فساداً، من تقتيل وإرعاب الأمنين من أهل التوحيد.

الثاني: ملاحظة ضغوط الحرب بها فيها من قتل، أو جرح، أو بتر بحد السيوف، والتلميح للإنسان بأمل السلم، والطمأنينة، والمال، والهدايا.

العناصر المحبطة للمعنويات:

ولاشك أن للجندي أو المقاتل لحظات سوداء تثبّط من معنوياته، وتحطم قدرته على الحركة ومقاومة العدو، لاسيما إذا كان يرغب في الدعة والحياة الرغيدة مع زوجة تؤنسه، وأولاد يزيجون عنه همّ الدنيا، إذن، هناك عناصر تحبّط من معنويات الجنود، وهي:

١- الألم: فالإنسان الذي ينظر إلى الدنيا بعين والحرب بعين أخرى، لا بد من أن يصبح مهموماً مغموماً، لأنه لا يريد الموت حتى وإن كان في الموت جنة النعيم، وقد صدق

- الإمام الحسن رضي الله عنه عندما وصفهم: «... قد أصحبتكم اليوم وديناكم أمام دينكم...»^(١).
- ٢- الجوع: والعسكر عموماً يحسّ بثقل الجوع، ومحدودية توفر الطعام لآلاف المقاتلين، ولا شك أن الجندي يفكر دائماً في بيته، كونه ملجأً مريحاً، يتوفر فيه الطعام، وتتوفر فيه وسائل الراحة والاسترخاء.
- ٣- التعب والمشقة: فقد أحسّ جيش الكوفة بالتعب من الحروب المتتالية، وقد وصفهم رضي الله عنهم بالقول: «... وأنتم بين قتيلين قتيل بصفين تبكون عليه، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره... فأما الباقي فخاذل، وأما الباقي فثائر...»^(٢).
- ٤- الشعور بالوحدة: وقد أرهقهم الابتعاد عن أهلهم بالكوفة، وهذا العامل من أهم العوامل النفسية التي قد تقلب الميزان العقلي عند الجنود وقادة الجيش، فضغط الشعور بالوحدة يفتح الباب للإنسان بالتفكير بالهروب من الواقع الذي يعيش فيه، لاسيما إذا وُعدَ بحياة أفضل، ومالٍ وجاهٍ.
- كان شعار معاوية في الحرب النفسية هو إغراء جنود الإمام الحسن رضي الله عنه بالمال، أو شغل عقولهم بالدنيا، وإذا تمّ لك ذلك، فإنّ قلوبهم، وأرواحهم سوف تأتي راضية إليك.

مبادئ الحرب النفسية (عند معاوية):

- ١- معرفة رغبات جيش الكوفة: فجيش الكوفة لم يكن جيشاً عقائدياً خالصاً، بل كان خليطاً من مشارب واتجاهات شتى، كان الإتجاه العام للجيش حب الأمان وكره القتال، مع مورد مالي يؤمن لهم الحياة، فكان أي مورد مالي يهدى كفيلاً بانقلاب الجندي

(١) الطرائف - ابن طاووس ص ١٩٨.

(٢) تاريخ مدينة دمشق / ج ١٣ ص ٢٦٨.

إلى معسكر العدو.

٢- كان أفضل طريق لإيصال الرسالة إلى جنود جيش الكوفة هو طريق الاشاعات، وهو طريق يوصل الفكرة من فم مجهول إلى أذن صاغية، أي أن الفم المجهول لا يتكبد عناء المجادلة والاستفسار عن مصدر الخبر، فكان يكفي أن تنتشر إشاعة أن الحسن عليه السلام قد صالح معاوية، حتى ولو كانت كذباً، كان الجنود من ذاك الخليط على استعداد لتصديقها.

٣- كانت الإشاعات تلك حرباً على العقول بدل حرب الأجساد، فمعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص أجبن من أن يخوضا حرباً ميدانيةً ضد الإمام الحسن عليه السلام، فكانت الوسيلة الأفضل لكسب الحرب هو الدخول في حرب نفسية، عدتها الكلمات الكاذبة، وضحاياها جنود الكوفة، فهي حرب لا تكلف من الخسائر ما تكلفها الحرب القتالية.

٤- إن نجاح الحرب النفسية مرهونٌ بوجود آذان تسمع كلمات العدو وأكاذيبه. وقد أذان القرآن الكريم ذلك، وقال: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾^(١)، تلك الآذان التي كانت تسمع الباطل، وتتمنى أن تكون معه.

التخطيط العملي للحرب النفسية:

عمل معاوية على تحقيق ثلاثة أهداف مؤقتة لكسب الحرب النفسية:

١- إحباط معنويات جنود جيش الكوفة عبر الاتصالات السرية بينه وبين

(١) سورة التوبة: الآية ٤٧.

المنافقين والأمويين في الكوفة، ومن ذلك أن المغيرة ورفاقه، مبعوثي معاوية إلى الإمام الحسن عليه السلام، دخلوا معسكر المدائن حين أُذن لهم بدخوله، لعرض كتب أهل الكوفة المرسلّة إلى معاوية «لم يغادروا المعسكر، حتى زرعوا في ميدانه أكبر فتنة بين الناس، فخرج الوفد العدو، يستعرض في طريقه مضارب الجيش، وهو إذ ذاك هدف الأنظار في حركته، وهدف الأسماع في حديثه، فقال بعض أفراده لبعض، وهم يرفعون من أصواتهم ليسمعهم الناس: «إنّ الله قد حقن بآبن رسول الله الدماء، وسكن الفتنة، وأجاب إلى الصلح»^(١)، وما كان حديثهم هذا إلا الفتنة نفسها»^(٢).

٢- التخطيط لتسليم جماعي بالآلاف من معسكر الإمام الحسن عليه السلام إلى معسكر معاوية، وقد تم له ذلك عبر عبيد الله بن عباس بثمانية آلاف مقاتل، والكندي والمرادي بالآلاف المقاتلين.

٣- التلويح بورقة الهدنة أو الصلح ، لأنه لم يعد هناك جيش يقاتل آخر. وهنا كسب معاوية الحرب دون قتال.

الأصل في الإشاعة :

١- أن يكون الخبر كاذباً، أي لا يعبرّ الخبر عن حقيقة وقعت، وإنما هي رسالة يريد أن يوصلها مصدر الإشاعة إلى الهدف، أي أن الإشاعة كذبة مقصودة، وإذا كان الخبر حقيقة، فلا يسمى إشاعة.

٢- أن يقصد به مجموعة معينة من الناس، لها قابلية على تصديق تلك الإشاعة

(١) تاريخ اليعقوبي / ج ٢ ص ١٩١.

(٢) صلح الإمام الحسن عليه السلام ص ١٦٢.

﴿...وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾^(١).

٣- أن تمر الإشاعة بمراحل متعددة، من بدايتها وهي في طريقها إلى آخر مستمع، فقد تبدأ بأن الحسن عليه السلام يتمنى الصلح لعدم حبه سفك الدماء، ثم تتطور لتقول بأنه وافق عليه السلام على الصلح، وفي النهاية أنه أتم الصلح، فهنا تطورت الإشاعة من أمنية، إلى موافقة، ثم إلى إتمام.

٤- أن تلاحظ الإشاعة الجانب الشعوري أو العاطفي عند الناس، بل تلاحظ حب الناس إلى عدم القتال، والأمان في بيوتها مع أسرها.

جيش الكوفة : المرتع الخصب للإشاعة

١- إن الإشاعات كانت تلبى طموحات جيش الكوفة وما كان يرغب، كان جوهر الإشاعات هو أن الإمام الحسن عليه السلام صالح معاوية، إذن انتهت الحرب مع معاوية.

٢- إن الإشاعات كانت تعبر عن مخاوف جيش الكوفة، ولسان حالهم يقول: إذا دخلنا الحرب مع معاوية بعددنا القليل، فسوف نخسر الحرب.

٣- تلك الإشاعات كشفت وجود الولاء للإمام عليه السلام عند شريحة معينة من الناس، قليلة العدد، بينما كان الرعيل الأعظم يحبون دنيا معاوية، ولذلك كانوا يواعدون معاوية سراً.

وتنتقل الإشاعة المختصرة ذات المعنى المقصود مثل «الإمام الحسن عليه السلام صالح معاوية» أسرع من الإشاعات الطويلة المفصلة كالقصص أو الخطب الطويلة.

إن أهم مشكلة في قضية الإشاعة، هي مشكلة التأكد من صحتها، أو مطابقتها

(١) سورة التوبة: الآية ٤٧.

للحقيقة، وأكثر الناس تصدق ما تسمعه، ولا تطلب بالضرورة دليلاً على صحة ما سمعت، أضف إلى ذلك أن الجو النفسي الذي أحدثه معاوية عبر بسر بن أرطاة، وما عمله من ترويع الناس، وقتلهم دون سبب معقول، جعل كفة الخيانة تميل على كفة الولاء، وجعل كفة المهادنة والصلح تميل على كفة القتال والحرب.

الوريقة الحادية عشرة : إمامة الحسن رضي الله عنه وخلافة معاوية

الإمامة: بالنص والتعيين من قبل رسول الله ﷺ، وليس لأحد تغيير الإمام ولا عزله؛ لأنه لا يعتره نقص يقتضي عزله، وهو مسلحٌ بالعصمة من قبل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١)، فهذا منصبٌ الهيئ تجب له الطاعة ديناً، كما تجب للنبي ﷺ، فالحسن رضي الله عنه في إمامته لا يناله تغيير أو تبديل، والحسن رضي الله عنه في زمن إمامته، والقرآن هما الثقلان، اللذان نوه بهما رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٢).

أما الخلافة الدنيوية (كخلافة معاوية)، فهي خلافة قهر ومكيدة وسياسة، وليس فيها من أخلاقية الدين ولا مبادئه شيء، فالخليفة هنا كان حراً بالعزل متى وفق غيره بالتغلب عليه، بل أن الخلافة أشبه بالإدارة الاجتماعية للناس، وقد يظفر بها المؤمن أو الفاسق، العادل أو الظالم.

والفرق بين الحسن رضي الله عنه الإمام، وبين معاوية الخليفة بالقهر والغلبة، يلخصه نص الإمام الحسن رضي الله عنه: «ولو كنتُ بالحزم في أمر الدنيا، وللدنيا أعمل وأنصب، ما كان معاوية بأبأس مني وأشد شكيمة، ولكان رأيي غير ما رأيتم...»^(٣).

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٢) المستدرک علی الصحیحین / ج ٣ ص ١٤٨.

(٣) الإمامة والسياسة ص ١٥١.

ويلخصه عليه السلام أيضاً، في الردّ على أحدهم: «وتزعم أني سلمت الأمر، وكيف يكون ذلك. وأنا ابن أشجع العرب، وقد ولدتني فاطمة سيدة نساء العالمين. لم أفعل ذلك - ويحك - جبناً ولكنه بايعني مثلك، وهو يطلبني برة، ويداجيني المودة، ولم أثق بنصرته...»^(١).

أي أن الإمام الحسن عليه السلام لم يكن ليهاذن معاوية، لولا غدر المبايعين له الذين بايعوه للتو، ولولا نفاقهم بإظهار المودة له، وإضرار الثأر عليه، وهذه هي المشكلة التي تواجه النبوة والإمامة في كل عصر ومصر: قلة الأنصار.

والخلاصة: إن الإمام عليه السلام لم يجد الأنصار المخلصين، والفكرة بكل بساطة، أن الدعوة السماوية لن تقوم إلا بالأنصار والموالين المخلصين، نعم، إن النصر الإلهي ممكن دائماً بالمعجزات، ولكن الأمور تجري بالأسباب الطبيعية التي سيرها الله سبحانه وتعالى، نكبت النبي صلى الله عليه وآله بخذلان الناصر يوم الحديبية وبني أشجع، وأحد وحنين، ونكبت الإمام علي عليه السلام بخذلان الناصر يوم السقيفة ويوم الشورى، وقد قال عليه السلام يومئذ: «لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري. والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة، التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه...»^(٢). ونكبت أهل الكوفة بحيث كان يدعو الله بأن يستبدله قوماً غيرهم، أكثر إيماناً وإخلاصاً.

الوريقة الثانية عشرة: التكليف الشرعي للمعصوم عليه السلام

واجه الإمام الحسن عليه السلام موقفاً استثنائياً من ثلاثة أبعاد، هو:

(١) المحاسن والمساوي / ج ٢ ص ٦٠ - ٦٥.

(٢) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ١ ص ١٢٤.

١- خيانة النخبة: فرار قيادات الجيش الثلاث: عبيد الله بن العباس، والكندي، والمرادي بعدتها وعددها إلى معسكر معاوية، عدا القلّة الباقية من خلّص شيعة الحسن عليه السلام.

٢- قلّة الناصر: وهو عليه السلام الفائل: «والله لو وجدت أنصاراً لقاتلت معاوية ليلى ونهاري»^(١)، و«إنا والله ما ثننا عن أهل الشام شك ولا ندم»^(٢).

٣- عدم إكراه الناس: والإسلام، وإن يوجب طاعة الإمام المعصوم عليه السلام ويجعلها من أهم أمور العقيدة والإيمان، إلا أنه لا يكرههم على القتال أو الموت ما لم يقتنعوا بذلك أولاً، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ككلم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»^(٣)، ولذلك عندما خيرهم الإمام الحسن عليه السلام بين الهدنة والحرب، وقال عليه السلام لهم: «ألا وإن معاوية دعانا لأمرٍ ليس فيه عزٌّ ولا نصفَةٌ، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله عز وجل بظبا السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه منه وأخذنا لكم الرضا؟» اختاروا الهدنة. وناداه الناس: «البُقيّةُ البُقيّةُ وأمضِ الصلح»^(٤).

كان الإمام الحسن عليه السلام يقاتل باغياً محارباً للخليفة الشرعي، ومقاتلاً للإمام الواجب الطاعة، فمات لقب معاوية (والي الشام) بموت عثمان، ولم يعيّنهُ الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، ولم يعيّنهُ الإمام الحسن عليه السلام، فمعاوية باغٍ محاربٌ، قاتل الإمام الشرعي الواجب الطاعة، ولكن الحسن عليه السلام عندما وجد القاعدة التي يستند عليها لا تريد الحرب ولا القتال، بل تريد الدنيا والقبول بالظلم، فما عساه أن يفعل؟ والقتال لا يتم إلا

(١) الاحتجاج ص ١٥١.

(٢) تحف العقول ص ٢٣٤.

(٣) الرسالة السعدية - العلامة الحلي ص ١٤٩.

(٤) بحار الأنوار/ ج ٧٥ ص ١٠٧.

بالجماعة المتفانية الراغبة في الموت.

أصبح التكليف الشرعي الجديد للإمام عليه السلام: إقرار الهدنة مع معاوية. وكان هذا هو الذي عناه عليه السلام حين قال: «ما تدرون ما عملتُ، والله الذي عملتُ خيراً لشيعتي ما طلعت عليه الشمس»^(١).

وبعد سنوات، وحين سُئل الإمام محمد الباقر عليه السلام عن صلح الحسن عليه السلام قال: «إنه أعلم بما صنع، ولولا ما صنع لكان أمرٌ عظيمٌ».

وهو عين ما أراده الإمام الحسن عليه السلام: «ما أردتُ بمصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل»^(٢).

لم يكن النزاع بين الإمام عليه السلام ومعاوية نزاعاً شخصياً، بل كان نزاع مبادئ استقطب طائفتين:

الأولى: بقايا المهاجرين والأنصار، والنخبة من أصحاب الإيمان والعقيدة، وهؤلاء أحاطوا بالحسن عليه السلام، ودافعوا عنه دفاع المستميتين، وقُتلوا لاحقاً بسبب ولائهم.

الثانية: أهل الدنيا والمصالح، وأهل الكيد والخداع، وهؤلاء أحاطوا بمعاوية وبدنياه، وهكذا أصبح الصراع صراعاً بين الحق والباطل.

لبي الإمام الحسن عليه السلام طلب معاوية للهدنة، ولكنه لم يلبه إلا ليضعه أمام شروط لا يسع لمعاوية، العاشق للدنيا وزخارفها أن يلبها، لاسيما فيما يتعلّق بالملك والسلطة، التي كان معاوية مستميتاً في حيازتها من الحسن عليه السلام.

(١) كمال الدين ص ٣١٦.

(٢) الأخبار الطوال - ابن داود الدينوري ص ٣٢١.

كان معاوية يعلم شجاعة الإمام الحسن رضي الله عنه، واستماتة المخلصين في الذب عن الإسلام وعن إمامهم، لذلك لم يلتحم مع جيش الإمام رضي الله عنه بقتال، بل استخدم وسائل الحرب النفسية، كالشائعات، والكذب، والغدر في تفتيت جيش الكوفة.

ولم تتوقف معركة الإسلام مع باطل معاوية بالهدنة، بل بدأت معركة الحسن رضي الله عنه الجديدة في حقبة جديدة لتربية الأمة على حب أهل البيت رضي الله عنهم والولاء لهم، وهي معركة تتطلب وجود أخيه الحسين رضي الله عنه لإتمامها، لقد حفظ الله تعالى منزلة أهل البيت رضي الله عنهم ومنحهم شرفاً عظيماً، حتى وإن قُتلوا أو غلبوا على أمرهم، وإلى ذلك أشار الإمام الحسن رضي الله عنه: «... ولا تكون علينا دولة إلا وتكون لنا العاقبة، ولتعلمن نبأه بعد حين»^(١). فالعاقبة الحسنة لهم دائماً، حتى وإن غلبوا على أمرهم من قبل الظالمين.

الوريقة الثالثة عشرة: معاهدة الهدنة أو السلام

ذكرنا تفاصيل معاهدة الهدنة بين معاوية والإمام الحسن رضي الله عنه والتي وقعت في الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ٤١ للهجرة، في الفصل الثاني.

كانت بنود المعاهدة أقرب إلى الحفاظ على مبدأ الإمام رضي الله عنه، والحفاظ على الموالين له من الإبادة أو الفناء المحقق، وكانت موافقة الطرفين لتلخص بالمبادئ التي طرحها: طرف معاوية: حيث «رضينا بها ملكاً»^(٢) كما قال معاوية نفسه، أو «الخلافة بالمدينة والملك بالشام»^(٣) كما قال أبو هريرة على سبيل إنكاره خلافة معاوية، أو «كذب بنو الزرقاء بل هم ملوك من شر الملوك، وأول الملوك معاوية»^(٤) كما قالها سفينة مولى رسول الله ﷺ.

(١) مروج الذهب / ج ٦ ص ٦١-٦٢.

(٢) البداية والنهاية / ج ٦ ص ٢٢٠.

(٣) البداية والنهاية / ج ٦ ص ٣٢١.

(٤) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٤ ص ٥.

وطرف الإمام الحسن عليه السلام في ذلك الظرف الحرج: كما قال عليه السلام: «ما تدرون ما فعلت، والله للذي فعلتُ خيرٌ لشيعتي مما طلعت عليه الشمس»، و«ما أردت بمصالحتي إلا أن أدفع عنكم القتل»^(١)، و«أيها الناس إن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وقد سالمتُ معاوية، وإن أدري لعله فتنة ومتاع إلى حين»^(٢).

بين الإمامة والخلافة:

هل أن معني (تسليم الأمر) إلى معاوية هو: تسليم الإمامة أو الخلافة؟ والجواب على ذلك: إن الأمر، وبسبب قلة الناصر، كان تسليم الخلافة لمعاوية، وليست تسليم الإمامة.

وهل هناك فرق بين الإمامة والخلافة؟ والجواب على ذلك: نعم، إن هناك فرقاً بين الإمامة والخلافة. الإمامة الشرعية لا تأتي إلا بالتعيين من قبل الله تعالى، والنص من رسوله صلى الله عليه وسلم، كما ذكرنا ذلك سابقاً، أما الخلافة فيمكن أن يقوم بتأدية وظيفتها الإمام الشرعي، ويمكن أن تكون بالغلبة والقهر من قبل الظالم، فتفقد حينئذٍ شرعيتها.

إمرة المؤمنين:

وهذه نقطة تبيّن الاختلاف بين الإمامة والخلافة:

قال معاوية للحسن عليه السلام بعد الهدنة: أخرج للخوارج وقاتلهم، فقال عليه السلام: «يأبى الله لي ذلك. قال: فلم؟ أليس هم أعداءك وأعدائي؟ قال عليه السلام: نعم يا معاوية، ولكن ليس من طلب الحق فأخطأه، كمن طلب الباطل فوجده. فأسكت معاوية.

(١) الأخبار الطوال ص ٢٢١.

(٢) تاريخ يعقوبي / ج ٢ ص ١٩٢.

أزال الإمام عليه السلام بموادعته معاوية الاثتار له، فقد خرج من تحت أمره حين شرط أن لا يسميه أمير المؤمنين. ولو انتبه معاوية فطنة الحسن عليه السلام بما فرض عليه، لقال له: يا أبا محمد أنت مؤمن، وأنا أمير، فإذا لم أكن أميرك، لم أكن للمؤمنين أيضاً أميراً، وهذا حيلة منك تزيل أمري عنك وتدفع حكمي لك وعليك...»^(١).

إن الإمام المعصوم عليه السلام أحق بالطاعة، وبإمرة المؤمنين من أي إنسان آخر، ذلك أن المعصوم عليه السلام يهدي الناس إلى الحق، بإذن الله تعالى، ويبعدهم عن الضلالة، وكل معصية ضلال، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ. وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾^(٢). فالمعصوم عليه السلام لا يعصي الله عز وجل، بل يدعو إلى الهداية، بينما عدت الآية الشريفة كل معصية ضلالاً، وضلالة الشيطان بمثابة عبادته، فكيف يستطيع من يكون وصفه بهذا الشكل أميراً على المؤمنين؟ وبكلمة، فإن الإمرة الحقة لا بد من أن تكون بيد المعصوم، الذي يدعو إلى الهداية والصراط المستقيم.

معاوية سلطان دنيا لا غير:

وقراءة متأنية للحقائق المذكورة هنا، تكشف لنا أن معاوية كان سلطان دنيا، وليس إمام حق يتبعه الناس. ويمكن تلخيص ذلك بنقاط:

١ - قال معاوية لابنه يزيد، عندما استفسر منه عن سبب قيامه، في بعض الأحيان، إجلالاً للحسن عليه السلام: «...يا بُنَيَّ إِنَّ الْحَقَّ حَقُّهُمْ وَأَخَذْنَاهُ، أَفَلَا نَرُدُّهُمْ يَا بُنَيَّ عَلَى دَابَّتِهِمُ الَّتِي رَكَّبْنَاهَا»^(٣).

(١) علل الشرائع / ج ١ ص ٢٠١-٢١٥.

(٢) سورة يس: الآية ٦٠-٦٢.

(٣) مقتل الحسين / ج ١ ص ١٢٢.

٢- كتب معاوية إلى الحسن عليه السلام في التمهيد للهدنة: «ولا تقضى دونك الأمور، ولا تعصى في أمر»^(١).

٣- لكنه، وبعد إتمام الهدنة قال: «رضينا بها ملكاً»^(٢)، وفي خطابه على منبر الكوفة: «أني لم أقاتلكم لتصلوا ولا لتزكوا... وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم»^(٣).

٤- مخاطبة سعد بن أبي وقاص معاوية يوم دخل عليه: «السلام عليك أيها الملك»^(٤)، ولم يخاطبه بأمره المؤمنين.

٥- ما روي عن الحسن عليه السلام قوله بعد الهدنة في توضيح أسبابها: «أضرب هؤلاء بعضهم ببعض في ملك من ملك الدنيا لا حاجة لي به!؟»^(٥)، و«...لم أذل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلهم على الملك»^(٦).

٦- فهم الصلح على أساس أنه انتزاع للسلطة بحدود حياة معاوية الذي كان يكبر الحسن عليه السلام بثلاثين سنة، كما قال: «ذلك الأمر من بعدي»^(٧)، و«أنت أولى الناس بها»^(٨).

وفي خطبة الأحنف بن قيس لمعاوية يرثيها على البيعة ليزيد: «وقد علمت أنك لم تفتح العراق عنوة، ولم تظهر عليه قعصاً، ولكنك أعطيت الحسن بن علي من عهد الله ما قد علمت، ليكون له الأمر من بعدك، فإن تف فأنت أهل الوفاء، وإن تغدر تعلم والله

(١) مقاتل الطالبيين ص ٣٧.

(٢) البداية والنهاية / ج ٦ ص ٢٤٦.

(٣) مقاتل الطالبيين ص ٤٥.

(٤) النصائح الكافية - محمد بن عقيل ص ١٩٥.

(٥) الإصابة / ج ٢ ص ١٢.

(٦) البداية والنهاية / ج ٨ ص ١٩.

(٧) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٤ ص ١٣.

(٨) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٤ ص ١٣.

إن وراء الحسن خيولاً جيداً، وأزرعاً شداداً، وسيوفاً حداداً، إن تدنُّ له شبراً من غدر، تجد وراءه باعاً من نصر، وإنك تعلم أن أهل العراق، ما أحبوك منذ أبغضوك...»^(١).

بنود معاهدة الهدنة :

ذكرنا سابقاً بنود معاهدة الهدنة في خمس نقاط:

الأول: أن يعمل معاوية بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله.

الثاني: أن يكون الأمر للحسن عليه السلام بعد معاوية، وإن حدث به حدثٌ فلاخيه الحسين عليه السلام.

الثالث: ترك سب أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأن لا يذكر علياً عليه السلام إلا بخير.

الرابع: أن يكون للحسن والحسين عليه السلام موردٌ ماليٌّ من بيت المال، وأن يكون لأولاد الشهداء في الجمل وصفين موردٌ ماليٌّ ثابتٌ.

الخامس: الأمان لجميع الناس، لاسيما أصحاب الإمام علي عليه السلام، وعدم التعرض لهم بسوء.

كانت نتيجة المعاهدة هو تسليم السلطة لمعاوية مقابل العمل بكتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، وترك المعاصي، والأمان للناس، صان الإمام بتلك المعاهدة مبدأه من الانقراض، وشيعته من الفناء.

الوريقة الرابعة عشرة: نقض بنود المعاهدة

لاشك أن الوفاء بالعهد من الأمور الأخلاقية في الإسلام، التي أوجبها الباري عز وجل

(١) الإمامة والسياسة / ج ١ ص ١٩٣.

وقال فيها: ﴿...وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(١)، بل وحرّم الخيانة بكل صورها: ﴿وَأِمَّا تَحَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَاَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾^(٢)، و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ...﴾^(٣).

وقد أوصى أمير المؤمنين عليه السلام مالك الأشر في عهده: «وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة، أو ألبسته منك ذمّة فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشدّ عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود. وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين، لما استولبوا من عواقب الغدر، فلا تغدرنّ بذمتك، ولا تحيسنّ بعهدك، ولا تحتلنّ عدوك، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي، وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته، وحريراً يسكنون إلى منعه ويستفيضون إلى جواره...»^(٤).

لكن معاوية نقض جميع بنود الصلح.

فقد كتب معاوية نسخة المعاهدة بخط يده، ووقعها بخاتمه، ولكن ما أن انتهى من مراسيم التوقيع، ودخل الكوفة أطلق معاوية أولى صيحات النقض: «وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين»^(٥)، «ألا ان كل شيء أعطيته للحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أفي به»^(٦).

(١) سورة الإسراء: الآية ٣٤.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٥٨.

(٣) سورة المائدة: الآية ٨.

(٤) شرح نهج البلاغة (م) ج ٣ ص ١٠٦.

(٥) كما في رواية المدائني. شرح نهج البلاغة (ح) ج ١٦ ص ١٥.

(٦) على رواية أبي إسحاق السبيعي. مقاتل الطالبين ص ٤٥.

نقض البند الأول: أن يعمل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

نُقِضَ هذا البند، وبدأ معاوية سياسة القتل والترويع والتعذيب للمسلمين ممن خالفوه، وهذا نقض لكتاب الله تعالى حيث يقول: ﴿...مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا...﴾^(١)، واستخدم الظلم والقسوة والمفسدة، والله تعالى يدعو إلى العدل: ﴿...اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى...﴾^(٢)، و﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا...﴾^(٣)، وحارب أهل البيت ﷺ، ورسول الله ﷺ أوصى المسلمين: «إني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإني لئن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٤).

نقض البند الثاني: أن يكون الأمر للحسن ﷺ بعد معاوية، وإن حدث به حدث فלאخيه الحسين ﷺ، وهذا يعني رجوع الأمر إلى أئمة أهل البيت ﷺ، ولكن معاوية لم يكن ليفي بذلك العهد.

و«أراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن ﷺ، وسعد بن أبي وقاص، فُدسَّ إليهما سماً، فماتا فيه»^(٥)، ثم «لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن ﷺ إلا يسيراً حتى بايع ليزيد بالشام وكتب بيعته إلى الآفاق»^(٦).

قال ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ): «إنَّ ابتداء ذلك وأوله من المغيرة بن شعبه، فإن معاوية أراد أن يعزله عن الكوفة، ويستعمل عوضه سعيد بن العاص، فبلغه ذلك، فقال: الرأي

(١) سورة المائدة: الآية ٣٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٨.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٥٦.

(٤) مسند أحمد / ج ٣ ص ١٤.

(٥) مقاتل الطالبين ص ٢٩.

(٦) الإمامة والسياسة / ج ١ ص ١٦.

أن أشخص إلى معاوية فأستعفيه، ليظهر للناس كراحتي للولاية.

فسار إلى معاوية وقال لأصحابه حين وصل إليه: إن لم أكسبكم الآن ولاية وإمارة، لا أفعل ذلك أبداً.

ومضى حتى دخل على يزيد وقال له: ذهب أعيان أصحاب النبي ﷺ، وكبراء قريش وذوو أسنانهم! وإنما بقي أبناؤهم، وأنت من أفضلهم! وأحسنهم رأياً! وأعلمهم بالسنة! والسياسة! ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة؟

قال يزيد: أو ترى ذلك يتم؟

قال: نعم.

فدخل على أبيه، وأخبره بما قال المغيرة، فأحضر معاوية المغيرة، وقال له: ما يقول

يزيد؟

فقال: يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان، وفي يزيد خلف، فأعقد له، فإن حدث بك حادث كان كهفياً للناس، وخلفاً منك، ولا تسفك دماءً، ولا تكون فتنةً.

قال: ومن لي بهذا؟

قال: أكفيك أهل الكوفة، ويكفيك زياد أهل البصرة، وليس بعد هذين المصرين

أحد يخالفك.

قال: فارجع إلى عملك، وتحدث مع من تثق إليه في ذلك، وترى ونرى.

فودّعه ورجع إلى أصحابه، فقالوا: مه؟ قال: لقد وضعتُ رجل معاوية في غرز

بعيد الغاية على أمة محمد! وفتقت عليهم فتقاً لا يرتق أبداً^(١).

(١) الكامل في التاريخ / ج ٣ ص ١٩٨، ٢٠١.

«وتواطأ معاوية مع رؤساء الوفود المناصحين له، أن يخطبوا ويذكروا فضل يزيد! فلما اجتمعت عند معاوية وفود الأمصار، وفيهم الأحنف بن قيس الفهري [ولم يكن من المتواطئين الذين رتبهم معاوية لهذه الرواية]. وقال لأحدهم: إذا جلست على المنبر، وفرغت من بعض موعظتي وكلامي، فاستأذن للقيام. فإذا اذنت لك، فاحمد الله تعالى واذكر يزيد، وقل فيه الذي يحق له من حسن الثناء عليه! ثم ادعني إلى توليته!

ثم دعا عبد الرحمن بن عثمان الثقفي، وعبيد الله بن مسعدة الفزاري، وثور بن معن السلمي، وعبد الله بن عصام الأشعري، فأمرهم أن يقوموا إذا فرغ الضحاك، وأن يصدّقوا قوله، فقام، هؤلاء نفر خطباء يشيدون بيزيد! إلى أن قام الأحنف بن قيس [الذي كان خارج سرب معاوية] فقال:

«أصلح الله الأمير، إن الناس قد أمسكوا في منكر زمان قد سلف، ومعروف زمان مؤتلف، وقد حلبت الدهور وجربت الأمور، فاعرف من تسند إليه الأمر بعدك، ثم أعص من يأمرك، ولا يغررك من يشير عليك ولا ينظر إليك، مع أن أهل الحجاز وأهل العراق، لا يرضون بهذا، ولا يبائعون ليزيد ما دام الحسن حياً.

وقد علمت يا معاوية، أنك لم تفتح العراق عنوة، ولم تظهر عليه قعصاً، ولكنك أعطيت الحسن بن علي من عهود الله ما قد علمت، ليكون له الأمر من بعدك. فإن تف فإن أنت أهل الوفاء، وإن تغدر تعلم. والله ان وراء الحسن خيولاً جياداً، وأذرعاً شداداً، وسيوفاً حداداً، وإن تدن له شبراً من غدر، تجد وراءه باعاً من نصر، وإنك تعلم أن أهل العراق، ما أحبوك منذ أبغضوك، ولا أبغضوا عليك وحسناً منذ أحبوها، وما نزل عليهم في ذلك غير من السماء، وإن السيوف التي شهروها عليك مع علي يوم صفين، لعل عواتقهم، والقلوب التي أبغضوك بها لبين جوانحهم»^(١).

(١) الإمامة والسياسة / ج ١ ص ١٩٣. ومروج الذهب / ج ٦ ص ١٠٠-١٠٢.

نقض البند الثالث: ترك سب أمير المؤمنين عليه السلام، و«لم يف به [معاوية] أيضاً»^(١). وقد ورد عن أنس بن مالك أنه قال: «لم يكن النبي صلى الله عليه وآله سباباً ولا فحاشاً ولا لعاناً»^(٢). وكان معاوية أول من سنّ الجهر بسب صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد كان «إذا قنت سبّ علياً، وابن عباس، والحسن، والحسين، والأشتر»^(٣).

و«كان يقول في آخر خطبته: «اللهم إن أبا تراب - يعني علياً - ألد في دينك، وصدّ عن سبيلك، فالعنه لعناً وبيلاً، وعذبه عذاباً أليماً»، وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشاد بها على المنابر»^(٤).

وقيل لمروان: «ما لكم تسبونون على المنابر؟ فقال: لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك»^(٥). و«كتب معاوية نسخة واحدة بعد عام الجماعة، أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب - يعني علياً - وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر، يلعنون علياً ويبرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام»^(٦).

ثم كان معاوية قد: «دعا المغيرة بن شعبة وهو يريد أن يستعمله على الكوفة - بعد الصلح، فقال له: أما بعد فإنّ لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا، ولا يجزي عنك الحلیم بغير التعليم، وقد أردتُ إيصاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها، اعتماداً على بصرك،

(١) الكامل في التاريخ / ج ٣ ص ١٦٢.

(٢) صحيح البخاري / ج ٧ ص ٨١.

(٣) النصائح الكافية ص ١٩ - ٢٠.

(٤) النصائح الكافية ص ١٩ - ٢٠ نقلها عن أبي عثمان الجاحظ في كتابه (الرد على الإمامية).

(٥) (كتاب) سليم بن قيس ص ٣١٤.

(٦) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٣ ص ١٥. نقلها عن أبي الحسن علي بن محمد بن أبي يوسف المدائني

في كتاب (الأحداث).

ولست تاركاً ايضاً بك بخصلة واحدة، لا تترك شتم عليّ وذمه!!»^(١).

وبعد انتهاء ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة، خلفه زياد، «فكان يجمع الناس بباب قصره يجرضهم على لعن علي، فمن أبي عرضه على السيف»^(٢).

وفي البصرة، استعمل معاوية عليها بسر بن أرطأة «فكان يخطب على منبرها فيشتتم علياً، ويقول: ناشدت الله رجلاً علم أني صادق إلا صدقني، أو كاذب إلا كذبتني. فقال له أبو بكره: اللهم إنا لا نعلمك إلا كاذباً فأمر به فحُتق، ثم انقذوه منه»^(٣).

ولم يختلف حال المدينة عن حال البصرة والكوفة، فقد كان مروان بن الحكم واليها من قبل معاوية سباباً بذتياً، وكان يسب علياً كل جمعة على المنبر، «وكان الحسن يعلم ذلك ولا يدخل المسجد إلا عند الإقامة...»^(٤).

«ولما حج معاوية - بعد الصلح - طاف بالبيت ومعه سعد بن أبي وقاص، فلما فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوة، فأجلسه معه على سريره، ووقع معاوية في عليّ وشرع في سبه، فزحف سعد، ثم قال: أجلسني معك على سريرك ثم شرعت في سب عليّ! والله لأن يكون في خصلة واحدة من خصال كانت لعليّ أحب إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس! والله لأن أكون صهر الرسول صلى الله عليه وآله، لي من الولد ما لعليّ، أحب إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس! والله لئن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي ما قاله يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويجب الله ورسوله، ليس قرار، يفتح الله على يديه، أحب إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس! والله لأن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) الكامل في التاريخ / ج ٣ ص ١٨٧. تاريخ الطبري / ج ٦ ص ١٤١.

(٢) مروج الذهب / ج ٦ ص ٩٩.

(٣) تاريخ الطبري / ج ٦ ص ٩٦. والكامل في التاريخ / ج ٣ ص ١٠٥.

(٤) النصائح الكافية ص ٧٣.

قال لي ما قاله له في غزوة تبوك: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، أحب إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس! وإيم الله لا دخلتُ لك داراً ما بقيتُ»^(١).

نقض البند الرابع: وهو ان يكون للحسن والحسين عليهما السلام موردٌ ماليٌّ من بيت المال، وأن يكون ذلك من خراج دار أبجد.

قال ابن الأثير: «وأما خراج دار ابجد فإن أهل البصرة منعه، وقالوا هو فيؤنا لا نعطيه أحداً، وكان منعهم بأمر معاوية أيضاً!»^(٢).

وبذلك سلب معاوية فرصة إشباع وكسوة أيتام الموالين لأهل البيت عليهم السلام وأراملهم، وكان معاوية يخاف من تحول الموارد المالية إلى قوة سياسية، فاستخدم أسلوب التجويع لإذلال مناوئيه، وكان ذلك نقضاً للبند الرابع من المعاهدة.

قال الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) بخصوص بند الموارد المالية من الزكاة: «... ولا بد أن يكون أولاد من قُتل من أصحاب علي عليه السلام بالجمال، وبصفين من أهل الفيء، ومال المصالحة، ومن أهل الصدقة والسهام. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدقة: «أمرتُ أن آخذها من أغنيائكم، وأردّها في فقرائكم»، بالكاف والميم ضمير من وجبت عليهم في أموالهم الصدقة، ومن وجبت لهم الصدقة، فخاف الحسن عليه السلام أن كثيراً منهم لا يرى لنفسه أخذ الصدقة من كثير منهم، ولا أكل صدقة كثير منهم، إذا كانت غسالة ذنوبهم، ولم يكن للحسن عليه السلام في مال الصدقة سهم»^(٣).

(١) مروج الذهب/ ج ٦ ص ٨١-٨٢.

(٢) الكامل في التاريخ/ ج ٣ ص ١٦٢.

(٣) علل الشرائع/ ج ١ ص ٢٠١-٢١٥.

«وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في تفسير قوله عز وجل: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(١):
«إنه لا يجاوز قدما عيد حتى يُسأل عن أربع: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه،
وعن ماله من أين جمعه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت».

وكان الحسن والحسين عليهما السلام ابنا علي عليه السلام، يأخذان من معاوية الأموال، فلا ينفقان
من ذلك على أنفسهما وعلى عيالهما ما تحمله الذبابة بفيها، قال شيبه بن نعام: كان
علي بن الحسين عليه السلام ينحلّ، فلما مات نظروا، فإذا هو يعول في المدينة أربعمئة بيت من
حيث لم يقف الناس عليها»^(٢).

نقض البند الخامس: وهو الأمان لجميع الناس.

روى أبو الحسن المدائني (ت ٢٢٥هـ) صورة رهيبة للوضع العام أيام معاوية بعد
الصلح، يقول: «قدم معاوية حاجاً - في خلافته - بعدما قُتِلَ أمير المؤمنين عليه السلام وصالح
الحسن عليه السلام... واستقبله أهل المدينة وفيهم قيس بن سعد، وكان سيد الأنصار وابن
سيدهم. فدار بينهما الحديث حتى انتهيا إلى الخلافة.

فقال قيس: ولعمري ما لأحدٍ من الأنصار، ولا لقريش، ولا لأحدٍ من العرب
والعجم في الخلافة، حقٌّ مع علي عليه السلام وولده من بعده.

فغضب معاوية، ونادى مناديه، وكتب بذلك نسخة واحدة إلى عماله: ألا برئت
الذمة ممن روى حديثاً في مناقب عليّ وأهل بيته!

وقامت الخطباء في كل كورة ومكان على المنابر بلعن علي بن أبي طالب والبراءة منه،
والوقية في أهل بيته، واللعنة لهم بها ليس فيهم.

(١) سورة الصافات: الآية ٢٤.

(٢) علل الشرائع / ج ١ ص ٢٠١-٢١٥.

ثم إن معاوية مرّ بحلقة من قريش، فلما رأوه قاموا إليه غير عبد الله بن عباس.
فقال معاوية: يا بن عباس ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلا لموجدة عليّ
بقتالي إياكم يوم صفين. يا بن عباس إن ابن عمي عثمان قتل مظلوماً.

ابن عباس: فعمر بن الخطاب قد قتل مظلوماً فسلم الأمر إلى ولده؟! وهذا ابنه.
معاوية: إن عمر قتله مشرك.

ابن عباس: فمن قتل عثمان؟

معاوية: قتله المسلمون.

ابن عباس: فذلك أدهض لحجتك، إن كان المسلمون قتلوه وخذلوه فليس إلا
بحق.

معاوية: فإننا كتبنا إلى الآفاق ننهي عن ذكر مناقب عليّ وأهل بيته، فكف لسانك يا
ابن عباس.

ابن عباس: فتنهانا عن قراءة القرآن؟

معاوية: لا.

ابن عباس: فتنهانا عن تأويله؟

معاوية: نعم.

ابن عباس: فنقرأه ولا نسأل عما عنى الله به؟

معاوية: نعم.

ابن عباس: فأيهما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟

معاوية: العمل به.

ابن عباس: فكيف نعمل به حتى نعلم ما عنى الله بما أنزل علينا؟

معاوية: سل عن ذلك من يتأوله على غير ما تتأوله أنت وأهل بيتك!

ابن عباس: إنما أنزل القرآن على أهل بيتي فأسأل عنه آل أبي سفيان، وآل أبي معيط؟

معاوية: فاقروا القرآن، ولا ترووا شيئاً مما أنزل الله فيكم، ومما قال رسول الله،

وارووا ما سوى ذلك!

ابن عباس: قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

معاوية: يابن عباس أكفني نفسك، وكف عني لسانك، وإن كنت لابد فاعلاً

فليكن سراً، ولا تسمعه أحداً علانية!^(٢)

ثم رجع إلى منزله، واشتد البلاء بالأمصار كلها على شيعة علي عليه السلام وأهل بيته، وكان أشد الناس بلية أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة، واستعمل عليها زياداً، وجمع له العراقيين [أي الكوفة والبصرة]، وكان يتتبع الشيعة وهو بهم عالم، لأنه كان منهم، فقتلهم تحت كل كوكب، وتحت كل حجر ومدبر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل منهم، وصلبهم على جذوع النخل، وسمل أعينهم، وطردهم وشردهم.

وكتب معاوية إلى قضاته وولاته في الأمصار أن لا يجوزوا لأحد من شيعة علي الذين يروون فضله، ويتحدثون بمناقبه شهادة! وكتب إلى عماله: انظروا من قبلكم من شيعة عثمان، الذين يروون فضله ويتحدثون بمناقبه، فأكرمواهم وشرّفوهم، واكتبوا

(١) سورة التوبة: الآية ٣٢.

(٢) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٣ ص ١٥-١٦.

إليّ بما يروي كل واحد منهم فيه، باسمه، واسم أبيه، وبعث إليهم بالصلوات والكُسا. وأكثر القطائع للعرب والموالي فكثروا، وتنافسوا في المنازل والضياع، واتسعت عليهم الدنيا، ثم كتب إلى عماله: أن الحديث قد كثر في عثمان، فإذا جاءكم كتابي هذا، فادعوهم إلى الرواية في أبي بكر وعمر، فقرأ كل قاضٍ وأميرٍ كتابه على الناس، وأخذ الناس في الروايات فيهم وفي مناقبهم.

ثم كتب نسخة جمع فيها جميع ما روي فيهم من المناقب، وأنفذها إلى عماله، وأمرهم بقراءتها على المنابر، وفي كل كورة، وفي كل مسجد، وأمرهم أن ينفذوا إلى معلمي الكتاتيب أن يعلموها صبيانهم حتى يرووها ويتعلموها كما يتعلمون القرآن، حتى علموها بناتهم ونساءهم وخدمهم.

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة: «انظروا من قامت عليه البينة أنه يجب علياً وأهل بيته فاحموه من الديوان»، ثم كتب كتاباً آخر: «من اتهمتموه ولم تقم عليه بينة، فاقتلوه!» فقتلوه على التهم والظن والشبه تحت كل كوكب، حتى لقد كان الرجل يسقط بالكلمة فتضرب عنقه! وجعل الأمر لا يزداد إلا شدة، وكثر عددهم، وأظهروا أحاديثهم الكاذبة فنشأ الناس على ذلك، لا يتعلمون إلا منهم، وكان أعظم الناس في ذلك القراء المراءون المتصنعون الذين يظهرون الحزن والخشوع والنسك ويكذبون، ليحفظوا عند ولائهم، ويصيّبوا بذلك الأموال والقطائع والمنازل، حتى صارت أحاديثهم في أيدي من يحسب أنها حق، فرووها وعلموها، وصارت في أيدي المتدينين الذين لا يستحلون الكذب، فقبلوها وهم يرون أنها حق، ولو علموا أنها باطل لم يرووها ولم يتدينوا بها، فلما مات الحسن بن علي عليه السلام لم تزل الفتنة والبلاء يعظمان ويشتدان»^(١).

(١) شرح نهج البلاغة (ح)/ ج ٣ ص ١٥-١٦ نقلها عن أبي الحسن المدائني.

«روى ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم في تاريخه ما يناسب هذا... قال: إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية، تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم!

وذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافي أن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلفوا ما ارضاه، منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير»^(١).

لخص الحصين بن المنذر الرقاشي أفعال معاوية بهذه الجملة: «ما وفي معاوية للحسن بشيء مما أعطاه، قتل حجراً وأصحاب حجر، وباع لابنه، وسم الحسن!»^(٢).

الوريقة الخامسة عشرة: نماذج لمن قُتل صبراً بسيف معاوية بعد الهدنة

استخدم النظام الأموي أسلوب القتل كوسيلة لإخماد المعارضة السلمية التي كانت تعارضه، فكان المعارضون يحتجون بالقرآن والسنة، وكان معاوية يواجههم بالسجن، والسيف، والقتل المريع، وفيما يلي نماذج لمن قُتل صبراً بسيف معاوية:

١- الصحابي الجليل حجر بن عدي الكندي، من أجل صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن أعيان أصحاب علي عليه السلام، والحسن عليه السلام، سيد من سادات الكوفة، وثقة من الثقات، و«كان حجر من فضلاء الصحابة [على الرغم من] صغر سنه عن كبارهم»^(٣)، و«راهب

(١) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٣ ص ١٦، و / ج ١ ص ٣٥٨.

(٢) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٤ ص ١٦، ٧، ٦.

(٣) الدرجات الرفيعة ص ٤٢٣.

أصحاب محمد ﷺ^(١)، وبلغ من عبادته أنه ما أحدث إلا توضأ، وما توضأ إلا صلى، وكان ظاهر الزهد، مجاب الدعوة بحيث «أصابته جنابة، وهو أسير، فقال للموكل به: اعطني شرابي اتطهر به، ولا تعطني غداً شيئاً، فقال: أخاف أن تموت عطشاً فيقتلني معاوية، قال: فدعا الله فانسكبت سحابة بالماء، فأخذ منها الذي احتاج إليه، فقال له أصحابه: ادعُ الله أن يخلصنا، فقال: اللهم خر لنا»^(٢)، شهد الجمل وصفين والنهروان مع الإمام علي عليه السلام.

وكان السبب في قتله، ولاءه لأمير المؤمنين عليه السلام والحسن عليه السلام، وكان يردّ على المغيرة بن شعبه والي الكوفة، ومن بعده زياد بن سمية، ويقول: «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم. وإني أشهد أن من تدمون [يعني علياً] أحقّ بالفضل ممن تطرون، ومن تزكون [يعني معاوية] أحقّ بالذم ممن تعيبون»^(٣).

ضاق زياد بن سمية والي الكوفة بحجر وأصحابه، فجمع أشراف الكوفة وخاطبهم: «يا أهل الكوفة، أتسجون بيدي وتأسون بأخرى، أبدانكم معي، وأهواؤكم مع حجر، أنتم معي، وإخوانكم وابناؤكم وعشائركم مع حجر، هذا والله من دحسكم وغشكم، والله لتظهرن لي براءتكم، أو لا تينكم بقومٍ أقيم بهم أودكم وصعركم... فليقم كل امرئ منكم إلى هذه الجماعة حول حجر. فليدعُ كل رجل منكم أخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته، حتى تقيموا عنه كل من استطعتم أن تقيموه»^(٤).

فجاؤوا بحجر، ومكث في سجن الكوفة عشرة أيام حتى جمعوا أصحابه، وصاروا

(١) المستدرک علی الصحیحین / ج ٣ ص ٤٦٨.

(٢) الإصابة / ج ١ ص ٣٢٩.

(٣) شجرة الطوبى - محمد مهدي الخائري / ج ١ ص ٨٥.

(٤) تاريخ الطبري / ج ٦ ص ١٣٢.

بهم إلى قرية عذراء على بعد اثني عشر ميلاً عن دمشق، وجاء الأمر من معاوية بقتلهم صبراً، فقال المأمور لحجر: إن أمير المؤمنين - يعني معاوية - أمرني بقتلك يا رأس الضلال! ومعدن الكفر والطغيان! والمتولي لأبي تراب، وقتل أصحابك إلى أن ترجعوا عن كفركم، وتلعنوا صاحبكم [يعني علياً عليه السلام] وتبرؤوا منه.

فقال حجر وأصحابه: «إن الصبر على حد السيف لأيسر علينا مما تدعوننا إليه، ثم القدوم على الله، وعلى نبيه صلى الله عليه وآله، وعلى وصيه عليه السلام أحب إلينا من دخول النار^(١)، ثم قال: اللهم إنا نستعديك على أمتنا، فإن أهل الكوفة شهدوا علينا، وإن أهل الشام يقتلوننا. أما والله لئن قتلتهموني بها، فإني لأول فارس من المسلمين هلك في واديها، وأول رجل من المسلمين نجته كلامها^(٢)»^(٣).

وآخر كلمة قالها حجر قبل استشهاده: لا تطلقوا عني حديداً، ولا تغسلوا عني دماً، فإني لاقٍ معاوية غداً على الجادة، وإني مخاصمه [الله]^(٤).

وكانت آخر كلمة لمعاوية قبل ان يهلك: يومي منك يا حجر يوم طويل^(٥).

قال ابن عساکر: «إن عائشة بعد أن أنكرت على معاوية قتله حجراً وأصحابه، قالت: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سيقتل بعذراء - الموضع الذي قتل فيه حجر وأصحابه - أناس يغضب الله لهم وأهل السماء»^(٦).

(١) رجال الكشي / ج ١ ص ٢٥٤.

(٢) أول رجل من المسلمين نجته كلامها، يعني يوم فتحها، وكان حجر هو الذي افتتحها.

(٣) تاريخ الطبري / ج ٤ ص ٢٠٥.

(٤) الغارات - الثقفي / ج ٢ ص ٨١٢. وكنز العمال / ج ١١ ص ٣٥٣.

(٥) النصائح الكافية ص ٨٥.

(٦) تاريخ مدينة دمشق / ج ١٢ ص ٢٢٦.

من استشهد مع حجر:

كان أصحاب حجر من المصلين العابدين، الذين ينكرون الظلم، ويستعظمون البدع، ولا يخافون في الله لومة لائم، وكان ممن قتل مع حجر من أصحابه صبراً:

أ- صيفي بن فسيل الشيباني: قتل مع حجر في مرج عذراء الشام، وقبل أن يُقتل وقف موقفاً سامياً أمام زياد والي الكوفة.

قال له زياد: يا عدو الله! ما تقول في أبي تراب؟

قال صيفي: ما أعرف أبا تراب.

زياد: ما أعرفك به!

صيفي: ما أعرفه.

زياد: أما تعرف علي بن أبي طالب؟

صيفي: بلى.

زياد: فذاك أبو تراب.

صيفي: كلا، ذاك أبو الحسن والحسين عليهما السلام.

فقال له صاحب الشرطة: يقول لك الأمير: هو أبو تراب، وتقول له أنت: لا؟

قال صيفي: وإن كذب الأمير، أتريد أن أكذب أنا، وأشهد على باطلٍ كما شهد؟

زياد: وهذا أيضاً من ذنبك! عليّ بالعصا.

فأتي بها فقال: ما قولك؟

صيفي: أحسن قول أنا قائله في عبد من عباد الله المؤمنين.

زياد: اضربوا عاتقه بالعصا حتى يلصق بالأرض.

فضرب حتى لزم الأرض.

ثم قال زياد: اقطعوا عنه. أيه ما قولك في عليّ؟

صيفي: والله لو شرحتني بالمواصي والمدى ما قلتُ إلا ما سمعتَ مني.

زياد: لتلعننّه، أو لأضربنّ عنقك؟

صيفي: اذن تضربها والله قبل ذلك، فإن أبيتَ إلا أن تضربها، رضيتُ بالله وشقيتَ

أنت.

زياد: ادفعوا في رقبتّه، أو قروه حديداً، وألقوه في السجن^(١).

وقتل صبراً بسيف معاوية هناك.

ب- عبد الرحمن بن حسان العنزري:

كان «من أصحاب علي عليه السلام»، أقام بالكوفة يجرّض الناس على بني أمية، فقبض عليه زياد، وأرسله إلى الشام، فدعاه معاوية إلى البراءة من علي عليه السلام، فاغلظ عبد الرحمن بالجواب، فردّه معاوية إلى زياد فقتله^(٢).

وعندما أدخلوه على معاوية،

قال له معاوية: يا أخا ربيعة! ما تقول في عليّ؟

عبد الرحمن: دعني ولا تسألني، فهو خيرٌ لك.

(١) تاريخ مدينة دمشق / ج ٢٤ ص ٢٥٨.

(٢) تاريخ الكوفة - حبة العربي ص ٢٧٤.

معاوية: والله لا أدعك.

عبد الرحمن: أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيراً، والآمرين بالحق، والقائمين بالقسط، والعافين عن الناس.

معاوية: فما قولك في عثمان؟

عبد الرحمن: هو أول من فتح باب الظلم، وأغلق أبواب الحق.

معاوية: قتلت نفسك.

عبد الرحمن: بل إياك قتلت، ولا ربيعة بالوادي - يعني ليشفعوا فيه أو يدفَعوا عنه - فردّه معاوية إلى زياد في الكوفة، وأمره بقتله شرّاً قتلة.

وكان عبد الرحمن بن حسان يدعو الله في مرج عذراء: «اللهم اجعلني من تكرم بهوائهم وأنت عني راضٍ، فطالما عرضتُ نفسي للقتل فأبى الله إلا ما أراد»^(١).

ج - قبيصة بن ربيعة العبسي:

وهو من الموالين المخلصين، أُعطي الأمان في البداية، إلا أنهم غدروا به، أُحضر إلى زياد، فقال له: «أما والله لأجعلن لك شاغلاً عن تلقيح الفتن، والتوثب على الأمراء»^(٢). ثم وضعوه في السجن، وأرسلوه إلى مرج عذراء مع حجر، ثم قُتل صبراً هناك.

د - كدام بن حيان العنزّي.

هـ - محرز بن شهاب بن بجير التميمي.

و - شريك بن شداد.

(١) شجرة الطوبى ص ٨٩.

(٢) تاريخ الطبري / ج ٤ ص ١٩٨.

ولم يكتفِ معاوية بذلك، بل كان يفتخر بقتلهم صبراً، فقال وهو في الحج يخاطب الحسين بن علي عليه السلام: هل بلغك ما صنعنا بحجر وأصحابه وأشياعه وشيعة أبيك؟... قتلناهم وكفناهم وصلينا عليهم ودفناهم^(١).

٢- الصحابي الجليل عمرو بن الحمق الخزاعي: وهو «العبد الصالح الذي أبلته العبادة، فأنحلت جسمه، وصفرت لونه» كما كتب به الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية: «ألست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله... بعدما أمنتته وأعطيته من عهد الله وموآثيقه ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتلته جرأة على ربك واستخفافاً بذلك العهد»^(٢).

والإمام الحسين عليه السلام يشير ربما إلى أمانٍ أعطاه معاوية خصيصاً لعمرو بن الحمق، أو ربما يشير إلى المادة الأخيرة في معاهدة الهدنة، والرأي الثاني أرجح، لأنه أهم العهود التي أعطاه معاوية علناً لشخصٍ ما، هو عهده إلى الإمام الحسن عليه السلام.

أسلم الصحابي عمرو بن الحمق قبل الفتح، وهاجر إلى المدينة، وكان من أجلاء صحابة النبي صلى الله عليه وآله ومن بعد أمير المؤمنين علي عليه السلام. دعا له النبي صلى الله عليه وآله بأن يمتعه في شبابه، وبلغ من العمر ثمانين عاماً ولم ير له شعرة بيضاء على صباحة وجهه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول له: «ليت في جندي مائة مثلك»^(٣)، ويدعو له: «الله نور قلبه باليقين، واهده إلى صراطك المستقيم»^(٤)، «يا عمرو إنك مقتول بعدي، وإن رأسك لمنقول، وهو أول رأس ينقل في الإسلام، والويل لقاتلك»^(٥).

(١) الدرجات الرفيعة ص ٤٢٩.

(٢) وسائل الشيعة / ج ٢ ص ٢٨٠.

(٣) المعيار والموازنة - أبو جعفر الإسكافي ص ١٣٠.

(٤) المعيار والموازنة ص ١٣٠.

(٥) سفينة البحار - عباس القمي / ج ٢ ص ٣٦٠.

قتله معاوية صبراً على يد أحد عماله وهو (عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي)، وقطع رأسه، وهو «أول رأس طيف به في الإسلام. ثم بعث معاوية برأسه إلى زوجته (أمّنة بنت الشريد)، وكانت في سجن معاوية، فألقي في حجرها...»^(١).

٣- الزاهد الجليل عبد الله بن يحيى الحضرمي: كان موالياً لأهل البيت عليهم السلام زاهداً، قتله معاوية صبراً مع أصحابه، كما يذكر العلامة المجلسي (ت ١١١١هـ): «وعلم معاوية ما كان عليه ابن يحيى وأصحابه من الحزن لوفاة علي أمير المؤمنين عليه السلام، وحبهم إياه، وإفاضتهم في ذكره وفضله، فجاء بهم وضرب أعناقهم صبراً، ومن أنزل راهباً من صومعته فقتله بلا جناية منه إلى قاتله أعجب ممن يخرج قساً من دير فيقتله؛ لأن صاحب الدير أقرب إلى بسط اليد لتناول ما معه من صاحب الصومعة الذي هو بين السماء والأرض، فتقديم الحسن عليه السلام فيما عدده على معاوية من الذنوب: العباد على العباد، والزهاد على الزهاد، ومصايح البلاد على مصايح البلاد، لا يتعجب منه، بل يتعجب لو قدم في الذكر مقصراً على محبت ومقتصداً على مجتهد»^(٢).

وكان الحسن عليه السلام قد كتب إلى معاوية «يعدد عليه ذنوبه إليه وإلى شيعة علي عليه السلام فبدأ بذكر عبد الله بن يحيى الحضرمي ومن قتل معه»^(٣).

٤- العالم الجليل رُشيد الهجرّي: وهو من أصحاب الإمام علي عليه السلام، وعلماء آل البيت عليهم السلام، لاسيما في علم البلايا والمنايا، قُتل صبراً بطريقة وحشية، أُتي به إلى زياد، فكانت هذه المحادثة بينهما:

(١) تاريخ اليعقوبي / ج ٢ ص ٢٣٢.

(٢) بحار الأنوار/ ج ٤٤ ص ١٠.

(٣) بحار الأنوار/ ج ٤٤ ص ١٠، عن محمد بن بحر الشيباني في كتابه (الفروق بين الأباطيل والحقوق) فيما أسنده إلى القاسم بن مجيمة.

زياد: ما قال لك خليلك - يعني علياً عليه السلام - إنا فاعلون بك؟

رُشيد: تقطعون يدي ورجلي وتصلبونني.

زياد: أما والله لأكذبنَّ حجته، خلوا سبيله.

فلما أراد أن يخرج. قال: ردوه، لا نجد لك شيئاً أصلح مما قال صاحبك، إنك لن تزال تبغي لنا سوءاً إن بقيت. اقطعوا يديه ورجليه، فقطعوها وهو يتكلم.

زياد: اصلبوه خنقاً في عنقه.

رُشيد: قد بقي لي عندكم شيء ما أراكم فعلتموه.

زياد: اقطعوا لسانه.

فلما أخرجوا لسانه، قال: نفّسوا عني حتى أتكلم كلمة واحدة.

فنّفّسوا عنه.

رُشيد: هذا والله تصديق خبر أمير المؤمنين عليه السلام، أخبرني بقطع لساني^(١).

وأخرج من القصر مقطعاً فاجتمع الناس حوله، ومات من ليلته رضوان الله عليه، وأوصى ابنته التي جمعت أطرافه المقطّعة قائلاً لها: «يا بنيتي أميتي الحديث بالكتمان، واجعلي القلب مسكن الأمانة»^(٢).

٥- الثقة الجليل جويرية بن مسهر العبدي: وهو من أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي كان يحدثه ويختص به، ومن ذلك قوله عليه السلام: «يا جورية أحبّ حبينا ما أحبنا، فإذا أبغضنا فابغضه، وأبغض بغيضنا ما أبغضنا، فإذا أحبنا فأحبّه...»، وقال عليه السلام: «...»

(١) الغارات / ج ٢ ص ٨٠٠.

(٢) الاختصاص - الشيخ المفيد ص ٧٨.

وأحدثك يا جويرية بأمرك، أما والذي نفسي بيده لتقتلنَّ إلى العُتْلِّ الزنيم^(١)، فليقطعن يدك ورجلك وليصلبنك تحت جذع كافر». قال: فوالله ما مضت الأيام على ذلك حتى أخذ زياد جويرية فقطع يده ورجله، وصلبه إلى جانب جذع ابن معكبر، وكان جذعاً طويلاً، فصلبه على جذعٍ قصيرٍ إلى جانبه^(٢).

٦- البليغ الحكيم أوفى بن حصن: وكان بليغاً حكيماً، استدرج الظالمين بلغته، وكان « أول قتيل قتله زياد، بعد حادثة الثلاثين أو الثمانين الذين قطع أيديهم^(٣)، وقصته أن زياداً ذهب يتفرس في وجوه الناس، فمرَّ به.

فقال زياد: من هذا؟

قيل له: أوفى بن حصن.

زياد: أتتكَ بخائنٍ رجلاه. ما رأيك في عثمان؟

أوفى: ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه.

زياد: فما تقول في معاوية؟

أوفى: جواد حلِيم.

زياد: فما تقول فيّ؟

أوفى: بلغني أنك قلت بالبصرة: والله لآخذن البريء بالسقيم والمقبل بالمُدبر.

زياد: قد قلتُ ذاك.

(١) العتل: الجافي الغليظ. والزنيم: الدعي.

(٢) خصائص الأئمة - الشريف الرضي ص ٥٦.

(٣) الكامل في التاريخ / ج ٣ ص ١٨٠ عند ذكره مقتل أوفى بن حصن.

أوفى: خببها خبط عشواء!

زياد: ليس النفاخ بشر الزمرة.

ثم أمر به فقتل (رضوان الله عليه)^(١).

ومع أن أوفى بن حصن، حاول أن يتقي زياد بجوابٍ يرضيه، إلا أن الذي جُبل على القتل والاستهتار بأرواح الناس الأبرياء، لا يستهويه كلام النجباء.

(١) الكامل في التاريخ / ج ٣ ص ١٨٣. تاريخ الطبري / ج ٦ ص ١٣٠ - ١٣٢.

القسم الثاني :

الأجواء المعارضة للهدنة

مقدمة

لاشك أن الهدنة مع معاوية كانت مفاجئة للكوفة كمفاجأة انسلال ثلثي جيشهم بقيادة عبيد الله بن عباس، والكندي، والمرادي إلى معسكر معاوية، فقد كان أهل الكوفة يتوقعون أن تحصل الحرب بين جيش الشام بستين ألف مقاتل مع عدّة حسنة وسلاح وكراع، وبين جيش الكوفة بأربعة آلاف، فكانوا في انتظار ما تلده الحرب، إن انتصر معاوية على الحسن عليه السلام وأبىد جيش الأربعة آلاف، كانوا في مأمن؛ لأن معاوية لن ينتقم منهم؛ لأنهم نصره ببقائهم في الكوفة.

وإن انتصر الحسن عليه السلام على جيش معاوية، فإنهم منافقون، يأتون إليه ويقولون: مرنا بأمرك، فإننا مطيعون لك.

فكانت الهدنة مفاجئة كاملة لهم، وفي ذلك تفصيل:

مع المعارضين للهدنة

ولما علم أهل الكوفة أن الإمام عليه السلام صالح معاوية أكثروا اللغط، فخاطبهم عليه السلام قائلاً:

«خالفتم أبي حتى حكم وهو كاره، ثم دعاكم إلى قتال أهل الشام بعد التحكيم

فأبيتم، حتى صار إلى كرامة الله، ثم بايعتموني على أن تسالموا من سألني، وتحاربوا من حاربني، وقد أتاني أن أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية وبايعوه، فحسبي منكم لا تغروني من ديني ونفسي.

يا أهل العراق: انما سخى عنكم بنفسي ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إياي، وانتهابكم متاعي»^(١).

بعض الروايات تذكر أن الذين عارضوه هم خاصة شيعته ومواليه، وهذا مستبعدٌ جداً، لاسيما الموالين المخلصين، كحجر بن عدي، ذلك أن أول شرط في الولاة هو طاعة الإمام المعصوم عليه السلام، وقد ذكرها الإمام الحسن عليه السلام بوضوح: «بايعوني على أن تسالموا من سألت، وتحاربوا من حاربت»، وكان هذا في البيعة، فما بالك بالولاية، التي هي أشدُّ شأنًا، وأعظم وظيفةً.

وأعظم دليل على صدق ولائهم أنهم قتلوا بسيف معاوية لاحقاً كحجر بن عدي وأصحابه، الذين ذكرنا مقتلهم آنفاً.

وذكرت الروايات أن من المعارضين للهدنة كان: سليمان بن صرد، والمسيب بن نجية، ومالك بن زمرة، وأبو سعيد العقيصا، وغيرهم، ومجموعة من الخوارج، والكثير من الذين لم يثبتوا على رأي.

الجهل بحكمة الإمام عليه السلام:

سليمان بن صرد طالب الإمام الحسن عليه السلام بأن يأذن له ليُخرج عامل معاوية من الكوفة، ويُلْمَح بأن الحرب خدعة، فيجيبه الإمام عليه السلام رافضاً نكث العهد، ويقول عليه السلام:

(١) تاريخ مدينة دمشق / ج ١٣ ص ٢٧٠.

«أما بعد، فإنكم شيعتنا وأهل مودتنا، ومن نعرفه بالنصيحة والصحبة والاستقامة لنا، وقد فهمت ما ذكرتم، ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا، وللدنيا أعمل وأنصب، ما كان معاوية بأبأس مني، وأشدّ شكيمَةً، ولكان رأيي غير ما رأيتم، ولكني أشهد الله وإياكم أني لم أرد بما رأيتم، إلا حقت دمائكم وإصلاح ذات بينكم، فاتقوا الله، وارضوا بقضاء الله وسلموا الأمر لله، والزموا بيوتكم، وكفّوا أيديكم، حتى يستريح برّ، أو يستراح من فاجر. مع أن أبي كان يحدثني أن معاوية سيخلي الأمر، فوالله لو سرنا إليه بالجبال والشجر، ما شككت أنه سيظهر، إن الله لا معقب لحكمه، ولا رادّ لقضائه.

... والله لأن تذّلوا وتعافوا، أحبّ إليّ من أن تعزّوا وتقتلوا. فإن ردّ الله علينا حقنا في عافية قبلنا، وسألنا الله العون على أمره، وإن صرفه عنا رضينا، وسألنا الله أن يبارك في صرفه عنا، فليكن كلّ رجلٍ منكم حلساً من أحلاس بيته، مادام معاوية حيّاً، فإن يهلك ونحن وأنتم أحياء، سألنا الله العزيمة على رشدنا، والمعونة على أمرنا، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(١)»^(٢).

علة الهدنة عند الإمام

وكان الإمام الحسن عليه السلام يشرح لكل من عارضه، من أصحابه أو غيرهم، في عقد الهدنة مع معاوية، الأسباب الشرعية التي دعت إلى ذلك، وفيما يلي ملخص أجوبة الإمام عليه السلام:

١- «والله أني ما سلّمت الأمر إلا لأني لم أجد انصاراً، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلى ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه، ولكن عرفت أهل الكوفة وبلوتهم، ولا يصلح لي

(١) سورة النحل: الآية ١٢٨.

(٢) الإمامة والسياسة / ج ١ ص ٧١.

منهم من كان فاسداً، إنهم لا وفاء لهم ولا ذمة في قولٍ ولا فعل، إنهم لمختلفون، ويقولون لنا أن قلوبهم معنا، وأن سيوفهم مشهورة علينا»^(١).

٢- ويخاطب ابن الفضل سفيان بن الليل: «لست بمذلل المؤمنين، ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك»^(٢)، وفي رواية الحاكم النيسابوري: «لم أذل المؤمنين، ولكني كرهت أن أقتلهم في طلب الملك»^(٣).

٣- ويشير على المسيب بن نجية: «يا مسيب، إني لو أردت - بما فعلت - الدنيا لم يكن معاوية بأصبر عند اللقاء، ولا أثبت عند الحرب مني، ولكني أردت صلاحكم، وكفّ بعضكم عن بعض»^(٤).

٤- ويردّ على سفيان بن أبي ليلى الخارجي: «ويحك أيها الخارجي، لا تعتفني فإنّ الذي أحوجني إلى ما فعلت قتلكم أبي، وطعنكم إياي، وانتهابكم متاعي، وإنكم لما سرتم إلى صفين كان دينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم. ويحك أيها الخارجي!!! إني رأيت أهل الكوفة قوماً لا يوثق بهم، وما اعتزّ بهم إلا من ذلّ، وليس أحد منهم يوافق رأي الآخر، ولقد لقي أبي منهم أموراً صعبةً، وشدائد مرّةً، وهي أسرع البلاد خراباً، وأهلها هم الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً»^(٥).

٥- ويخاطب آخرين: «لست مذلاً للمؤمنين، ولكني معزّهم ما أردت بمصالحتي إلا أن أدفع عنكم القتل، عندما رأيت تباطؤ أصحابي ونكولهم عن القتال»^(٦).

(١) الاحتجاج ص ١٤٩.

(٢) تاريخ مدينة دمشق / ج ١٢ ص ٥٤٤.

(٣) المستدرک علی الصحیحین / ج ٣ ص ١٧٥.

(٤) تاريخ مدينة دمشق / ج ٢ ص ٢٢٥.

(٥) تذكرة الخواص ص ٢٠٧.

(٦) الأخبار الطوال ص ٢٢١.

٦- وعندما قال حجر بن عدي للحسن عليه السلام: «أما والله لو ددت أنك مت في ذلك اليوم ومنتنا معك، ولم نر هذا اليوم، فإننا رجعنا راغمين بما كرهنا، ورجعوا مسرورين بما أحبوا»، فلما خلا به الحسن عليه السلام، قال:

«يا حجر! قد سمعت كلامك في مجلس معاوية، وليس كل إنسان يحب ما تحب، ولا رأيه كرايك، وإني لم أفعل إلا إبقاء عليكم، والله تعالى كل يوم هو في شأن»^(١).

٧- ويرد على عدي بن حاتم: «يا عدي، أني رأيت هوى معظم الناس في الصلح، وكرهوا الحرب، فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون، فرأيت دفع هذه الحرب إلى يوم ما، فإن الله كل يوم هو في شأن»^(٢).

٨- ويرد على مالك بن زمرة، فيقول عليه السلام: «إني لما رأيت الناس تركوا ذلك إلا أهله، خشيت أن تحتثوا عن وجه الأرض، فأردت ان يكون للدين ناع»^(٣).

٩- ولامه آخرون، فقال عليه السلام لهم:

«ويحكم ماتدرون ما عملت؟ والله الذي عملت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت، ألا تعلمون: أني إمامكم، ومفترض الطاعة عليكم، وأحد سيدي شباب أهل الجنة، بنص من رسول الله صلى الله عليه وسلم علي؟ قالوا: بلى.

قال عليه السلام: أما علمتم أن الخضر عليه السلام لما خرق السفينة، وأقام الجدار، وقتل الغلام، كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران عليه السلام إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمةً وصواباً.

(١) المناقب (ش)/ ج ٤ ص ٣٥.

(٢) الأخبار الطوال ص ٢٢٠.

(٣) ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، ص ١٧٧، رقم ٢٠٣، ٣٠٢، ٣٩٩.

أما علمتم أنه ما منّا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه، إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم خلفه. فإن الله عز وجل يخفي ولادته، ويغيب شخصه، لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة، إذا خرج وذلك التاسع من ولد أخي الحسين، ابن سيدة النساء، يطيل الله عمره في غيبته، ثم يظهره بقدرته، في صورة شابّ دون الأربعين سنة، وذلك ليعلم أن الله على كل شيء قدير»^(١).

١٠- وردّ نفي الحضرمي عندما قال له: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة؟ فقال عليه السلام: «كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون من سالم، ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله، ثم أثيرها ثانياً من أهل الحجاز؟»^(٢).

١١- وخاطب جمعاً من شيعته، فقال عليه السلام: «لا تعذلوني فإن فيها مصلحة، ولقد رأى النبي صلى الله عليه وآله في منامه، أنه يحطب بنو أمية واحد بعد واحد فحزن، فاتاه جبرئيل بقوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ﴾^(٣) و﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٤)»^(٥).

أقول: الكوثر الذي أعطاه الله تعالى إياه صلى الله عليه وآله هو الذرية الطيبة الممتدة إلى يوم القيامة، و﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾^(٦): ألف شهر هو تسلط بني أمية على الملك، كما قيل.

١٢- ويحيب أبا سعيد العقيصا عندما سأله: لم هادنت معاوية، وقد علمت أن الحق لك دونه؟ وإن معاوية ضالّ باغٍ؟ فقال عليه السلام:

(١) فرائد السمطين - الحموي/ ج ٢ ص ١٢٤ باب ٢٧.

(٢) علل الشرائع/ ج ١ ص ٢١٩.

(٣) سورة الكوثر: الآية ١.

(٤) سورة القدر: الآية ١.

(٥) المناقب (ش)/ ج ٣ ص ١٩٧.

(٦) سورة القدر: الآية ٣.

«يا أبا سعيد! أأستحجة الله تعالى ذكره على خلقه، وإماماً عليهم بعد أبي؟ قلت: بلى. قال: أأستحجج الذي قال رسول الله ﷺ لي ولأخي: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»؟ قلت: بلى! قال: فأنا إذن إمام لو قمت، وأنا إمام لو قعدت.

يا أبا سعيد علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله ﷺ لبني ضمرة، وبني أشجع، ولأهل مكة، حين انصرف من الحديدية، أولئك كفار بالتنزيل، ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل...

هكذا أنا، سخطتم عليّ، بجهلكم بوجه الحكمة فيه، ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل»^(١).

١٣ - ويأتيه آخر، فيقول له الإمام ﷺ: «إنا أهل بيت إذا علمنا الحق تمسكنا به، وإني سمعتُ علياً عليه السلام يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تذهب الليالي والأيام حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرة، ضخم البلعوم، يأكل ولا يشبع، لا ينظر الله إليه، ولا يموت حتى لا يكون له في السماء عاذر، ولا في الأرض ناصر، وأنه لمعاوية، وإني عرفت أن الله بالغ أمره»^(٢).

١٤ - وعندما أراد المسيب بن نجبة الفزاري، وسليمان بن صرد الخزاعي الرجوع عن الصلح ونقضه، قال ﷺ: «يا مسيب! إن الغدر لا خير فيه، ولو أردتَ لما فعلتُ»^(٣).

القصور في فهم الوضع وإدراك الحكمة

إنّ لإنكار البعض من أصحاب الحسن عليه السلام لقضية الهدنة يرجع إلى قصورهم في

(١) علل الشرائع / ج ١ ص ٢١١، الباب ١٥٩، الرقم ٢.

(٢) شرح نهج البلاغة (م) / ج ٤ ص ١٦.

(٣) المناقب (ش) / ج ٤ ص ٣٥.

فهم خطورة الوضع من حيث سفك الدماء، وقطع الأرحام، وتقطيع السبل، وتعطيل الثغور، وإدامة الفتنة، وعدم إدراكهم لحكمة قرار الإمام المعصوم عليه السلام.

أولاً: نقرأ تحمس بعض الأصحاب، دون بعد نظر أو دراية بخطورة الوضع الاجتماعي أو السياسي، ولذلك كثر اللغظ بينهم، وهذا يذكرنا بموقف شريجة من أصحاب الإمام علي عليه السلام بعد التحكيم، حيث خرجوا على إمام زمانهم الواجب الطاعة، ولُقبوا حينئذٍ بالخوارج.

ثانياً: وصف الإمام الحسن عليه السلام نيات الناس، وبعد أن اختبرهم في الشدائد، بأنها غير منعقدة على الجهاد، وأن بصيرتهم الضعيفة لا ترى حقائق الدين رؤية واقعية، ولو كان هناك عدد من المؤمنين، لهم صفات حجر بن عدي وأصحابه في النية والبصيرة، لما ترك الإمام الحسن عليه السلام جهاد معاوية، وهذا يعني أن وجود المؤمنين من أهل النيات الصادقة والبصيرة، هو أحد شروط خروج الإمام عليه السلام في جهاد العصاة، وهذا أهم معنى نستفيد منه من الروايات الواردة في هذا الموضوع.

ثالثاً: كان الحسين عليه السلام مطيعاً لأخيه الإمام الحسن عليه السلام باعتباره إماماً واجب الطاعة، ولم نقرأ رواية عن اعتراض الحسين عليه السلام على رأي أخيه الإمام الحسن عليه السلام في الهدنة. وهذا يدل على طاعة أهل البيت عليهم السلام لإمام زمانهم وقت إمامته، طاعة مطلقة.

كراهية الصلح:

كان الإمام الحسن عليه السلام كارهاً للصلح مع معاوية، ولم يكن راضياً به، أي أنه كان مجبراً على قبوله؛ لأن ذلك كان الخيار الوحيد المتوفر للإمام عليه السلام، وكان الحسين عليه السلام كارهاً لقبوله أيضاً، ولكن المصلحة الشرعية هي التي جعلتها يقولان بالصلح. ولذلك كانا يوضحان للناس، وهذا الحسين عليه السلام يخاطبهم، ويقول:

«...﴿إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ كَانَ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ كَانَ مَفْعُولًا﴾. وذكر كراهيته لذلك الصلح، وقال: «لكنْتُ طَيِّبَ النَّفْسِ بِالْمَوْتِ دُونَهُ! ولكن أَخِي عَزَمَ عَلَيَّ وَنَاشَدَنِي فَأَطَعْتُهُ، وَكَأَنَّمَا يُحْزَنُ أَنْفِي بِالْمَوَاسِي وَيُشْرَحُ قَلْبِي بِالْمُدَى! وقد قال اللهُ ﷻ: ﴿...فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(١). وقال: ﴿...وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

فقال له جندب: والله ما بنا إلا أن تضاموا وتتقصوا، فأما نحن فإننا نعلم أن القوم سيطلبون مودتنا بكل ما قدروا عليه، ولكن حاشا لله أن نوازر الظالمين، ونظاهر المجرمين ونحن لكم شيعة ولهم عدو!

وقال سليمان بن صرد الخزاعي: إن هذا الكلام الذي كلمك به جندب هو الذي أردنا أن نكلمك به كلنا.

فقال ﷺ: «رَحِمَكُمُ اللَّهُ صَدَقْتُمْ وَبَرَرْتُمْ»...^(٣).

مبادئ الهدنة عند الإمام ﷺ وأسبابها

لاشك أن للهدنة مبادئ وأسباباً دينية وعقلية، ولعل أهم أسبابها: قلة الناصر. فالإمام الحسن ﷺ يصول في الحرب بيدٍ قادرة على الوصول إلى العدو، فإذا قُطعت تلك اليد بقلة الناصر، فبم يصول الإمام ﷺ ضد عدوه؟ وأول من عاين ذلك الإمام علي ﷺ، حيث يقول: «وطفقتُ أرتئي بين أن أصول بيد جذاء [مقطوعة] أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن، حتى يلقي

(١) سورة النساء: الآية ١٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

(٣) أنساب الأشراف / ج ٣ ص ١٤٨ حديث ١١.

ربه، فرأيتُ الصبر على هاتا أحجى، فصبرتُ وفي العين قذى، وفي الحلقِ شجاً، أرى تراثي نهياً...»^(١).

ومبادئ الهدنة عند الإمام الحسن رضي الله عنه، يمكن تلخيصها بالنقاط التالية:

١- حقن دماء المسلمين: لاسيما شيعة أهل البيت رضي الله عنهم، فقال رضي الله عنه: «... ولكني أشهد الله وإياكم أي لم أرد بما رأيتم، إلا حقن دمائكم...»^(٢). وكان رضي الله عنه يصرح بأنه كان يخاف أن يُجثت المسلمون عن وجه الأرض: «... فأردتُ أن يكون للدين ناع»^(٣). وقال رضي الله عنه: «... ما أردتُ بمصالحتي إلا أن أدفع عنكم القتل...»^(٤).

٢- إصلاح ذات البين: فقال رضي الله عنه: «... وإصلاح ذات بينكم»^(٥)، وقال رضي الله عنه: «... وكفَّ بعضكم عن بعض»^(٦)، وقال رضي الله عنه: «وإني لم أفعل [الصلح] إلا إبقاءً عليكم...»^(٧). بمعنى أن عدم وجود ما يكفي من الأنصار لمواجهة جيش الشام، كان دافعاً لإبرام الهدنة، فقلّة الناصر أو خذلانه يزعزع ميزان التوازن بين الحق والباطل، وإصلاح ذات البين يعني جمعهم على كلمة واحدة، وهي التسليم بالهدنة وعدم القتال.

٣- عدم وجود الأنصار: فقال رضي الله عنه: «والله أي ما سلّمتُ الأمر إلا لأني لم أجد أنصاراً...»^(٨). وقلّة الناصر تؤدي إلى ترجيح كفة الباطل عند الناس.

(١) شرح نهج البلاغة (م)/ ج ١ ص ٣١.

(٢) الإمامة والسياسة / ج ١ ص ١٨٦.

(٣) الإمامة والسياسة / ج ١ ص ١٨٦.

(٤) الأخبار الطوال ص ٢٢١.

(٥) تاريخ مدينة دمشق / ج ٢ ص ٢٢٥.

(٦) تاريخ مدينة دمشق / ج ٢ ص ٢٢٥.

(٧) المناقب (ش) / ج ٢ ص ١٦٩.

(٨) الاحتجاج ص ١٤٩.

٤- حرب المبادئ: إنَّ الحرب مع معاوية كانت حرب مبادئ، وطالما خانت النخبة، وغدر من بايع من الناس، تحولت الحرب من حرب مبادئ إلى حرب على السلطة، وهذا ما رفضه الإمام الحسن عليه السلام، ولذلك فقد قال: «لستُ بمذللِّ المؤمنين، ولكني كرهت ان أقتلكم على الملك»^(١).

وهدف الإمام عليه السلام كان إقامة حكم الله في الأرض، ولم يكن يوماً هدفه السلطة، فما قيمة الدنيا والملك عند الإمام عليه السلام؟ وهو القائل: «أنا ابن خير الآباء، وسيدة النساء، غذاننا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعلم الله تبارك وتعالى، فعلّمنا تأويل القرآن ومشكلات الأحكام، لنا العزة الغلباء، والكلمة العليا، والفخر والسناء»^(٢).

٥- عدم إجبار الناس على الحرب: وقد قال عليه السلام: «إني رأيت هوى معظم الناس في الصلح، وكرهوا الحرب فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون...»^(٣). فلا يمكن إجبار الناس على القتال، إذا كانوا زاهدين فيه.

٦- الحكمة الإلهية: إن في الصلح مع معاوية حكمة ربانية، ولكن تلك الحكمة كانت مخفية على الناس أو ملتبسة، لاسيما أن الإمام الحسن عليه السلام إمام مفترض الطاعة، وحجة الله في أرضه بنص من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال عليه السلام: «أما علمتم أن الخضر لما خرق السفينة وأقام الجدار، وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران عليه السلام، إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمةً وصواباً»^(٤).

٧- تطبيق سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن في الصلح تطبيقاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عندما صالح

(١) تاريخ مدينة دمشق / ج ١٢ ص ٥٤٤.

(٢) بحار الأنوار/ ج ٤٤ ص ٩٣-٩٥.

(٣) الأخبار الطوال ص ٢٢٠.

(٤) علل الشرائع / ج ١ ص ٢١١.

بني ضمرة، وبني أشجع، وأهل مكة حين انصرف من الحديبية، وكان هؤلاء كفاراً بالتنزيل، ومعاوية وأصحابه كفاراً بالتأويل.

٨- طاعة الإمام في كل الأحوال: إن مبايعة الناس للإمام عليه السلام يعني طاعتهم في السلم والحرب، فليس لهم مناقشته في حكمه، لاسيما وأن وجوه الحكمة قد تكون مخفية أو ملتبسة عليهم، بل حتى على خواصهم، وكان لسان حاله عليه السلام يقول: «...بايعتموني على أن تسالموا من سالمني، وتحاربوا من حاربني...»^(١).

قال السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ) مخاطباً ولده: «وليس بغريب من قوم أعابوا جدك الحسن عليه السلام على صلح معاوية، وهو كان بأمر جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد صالح جده الكفار، وكان عذره في ذلك أوضح الأعدار، فلما قام أخوه الحسين عليه السلام بنصرهم، وإجابة سؤالهم، وترك المصالحة ليزيد المارق، كانوا بين قاتل وخاذل، حتى ما عرفنا أنهم غضبوا في أيام يزيد لذلك القتل الشنيع، ولا خرجوا عليه، ولا عزلوه عن ولايته، وغضبوا لعبد الله بن الزبير، وساعدوه على ضلالتهم، وافتضحوا بهذه المناقضة الهائلة، وظهر سوء اختياراتهم النازلة، فهل يستبعد من هؤلاء ضلال عن الصراط المستقيم، وقد بلغوا إلى هذا الحال السقيم، العظيم الذميمة»^(٢).

لاشك أن أزلام معاوية، ومن أجل أن تكتمل الحرب النفسية التي بدؤها في مسكن والمدائن، أضافوا لها كلمات تحاول تسفيه الإمام عليه السلام، مثل: السلام عليك يا مدلل المؤمنين (نسبها إلى سليمان بن صرد، سيد أهل العراق)^(٣)، يا مسود وجوه المؤمنين

(١) ينابيع المودة/ ج ٢ ص ٤٢٦.

(٢) كشف المحجّة لثمره المهجّة - ابن طاووس ص ٤٦.

(٣) الإمامة والسياسة/ ج ١ ص ١٥١. سليمان بن صرد، لم يرد فيه تعريف أو توثيق في كتب الرجال.

(نسبها إلى يوسف بن مازن الراسبي)^(١)، يا مسخّم وجوه المؤمنين (نسبها إلى مالك بن زمرة)^(٢). كل تلك الروايات مخدوشة، ومن مصادر لا يوثق بها، بل معروفة بميوها الأموية، فمن يتجرأ على الإمام الحسن عليه السلام، وهو الذي أضفى الله عليه هيبة الملوك؟ ومن الذي يتلفظ بتلك الألفاظ في حضرته، وفي مثل مقامه عليه السلام؟

(١) المستدرک علی الصحیحین / ج ٣ ص ١٧٠. يوسف بن مازن الراسبي، مجهول لم يرد له ذكر في كتب الرجال.

(٢) ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ص ١٧٧ رقم ٣٠٢، ٢٠٣. رقم ٣٩٩. مالك بن زمرة، روى عن أمير المؤمنين عليه السلام، وروى عن أبي ذر رضي الله عنه. معجم رجال الحديث / ج ١٥ ص ١٧٤. ولم يرد فيه توثيق.

القسم الثالث:

الأجواء الموافقة على الهدنة

قال الحضرمي (ت ١٠٤٧هـ) وهو يشير إلى صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية: «وكان صلحه هذا - رضي الله تعالى عنه - من أعظم التدبير، ومن خفي اللطف الذي جرت به المقادير، فإنه - رضي الله تعالى عنه - حقن به دماء خلق كثير، وفاز فيه بأجر كبير»^(١).
وبالرغم من الأجواء المعارضة للهدنة، والتي أسهبت كتب الحديث والتاريخ في روايتها، إلا أن هناك من رأى أن الهدنة تصبُّ في صالح الإسلام وأهل البيت عليهم السلام.

ومن الأجواء الموافقة على الهدنة:

١- الحسن والحسين عليهما السلام: قال الإمام الحسن عليه السلام: «ما أردتُ بمصالحتي إلا أن أدفع عنكم القتل»^(٢)، «والله أني ما سلّمتُ الأمر، إلا لأنني لم أجد أنصاراً...»^(٣).

وقال الإمام الحسين عليه السلام: «...أخي عزم عليّ وناشدني فأطعته...»^(٤).

٢- المؤمنون المخلصون، العارفون معنى الولاية، وطاعة الإمام عليه السلام، كان موقف هؤلاء المؤمنين المواليين لأهل البيت عليهم السلام واضحاً، رغم تشويش معاوية وأزلامه،

(١) وسيلة المآل ص ٣٤٤.

(٢) الأخبار الطوال ص ٢٠٣.

(٣) الاحتجاج ص ١٤٩.

(٤) أنساب الأشراف / ج ٣ ص ١٤٨ حديث ٣.

وقد قالوا للحسن عليه السلام: «والله ما بنا إلا أن تضاموا وتنتقصوا، فأما نحن فإننا نعلم أن القوم سيطلبون مودتنا بكل ما قدروا عليه، ولكن حاشا لله أن نؤازر الظالمين، ونظاهر المجرمين، ونحن لكم شيعة وهم عدو»^(١).

٣- أهل الكوفة، وقد اعتبروها فرصة لهم للاستراحة من ويلات الحرب، وكانوا يتوقعون أن عطايا معاوية لهم، ستهمر عليهم انهمار المطر من السماء.

الحديث المزعوم بأن الحسن عليه السلام يصلح بين فئتين:

ورد في بعض الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله بأن الحسن عليه السلام يصلح الله على يديه بين فئتين عظيمتين من المسلمين، فقد رواها عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^(٢).

وقد ورد الحديث بأشكال مختلفة ولكن الفكرة واحدة، ومن راوٍ واحد هو أبو بكر الأموي، وكان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله خلا من المسلمين، فكان أبو بكر، الراوي الوحيد لذلك الحديث!! ومضمون الحديث هو: أن النبي صلى الله عليه وآله كان قد تنبأ بالصلح بين فئتين عظيمتين، ولاشك أن الحديث المزعوم يصبُّ لصالح معاوية، والتحقيق أن الحديث مخدوش، للأسباب التالية:

أولاً: لو كان هذا الحديث صحيحاً، لاحتج به الإمام الحسن عليه السلام على من لامه من أهل الكوفة، على إمضاء وثيقة الهدنة، وعندما احتج على الإمام عليه السلام بعد الهدنة، لم يذكر أحدهم هذا الحديث أبداً، ولا ذكره الإمام الحسن عليه السلام في الاحتجاج عليهم، والظاهر أن هذا الحديث وضع بعد الانتهاء من الهدنة، بفترة.

(١) أنساب الأشراف / ج ٣ ص ١٤٨ ح ١١.

(٢) البداية والنهاية / ج ٨ ص ٣٦. ومسنند أحمد / ج ٥ ص ٤٩.

ثانياً: إن فكرة الصلح بين فئتين عظيمتين على لسان النبي ﷺ تشعر بأنها كلاهما على حق. أي أن الخلاف سيكون في الفهم وليس خلافاً مبدئياً. وهذا غير صحيح؛ لأن الخلاف بين الإمام الحسن ﷺ ومعاوية كان خلافاً مبادئ حول قضية أساسية في الإسلام، وهي قضية الولاية والإمامة، وهذا ما لم تعالجه الهدنة، بل كانت الهدنة محاولة مؤقتة لوقف سفك الدماء، وكانت قضية اضطرارية لمعالجة خذلان الناس للإمام المعصوم ﷺ.

ثالثاً: روي الحديث بالشكل الذي سيأتي، والراوي هو أبو بكر الأموي، واسمه نفيح بن الحارث الثقفي، أو نفيح ابن مسروح، وهو أخو زياد بن أبيه لأمه^(١)، ذكر الذهبي (ت ٧٤٨هـ) في (سير الأعلام والنبلاء) بأن الخليفة الثاني جلده مع آخرين لشهادتهم على المغيرة بالزنا، ثم استتابهم، فلم يتب أبو بكر، بينما تاب الآخرون، وسيأتي الحديث عنه في الفصل الخامس (نهادج من الضعفاء والمدلسين) بإذنه تعالى. وانفراده^(٢) بالرواية عن رسول الله ﷺ بضعفها، لاسيما مع القرائن التي ذكرناها سابقاً.

رواية الصلح بين الفئتين:

١- روى البخاري، بإسناده عن الحسن، سمع أبا بكر يقول: «سمعتُ النبي ﷺ على المنبر، والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة، وإليه مرة، ويقول: ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»^(٣).

(١) التعديل والتجريح - عبد الرحمن الرازي / ج ٢ ص ٨٥٩.

(٢) رويت عن ابن عباس وجابر، إلا أن الأصل الذي استندوا عليه في الرواية هو أبو بكر.

(٣) صحيح البخاري / ج ٥ ص ٣٢ باب مناقب الحسن والحسين. رواه الحميدي في (مسنده) / ج ٢ ص ٧٩٣. سنن البيهقي / ج ٦ ص ١٦٥. ذخائر العقبى ص ١٢٥. مفتاح النجا - البدخشي ص ١٧٥.

٢- روى أحمد، بإسناده عن أبي بكرة، قال: «بينما رسول الله ﷺ ذات يوم يخطب، إذ جاء الحسن بن علي، فصعد إليه المنبر، فضمه النبي ﷺ، ومسح على رأسه، وقال: ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح على يديه بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^(١).

٣- وروى بإسناده عن أبي بكرة، قال: «كان النبي ﷺ يحدثنا يوماً والحسن بن علي في حجره، فيقبل على أصحابه فيحدثهم، ثم يقبل على الحسن فيقبله، ثم قال: إن ابني هذا لسيد، إن يعش يصلح بين طائفتين من المسلمين»^(٢).

٤- روى أبو داود، بإسناده عن أبي بكرة، قال: «قال رسول الله ﷺ للحسن بن علي: إن ابني هذا سيد، وأني أرجو أن يصلح به بين فئتين من أمتي». وقال في حديث حماد: «ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين»^(٣).

٥- روى الترمذي، بإسناده عن الحسن بن علي بكرة، قال: «صعد رسول الله ﷺ المنبر، فقال: إن ابني هذا سيد، يصلح الله على يديه بين فئتين، هذا حديث حسن صحيح، قال: يعني الحسن بن علي»^(٤).

٦- روى أحمد بإسناده عن أبي بكرة، قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي بالناس، وكان الحسن بن علي يثب على ظهره إذا سجد، ففعل ذلك غير مرة، فقالوا له: والله إنك لتفعل بهذا شيئاً ما رأيناك تفعله بأحد، قال المبارك: فذكر شيئاً، ثم قال: إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله تبارك وتعالى به بين فئتين من المسلمين، فقال الحسن: فوالله بعد أن ولي لم

(١) مسند أحمد / ج ٥ ص ٤٩. المستدرک علی الصحیحین / ج ٣ ص ١٧٤ مع فرق يسير.

(٢) مسند أحمد / ج ٥ ص ٤٧.

(٣) سنن أبي داود / ج ٤ ص ٢٩٩ رقم ٤٦٦٢ باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة. المستدرک علی الصحیحین / ج ٣ ص ١٧٤.

(٤) سنن الترمذي / ج ٥ ص ٣٢٣ رقم ٣٨٦٢ أبواب المناقب. أسد الغابة / ج ٢ ص ١٢ بفارق.

يهرق في خلافته ملء محجمة من دم»^(١)، وسوف ندرس المزاعم بلعب الحسينين عليهما السلام مع رسول الله ﷺ في الفصل الخامس بإذنه تعالى.

٧- وروى بإسناده، عن أبي بكرة: «أن رسول الله ﷺ كان يصلي، فإذا سجد وثب الحسن على ظهره، وعلى عنقه، فيرفعه رسول الله ﷺ رفعا رفيقا لئلا يصرع، قال: فعل ذلك غير مرة، فلما قضى صلاته، قالوا: يا رسول الله رأيناك صنعت بالحسن شيئا ما رأيناك صنعته، قال: إنه ريجانتي من الدنيا، وإن ابني هذا سيد وعسى الله تبارك وتعالى أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»^(٢).

٨- وروى بإسناده، عن أبي بكرة: «رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وحسن معه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه مرة، ويقول: إن ابني هذا سيد، ولعل الله تبارك وتعالى أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»^(٣).

٩- روى ابن عساكر، بإسناده عن الحسن، عن أبي بكرة، قال: «كان النبي ﷺ يصلي الضحى، فجاء الحسن وهو غلام، فلما سجد النبي ركب على ظهره، كأني أنظر إلى رجله يقبلها على ظهر رسول الله ﷺ، فلما رفع رأسه من السجود أخذه أخذا رفيقا حتى وضعه بالأرض، فلما فرغ من صلاته أقبل عليه بوجهه يقبله، فقال له رجل: أتفعل هذا بهذا الغلام؟ فقال النبي ﷺ: إن ابني هذا ريجانتي من الدنيا وأنه سيد وعسى أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»^(٤).

قال الأربلي (ت ٦٩٣هـ) بخصوص هذا الحديث: «... فمنها ما اتفقت الصحاح

(١) مسند أحمد / ج ٥ ص ٤٤.

(٢) مسند أحمد / ج ٥ ص ٥١. مجمع الزوائد ص ١٧٥ مع فرق يسير. ذخائر العقبى ص ١٢٥.

(٣) مسند أحمد / ج ٥ ص ٣٧.

(٤) ترجمة الإمام الحسن بن علي ﷺ ص ١٣٤ رقم ٢٢٣.

على إيراده، وتطابقت على صحة إسناده، وروى مرفوعاً إلى أبي بكره نفع بن الحارث الثقفي، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله والحسن بن علي عليه السلام إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة، وعليه مرة، ويقول: إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به فتيتين من المسلمين عظيمتين»^(١).

وأنت تلحظ الضعف في السند، حيث يقول: اتفقت الصحاح على إيراده، وتطابقت على صحة إسناده، ثم يقول (مناقضاً): وروى مرفوعاً إلى أبي بكره، والمعروف أن الإسناد يسقط بالرفع.

ثم أخذ من جاء بعدهم بالحديث أخذ المسلمات، وأدعوا أنه من الآثار الصحاح عن النبي صلى الله عليه وآله، كابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) في (العقد الفريد) ج ٢ ص ٦٧، وابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) في كتاب (الاستيعاب) ج ١ ص ٣٨٤، وابن عساكر (ت ٥٧١هـ) في ترجمة الإمام الحسن) ص ١٢٣.

وانفرد الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) فرواه عن ابن عباس (أعلام الوري) ص ٢١٠. ولو كان هذا الحديث صحيحاً، لكان الإمام الحسن عليه السلام أول من احتج به عندما لامه البعض على قضية الهدنة، ولقال أن رسول الله صلى الله عليه وآله أول من تنبأ لي بأن أصلح بين فتيتين عظيمتين من المسلمين، ولكن لم يحصل من ذلك قط.

رابعاً: إن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا...﴾^(٢)، خارج عن موضوع البحث، وقد نزلت عندما وقع ضرب بالأيدي، وجريد النخل، بين رهط من الأوس ورهط من الخزرج.

(١) كشف الغمة / ج ١ ص ٥١٩.

(٢) سورة الحجرات: الآية ٩.

وقد قاتل الإمام علي عليه السلام طلحة والزبير في معركة الجمل، وقاتل معاوية في صفين، والخوارج في النهروان، ولم يتأول أحد هذه الآيات؛ لأن الخروج على الإمام الواجب الطاعة إنما هو خروج عن الإسلام، فتنتهي هنا الأخوة التي قال الله تعالى فيها: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١).

(١) سورة الحجرات: الآية ١٠.

الاستنتاج

كانت نتائج معاهدة الهدنة، هو تسليم شؤون الدولة إلى معاوية بن أبي سفيان، وكانت هيكلية الدولة تشمل بيت المال، والجيش، والولاية، فالدولة تنظم توزيع الحقوق، وتفرض الضرائب، وتدير الجيش، وتدير القضاء، وتبسط الأمان، وكانت المعاهدة الحل الأخير لمشكلة مجتمع الكوفة، وما فيه من اضطرابات، وتناقضات، واختلاف في الرؤى، والأهواء؛ لأن الإمام عليه السلام لا يستطيع أن يحكم مجتمعاً بأفراده، أبدانهم معه عليه السلام، وقلوبهم مع عدوه.

وتسليم الدولة وإدارتها بتلك الطريقة له أسبابه ونتائجُه. فمن أسبابه: قلة الناصر والمعين من طرف الإمام الحسن عليه السلام، وخيانة قادة الجيش وأشراف الكوفة، وأساليب الغدر والمكر التي استخدمها معاوية وتأبى أخلاق الإمام استخدامها.

نعم، نجح معاوية في شراء الضمائر الضعيفة في الكوفة، وبها بثه من أراجيف، وإشاعات، واكاذيب. وكان سلاح الكذب والخديعة من أفتك الأسلحة النفسية لمعاوية ضد أعدائه.

ولكن أهم نتائج معاهدة الهدنة، أنها كشفت زيف معاوية، وابتعاد بني أمية عن الإسلام، وهذا يخبرنا بشيئين:

الأول: صدق تنبؤ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمير المؤمنين عليه السلام، بتسلق بني أمية إلى الحكم والخلافة.

الثاني: إن الإرادة الإلهية أرادت كشف زيف بني أمية للناس جميعاً، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأهل بيته عليهم السلام كانوا يعلمون بفساد بني أمية، بل صرحوا بذلك للداني والقاصي، إلا أن الناس لم تكن لتدرك ذلك إلا بالعين المجردة، وهي وإن أدركت ذلك من البداية، إلا أنها غضت البصر عن فسادهم لأسباب مالية أو دنيوية بحته.

ولاشك أن وضع الإنسان على خشبة المسرح تحت الأضواء، تكشف عيوبه، وتظهر مفاصله، والمعاهدة وضعت معاوية، وبني أمية على خشبة المسرح تحت الأضواء، فكشفت نواقصهم، وتناقضاتهم، فقاموا بالأمور التالية:

١- جعلوا نظام الحكم في الإسلام نظاماً ملكياً وراثياً، أبعد ما يكون عن تعاليم الإسلام. والإسلام صمم نظام الحكم على أساس إمامة المعصوم عليه السلام العالم بأحكام الشريعة، والمبتعد دائماً عن المعصية بجميع صنوفها وأطرافها.

٢- أصبح خلفاء بني أمية، من أفسد الناس، بينما كان من مبادئ الإسلام أن يكون الخليفة الشرعي أظهر الناس، وأفضلهم على الإطلاق في العلم، والمعرفة، والعبادة، والقُدوة في الدين والدنيا.

٣- وضعوا نظاماً للقتل، والتجوير، والاضطهاد السياسي، بحيث أصبحت تلك الممارسات سمة من سمات نظام الحكم، بينما أراد الإسلام من الإدارة الاجتماعية الدينية نشر العدالة، والأخلاق، والأمان بين الناس.

ولو أردنا تلخيص الهدنة بجملة، وفكرة واحدة، لكانت: إن الإمام الحسن عليه السلام أدار الصراع مع معاوية إدارة محكمة، لم يجد فيها عن الدين قيد أنملة، بل بينت تلك المعاهدة عصمة الإمام عليه السلام ونظرته البعيدة الحكيمة للأمور، في وقت غابت عن الكثيرين تلك الحكمة، وذلك الإدراك الكامل لقضية الدين والحياة.

الفصل الخامس

المعالم الاجتماعية

- الوضع الاجتماعي بعد وفاة رسول الله ﷺ.
- حاشية السلطان.
- آثار الصراع بين الإسلام وبين من انتحل اسمه:
 - أ- الأكاذيب المفتعلة ضد الإمام الحسن عليه السلام.
 - ب- الأكاذيب المفتعلة لرفع شأن معاوية.

الوضع الاجتماعي بعد وفاة رسول الله ﷺ

وقعت خلال النصف الأول من القرن الأول الهجري خمسة معالم تاريخية جسيمة غيّرت صورة الصراع بين الحق والباطل تغييراً رئيسياً، وهي:

الأول: وفاة النبي ﷺ واجتماع السقيفة (سنة ١١ هـ): فقد أثرت قضية الحكم، بعد وفاة النبي ﷺ، في سقيفة بني ساعدة، مع العلم بأن النبي ﷺ قد أوصى قبل وفاته إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في غدير خم، ولكن الطموح نحو السلطة كان قد حمل جميع من اجتمع في سقيفة بني ساعدة، إلى تناسي وصية رسول الله ﷺ تلك، وكان لسان قريش يعلن عن روح قبلية جديدة: «من ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته؟!». وكأن الروح القبلية القديمة قد عادت من جديد، وقد فتحت تلك الروح القبلية باب الفتنة بين المسلمين.

الثاني: مبدأ الخليفة الثاني في العطاء (سنة ٢٠ هـ): اتخذ رسول الله ﷺ مبدأ المساواة في العطاء بين جميع المسلمين مهاجرين وأنصار، وعرب وعجم، وقد سار على ذلك الخليفة الأول، إلا أن الخليفة الثاني «فضّل السابقين على غيرهم، وفضّل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين، وفضّل المهاجرين كافة على الأنصار كافة، وفضّل العرب على العجم، وفضّل الصريح على المولى»^(١)، وفضّل مضر على ربيعة، ففرض لمضر ثلاثمائة ولربيعه مائتين^(٢)،

(١) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٨ ص ١١١.

(٢) تاريخ يعقوبي / ج ٢ ص ١٠٦.

وفضّل الأوس على الخزرج^(١)، وكان مبدأ التفضيل إمتيازاً لقريش على سائر المسلمين، فهم عرب وقرشيون ومضربون ومهاجرون، وكفى به مبرراً للحكم والخلافة.

وقد أحسّ الخليفة الثاني خطأ ذلك المبدأ في العطاء، فأعلن عزمه على الرجوع إلى السنّة النبوية في العطاء، فقال: «إني كنت تألفت الناس بما صنعت في تفضيل بعض على بعض، وإن عشت هذه السنة ساويت بين الناس فلم أفضل أحمر على أسود، ولا عربياً على أعجمي، وصنعت كما صنع رسول الله وأبو بكر»^(٢)، ولكن القدر كان أسرع من نية الخليفة الثاني، فقتل قبل أن يرجع عن هذا المبدأ، فجاء الخليفة الثالث وسار عليه.

الثالث: قضية الشورى (سنة ٢٣هـ): وجعل الخليفة الثاني قبل مقتله الشورى في ستة نفر من قريش، كلهم مرشح للخلافة، وكانت رغبة قريش أن يتولى عثمان الخلافة لأنه كان عازماً على حفظ مصالحها، بينما كان المستضعفون المؤمنون يريدون علياً رضي الله عنه. وكانت قريش تحشى علياً رضي الله عنه واستقامته وعدله، وكان المسلمون يخشون بطش بني أمية وسلطانهم، فهذا عبد الله بن سعد بن أبي سرح الأموي يقول: «أيها الملاء إن أردتم ألا تختلف قريش فيما بينها فبايعوا عثمان»^(٣)، بينما كان عمار بن ياسر يقول: «إن أردتم ألا يختلف المسلمون فيما بينهم فبايعوا علياً»^(٤)، ورجح عبد الرحمن بن عوف، وهو من الشورى الستة، كفة عثمان على علي رضي الله عنه.

فدخل بنو أمية السلطة من أوسع أبوابها، فولى عثمان على البصرة ابن خاله (عبد الله بن عامر بن كريز)، وولى على الكوفة أخاه (الوليد بن عقبة بن أبي معيط) ثم عزله

(١) فتوح البلدان ص ٤٣٧.

(٢) تاريخ يعقوبي / ج ٢ ص ١٠٧.

(٣) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٩ ص ٥٢.

(٤) تاريخ الطبري / ج ٤ ص ٢٣٢.

لثبوت شرب الخمر عليه، وولى مكانه (سعيد بن العاص)، وثبت ولاية (معاوية بن أبي سفيان) على دمشق وضم إليها ولاية حمص وفلسطين، وولى مصر أخاه من الرضاعة (عبد الله بن سعد بن أبي سرح)، وكان هؤلاء الولاة جميعاً من قرابة عثمان، وكانت تلك الأمصار أعظم مراكز الثروة المالية والزراعية والتجارية في دولة الإسلام.

وبتلك الامتيازات العظيمة تسلطت بنو أمية على المسلمين، ووصل تحديها للمبادئ التي جاء بها الإسلام حداً لا يقبله مسلم، فهذا سعيد بن العاص يقول: «انما السواد - يعني العراق - بستان لقريش ما شئنا أخذنا منه وما شئنا تركناه»^(١)، وعندما اعترض المسلمون على ذلك، نفاهم إلى الشام، وعندما عارض عبد الله بن مسعود (خازن بيت المال) سياسة عثمان في المال، اعترضه عثمان بالقول: «إنما أنت خازن لنا»^(٢)، ولم يكن ولاة عثمان من ذوي السابقة في الدين، بل كانوا متهمين في دينهم، ومنهم من نزل فيه قرآن يدينه كعبد الله بن أبي سرح، والوليد بن عقبة.

الرابع: ولاية الإمام علي بن أبي طالب (٣٦ - ٤٠هـ): وعندما تسنى للإمام علي (عليه السلام) ولاية الأمر، قام بإصلاحات جذرية في الإدارة والحقوق والأموال.

فعلى سعيد السياسة الإدارية عزل جميع ولاة عثمان على الأمصار، وولى رجالاً من أهل الدين والصلاح، فكان على البصرة (عثمان بن حنيف)، وعلى الشام (سهل بن حنيف)، وعلى مصر (قيس بن سعد بن عبادة). وثبت من كان ظاهرهم الصلاح ك(أبي موسى الأشعري) على الكوفة، وكان جميع هؤلاء الولاة من غير قريش. فطعن في هذه الحركة قريشاً في قلبها، وأوجع قلوب بني أمية بالخصوص، فقال (عليه السلام) في شأن ولاة عثمان: «...ولكني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها، فيتخذوا

(١) تاريخ الطبري / ج ٣ ص ٣٦٥.

(٢) أمالي الشيخ المفيد ص ٧٠.

مال الله دولاً، وعباده خولاً، والصالحين حرباً، والفاستين حزباً، فإنّ منهم الذي قد شرب فيكم الحرام، وجلد حدّاً في الإسلام، وإنّ منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الإسلام الرضائع...»^(١).

وعلى صعيد السياسة الحقوقية، فقد رجع الإمام عليه السلام إلى السياسة النبوية في المساواة في العطاء، وكان شعاره عليه السلام: «الدليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه»^(٢).

وعلى صعيد السياسة المالية، فقد حاول الإمام عليه السلام مصادرة جميع ما وهبه عثمان من الأموال وما أقطعه من القطائع؛ لأنها من بيت مال المسلمين، وليس لأحد فيها فضل على غيره منهم. وقد بلغت ثروات البعض حدوداً خيالية، فثروة الزبير كانت «خمسین ألف دينار وألف فرس، وألف عبد، وضياعاً، وخططاً في البصرة، والكوفة، ومصر، والاسكندرية، وثروة طلحة بن عبيد الله من العراق كل يوم ألف دينار. وكان على مربط عبد الرحمن بن عوف مائة فرس، وله ألف بعير، وعشرة آلاف شاة. وحين مات زيد بن ثابت خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس، غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار، أما عثمان فكان له يوم قتل، عند خازنه مائة وخمسون الف دينار ومليون درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار، وخلف خيلاً كثيراً وإبلاً»^(٣).

ومع وجود هذه الثروة العظيمة عند القلّة، كان الفقر يضرب أطنابه في الجزيرة لاسيما في الطبقة الدنيا من الناس، من الجنود والعمال والمحرومين من أيتام وقاصرين وعجزة وأرامل.

(١) بحار الأنوار/ ج ٣٣ ص ٥٩٧.

(٢) شرح نهج البلاغة (م)/ ج ١ ص ٨٩.

(٣) مروج الذهب/ ج ٢ ص ٣٤١.

الخامس: ولاية معاوية (٤٠-٦٠هـ): رفض معاوية قرار الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام، وهو الخليفة المفترض الطاعة، الانصياع بأمر عزله من ولاية الشام، وبقي معاوية شاقاً عصاً الطاعة مستقلاً في الشام عن الدولة الإسلامية الكبرى، بل قاد حرباً ضروساً ضد الإمام عليه السلام في صفين، ومن قبلها حرّك بعض فلول قريش التي أضرتّها عدالة الإمام عليه السلام واستقامته، من أجل محاربة النظام الجديد، فكانت حرب الجمل.

الإسلام، والسلطة، وبنو أمية:

وقف بنو أمية، في مكة ومن ثم في المدينة، موقفاً عدائياً شديداً من رسالة النبي عليه السلام، فلم يؤمنوا بها، بل استهزؤوا بمصدرها السماوي، وحاربوها بمختلف الوسائل المتاحة لهم من سيف وكلمة وسلوك.

فكان أبو سفيان معتصماً باللات والعزى ومناة وأساف ونائلة وهبل، فكتب له رسول الله عليه السلام: «قد أتاني كتابك، وقديماً غرّك يا أحمق بني غالب وسفيهم بالله الغرور، وسيحول الله بينك وبين ما تريد، ويجعل لنا العاقبة، ليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات، والعزى، وأساف، ونائلة، وهبل يا سفيه بني غالب»^(١).

وهند بنت عتبة، أم معاوية بن أبي سفيان، التي شهدت غزوة أحد وهي كافرة، وخطت لقتل حمزة عم النبي عليه السلام فكان لها ما أرادت، فمثّلت به عندما تسنى لها ذلك^(٢).

ومن كان له والد يغذيه كأبي سفيان والدة ترضعه كهند بنت عتبة، فلا بد من أن ينشأ مجبولاً على المكر والخداع، فأبوه خطط لقتل النبي عليه السلام في مكة ووأد الإسلام، وأمه خطت لقتل حمزة عم النبي عليه السلام.

(١) النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم - المقرئ ص ٥٢.

(٢) الكامل في التاريخ / ج ٢ ص ٢٥١.

ومن أرحامه الوليد بن عقبة الذي نزلت فيه آية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(١)، كان قد بعثه رسول الله ﷺ في صدقات بني المصطلق، ولما علموا بذلك خرجوا لاستقباله، فظنَّ أنهم أرادوا قتله، فرجع إلى رسول الله ﷺ وأدعى زوراً أنهم ارتدوا ومنعوا الصدقات، ولكن النبي ﷺ بعث إليهم من تعرّف على أخبارهم وأحوالهم، فوجدهم على خلاف ما ذكره الوليد بن عقبة، فنزلت الآية الشريفة^(٢).

ومروان بن الحكم المعروف بطريد رسول الله ﷺ ولعينه، الذي قال فيه علي بن أبي طالب عليه السلام: «لا حاجة لي في بيعته، إنها كفَّ يهودية»^(٣)، والذي وصفه أسامة بن زيد بأنه كان فاحشاً متفحشاً^(٤)؛ أعطاه عثمان بن عفان في خلافته خمس غنائم أفريقية، ووهبه معاوية بن أبي سفيان فداكاً، ثم ولّاه البحرين ثم ولّاه المدينة.

ولا عجب أن عصبه بتلك الخصائص، كان قد أضفى عليها القرآن الكريم صفة الشجرة الملعونة، إذ قال تعالى: ﴿وَإِذ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾^(٥)، وقد تواترت الروايات عن النبي ﷺ بأن تلك الشجرة الملعونة في القرآن هم بنو أمية، رآهم رسول الله ﷺ في منامه على هيئة القروذ المتسلقة على منبره ﷺ^(٦). فالشجرة الملعونة في القرآن هي شجرة النسب المبتدأة بأبي سفيان والممتدة إلى آخر من

(١) سورة الحجرات: الآية ٦.

(٢) أسد الغابة / ج ٥ ص ٤٢٠.

(٣) شرح نهج البلاغة (م) / ج ١ ص ١٢٣.

(٤) الغدير - الأميني / ج ٨ ص ٢٦٤.

(٥) سورة الإسراء: الآية ٦٠.

(٦) الرواية في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي / ج ١٠ ص ١٨٣.

حكّم منهم باسم الإسلام، والإسلام منهم براء، براءة الذئب من دم يوسف.
وقد لُعنوا في القرآن لأنهم عطّلوا الحدود، وسبّوا الأولياء، وقتلوا الأتقياء، وألحقوا
أهل السفاح بأنفسهم. ولنصرّب نماذج لذلك.

(١) تعطيل الحدود: يذكر الماوردي: «أن معاوية أُتي بلصوص فقطع أيديهم، إلا
واحداً منهم استرقه بشعرٍ قاله:

يميني أمير المؤمنين أعيدها بعفوك أن تلقى نكالاً يُبينها
يدي كانت الحسناء لو تمّ سترها ولا تقدّم الحسناء عيباً يشينها
فلا خير في الدنيا وكانت خبيثَةً إذا ما شمأل فارقتها يمينها
فقال معاوية: كيف أصنع وقد قطعْتُ أصحابك؟

فقال أمّ السارق: يا أمير المؤمنين اجعلها من جملة ذنوبك التي تتوب إلى الله منها،
فخلي سبيله ولم يقطعه!

قال الماوردي: فكان أول حدّ ترك في الإسلام»^(١).

(٢) سب الأولياء: ان فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقربه من رسول
الله ﷺ لا ينكرها مسلم، ولكنّ بني أمية سبّوا الهداة الأتقياء من أهل البيت عليهم السلام،
من على المنابر، وكان معاوية يصبُّ اللعن على علي بن أبي طالب عليه السلام في آخر خطبة
الجمعة^(٢)، وكان يوصي عماله بوصيته المشهورة: «...لا تتركوا شتم عليّ وذمه»^(٣).
وبقي الإمام التقي علي بن أبي طالب عليه السلام يُشتم من على المآذن والمنابر مدة قرن كامل من

(١) الأحكام السلطانية - الماوردي / ج ٢ ص ٢٢٨.

(٢) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٤ ص ٢٧٨.

(٣) الكامل في التاريخ / ج ٣ ص ٤٧٢.

الزمان تقريباً، وهو كل أيام حكم بني أمية.

(٣) **قتل الأتقياء:** أمر معاوية بقتل الصحابي الجليل حجر بن عدي مع أصحابه المؤمنين، وقد قرأنا في هذا البحث مقتل ذلك الصحابي الجليل وأصحابه على يد أولئك الطغاة، وكفى بها جريمة نكراء لطخت صحائف تاريخهم بدماء المظلومين، الصادقين في دينهم.

(٤) **الإلحاق بالنسب عن طريق السفاح:** ولما كان زياد بن أبيه «المولود على فراش عبيد الرومي عن طريق زنا» من أولئك الذين وطّدوا لحكم معاوية، فقد أمر الأخير بإلحاقه بأبي سفيان خلافاً لسنة النبي صلى الله عليه وآله: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر»^(١).

مبادئ سياسة معاوية

وكانت سياسة معاوية في الحكم مبنية على ثلاثة مبادئ:

الأول: الترغيب والترهيب السياسي: فقد كانت تلك السياسة من الأدوات الفعالة التي ثبتت الحكم لبني أمية، وهذا معاوية في وصيته لابنه يزيد قبل موته يكتب: «... واعلم يا بني أني قد وطأت لك البلاد وذللت لك العباد...»^(٢)، وهو نفسه الذي دعا (سفيان بن عوف الغامدي)، أحد قواده، وأمره بالإغارة على أهل العراق، وقال له: «...إن هذه الغارات يا سفيان على أهل العراق ترعبُ قلوبهم، وتفرح كل من له هوى فينا منهم، وتدعو إلينا كل من خاف الدوائر، فاقتل كل من لقيته ممن هو ليس على مثل رأيك، وأخرب كل ما مررت به من القرى، وأحرب الأموال فان حرب الأموال شبيهة

(١) الكامل في التاريخ / ج ٢ ص ٤٤٣.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام - أبو مخنف ص ١٣.

بالقتل وهو أوجع للقلب»^(١)، ودعا معاوية (الضحاك بن قيس الفهري) فنهب الأموال وقتل الناس، ودعا (بسر بن أرطأة) مع أوامر محددة واضحة: «أرهب الناس عنك فيما بين المدينة ومكة، وأجعلهم شردات...»^(٢)، «...وأدعهم إلى البيعة لي، فمن أبى فاقتله، واقتل شيعة عليٍّ حيث كانوا»^(٣).

وبهذا الأسلوب كان الرجل يفضّل أن يقال له زنديق، أو كافر، ولا يقال عنه أنه من شيعة عليٍّ، واختفى اسم عليٍّ من الساحة الاجتماعية العامة تماماً، بينما كان اسمه يتردد مع اسم النبي ﷺ في كل معارك الإسلام الكبرى، وكانت العلامة باسمه بين المشايخ زمن معاوية أن يقولوا: «قال الشيخ»^(٤).

الثاني: محاربة أتباع أهل البيت ﷺ: كتب معاوية إلى جميع عماله في الأمصار بعد عام الجماعة: «أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً، ويرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته»^(٥)، ثم كتب معاوية إلى عماله: «ألا يجيزوا لأحدٍ من شيعة علي وأهل بيته الشهادة»^(٦).

وأقام السفاح سمرة بن جندب في البصرة «فقتل ثمانية آلاف من الناس، وأقام في المدينة شهراً فهدم دور أهلها، وقتل الكثير منهم، وسبى نساء همدان - وسكان همدان من شيعة عليٍّ في اليمن - وأقمن في الأسواق، فكن أول مسلمات اشترين في

(١) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٢ ص ٨٥.

(٢) الغارات / ج ٢ ص ٦٠٠.

(٣) الغارات / ج ٢ ص ٥٩٨.

(٤) مناقب أبي حنيفة - موفق بن أحمد المكي / ج ١ ص ١١٧.

(٥) (كتاب) سليم بن قيس ص ٣١٤.

(٦) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ١١ ص ٤٤.

الإسلام»^(١)، وكل ما فعله من جرائم كان إسناداً لحكم معاوية، وكان يردد: «لعن الله معاوية، والله لو أطعت الله كما أطعت معاوية ما عذبني أبداً»^(٢).

الثالث: قطع العطاء عمن لا يرون فيه الموالاة لحكمهم: فقد كتب معاوية لعماله: «...انظروا إلى من قامت عليه البينة أنه يجبُ علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان، واسقطوا عطاءه ورزقه»^(٣)، وكان فقارى الأنصار يمكنون بلا عطاء، ولا ذنب لهم إلا نصره علي عليه السلام وأهل بيت النبوة عليهم السلام، وكان من أساليب معاوية التي اتبعها مع الحسين عليه السلام لاحقاً لحملة على بيعة يزيد، هو حرمان جميع بني هاشم من عطائهم حتى يبايع الحسين عليه السلام^(٤).

وأوضح معاوية نظره السياسية حول الحكم والسلطة وبيت مال المسلمين بجملة مقتضبة: «الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما آخذ من مال الله فهو لي، وما تركته كان جائزاً لي»^(٥).

(١) الاستيعاب / ج ١ ص ١٦٥.

(٢) الكامل في التاريخ / ج ٣ ص ٢١٢.

(٣) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ١١ ص ٤٤.

(٤) الكامل في التاريخ / ج ٣ ص ٢٥٢.

(٥) النصائح الكافية ص ١٣١.

حاشية السلطان!

وبعد أن استتب الأمر لمعاوية عقيب الهدنة، بدأ بنو أمية سياسة قوية لتجريد أهل البيت عليهم السلام من مزاياهم الدينية التي مُنحت لهم من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله. واستخدم بذلك حاشيته المعروفة ببغضها لأهل البيت عليهم السلام:

وكان لمعاوية بن أبي سفيان حاشية مكونة من عمرو بن عثمان، وعمرو بن العاص، والوليد بن عتبة، وعتبة بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم، وزباد بن سمية. وكانت تلك العصاة تتلذذ بالنيل من أهل البيت عليهم السلام، والقذح في فضائلهم، لاسيما علي بن أبي طالب عليه السلام، وابنه الحسن عليه السلام.

هاجم الإمام الحسن عليه السلام تلك الحاشية التي كانت تعد من أسوأ ما شهد التاريخ الإسلامي من حواشي السلاطين، وكشف تاريخها، وفضحها.

وأراد عليه السلام من كشف هؤلاء وفضحهم تبيان مسألة مهمة، وهي أنّ هؤلاء كانوا أبعد الناس عن الدين، ولم يكن لهم نسب ولا حسب، ولا سلوك نظيف يفتخرون به، بل كان همهم المراوغة والإرهاب والتحايل باسم الدين للوصول إلى أهدافهم.

وكان من جهل تلك العصاة أنها كانت تحاول الحطّ من قدر الامام الحسن عليه السلام، وهو حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو سيد من مضي ومن بقي، وأمه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، ولكن الحسن عليه السلام كان يطحن عتبة، والوليد، وعمرو، والمغيرة، وزباداً، ومروان، واشباههم طحن الرحي بثقالها، ويطئهم وطء البازل القراد بمنسمه.

والمشهور عن الإمام عليه السلام أنه كان فصيحاً جريئاً، وها هو نراه يدين معاوية على أفعاله، ويقول له:

«...إنَّ أباك أبا سفيان كان يهّم أن يسلم، فبعثت إليه بشعرٍ معروفٍ مرويّ في قريش وغيرهم، تنهاه عن الإسلام، وتصدّه، أو تنسى يا معاوية قولك لأبيك:

يا صخر لا تسلمن يوماً ففضحنا بعد الذين بديرٍ أصبحوا مزقا
خالي وعمّي وعم الأم ثالثهم وحنظل الخير قد اهدى لنا الأرقا
لا تركزننّ إلى أمرٍ تكلفنا والراقصات به في مكة الخرقا
فالموت أهون من قول العداة لقد حاد ابن حربٍ عن العزى إذا فرقا
ومن سبىء أعمالك: أن عمر بن الخطاب ولاءك الشام، فختت به، وولاءك عثمان،
فتربّصت به ريب المنون.

ثم أعظم من ذلك أنك قاتلت علياً صلوات الله عليه وآله، وقد عرفت سوابقه وفضله وعلمه، على أمر هو أولى به منك، ومن غيرك عند الله وعند الناس، ولا دنية بل أوطأت الناس عشوةً، وأرقت دماء خلقٍ من خلق الله، بخدعك وكيدك وتمويهك، فعل من لا يؤمن بالمعاد، ولا يخشى العقاب، فلما بلغ الكتاب أجله صرت إلى شرّ مشوى، وعليّ إلى خير منقلبٍ والله لك بالمرصاد»^(١).

ويخاطب الحاشية واحداً تلو الآخر، فيكشف زيفهم، وابتعادهم عن الإسلام:

١ - عمرو بن عثمان:

عمرو بن عثمان، ابن الخليفة الثالث، ومن أثرياء أهل المدينة بعد الإسلام، وهو

(١) الاحتجاج ص ١٣٨ - ١٤٨.

أكبر أولاد الخليفة الثالث. زوجته معاوية، عند توليه الخلافة، ابنته رملة، وكان معادياً لأهل البيت عليهم السلام، كان يحب القدح بعلي بن أبي طالب عليه السلام، فكان الحسن عليه السلام يردّه بالقول:

«... إِنَّ سَبَّكَ عَلَيَّا، أَبْنَقْصَ فِي حَسْبِهِ؟ أَوْ تَبَاعَدَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، أَوْ بِسُوءِ بِلَاءٍ فِي الْإِسْلَامِ؟ أَوْ بِجُورٍ فِي حَكْمٍ؟ أَوْ رَغْبَةٍ فِي الدُّنْيَا؟ فَانْ قَلْتَ وَاحِدَةً مِنْهَا فَقَدْ كَذَبْتَ، وَأَمَا قَوْلُكَ إِنَّ لَكُمْ فِينَا تِسْعَةَ عَشَرَ دَمًا بِقَتْلِي مُشْرِكِي قَرِيْشِ بَنِي أُمِيَّةِ بَبْدَرٍ، فَإِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَتَلَهُمْ...»

إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إِذَا بَلَغَ وَلَدُ الْوِزْغِ ثَلَاثِينَ رَجُلًا، أَخَذُوا مَالَ اللَّهِ بَيْنَهُمْ دَوْلًا، وَعِبَادَهُ خَوْلًا، وَكُتَابَهُ دَغْلًا، فَإِذَا بَلَغُوا ثَلَاثِمِائَةَ وَعِشْرًا، حَقَّتْ عَلَيْهِمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ، فَإِذَا بَلَغُوا أَرْبَعِمِائَةَ وَخَمْسَةَ وَسَبْعِينَ، كَانَ هَلَاكُهُمْ أَسْرَعُ مِنْ لَوْكِ تَمْرَةٍ». فأقبل الحكم بن أبي العاص، وهم في ذلك الذِّكْر والكلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اخْفَضُوا أَصْوَاتَكُمْ فَإِنَّ الْوِزْغَ يَسْمَعُ»^(١)، وذلك حين رآه رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن يملك بعده منهم أمة هذه الأمة -يعني في المنام- فساءه ذلك وشقَّ عليه، فأنزل الله عز وجل في كتابه: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ فأشهد لكم، وأشهد عليكم ما سلطانكم بعد قتل عليٍّ إلا ألف شهر، التي أجَّلها الله عز وجل في كتابه^(٢).

٢- عمرو بن العاص:

وهو الذي وصفه القرآن الكريم بالشانئ، الذي ولد على فراش مشترك فتحاكت

(١) أخرجه الحاكم باسناده إلى علي عليه السلام، وهكذا إلى أبي ذر، وأبي سعيد الخدري، والنص: «اخفضوا

أقوالكم فإن الوزغ يسمع»- المستدرک علی الصحیحین / ج ٤ ص ٤٨٠.

(٢) الاحتجاج ص ١٣٨ - ١٤٨.

فيه رجال قريش منهم أبو سفيان بن حرب، والوليد بن المغيرة، وعثمان بن الحارث، والنضر بن الحارث بن كعدة، والعاص بن وائل، كلهم يزعم أنه ابنه، فغلبهم عليه من بين قريش الأُمهم حسباً، وأحبّتهم منصباً، وأعظمهم بغية. وكان مبغضاً لعلي عليه السلام، وأهل بيت النبوة عليهم السلام، وكان أكثر من استهان بإمامة الحسن عليه السلام، فقال له الحسن عليه السلام يصف سلوكه قبل الإسلام وبعده:

«ثمّ قمتَ خطيباً وقلت: أنا شانيء محمّد، وقال العاص بن وائل: إنّ محمداً رجل أبتّر لا ولد له، فلو قد مات انقطع ذكره، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(١)... ثم كنت في كلّ مشهدٍ يشهد رسول الله عدوّه، أشدّهم له عداوةً وأشدّهم له تكديباً.

ثمّ كنت في أصحاب السفينة الذين أتوا النّجاشي، والمهرج الخارج إلى الحبشة، في الإشاطة بدم جعفر بن أبي طالب، وسائر المهاجرين إلى النّجاشي، فحاق المكر السيّء بك، وجعل جدّك الأسفل، وأبطل أمنيّتك وخيب سعيك، وأكذب أحدوثتك، وجعل كلمة الذين كفروا السّفلى وكلمة الله هي العليا.

وأما قولك في عثمان، فأنت... ألهبت عليه ناراً ثم هربت إلى فلسطين تتربّص به الدّوائر، فلمّا أتاك خبر قتله، حبست نفسك على معاوية، فبعته دينك بدنيا غيرك، ولسنا نلومك على بغضنا، ولا نعاتبك على حبّنا، وأنت عدوّ لبني هاشم في الجاهلية والإسلام، وقد هجوت رسول الله بسبعين بيتاً من شعر. فقال رسول الله: «اللّهمّ إني لا أحسن الشّعر، ولا ينبغي لي أن أقوله، فالعن عمرو بن العاص بكلّ بيتٍ لعنة». فعليك إذاً من الله ما لا يحصى من اللعن. وبالله ما نصرت عثمان حيّاً، ولا غضبت له مقتولاً.

(١) سورة الكوثر: الآية ٣.

ويحك يابن العاص، ألسـت القائل في بني هاشم لما خرجت من مكة إلى النجاشي:

وما السّير مني بمستنكر	تقول ابنتي: أين هذا الرحيل
أريد النّجاشي في جعفر	فقلت: ذريني فإنّي امرؤ
أقيم بها نخوة الأصعر	لأكويه من عنده كيّة
وأقوالهم فيه بالمنكر	وشأنّي أحمد من بينهم
ولو كان كالذهب الأهر	وأجري على عتبة جاهداً
وما أسطعت في الغيب والمحضر	ولا أنثني عن بني هاشم
وإلا لوبت له مشفري	فإن قبل العتب منّي له

ثم أنت يا عمرو، المؤثر دنيا غيرك على دينك، أهديت إلى النجاشي الهدايا، ورحت إليه رحلتك الثانية، ولم تنهك الأولى عن الثانية، كلّ ذلك ترجع مغلولاً حسيراً، تريد بذلك هلاك جعفر وأصحابه، فلما أخطأك ما رجوت وأملت، أحلت على صاحبك عمارة بن الوليد^(١).

وفي مناسبة ثانية، يخاطبه الحسن عليه السلام وقد تجرأ عمرو بن العاص عليه:

«ليس من العجز أن يصمت الرجل عند إيراد الحجّة، ولكن من الإفك أن ينطق الرجل بالخنا، ويصوّر الباطل بصورة الحقّ...»

يا عمرو، افتخاراً بالكذب، وجرأةً على الإفك؟ ما زلت أعرف مثالبك، أبدىها مرةً وأمسك عنها أخرى، فتأبى إلا انهاكاً في الضلالة، أتذكر مصابيح الدجى، وأعلام الهدى، وفرسان الطراد، وحتوف الأقران، وأبناء الطعان، وربيع الضيفان، ومعدن النبوة، ومهبط العلم؟ وزعمتم أنكم أحمى لما وراء ظهوركم، وقد تبين ذلك يوم بدر

(١) الاحتجاج ص ١٣٨ - ١٤٨.

حين نكصت الأبطال، وتساورت الأقران واقتحمت اللّيوث، واعتركت المنية، وقامت رحاها على قطبها، وافترت عن نابها، وطار شرار الحرب، فقتلنا رجالكم ومنّ النبيّ على ذراريكم، فكنتم لعمرى في ذلك اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم، من بني عبد المطلب».

وفي مناسبة ثالثة، يخاطبه عليه السلام:

«أما والله لو كنت تسمو بحسبك، وتعمل برأيك، ما سلكت فجع قصد، ولا حللت رابية مجد، وايم الله لو أطاعني معاوية لجعلك بمنزلة العدو الكاشح، فإنّه طالما طويت على هذا كشحك، وأخفيت في صدرك وطمع بك الرجاء إلى الغاية القصوى، التي لا يورق لها غصنك، ولا يخضّر لها مرعاك، أما والله ليوشكنّ يابن العاص، أن تقع بين لحي ضرغام من قريش، قويّ ممتنع، فروسٍ ذي لبد، يضغظك ضغظ الرّحاح للحب، لا ينجيك منه الرّوغان، إذا التقت حلقتنا البطان».

وفي مناسبة رابعة، يقتحم عمرو بن العاص حرمة الإمام الحسن عليه السلام، فيوجه له كلاماً خشناً، وتهديداً، ووعيداً، فيقول: «يا حسن، أزعمت أنّ الدين لا يقوم إلا بك وبأبيك؟ فلقد رأيت الله عز وجل أقامه بمعاوية، فجعله راسياً بعد ميله، وبيناً بعد خفائه، أفيرضى الله بقتل عثمان؟ أم من الحقّ أن تطوف بالبيت، كما يدور الجمل بالطّحين، عليك ثياب كغرقىء البيض، وأنت قاتل عثمان؟ والله إنّه لألمّ للشعث وأسهل للوعث، أن يوردك معاوية حياض أبيك»^(١).

فيجيبه الإمام الحسن عليه السلام:

«إنّ لأهل النّار علاماتٍ يعرفون بها وهي: الإلحاد لأولياء الله، والموالاة لأعداء

(١) بحار الانوار / ج ٤٤ ص ١٠٢ - ١٠٣.

الله، والله إنك لتعلم أنّ عليّاً عليه السلام لم يترتب في الأمر، ولم يشك في الله طرفة عين، وايم الله لتنتهين يابن أم عمرو أو لأنفذنّ حزنك، بنوافذ أشدّ من الأقبصة، أو لأقرعنّ جبينك بكلام، تبقى سمته عليك ما حييت، فإياك والإبراز عليّ، فإني من قد عرفت، لستُ بضعيف الغميمة، ولا بهشّ المشاشة، ولا مريء المأكلة، وأني من قريشٍ كواسطة القلادة، يعرف حسبي، ولا أدعى لغير أبي، وأنت تعلم ويعلم الناس وتحاكتم فيك رجال قريش، فغلب عليك جزّارها: لأهمهم حسباً وأظهرهم لؤماً، فإياك عني فإنك رجس، ونحن أهل بيت الطّهارة، أذهب الله عنّا الرّجس، وطهّرنا تطهيراً»^(١).

٣- الوليد بن عقبة :

وهو الذي شرب الخمر فجلده علي بن أبي طالب عليه السلام ثمانين جلدة، تعرّض الوليد للحسن عليه السلام واتهمه بقتل عثمان، فقال له الحسن عليه السلام :

«...والله ما أومك أن تبغض عليّاً، وقد جلدك في الخمر ثمانين سوطاً، وقتل أباك بين يدي رسول الله، وأنت الذي سمّاه الله: الفاسق، وسمّى عليّاً: المؤمن، حيث تفاخرتما، فقلت له: اسكت يا عليّ، فأنا اشجع منك جناناً، وأطول منك لساناً. فقال لك عليّ: اسكت يا وليد، فأنا مؤمن وأنت فاسق، فأنزل الله في موافقة قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(٢)، ثم أنزل على موافقة قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٣) ويحك يا وليد! مهما نسبت فلا تنس قول الشاعر فيك وفي عليّ عليه السلام :

(١) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٤ ص ١٠، والمحاسن والمساوي / ج ١ ص ٦٥.

(٢) سورة السجدة: الآية ١٨.

(٣) سورة الحجرات: الآية ٦.

أنزل الله في الكتاب علينا في عليّ وفي الوليد قرآنا
فتبوّأ الوليد منزل كفرٍ وعليّ تبوّأ الإيماننا
ليس من كان مؤمناً يعبد الله كمن كان فاسقاً خوّانا
سوف يدعى الوليد بعد قليل وعليّ إلى الجزاء عيانا
فعليّ يجزى هناك جناناً وهناك الوليد يجزى هواناً^(١)

وأما زعمك أنا قتلنا عثمان، فوالله ما استطاع طلحة، والزبير، وعائشة أن يقولوا ذلك لعليّ بن أبي طالب، فكيف تقوله أنت؟...»^(٢).

٤- عتبة بن أبي سفيان :

وكان فاسقاً لم يحترم مخدعه وقد قال فيه نصر بن الحجاج:

يا للرجال وحادث الأزمان ولسبّة تخزي أبا سفيان
نبئت عتبة هيأته عرسه لصدّاقه الهذلي من اللحيان
ألفاه معها في الفراش فلم يكن فحلا وأمّسك خشية النسوان
لا تعتبن يا عتب نفسك حبّها إنّ النساء حبائل الشيطان!

تعرّض للإمام الحسن عليه السلام وحاول الطعن بإمامته، فقال عليه السلام له:

«وأما أنت يا عتبة بن أبي سفيان، فوالله ما أنت بحصيف فأجاوبك، ولا عاقل فأعاتبك، وما عندك خير يرجي، ولا شرّ يخشى، وما كنت لو سببت عليّاً لأغار به عليك، لأنك عندي لست بكفو لعبد عبد علي بن أبي طالب عليه السلام، فأردّ عليك وأعاتبك، ولكنّ الله عزّ وجلّ، لك، ولأبيك، وأمّك، وأخيك بالمرصاد، فأنت ذرّية آبائك الذين ذكرهم

(١) جواهر المطالب - ابن أحمد الدمشقي / ج ٢ ص ٢٢٥.

(٢) الاحتجاج ص ١٣٨ - ١٤٨.

الله في القرآن فقال: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ. تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً. تُسْقَى مِنْ عَيْنِ آيَةٍ. لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ. لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾^(١).

...ولا ألومك أن تسبّ علياً، وقد قتل أخاك مبارزةً، واشترك هو وحمة بن عبد المطلب في قتل جدك، حتى أصلاهما الله على أيديهما نار جهنم، وأذاقهما العذاب الأليم. وأما رجائي الخلافة، فلعمر الله لئن رجوتها، فإن لي فيها الملتمساً، وما أنت بنظير أخيك، ولا خليفة أبيك، لأن أخاك أكثر تمرداً على الله، وأشدّ طلباً لإراقة دماء المسلمين، وطلب ما ليس له بأهل، يخادع الناس ويمكرهم، ويمكر الله، والله خير الماكرين. وأما قولك: إن علياً كان شرّ قريشٍ لقريش، فوالله ما حقّر مرحوماً ولا قتل مظلوماً^(٢).

٥- المغيرة بن شعبة :

لم يعرف له الإيثار قط، بل كان فاسقاً وهو الذي ضرب فاطمة الزهراء عليها السلام، قال للحسن عليه السلام: «نصحت لأبيك فلم يقبل النصح، لولا كراهية قطع القرابة، لكنت في جملة أهل الشام، فكان يعلم أبوك أني أصدر الورد عن مناهلها بزعارة قيس، وحلم ثقيفٍ وتجارها للأموال على القبائل».

قال له الحسن عليه السلام:

«...إنك لله عدو، ولكتابه نابذ، ولنبيّه مكذب، وانت الزاني وقد وجب عليك الرّجم، وشهد عليك العدول البررة الأتقياء، فأخر رجحك، ودفع الحق بالباطل،

(١) سورة الغاشية: الآية ٣-٧.

(٢) الاحتجاج ص ١٣٨ - ١٤٨.

والصدق بالأغاليط، وذلك لما أعدَّ الله لك من العذاب الأليم، والخزي في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أحرزى.

وأنت ضربت فاطمة بنت رسول الله حتى أدميتها، وألقت ما في بطنها، استدلالاً منك لرسول الله، ومخالفةً منك لأمره، وانتهاكاً لحرمته وقد قال لها رسول الله: «أنت سيدة نساء أهل الجنة» والله مصيرك إلى النار، وجاعل وبال ما نطقت به عليك...
أتزعم أن علياً قتل عثمان مظلوماً؟ فعليّ والله أتقى وأنقى من لائم في ذلك، ولعمري إن كان علي قتل عثمان مظلوماً، فوالله ما أنت من ذلك في شيء، فما نصرته حياً، ولا تعصبت له ميتاً، وما زالت الطائف دارك، تتبع البغايا، وتحيي أمر الجاهلية، وتميت الإسلام حتى كان في أمس ما كان.

وأما إعتراضك في بني هاشم وبني أمية، فهو إدعاؤك إلى معاوية، وأما قولك في شأن الإمارة، وقول أصحابك في الملك الذي ملكتموه، فقد ملك فرعون مصر أربعمئة سنة، وموسى وهارون عليهما السلام نبیان مرسلان يلقيان ما يلقيان، وهو ملك الله يعطيه البرّ والفاجر، وقال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّه فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(١) وقال: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾^(٢).

وفي مناسبة ثانية يقف المغيرة بن شعبة قادحاً طاعناً بفضائل الحسن عليه السلام، فيلتفت إليه عليه السلام ويقول:

«... ما أنت من قريشٍ فأفاخرك، أجهلنتي يا ويحك وأنا ابن خير الآباء، وسيدة النساء، غداً رسول الله بعلم الله تبارك وتعالى، فعلّمنا تأويل القرآن ومشكلات الأحكام، لنا العزة الغلباء، والكلمة العلياء، والفخر والسناء، وأنت من قومٍ لم يثبت

(١) سورة الانبياء: الآية ١١١.

(٢) سورة الاسراء: الآية ١٦.

لهم في الجاهلية نسب، ولا لهم في الإسلام نصيب. عبدٌ أبق ما له والافتخار عند مصادمة اللبوث، ومجاحشة الأقران، نحن السادة، ونحن المداويد القادة، نحمي الدمار، وننفي عن ساحتنا العار، وأنا ابن نجيبات الأبيكار.

ثم أشرت -زعمت بخبر- وصيِّ خير الأنبياء؟ كان هو بعجزك أبصر، وبخورك أعلم، وكنت للردِّ عليك منه أهلاً، لو عرَّك في صدرك وبدو الغدر في عينك، هيهات لم يكن ليتخذ المصلين عضداً^(١)، وزعمت لو أنك كنت بصفين بزعة قيس، وحلم ثقيف، فبماذا ثكلتك أمك! أبعجز عند المقامات، وفرارك عند المجاحشات؟ أما والله لو التفت عليك من أمير المؤمنين الأشاجع، لعلمت أنه لا يمنعه منك الموانع، ولقامت عليك المرنات الهوالع.

وأما زعارة قيس، فما أنت وقيساً؟ إنما أنت عبد أبق، فتسمي ثقيفاً فاحتل لنفسك من غيرها، فلست من رجالها، أنت بمعالجة الشرك وموالج الزرائب أعرف منك بالحروب، فأبيّ الحلم عند العبيد القيون.

ثم تمنييت لقاء أمير المؤمنين ﷺ فذاك من قد عرفت، أسد باسل، وسم قاتل، لا تقاومه الأبالسة، عند الطعن والمخالسة، فكيف ترومه الضبعان، وتناوله الجعلان بمشيتها القهقري، وأما وصلتك فمكولة وقرابتك فمجهولة، وما رحمك منه، إلا كنبات الماء من خشفان الطبا، بل أنت أبعد منه نسباً^(٢).

(١) لما قتل عثمان وبايع الناس علياً، دخل المغيرة بن شعبة فقال: يا أمير المؤمنين إن لك عندي نصيحة، قال: وما هي؟ قال: إن أردت أن يستقيم لك الأمر فاستعمل طلحة بن عبيد الله على الكوفة، والزبير بن العوام على البصرة، وأبعث معاوية بعهدته على الشام حتى تلزمه طاعتك، فإذا استقرت لك الخلافة فأدركها كيف شئت برأيك، فلم يقبل ﷺ عنه ذلك، وقال: «إن أقررت معاوية على ما في يده، كنت متخذ المصلين عضداً». راجع الاستيعاب بذيل الاصابة ج ٣- ص ٢٧١.

(٢) بحار الأنوار/ ج ٤٤ ص ٩٣-٩٥.

٦- عبد الله بن الزبير:

أمه أسماء بنت الخليفة الأول أبي بكر، استخلفه عثمان على داره لقتال من يدخل لقتلة الخليفة الثالث، زعم أنه عندما احتجم النبي عليه السلام، أمره عليه السلام إهراق تلك الكمية القليلة من دمه عليه السلام، إلا أنه خالف أمر النبي عليه السلام وشرب ذلك الدم، ولما علم النبي عليه السلام بذلك، قال له: «ويْلٌ للناس منك، وويْلٌ لك من الناس»^(١)، كما تقول الرواية.

وقد نسب إلى الحسن عليه السلام ضعف الرأي وجبناً في الحرب، فأجابه الإمام عليه السلام:

«أما والله، لولا أنّ بني أمية تنسبني إلى العجز عن المقال، لكففت عنك تهاوناً، ولكن سأبين لك ذلك لتعلم أنّي لست بالعيّ^(٢)، ولا الكليل اللسان، إياي تعير، وعليّ تفتخر، ولم يكن لجدك بيت في الجاهليّة، ولا مكرمة، فزوجته جدّتي صفية بنت عبد المطلب، فبذخ على جميع العرب بها، وشرف بمكانها، فكيف تفاخر من هو من القلادة واسطتها ومن الأشراف سادتها.

نحن أكرم أهل الأرض زنداً، لنا الشرف الثاقب والكرم الغالب، ثم تزعم أنّي سلّمت الأمر، فكيف يكون ذلك ويحك هكذا؟ وأنا ابن أشجع العرب، وقد ولدتني فاطمة سيدة نساء العالمين وخيرة الإماء، لم أفعل ذلك ويحك جبناً ولا ضعفاً، ولكنه بايعني مثلك وهو يطلبني ببرة، ويداجيني المودّة، ولم أثق بنصرته لأنكم أهل بيت غدر، وكيف لا يكون كما أقول؟ وقد بايع أبوك أمير المؤمنين، ثم نكث بيعته، ونكص على عقبه، واختدع حشية من حشايا رسول الله ليضلّ بها الناس، فلما دلف نحو الأعنة، ورأى بريق الأسنّة، قتل مضبعة لا ناصر له، وأني بك أسيراً، قد وطأتك الكماة بأظلافها، والخيّل بسنابكها واعتلاك الأشر، فغصصت بريقك، وأفغيت على عقبك كالكلب إذا

(١) الخرائج والجرائح / ج ١ ص ٦٧.

(٢) العيّ: العاجز.

احتوشته الليوث.

فنحن ويحك نور البلاد وأملاكها، وبنا تفخر الأمة، وإلينا تلقى مقاليد الأمة، أتصول وانت تختدع النساء؟ ثم تفخر على بني الأنبياء، لم تزل الأفاويل منا مقبولة، وعليك وعلى أبيك مردودة، دخل الناس في دين جدّي طائعين وكارهين، ثم بايعوا أمير المؤمنين، فسار إلى أبيك وطلحة، حين نكثا البيعة، وخوى عرس رسول الله ﷺ، فقتل أبوك وطلحة، وأتى بك أسيراً، فبصبصت بذنبك، وناشدته الرّحم ان لا يقتلك فعفا عنك، فأنت عتاقة أبي، وأنا سيّدك وسيّد أبيك، فذق وبال أمرك^(١). فسكت ابن الزبير وخجل.

٧- مروان بن الحكم:

كان كاتباً للخليفة الثالث، قام رسول الله ﷺ بطرد مروان بن الحكم وأبيه من المدينة، وكان يسمى بـ (طريد رسول الله)، إلا أن عثمان أعاده إلى المدينة خلافاً لرأي رسول الله ﷺ، وجعله وزيره، وأكرمه لأنه قريبه، وأعقد عليه الأموال وأعطاه خمس أفريقيا، خاطبته عائشة قائلة: «أما أنت يا مروان، فأشهد أن رسول الله ﷺ لعن أباك وأنت في صلبه»^(٢).

وكان سبباً بذر اللسان، وكان لا يتورع عن سب علي بن أبي طالب عليه السلام، والحسن عليه السلام. فقال له الحسن عليه السلام:

«والله يا مروان: ما تنكر أنت، ولا أحد ممن حضر هذه اللعنة من رسول الله لك ولأبيك من قبلك، وما زادك الله يا مروان بما خوّفك إلا طغياناً كبيراً، صدق الله وصدق

(١) المحاسن والمساوىء / ج ١ ص ٥٨-٦١، والمحاسن والأضداد ص ٩٢-٩٤.

(٢) الاستيعاب / ج ١١ ص ٣١٨.

رسوله، يقول: ﴿...وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّثُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾^(١) وأنت يا مروان وذريتك الشجرة الملعونة في القرآن عن رسول الله^(٢).

وفي مناسبة ثانية، قال له:

«وأما أنت يا مروان، فما أنت والإكثار في قريشٍ وأنت طليق، وأبوك طريد، يتقلب من خزاية إلى سواة، ولقد جيء بك إلى أمير المؤمنين، فلما رأيت الضرغام قد دُميت برائنه، واشتبتك أنيابه، كنت كما قال القائل:-

ليث إذا سمع الليوث زئيره بصبصن ثم قذفن بالأبعار
فلما منّ عليك بالعفو، وأرخی خناقك بعد ما ضاق عليك، وغصصت بريقك،
لم تقعد معنا مقعد أهل الشكر، ولكن تساوينا وتجارينا، ونحن مما لا يدركنا عار ولا يلحقنا خزاية».

وفي مناسبة ثالثة حاول مروان القدح بالإمام الحسن رضي الله عنه، فأجابه رضي الله عنه:

«ويحك يا مروان! لقد تقلدت مقاليد العار في الحروب عند مشاهدتها، والمخازلة عند مخالطتها، نحن لنا الحجج البوالغ، ولنا إن شكرتم عليكم النعم السوابغ، ندعوكم إلى النجاة، وتدعوننا إلى النار، فشتان ما بين المنزلتين، تفخر ببني أمية، وتزعم أنهم صبر في الحروب، أسدٌ عند اللقاء، ثكلتك أمك، أولئك البهاليل السادة، والحماة الدادة، والكرام القادة، بنو عبد المطلب، أما والله لقد رأيتهم وجميع من في هذا البيت، ما هالتهم الأهوال، ولم يحدوا عن الأبطال، كالليوث الضارية الباسلة الحنقة، فعندها وليت هارباً، وأخذت أسيراً، فقلدت قومك العار لأنك في الحروب خوَّار، أيراق دمي زعمت؟!!

(١) سورة الاسراء: الآية ٦٠.

(٢) بحار الأنوار/ ج ٤٤ ص ٨٦.

أفلا أرتت دم من وثب على عثمان في الدار، فذبحه كما يذبح الجمل؟ وأنت تنغو ثغاء النعجة!! وتنادي بالويل والثبور، كالأمة اللكعاء، ألا دفعت عنه بيد أو ناضلت عنه بسهم؟! لقد ارتعدت فرائصك!! وغشي بصرك، فاستغثت بي كما يستغيث العبدُ بربه، فأنجيتك من القتل، ومنعتك منه، ثم تحث معاوية على قتلي؟ ولو رام ذلك معك لذبح كما ذبح ابن عقان، أنت معه أقصر يداً، وأضيق باعاً، وأجبن قلباً من أن تجسر على ذلك، ثم تزعم أنني ابتليت بحلم معاوية، أما والله هو أعرف بشأنه، وأشكر لما ولّيناه هذا الأمر، فمتى بدا له، فلا يغضين جفنه على القذى معك، فوالله لأعقبن أهل الشام بجيش، يضيق عنه فضاؤها، ويستأصل فرسانها، ثم لا ينفعك عند ذلك الهرب والزوغان، ولا يردّ عنك الطلب تدريجك الكلام، فنحن من لا يجهل أبائنا القدماء الأكابر، وفروعنا السادة الأخيار، انطق إن كنت صادقاً»^(١).

وفي مناسبة رابعة يتعدى مروان على الإمام الحسن عليه السلام تعدياً لفظياً فيقول له:

مدحت نفسك، وشمخت بأنفك، هيهات يا حسن، نحن والله الملوك السادة، والأعزة القادة، لا ننحجز فليس لك مثل عزنا، ولا فخر كفخرنا. ثم أنشأ يقول:

شفينا أنفساً طابت وقورا فنالت عزّها فيمن يلينا

وأبنا بالغنيمة حيث أبنا وأبنا بالملوك مقرّينا

فيحبيه الحسن عليه السلام:

«يا مروان أجنبناً وخوراً، وضعفاً وعجزاً؟ أتزعم أنني مدحت نفسي وأنا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وشمخت بأنفي، وأنا سيّد شباب أهل الجنة؟ وإنما يبذخ ويتكبر -ويلك- من يريد رفع نفسه، ويتبجح من يريد الاستطالة، فأما نحن فأهل بيت الرّحمة، ومعدن

(١) المحاسن والمساوىء / ج ١ ص ٦٣-٦٥.

الكرامة، وموضع الخيرة، وكنز الإيمان، ورمح الإسلام، وسيف الدين، ألا تصمت
 ثكلتك أمك، قبل أن أرميك بالهوائل، وأسمك بميسمٍ تستغني به عن اسمك.
 فأما إياك بالنّهاب والملوك، أفي اليوم الذي وليت فيه مهزوماً وانحجرت مذعوراً،
 فكانت غنيمتك هزيمتك، وغدرك بطلحة حين غدرت به فقتلته، قبحاً لك، ما أغلظ
 جلدة وجهك!«^(١).

٨- زياد بن سمية :

أو زياد بن أبيه، مولود على فراشٍ عبيدٍ ثقيف كما ذكرنا سابقاً، ولم يعرف له أب؛
 لأن أمه كانت من ذوات الاعلام، فنسبه معاوية إلى أبيه (أبو سفيان) وسماه (زياد بن أبي
 سفيان)، وهذا خلاف سنة النبي صلى الله عليه وآله حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الولد للفراس وللعاهر
 الحجر»^(٢).

وقدح زياد بأهل البيت عليهم السلام وادعى بأنه أفضل منهم، فقال: «...نحن أهل
 الحملة في الحروب، ولنا الفضل على سائر الناس قديماً وحديثاً»، فردّه الإمام الحسن عليه السلام
 بالقول:

«وما أنت يا زياد وقريشاً؟ لا أعرف لك فيها أديماً صحيحاً، ولا فرعاً نابتاً، ولا
 قديماً ثابتاً، ولا منبتاً كريماً، بل كانت أمك بغياً، تداولها رجال قريشٍ وفجار العرب، فلما
 ولدت، لم تعرف لك العرب والداً، فادّعاك هذا - وأشار إلى معاوية - بعد مات أبيه،
 ما لك افتخار، تكفيك سمية، وكفينا رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام: سيد
 المؤمنين، الذي لم يرتد على عقبه، وعمي حمزة سيد الشهداء، وجعفر الطيّار، وأنا وأخي

(١) بحار الانوار / ج ٤٤ ص ٩٣-٩٥.

(٢) فقه الرضا عليه السلام - علي بن بابويه ص ٢٦٢.

سَيِّدا شباب أهل الجنة».

الدلالات:

١- كان الإمام الحسن عليه السلام فصيحاً، بليغاً، جريئاً، عالماً بتاريخ الإسلام، وتاريخ أعدائه أيضاً، ولو قرأنا ردود الإمام عليه السلام لوحدها، لآمنا بعظمة الحسن عليه السلام في إمامته، وعصمته، وعلمه، وجرأته.

٢- كشف الإمام عليه السلام تاريخ تلك العصبية:

فمعاوية نهى أباه عن دخول الإسلام، لأنه كان يخشى ذلّة الاستسلام لدين الله، ثم خان عمر، وعثمان، وكان يتربص بعثمان الدوائر، ثم قاتل علياً عليه السلام.

وعمر وبن عثمان، الذي كان يلوم بني هاشم، لاسيما علي عليه السلام؛ لأنهم قتلوا ممن قتلوا في بدر، وهم تسعة عشر من مشركي قريش.

والحكيم بن العاص، الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله يسميه بالوزع.

وفي (لسان العرب): «الوزعُ: رعشة. وفي الحديث عن هند بن خديجة زوج النبي صلى الله عليه وآله، قال: مرّ النبي صلى الله عليه وآله، بالحكم أبي مروان قال: فجعل الحكم يغمزُ بالنبي صلى الله عليه وآله، بإصبعه فالتفت النبي صلى الله عليه وآله، فقال: اللهم اجعل به وزعاً، قال: فرجف مكانه وارتعش. وجاء في حديث آخر: أن الحكم ابن أبي العاص حاكى رسول الله صلى الله عليه وآله من خلفه فعلم بذلك وقال: كذا فلتكن، فأصابه وزعٌ لم يفارقه أي رعشة، وهي ساكنة الزاي، قال: والوزعُ الارتعاش»^(١).

وعمر وبن العاص، الذي قال: أنا شاني محمد، وكان يقول مع أبيه بأن محمداً أبت.

(١) لسان العرب - مادة (وزع) / ج ٨ ص ٤٥٩.

فأنزل تعالى فيهما: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(١)، وهجا رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين بيتاً، فلعنه النبي صلى الله عليه وآله، وهو الذي استنجد بالنجاشي ليقتل جعفر بن أبي طالب في الحبشة.

والوليد بن عقبة الذي جُلِدَ لشرب الخمر ثمانين جلدة، وهو الذي نزل فيه قرآن يفسقه ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(٢).

وعتبه بن أبي سفيان، الذي كان فاسقاً، وليس بكفوء لعبد عبد علي بن أبي طالب عليه السلام، كما وصفه الإمام عليه السلام، وضعه أخوه معاوية في سدة السلطة للقرابة الأموية. والمغيرة بن شعبة، الفاسق الجبان، الذي ضرب فاطمة الزهراء عليها السلام حتى أدمأها، وألقت ما في بطنها.

وعبد الله بن الزبير، الذي أُسِّرَ في معركة الجمل، فناشده الرحم، فعفا عنه أمير المؤمنين عليه السلام، وأطلق سراحه.

ومروان بن الحكم، الذي طرده رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة لفسقه، إلا أن الخليفة الثالث أعاده إليها، وأكرمه خلافاً لقرار النبي صلى الله عليه وآله المأمور من السماء، أُسِّرَ في معركة الجمل أيضاً، وتكلم فيه الحسن عليه السلام فأطلق سراحه، أذاق أمة محمد صلى الله عليه وآله الموت الأحمر عند توليه الخلافة لاحقاً.

وزياد بن سمية، المولود على فراش عبيد ثقيف، ونسبه معاوية إلى أبي سفيان، أذاق الناس في الكوفة والبصرة، لاسيما المواليين لأهل البيت عليهم السلام، الموت الزقام.

٣- تكشف تلك القطعة التاريخية من كلام الإمام الحسن عليه السلام عن أمر مهم، وهو: فصل الدين عن السياسة في القرن الأول الهجري، أي أن بني أمية تسلقوا إلى سدة

(١) سورة الكوثر: الآية ٣.

(٢) سورة السجدة: الآية ١٨.

الحكم دون أي مؤهلات دينية أو عقائدية، وكانت خلفيتهم الاجتماعية أقرب إلى مشركي مكة. وبينما بقي الرعيل الأعظم من المسلمين يؤمن بمبادئ الإسلام ويعيش الفقر، تمتعت تلك القلّة من بني أمية بامتيازات السلطة، وأموال بيت المال، دون اكتراث للمبادئ الإسلامية.

٤- إن دور أئمة أهل البيت عليهم السلام كان حاسماً في حفظ الإسلام، ولولا وجودهم عليهم السلام لمُحِق الدين، ولاندرست آثار النبوة، ولكنهم عليهم السلام كانوا يضحون بحياتهم من أجل إبقاء نور الله، هدىً للأجيال.

٥- نفهم مما قرأناه أن سياسة معاوية مع الإمام الحسن عليه السلام كانت مبنية على:

أ- تسفيه فكرة الإمامة التي نادى بها رسول الله صلى الله عليه وآله بُعيد حجة الوداع، وتسفيه أئمة أهل البيت عليهم السلام - حاشاهم - وتحطيم دورهم في الحياة الدينية والاجتماعية للمسلمين.

ب- اتهامه بالضعف والجبن، كي تُتنزع منه عليه السلام صفة العصمة، التي كان أحد شرائطها الأفضلية في الشجاعة، والاستعداد للتضحية، والتفاني من أجل الدين.

ج- محاولة سرقة فضائل أهل البيت عليهم السلام، ونسبها إلى بني أمية.

نماذج للمدلسين والضعفاء في عهد معاوية

مقدمة :

بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام سنة ٤٠ هـ، وفي تلك الأجواء المشحونة بالصراع السياسي، أشيعت ثقافة التزوير ووضع الأحاديث المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد مثل فيها أبو هريرة الدوسي دوراً رئيسياً؛ فأغلب الروايات التي تطعن في شخصية الإمام الحسن عليه السلام تُسند إلى أبي هريرة؛ وقد ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ): «وقد روي عن علي عليه السلام أنه قال: ألا إن أكذب الناس - أو قال أكذب الأحياء - على رسول الله صلى الله عليه وآله أبو هريرة الدوسي»^(١)، وأيُّ رواية تُنسب إلى أبي هريرة يكون سندها ساقطاً، لأن أبا هريرة باع دينه بدنياه، واستلم من معاوية أجره.

وبالإضافة إلى أبي هريرة، هناك أسماء وردت في علم الرجال، نقلت روايات زائفات كان هدفها إخفاء فضائل أهل البيت عليهم السلام.

نماذج من الضعفاء والمدلسين :

١ - (محمد بن إسماعيل بن أبي فديك)، الذي ضعّفه الذهبي، وقال: «قال ابن سعد: وحده، ليس بحجة»^(٢)، وضعّفه ابن حجر: «وقال ابن سعد: كان كثير الحديث، وليس

(١) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٤ ص ٦٨.

(٢) ميزان الاعتدال - الذهبي / ج ٣ ص ٤٨٣.

بحجة^(١)، في سلسلة سند رواية ادعى أنه سمعها عن موسى بن يعقوب: «عن فاطمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله أتاها يوماً، فقال أين ابناي يعني حسناً وحسيناً؟ قالت: أصبحنا وليس في بيتنا شيء يذوقه ذائق، فقال علي: أذهبُ بهما، فإني أتخوف أن ييكيا عليك، وليس عندك شيء، فذهب إلى فلان اليهودي، فتوجه إليه النبي صلى الله عليه وآله فوجدهما يلعبان في شربة [أو مشربة] بين أيديهما فضل من تمر...»^(٢).

٢- (إبراهيم بن طهمان الخراساني) الذي ذكره (العقيلي) في الضعفاء^(٣)، وأبو هريرة في سلسلة سند هذه الرواية: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يؤتى بالتمر عند صرام النخل، فيجيء هذا بتمره، وهذا من تمره، حتى يصير عنده كوماً من تمر، فجعل الحسن والحسين عليهما السلام يلعبان بذلك التمر، فأخذ أحدهما ثمرة فجعلها في فيه، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فأخرجها من فيه، فقال: أما علمت أن آل محمد لا يأكلون الصدقة»^(٤).

٣- (عبد الله الخرمي)، الضعيف الذي تولى القضاء من قبل عمر بن عبد العزيز^(٥)، والذي قيل عنه أنه «مات على رداءة حفظ»^(٦)، وكان مجهول الأب والجد، في سلسلة سند الرواية التالية: «عن أبي أيوب الأنصاري، قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله والحسن والحسين عليهما السلام يلعبان بين يديه أو في حجره...»^(٧).

(١) تهذيب التهذيب - ابن حجر / ج ٩ ص ٥٣.

(٢) المعجم الكبير - الطبراني / ج ٢٢ ص ٤٢٢ - ٤٢٣.

(٣) ضعفاء العقيلي - محمد بن عمرو العقيلي / ج ١ ص ٥٦.

(٤) صحيح البخاري / ج ٢ ص ١٣٣ - ١٣٤، باب أخذ صدقة التمر عند صرام النخل.

(٥) تاريخ مدينة دمشق / ج ٢٩ ص ٣٢٣.

(٦) مشاهير علماء الأمصار - ابن حبان ص ١٢٩.

(٧) مجمع الزوائد / ج ٩ ص ١٨١.

٤- (إبراهيم بن يزيد النخعي) الذي وصفه الحاكم بأنه (مدلس)^(١)، و«حكى خلف بن سالم، عن عدة من مشايخه: أن تدليسه من أحمض شيء، وكانوا يتعجبون منه»^(٢)، وقال عنه ابن حجر: «إبراهيم بن يزيد النخعي، الفقيه المشهور في التابعين من أهل الكوفة، ذكر الحاكم أنه كان يدلس... وكان يرسل كثيراً، ولا سيما عن ابن مسعود»^(٣)، في سند رواية «لما كان يوم الشورى قال علي لأهل الشورى...»، و«...قال: هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان عنده الحسن والحسين، وهما يلعبان فيقول: إيه يا حسن...»^(٤).

٥- (أبو شهاب مسروح)، الذي قال عنه الهيثمي أنه: (ضعيف)^(٥)، وقال عنه ابن حبان: «...كان ممن يخطئ، لم يفحش خطؤه حتى استحق الترك لكثرتة»^(٦)، وقال عنه ابن حجر: «وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن مسروح، وعرضت عليه بعض حديثه، فقال: يحتاج إلى التوبة من حديث باطل رواه عن الثوري. قلت: إي والله هذا هو الحق. إن كل من روى حديثاً يعلم أنه غير صحيح فعليه التوبة أو يهتكه»^(٧)، يروي حديثاً: «عن سفیان الثوري، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين على ظهره، وهو يمشي بهما على أربع، وهو يقول: نعم الجمل جملكم، ونعم العدلان أنتم»^(٨)، و«أشار أبو حاتم بأن هذا الحديث: لا يتابع عليه، ولا يعرف [أي أبو

(١) التبيين لأسماء المدلسين - ابن العجمي ص ١٤.

(٢) التبيين لأسماء المدلسين ص ١٤.

(٣) طبقات المدلسين - ابن حجر ص ٢٨.

(٤) ينابيع المودة / ج ١ ص ٤٣٥.

(٥) مجمع الزوائد / ج ٩ ص ١٨٢.

(٦) كتاب المجروحين - ابن حبان / ج ٣ ص ١٩.

(٧) لسان الميزان - ابن حجر / ج ٦ ص ٢١.

(٨) تاريخ مدينة دمشق / ج ٣١ ص ٢١٧.

شهاب مسروح [إلا به] ^(١).

٦- (أبو بكر بن عياش)، الذي قال في حقه الذهبي: «إنه في الحديث يغلط ويهم، وأنه ضعفه محمد بن عبد الله بن نمير، ونقل عن أبي نعيم أنه قال في حقه: لم يكن في شيوخنا أكثر غلطاً منه. وقال عنه أحمد، فيما سمعه منه مهناً: كثير الغلط، وقال أيضاً: كان يحيى بن سعيد ينكر حديثاً لأبي بكر بن عياش» ^(٢)، هو أحد رواة هذه الرواية: «كان النبي صلى الله عليه وآله يصلي والحسن والحسين يثبان على ظهره، فيباعدهما الناس، فقال صلى الله عليه وآله: دعوهما بأبيهما وأمي...» ^(٣).

٧- (أبو بكر الأموي)، وهو أخو زياد بن أبيه لأمه ^(٤)، وهو الذي جلده عمر بن الخطاب، ولما استتابه أبي أن يتوب، فصار المسلمون لا يقبلون شهادته، وكان يقول لمن يطلب منه الشهادة: أشهد غيري، فإن المسلمين قد فسقوني ^(٥)، بل ذكر ابن عساكر في حقه: «كان أبو بكر لا يُعرف أبوه، فإذا عيّره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، قال: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ...﴾» ^(٦). وكان يقول: أنا من إخوانكم ممن لا أب له ^(٧)، يروي لنا هذه الرواية: «كان النبي صلى الله عليه وآله يصلي بنا، فيجيء الحسن صبي صغير - [والنبي] ساجد - حتى يصير على ظهره أو

(١) لسان الميزان / ج ٦ ص ٢١.

(٢) ميزان الاعتدال / ج ٤ ص ٤٩٩، ٥٠٠.

(٣) صحيح ابن حبان / ج ١٥ ص ٤٢٧.

(٤) التعديل والتجريح / ج ٢ ص ٨٥٩.

(٥) تاريخ مدينة دمشق / ج ٦٢ ص ٢١٦.

(٦) سورة الأحزاب: الآية ٥.

(٧) تاريخ مدينة دمشق / ج ٦٢ ص ٢١٤.

رقبته فيرفعه...»^(١)، وانفرد برواية ينقلها عن النبي ﷺ بأن الحسن سيد، ولعل الله تبارك وتعالى يصلح به فئتين من المسلمين^(٢).

٨- (جرير بن حازم)، الذي ضعفه العقيلي، ونقل عن ابن معين قوله: «هو في قتادة ضعيف، روى عنه أحاديث مناكير، وكان شعبة إذا جاء جرير يقول: جاءكم هذا الحشوي»^(٣)، و«كان أحمد يقول عنه: إنه كثير الغلط، وأنه حدّث بالوهم في مصر، ولم يكن يحفظ، وقال عنه ابن حبان: كان يخطئ؛ لأن أكثر ما يحدث من حفظه، وقال الأزدي: خرج عنه بمصر أحاديث مقلوبة، ولم يكن بالحافظ، حمل رشدين وغيره عنه مناكير، ونسبه يحيى الحماني إلى التذليس»^(٤)، روى: «خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشي والظهر أو العصر، وهو حامل الحسن أو الحسين، فتقدم النبي ﷺ فوضعه ثم كبر للصلاة، فصلّى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها، فقال: إني رفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت في سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة، قال الناس: يا رسول الله، إنك سجدت بين ظهراني صلاتك هذه سجدة قد أطلتها، فظننا أنه قد حدث أمر، وأنه قد يوحى إليك؟ قال: فكل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»^(٥).

وتلك أسماء رواة ضعفاء، إنما طرحناها كنهاج لما كان يحصل مع أحاديث رسول الله ﷺ في أهل البيت عليهم السلام، في فترة الحكم الأموي، ولا يسع هذا البحث إلا هذا المقدار من ذكر سيرة الضعفاء والمدلسين.

(١) حلية الأولياء / ج ٢ ص ٣٥.

(٢) مسند أحمد / ج ٥ ص ٣٥.

(٣) ضعفاء العقيلي / ج ١ ص ١٩٨ - ٢٠٠.

(٤) تهذيب التهذيب / ج ٢ ص ٦١-٦٢.

(٥) مسند أحمد / ج ٣ ص ٤٩٣.

آثار الصراع بين الإسلام ومن انتحل اسمه

مقدمة :

وبسبب حجم الافتراء والكذب الذي بذل معاوية فيه الغالي والنفيس، لتشويه صورة الإمام الحسن عليه السلام في أمة محمد عليه السلام، فإن قراءة المعاجم أو الأسانيد الروائية عن الإمام الحسن عليه السلام دون تحليل، أو انتقاء، أو دليل، يربك القارئ إرباكاً عظيماً، ويخلط عليه الأوراق، ويجعل المعاني متضاربة عنده.

فهو يرى شخصية، صنعها معاوية، تحمل صفات متناقضة: إمامٌ زاهدٌ موتور بحب النساء، بل مزواج ومطلاق، بحيث يوصلون عدد زوجاته إلى أربعين من غير ملك اليمين، مع أن واقع الحال أنه تزوج بأربع نساء، ثم طلق واحدة وتزوج أخرى، وكان عرف ذلك الزمان الجمع بين الأربع.

ويتضح التناقض في الروايات، حيث تذكر بعضها أن الحسن عليه السلام كان يجب أسئلة المسلمين وهو صغير، مع روايات تذكر أنه كان يلعب مع الصبيان وكان يعكر صفو صلاة رسول الله عليه السلام في المسجد.

كيف يتصف الحسن عليه السلام بصفة سيد شباب أهل الجنة، وهم يضيفون عليه تلك الصفات، التي يترفع عنها الإنسان العادي؟ أليس أكمل شباب أهل الجنة وسيدها، أن يكون أكمل شباب أهل الدنيا وسيدهم؟

وكيف يلعب المعصوم عليه السلام، في دور الصبا مع رسول الله عليه السلام وهو في صلاته عليه السلام يؤم

المسلمين؟ وكيف يُلف الوليد بخرقه صفراء تزعج النبي صلى الله عليه وآله؟ وكيف يسمي علي، وهو إمام معصوم، ابنه حرباً وهو من أساء الجاهلية؟ وكيف يأكل المعصوم عليه السلام الصدقة وهو صبي؟ وهل من الذوق النبوي أن يقبل بطن الحسن عليه السلام وسرته ويمص لسانه ويقول له لكع؟ وكيف يضطرب النبي صلى الله عليه وآله من غياب الحسن عليه السلام، وهو الذي أنبأ الله تعالى بمن كان يتأمر عليه من المشركين؟ وهل يعقل أن يقول النبي صلى الله عليه وآله: أن الحسن فتنة، ومبخله، ومجينة، ومحنة؟ وفي مكان آخر يقول صلى الله عليه وآله أنه ريجانتي من الدنيا؟

فكيف يستقيم ذلك، وأنت تقرأ في (العقد الفريد) أن رسول الله صلى الله عليه وآله: «بايع الحسن، والحسين، وعبد الله بن جعفر، وهم صغار، ولم يبايع قط صغيراً إلا هم»^(١). والبيعة لا تتم إلا من العاقل المدرك، فكيف يستقيم الادعاء بأن الحسن عليه السلام كان يلوك الصدقة، ويركب على ظهر جده، ويشتت فكره عن الصلاة الواجبة، والمسلمون خلفه، والنبي صلى الله عليه وآله يبايعه؟

(١) العقد الفريد / ج ٤ ص ٣٨٤.

أولاً: الأكاذيب المفتعلة ضد الإمام الحسن عليه السلام

أثار الصراع بين معاوية بن أبي سفيان وأئمة أهل البيت عليهم السلام، لاسيما الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام، والحسن بن علي عليه السلام، ثقافة جديدة كان يتم خلالها وضع الأحاديث المكذوبة، وتنسيبها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بما يناسب مذاق السلطان الحاكم، ويدعم سياسته، وقد نال الإمام الحسن عليه السلام النصيب الأعظم من ذلك التزوير.

الروايات الموضوعة حول الإمام عليه السلام

وفيما يلي روايات لا تنسجم مع شخصية المعصوم عليه السلام، ولا مع ذوق الشارع، ولا الذوق العقلي العام، وقد ألصقت بالإمام الحسن عليه السلام من أجل الخط من قدر المعصوم عليه السلام، وهو الذي كان يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن جبرئيل يهديه، وميكائيل يسدده، وهو ولدي، والظاهر من نفسي، وضلع من أضلاعي، هذا سبطي، وقرّة عيني، بأبي هو»^(١).

(١) الاسم: ذلك أن الحسن عليه السلام عندما وُلِدَ، سماه أبوه حرباً، عن الأربلي (ت ٦٩٣ هـ): قال ابن طلحة: «اعلم أن هذا الاسم الحسن سماه به جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه لما ولد عليه السلام قال: ما سميتموه؟ قالوا: حرباً، قال صلى الله عليه وآله وسلم: بل سموه حسناً»^(٢).

وروى «الجنابذي أن علياً عليه السلام سمى الحسن حمزة، والحسين جعفرأ، فدعا رسول

(١) بحار الأنوار/ ج ٤٣ ص ٣٣٣.

(٢) كشف الغمة/ ج ١ ص ٥١٨.

الله ﷺ علياً، وقال له: أني قد أمرت أن أغير أسم ابني هذين، قال: فما شاء الله ورسوله؟ قال: فهما الحسن والحسين»^(١).

وفي المستدرک للحاكم النيسابوري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «لما ولدت فاطمة الحسن جاء النبي ﷺ، فقال: أروني ابني ما سميتموه؟ قال: قلت: سميتاه حرباً، قال: بل هو حسن.

فلما ولدت الحسين جاء رسول الله ﷺ، فقال: أروني ابني ما سميتموه؟ قال: سميتاه حرباً، فقال: بل هو حسين.

فلما ولدت الثالث جاء رسول الله ﷺ قال: أروني ابني ما سميتموه؟ قلت: سميتاه حرباً. قال: بل هو محسن.

ثم قال: إنما سميتهم باسم ولد هارون: شبر وشبير ومشير، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»^(٢).

ولم يقتصرُوا في الوضع على تسميته (حرباً)، بل وضعوا علّة لتلك التسمية، كما ينقل ابن عساکر في (ترجمة الإمام الحسن رضي الله عنه): عن سالم بن أبي الأجدع، قال: قال علي: «كنت رجلاً أحب الحرب، فلما ولد الحسن هممت أن أسميه حرباً لأني كنت أحب الحرب، فسماه رسول الله ﷺ الحسن، فلما ولد الحسين هممت أن أسميه حرباً لأني كنت أحب الحرب فسماه رسول الله ﷺ الحسين، فقال: إني سميت ابني هذين باسم ابني هارون شبر وشبير»^(٣).

(١) كشف الغمة / ج ١ ص ٥١٨. وورد مثله في ترجمة الإمام الحسن رضي الله عنه ص ١٥.

(٢) المستدرک على الصحيحين / ج ٣ ص ١٦٥. وورد مثله في أسد الغابة / ج ٢ ص ١٠،

والاستيعاب / ج ١ ص ٣٨٤، وترجمة الإمام الحسن رضي الله عنه، ص ١٦.

(٣) ترجمة الإمام الحسن رضي الله عنه، ص ١٦.

وفي كتاب (دلائل الإمامة) عن علي عليه السلام عندما سأله عليه السلام عن تسميته قال عليه السلام: «... ما كنتُ أسبقك باسمه يا رسول الله، وقد كنتُ أحب أن أسميه حرباً، فقال النبي عليه السلام: ولا أنا أسبق باسمه ربي...»^(١).

كيف يخاطب جبرئيل النبي عليه السلام ويقول له: سمّ ابنك باسم هارون، فيقول عليه السلام: وما كان اسمه؟ قال: شبر. قال: لسان عربي؟ قال: سمه الحسن. فسماه الحسن^(٢).

هذه الرواية تفترض أنّ جبرئيل عليه السلام - حاشا الله - قد أخطأ في إيصال المراد؛ لأنه تكلم بلغة غير لغة النبي عليه السلام؟! وجبرئيل الصادق الأمين الذي وصفه الله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ﴾^(٣).

الدلالات المستفادة من وضع الاسم:

١- طالما كان الإمام علي عليه السلام بطلاً شجاعاً يقاتل في سبيل الله، فقد أراد القوم ان ينسبوا بطولته إلى الجاهلية والحرب وسفك الدماء. فهو - كما تريد الرواية - رجل موتور بحب الحروب، يرغب أن يسمى أولاده: حرباً، ثم حرباً، ثم حرباً.

٢- تبين الرواية المزورة أن رسول الله عليه السلام وعلياً عليه السلام على طرفي نقيض، وهذا التوجيه ينفع السلطان؛ لأنه يجرم الإمام عليه السلام أهم مقومات شخصيته، وهي الثقافة الواحدة المشتركة بين النبوة والإمامة، ويجرمه أيضاً من صفة العصمة، والولاية الشرعية على الأمة.

٣- هناك فارق بين الروايات الموضوعية التي ذكرناها حول اسم المولود، وبين

(١) دلائل الإمامة - محمد بن جرير الطبري ص ٦٠.

(٢) معاني الأخبار ص ٥٧.

(٣) سورة التكوير: الآية ٢٠ - ٢١.

رواية الصدوق (ت ٣٨١هـ) التي تقول: «لما ولدت فاطمة عليها السلام الحسن رضي الله عنه، قالت لعلي رضي الله عنه: سمّه، فقال: ما كنتُ لأسبق باسمه رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ... فسماه الحسن»^(١).

في رواية الصدوق، التي ذكرت أنّ النبي ﷺ هو الذي سماه حسناً، أقرب إلى مباني المذهب، للاعتبارات التالية:

الاول: إن النبي ﷺ كان مهتماً بالمولود الجديد قبل ولادته، والغالب ان الذي يهتم بالمولود، يهتم باسمه أيضاً، لأن الاسم مرآة للمسمى.

الثاني: إن التغيير والتبديل في تسمية المولود تدل على عدم ثبات شخصية ذلك الإنسان المهتم بتسمية الولد، وعدم معرفة ما يريد، وما بالك إذا كان المقصود أمير المؤمنين رضي الله عنه، فهل يصدّق ذلك؟

الثالث: إن اسم (حرب) يعني سفكاً للدماء، واسماً جاهلياً، وهي مغايرة لمفاهيم الدين، بل أنها تعطي انطباعاً جاهلياً، وهو بعيدٌ عن علي رضي الله عنه إمام المتقين، وأول المؤمنين إسلاماً، وبعيدٌ عن روح الإسلام التي تعني السلام لا الحرب.

٤- اضطراب روايات الوضع، ففي الرواية التي نقلها الأربلي عن ابن طلحة، والحاكم في المستدرک أنه رضي الله عنه سمى ابنه حرباً، وفي رواية سالم بن أبي الأجدع أن علياً هم أن يسميه حرباً، وفي رواية (دلائل الإمامة) للطبري انه رضي الله عنه كان يجب أن يسميه حرباً.

٥- هذه الروايات معلولة السند، ففي السند: أبو بكر الهذلي البصري، وأبو الزبير محمد بن مسلم المكي، وكلاهما ضعيفان.

(١) أمالي الصدوق ص ٨٢.

أبو الزبير محمد بن مسلم المكي: الأقوال فيه متضاربة من ناحية الجرح والتعديل، قال صاحب (ميزان الاعتدال): «يرد ابن حزم من حديث أبي الزبير ما يقول: عن جابر ونحوه، لأنه عندهم ممن يدلّس...»^(١).

أبو بكر الهذلي البصري: لم يوثقه أحد منهم، قال صاحب (ميزان الاعتدال): «أبو بكر الهذلي البصري، قال الدوري ليس بشيء، وقال أيضاً: ليس بثقة، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال غندر: كان يكذب. وقال أبو زرعة: ضعيف، وقال أبو حاتم: لين الحديث، يكتب حديثه، ولا يحتج بحديثه، وقال النسائي: ليس بثقة، ولا يكتب حديثه، وقال ابن الجنيد: متروك الحديث، وقال ابن المديني: ضعيف ليس بشيء، ضعيف جداً. ضعيف، ضعيف. وقال الجوزجاني: يضعف حديثه، وقال الدارقطني: منكر الحديث متروك. وقال يعقوب بن سفيان: ضعيف ليس حديثه بشيء، وقال المروزي: كان أبو عبد الله يضعف أمره. وقال ابن عمار: بصري ضعيف، وقال أبو إسحاق: ليس بحجة. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه، وقال الذهبي: ضعفه أحمد وغيره، وقال غندر وابن معين: لم يكن ثقة، وقال يزيد بن زريع: عدلّ عنه عمداً، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال البخاري: ليس بالحافظ عندهم»^(٢).

(٢) معاني الألوان: (الأصفر والأبيض والأحمر)، وهي أن الحسن عليه السلام عندما وُلد لُفَّ بخرقة صفراء فرماها عليه السلام، ثم لُفَّ المولود بخرقة بيضاء.

قال في كتاب (المناقب) عن أسماء بنت عميس: «...قالت: لما ولدت فاطمة

(١) ميزان الاعتدال / ج ٣ ص ١٢٥.

(٢) ميزان الاعتدال / ج ٣ ص ٣٤٥. وتهذيب التهذيب / ج ١٢ ص ٤٦. والغدير / ج ٧ ص

الحسن، جاءني النبي صلى الله عليه وآله، فقال: يا أسماء هاتي ابني، فدفعته إليه في خرقة صفراء فرمى بها، وقال: يا أسماء ألم أعهد إليكم أن لا تُلَقَّوا المولود في خرقة صفراء، فلففته في خرقة بيضاء ودفعته إليه...»^(١).

وان الحسن والحسين عليهما السلام مشيا في المسجد وعليهما قميصان باللون الأحمر، كما نقله ابن شهر آشوب في (المناقب) عن عبد الله بن بريدة قال: «سمعتُ أبي يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب على المنبر، فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه...»^(٢).

الدلالات المستفادة من معاني الألوان:

١- معاني الخرقعة، والأصفر، والأحمر في اللغة:

الخِرْقَةُ: القِطْعَةُ من خَرِقَ الثوب. وخرقتَ الثوب إذا شققته.

الأصفر: الصفرة من الألوان. قال أبو عبيد: الأصفر: الأسود. وقال الأعشى:

تلك خيلي منه، وتلك ركابي هُنَّ صَفْرٌ أولادها كالزبيب
الأحمر: الحمرة من الألوان المعروفة.

٢- إن للألوان دلالات في الثقافة الدينية والاجتماعية، فيطلق على الأكاذيب المدونة على قراطيس: بالصحف أو الوريقات الصفراء. والألوان، ترمز إلى الانتفاء فالأخضر رمز بني هاشم، والأحمر رمز بني أمية، واللون الأسود أصبح رمزاً لبني هاشم بعد مقتل الحسين عليه السلام.

(١) المناقب (ش)/ ج ٢ ص ١٦١. وذكر ما يشبه ذلك في ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، ص ١٢.

(٢) المناقب (ش)/ ج ٢ ص ١٣٢. وذكره في (كشف الغمة)/ ج ١ ص ٥٢١.

والأغلب ان الوليد يلفّ بقطعة قماش بيضاء نظيفة، وإذا أراد الواضع من معنى، فيتبادر إلى الذهن أن الحسن عليه السلام في الحث على قتاله الباغي معاوية كالحرقرة الصفراء البالية، ثم تبدلت بالصلح إلى قطعة بيضاء. بينما الأحمر يعني التلون بعد الصلح، برمز بني أمية.

٣- ان فاطمة الزهراء عليها السلام لا يمكن ان تترك الحسن والحسين عليهما السلام وحدهما ورسول الله صلى الله عليه وآله يخطب في المسجد، والمسلمون يصغون إليه.

ومن المعلوم أن غرفة فاطمة عليها السلام كانت جزءاً من المسجد، فهي تسمع صوت رسول الله صلى الله عليه وآله عندما كان يخطب، ويكلم الناس، وقد نبى الله تعالى في كتابه الكريم أولئك الذين يخاطبون رسول الله صلى الله عليه وآله من وراء الحجرات، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ. وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ...﴾^(١). وهذا يدل على أن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تسمع رسول الله صلى الله عليه وآله عندما يخطب في المسجد.

وبسبب عصمتها عليها السلام، فانه من المستحيل أن تترك الحسين عليه السلام يلهيان النبي صلى الله عليه وآله عن خطبته، وصلاته الواجبة.

٤- الروايات ضعيفة بأبي بكر الهذلي البصري، الذي ذكرنا ترجمته فيما سبق.

(٣) **أكل الصدقة**؛ وفيها روايات فحواها أن الحسن عليه السلام قد أكل من تمر الصدقة عندما كان صبياً، فأخرجها النبي صلى الله عليه وآله وقال له إنها عليهم حرام.

ففي صحيح البخاري ينقله عن أبي هريرة: «إن الحسن بن علي أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي صلى الله عليه وآله بالفارسية: كخ كخ، أما تعرف أنا لا نأكل

(١) سورة الحجرات: الآية ٤-٥.

الصدقة^(١).

قال الأربلي: «عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله أتى بتمر من تمر الصدقة، فجعل يقسمه فلما فرغ حمل الصبي وقام، فإذا بالحسن في فيه ثمرة يلوكها فسأل لعابه عليه، فرفع رأسه ينظر إليه، فضرب شدقه! وقال: كخ أي بني، أما شعرت أن آل محمد لا يأكلون الصدقة»^(٢).

وفي مسند أحمد بن حنبل بلفظ مختلف: «قال الحسن: فأدخل إصبعه في فمي وقال: كخ كخ، وكأني أنظر لعابي على إصبعه»^(٣).

و«عن أبي عميرة رشيد بن مالك هذا الحديث بألفاظ أخرى، وذكر أن رجلاً أتاه بطبق من تمر، فقال: أهذا هدية أم صدقة؟ قال الرجل: صدقة. فقدمها إلى القوم، قال: وحسن بين يديه صغير، قال: فأخذ الصبي ثمرة فجعلها في فيه، قال: ففطن رسول الله صلى الله عليه وآله، فأدخل إصبعه في فم الصبي فانتزع التمرة ثم قذف بها، وقال: إنا آل محمد لا نأكل الصدقة.

قال اللفتواني: لم يخرج الطبراني لأبي عميرة السعدي في معجمه سوى هذا الحديث الواحد»^(٤).

وفي حديث آخر: «إنا آل محمد لا نأكل الصدقة، قال معروف: وحدثني أنه جعل يدخل إصبعه ليخرجها فيقول: هكذا، كأنه يلتوي عليه ويكره أن يؤذيه»^(٥).

وفي تاريخ اليعقوبي عن الحسن بن علي عليه السلام في حديث طويل قال: «... وعقلتُ

(١) صحيح البخاري / ج ٤ ص ٩٠.

(٢) كشف الغمة / ج ١ ص ٥٢٧.

(٣) مسند أحمد / ج ٢ ص ٤٠٩.

(٤) كشف الغمة / ج ١ ص ٥٢٨.

(٥) كشف الغمة / ج ١ ص ٥٢٨.

عنه أني بينا أنا أمشي معه إلى جنب جرن الصدقة ، تناولتُ ثمرة فأدخلتها في فمي ، قال : فأدخل رسول الله صلى الله عليه وآله إصبعه في فمي فاستخرجها فألقاها وقال : إن محمداً وآل محمد لا تحل لهم الصدقة...»^(١) .

دلالات أكل الصدقة من قبل الحسن عليه السلام :

هذه الروايات مكذوبة على الحسن عليه السلام وعلى النبي صلى الله عليه وآله :

١- لم يُعهد من أهل البيت عليهم السلام أنهم كانوا غافلين عن ارتكاب الخطأ أو فعل المعصية، حتى في صباهم، وهذا علي عليه السلام يتبع رسول الله صلى الله عليه وآله من صغره اتباع الفصيل لأمه، كما يقول عليه السلام، وصبيان أهل البيت عليهم السلام عقلاء القوم وحكامهم.

٢- المراد من هذه الروايات وأمثالها، نفي العصمة عنهم عليهم السلام، فهم بزعم هذا الحديث وغيره: أناسٌ يرتكبون الأخطاء غفلة وهم صبيان، وينشغلون بالنساء والتفاخر وهم كبار، فأين العصمة فيهم؟ وهذا هدف تزوير الروايات.

٣- في رواية أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله ضرب شدقه وأخرج التمرة من فيه، أين هذا الكذب من الاخلاق الرحيمة للنبوته؟ وإذا كان الطفل غافلاً، فهل يستحق العقوبة الجسدية؟ كان النبي صلى الله عليه وآله يقول: الحسن ریحانتي في الدنيا، فكيف يعنف النبي صلى الله عليه وآله بريحانته؟

٤- لم نسمع من رسول الله صلى الله عليه وآله حديثه بالفارسية إلا كلمة (كخ كخ)، ولا شك أن بلاد فارس كانت قد فُتحت زمن الخليفة الثاني، أي بعد سنين من وفاة النبي صلى الله عليه وآله، والعرب لا عهد لها بالمصطلحات الفارسية، ولم نسمع من سلمان الفارسي كلمة بالفارسية في زمن النبي صلى الله عليه وآله، وكيف يفهم الصبي اللغة الفارسية، وهو ابن الصحراء

(١) تاريخ اليعقوبي / ج ٢ ص ٢١٤. ونقل مثل ذلك في ترجمة الامام الحسن عليه السلام ص ٢٣. ومشابه

لذلك في (أسد الغابة) للجرزي / ج ٢ ص ١٠.

العربية؟

٥- الروايات ضعيفة بأبي هريرة.

الكلام في عدالة أبي هريرة ووثاقته لا يعتمد على روايات أبي هريرة؛ لأنه خلط الكذب بالصحيح، وقد انتقده فقهاء الإسلام، ولم يأخذوا برواياته، إلا مدرسة الحديث التي رفعتة فوق مستوى الفضيلة.

• فالسرخسي (ت ٤٨٣هـ) يقول فيه: «لما بلغ عمر [بن الخطاب] أن أبا هريرة يروي بعض ما لا يعرف، قال: لتكفّن عن هذا أو لألحقنك بجبال دوس»^(١).

• كذبه عمر، وعثمان، وعائشة.

• أما التابعون، فقد كذبوا أبا هريرة وتكلموا فيه^(٢).

• اعترف أبو هريرة، فقال: «لقد حدثتكم بأحاديثٍ، لو حدثت بها زمن عمر بن الخطاب لضربني عمر بالدرة»^(٣).

• قال ابن قتيبة في أسباب الطعن في أبي هريرة: «...فإن أبا هريرة صحب رسول الله ﷺ نحواً من ثلاث سنين، وأكثر الرواية عنه، وعمر بعده نحواً من خمسين سنة... فلما أتى من الرواية عنه ما لم يأت بمثله من صحبه من جلة أصحابه، والسابقين الأولين إليه، اتهموه، وأنكروا عليه، وقالوا: كيف سمعت هذا وحدك؟ ومن سمعه معك؟ وكانت عائشة أشدهم إنكاراً عليه، لتطاول الأيام بها وبه. وكان عمر أيضاً شديداً على من أكثر الرواية...»^(٤).

(١) كتاب الأصول - السرخسي / ج ١ ص ٣٤١.

(٢) البداية والنهاية / ج ٨ ص ١٠٩.

(٣) جامع بيان العلم - ابن عبد البر ص ٣٩٩.

(٤) تأويل مختلف الحديث - ابن قتيبة ص ٣٨.

وكان أبو هريرة يعلم أنه تمادى في رواية الحديث المزعوم، فقال: «إنكم معشر التابعين، وقيل: الخطاب مع الصحابة المتأخرين: تقولون: أكثر أبو هريرة الرواية عن النبي، والله الموعد»^(١).

(٤) تقبيل البطن والسرة ومص اللسان ونحوها :

والروايات التالية المزعومة، منافية لأداب المعصوم، ورسول الهدى، ونبي الرحمة عليه السلام، ومنها: تقبيل البطن، ومص اللسان، وهو لا يتناسب مع ذوق العرف، فضلاً عن ذوق الشارع.

أ- مص اللسان: في المستدرك للحاكم النيسابوري عن أبي هريرة: «... رأيتُ الحسن في حجر النبي عليه السلام وهو يدخل أصابعه في لحية النبي عليه السلام، والنبي عليه السلام يدخل لسانه في فمه...»^(٢).

وقال ابن عساکر في حديث طويل أن الحسن عليه السلام عطش «... فأخذه عليه السلام فضمّه إلى صدره وهو يصغو ما يسكت، فأدلع له لسانه فجعل يمصه حتى هدأ وسكن فلم أسمع له بكاء...»^(٣).

وأيضاً عن أبي هريرة قال: «رأيتُ رسول الله يمصّ لعاب الحسن والحسين كما يمصّ الرجل التمرة»^(٤).

وفي المناقب نقل ابن شهر آشوب: « أنه عطش المسلمون عطشاً شديداً فجاءت

(١) المرقاة في شرح المشكاة - الخطيب التبريزي / ج ٥ ص ٤٥٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين / ج ٣ ص ١٦٩.

(٣) ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، ص ١٠٤.

(٤) ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، ص ١١٠، ص ١٠٧.

فاطمة بالحسن والحسين إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إنهما صغيران لا يَحْتَمِلَانِ العطش، فدعا الحسن فأعطاه لسانه فمصّه حتى ارتوى، ثم دعا الحسين فأعطاه لسانه فمصّه حتى ارتوى»^(١).

ب- تقبيل البطن: في المستدرک أن أبا هريرة «لقي الحسن بن علي، فقال: رأيتُ رسول الله ﷺ قبّلَ بطنك، فاكشف الموضع الذي قبّله رسول الله ﷺ حتى أقبله، قال: وكشف له الحسن فقبّله»^(٢)، قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)^(٣).

وفي لفظ ابن عساکر: «قال له أبو هريرة: أرني أقبل منك حيث رأيتُ رسول الله ﷺ يقبّل، فقال: بقميصه، قال: فقبّل سرّته»^(٤).

ج- الألفاظ المنافية لأداب النبوة: ومنها أن النبي ﷺ قد أطلق عليه لفظ: لكع، ولكاع.

نقل ابن عساکر عن أبي هريرة: «قال: كنتُ مع النبي ﷺ في سوق من أسواق المدينة، فانصرف وانصرفت معه، فجاء إلى فناء فاطمة فنادى الحسن. فقال: أي لكع أي لكع - قاله ثلاث مرات - فلم يجبه أحد، قال: فانصرف وانصرفت معه، قال: فجاء إلى فناء عائشة فقعد، قال: فجاء الحسن بن علي. قال أبو هريرة: ظننتُ أن أمه حبسته

(١) المناقب (ش)/ ج ٢ ص ١٣٢.

(٢) المستدرک على الصحيحين / ج ٣ ص ١٦٨.

(٣) المستدرک الصحيحين / ج ٣ ص ١٦٨.

(٤) ترجمة الإمام الحسن (ع) ص ١٠١.

لتجعل في عنقه السخاب^(١)، فلما جاء التزمه رسول الله صلى الله عليه وسلم...»^(٢).

ونقل ابن عساكر أيضاً عن أبي هريرة: «أن رسول الله خرج يوماً فوجدني في المسجد، وأخذ بيدي وأتكا عليّ ثم انطلقتُ معه حتى جئنا سوق بني قينقاع، فما كلمني فطاف فيه ونظر، ثم رجع ورجعتُ معه، فجلس في المسجد فاحتبى، ثم قال: ادع لي لكاع، فأتى حسن يشدّ حتى وقع في حجره...»^(٣).

دلالات تلك الألفاظ:

١- لو وكلنا أمر تلك الأفعال، كتقبيل البطن، ومصم اللسان، ومصم اللعاب، للذوق العرفي لاستهجنها، والنبى صلى الله عليه وسلم مأمور برسم المنهج الأخلاقي للمجتمع الإسلامي، بمذاق شرعي خاص. ولو كانت الروايات هذه صحيحة لكانت تلك سنّة فعلية، إضافة إلى السنّة القولية والتقريرية، وكان على المسلمين العمل بها. إلا أننا نرى أن تلك الأفعال مستهجنة؛ لأنها لا تنسجم مع الفطرة البشرية ولا مباني العقلاء، ولم نر من سيرة المتشرعة من فعلها، بل لم يعمل بها أحد قط.

نعم، إن الإمام الحسن عليه السلام، قال: «إذا لقي أحدكم أخاه، فليقبل موضع النور من جبهته»^(٤)، والأرجح أن النبى صلى الله عليه وسلم عندما كان يقبل الحسن والحسين عليهما السلام، كان يقبل موضع النور في جبهتهما، ولا يمكن أن يخالف الإمام الحسن عليه السلام سيرة جده صلى الله عليه وسلم لو كانت على خلاف ذلك.

٢- هل يعقل ان النبى صلى الله عليه وسلم يصف الحسن عليه السلام يوماً بريحاني في الدنيا، وأنه سيد

(١) السخاب: القلادة.

(٢) ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ص ٤٦.

(٣) ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ص ٤٩.

(٤) تحف العقول ص ٢٣٦.

شباب أهل الجنة، ويوماً يصفه بـ(لكع)، أو (لكاع).

في اللغة: «اللُّكْعُ: وَسِخُ الْقُلْفَةِ. لَكَعَ: عَلَيْهِ الْوَسِخُ. وفي حديث أبي هريرة: أُمَّمَ لُكْعٌ، يعني الحسن والحسين، عليه السلام. قال ابن الأثير في هذا المكان: فإن أطلق على الكبير أُريد به الصغير العِلْمَ والعُقْلَ»^(٥).

«وَاللُّكْعُ: الْعَبْدُ. قال أبو عمرو في قولهم: يا لُكْعُ، قال: هو اللئيم، وقيل: هو العبد. وقال الأصمعي: هو العبيُّ الذي لا يتجه لمنطق ولا غيره، مأخوذ من الملاكيح. قال الأزهري: والقول قول الأصمعي، ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وآله، دخل بيت فاطمة، فقال: أين لُكْعُ؟ أراد الحسن، وهو صغير، أراد أنه لصغره لا يتجه لمنطقٍ وما يُصلِحُه ولم يُرد أنه لئيم أو عبد»^(٦).

وأنت تلحظ أن معاجم اللغة كـ (لسان العرب) وغيره من المعاجم قد استخدمت لنشر الثقافة الأموية أيضاً، فهي تنقل ما كان شائعاً في عهد بني أمية من أكاذيب على رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣- وهل يعقل ان الإمام الحسن عليه السلام بهيبته، ووقاره، وشخصيته التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وآله: «إما الحسن فله هيبتي وسؤددي، وأما الحسين فله جودي وشجاعتي»^(٧)، أن يكشف عن بطنه لأبي هريرة من أجل أن يقبلها!؟

٤- مثل تلك الروايات، كما ذكرنا أكثر من مرة، أُريد منها الانتقاص من شخصية الحسن عليه السلام، والحط من خصائصه في إمامة الأمة.

(٥) لسان العرب / ج ٨ ص ٣٢٢، مادة (لكع).

(٦) لسان العرب / ج ٨ ص ٣٢٣، مادة (لكع).

(٧) إعلام الوری ص ٢١٠.

٥- أما الناحية السندية لتلك الروايات، فالروايات في هذا القسم ساقطة من ناحية السند؛ لأن راويها أبو هريرة الدوسي، الذي افتعل الكثير من الروايات الكاذبة ضد أهل البيت عليهم السلام، وبأمر من معاوية مباشرة.

أما رواية ابن عساكر، ففيها: اليمان بن سعيد وهو ضعيف، كما في لسان الميزان^(١). وفي كتاب (نصب الراية): (اليمان بن سعيد ضعيف، ورفع خطأ فاحش)^(٢).

(٥) الزعم باضطراب النبي صلى الله عليه وآله من مصير الحسنين عليه السلام :

قال المجلسي (ت ١١١١هـ): «روي عن سلمان الفارسي، قال: أهدني إلى النبي صلى الله عليه وآله قطف من العنب في غير أوانه. فقال لي: يا سلمان اتتني بولدي الحسن والحسين، ليأكلا معي من هذا العنب، قال سلمان الفارسي: فذهبتُ أطرق عليهما منزل أمهما، فلم أرهما، فأتيت منزل أختها أم كلثوم، فلم أرهما فجئتُ فخبرت النبي صلى الله عليه وآله بذلك.

فاضطرب ووثب قائماً وهو يقول: وا ولداه، وا قررة عيناه، من يرشدني عليهما فله على الله الجنة. فنزل جبرئيل من السماء، وقال: يا محمد على ما هذا الانزعاج؟ فقال: على ولدي الحسن والحسين، فإني خائفٌ عليهما من كيد اليهود، فقال جبرئيل: يا محمد، بل خف عليهما من كيد المنافقين، فإن كيدهم أشد من كيد اليهود. واعلم يا محمد أن ابنك الحسن والحسين نائمان في حديقة أبي الدحداح، فصار النبي صلى الله عليه وآله من وقته وساعته إلى الحديقة وأنا معه حتى دخلنا الحديقة، وإذا هما نائمان وقد اعتنق أحدهما الآخر...»^(٣).

(١) لسان الميزان / ج ٦ ص ٢٦٥.

(٢) نصب الراية - الزيعلي / ج ١ ص ٢٢٩.

(٣) بحار الأنوار / ج ٤٣ ص ٣١٣. وقد ذكرت الرواية بالفاظ مختلفة في المناقب لابن شهر آشوب

/ ج ٢ ص ١٦١ وغيرها.

الدلالات:

١- كيف يضطرب النبي صلى الله عليه وآله وهو الواثق بالله تعالى، وله من عند الله تعالى علم الأولين والآخرين؟ وكيف يضطرب وقد تواترت الروايات بأنه صلى الله عليه وآله قد تنبأ بمقتل الحسن والحسين عليهما السلام، وكان يصف واقعة الطف وما يجري فيها وصفاً دقيقاً؟

٢- أم كلثوم، أخت الحسن والحسين عليهما السلام، كان عمرها يومئذٍ أربع سنوات أو أقل، فكيف يمكن أن يكون لها بيت خاص بها؟ والمعروف أن فاطمة الزهراء عليها السلام وعلي عليه السلام وأولادهما كانوا في حجرة من حجر مسجد النبي صلى الله عليه وآله، وكانت تسمى حجرة فاطمة عليها السلام، ولا وجود لمنزل أم كلثوم أختها وهي صبية في الرابعة من عمرها!!

٣- هذه الرواية مرسلة يرفعها المجلسي (ت ١١١١هـ) إلى سلمان (ت ٣٦هـ)، ولا يمكن الاعتماد على سندها.

(٦) الزعم بقول النبي صلى الله عليه وآله أن الحسنين فتنة:

روى الأربلي (ت ٦٩٣هـ) عن: «الترمذي والنسائي في صحاحهم، كل منهم بسنده يرفعه إلى بريدة، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان... يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: صدق الله صلى الله عليه وآله ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(١)، فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعْتُ حديثي ورفعتها»^(٢).

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٨.

(٢) كشف الغمة/ ج ١ ص ٥٢١.

الدلالات:

١- هذه الآية: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوَ الْكُفْمُ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(١)، والآية التي قبلها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢) في سياق واحد، نزلتا بعد معركة بدر، وفيها تحريض على قتال المشركين الذين كانوا يستجمعون قواهم لمحاربة المسلمين في المدينة.

والآية تنهى عن خيانة الله تعالى ورسوله ﷺ، وهي خيانة للأمانة التي ائتمنها الله تعالى إياهم في دينه، والآيتان تفيدان حرمة تلك الخيانة عبر إظهار المودة للمشركين في مكة، لاسيما إن أموالهم وأولادهم لا تزال في مكة، والمسلمين مهاجرون في المدينة.

وهذه الآية لا تنطبق أصلاً على النبي ﷺ، فكيف يستدل بها ﷺ على نفسه، وقد نزلت على المسلمين من ضعاف الإيمان الذين كانت توحشهم خسارة أموالهم وأولادهم في مكة، وهم مع رسول الله ﷺ في المدينة!

٢- السند ضعيف بـ(سعيد بن راشد السماك) الذي قيل فيه: (حديثه ليس بشيء)^(٣)، و(متروك)^(٤)، و(ضعيف الحديث، منكر الحديث)^(٥).

(٧) الزعم بقول النبي ﷺ: أن الولد مبخلة، ومجبنة، ومحزنة:

قال الحاكم في المستدرک: «عن يعلى بن منبه الثقفي قال جاء الحسن والحسين يستبقان إلى رسول الله ﷺ، فضمهما إليه ثم قال: إن الولد مبخلة، مجبنة، محزنة. هذا

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٨.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٢٧.

(٣) ضعفاء العقيلي / ج ٢ ص ١٠٥.

(٤) الضعفاء والمتروكين - النسائي ص ١٩١.

(٥) الجرح والتعديل - الرازي / ج ٤ ص ١٩.

حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»^(١).

وقال ابن عساکر: «إن النبي ﷺ أخذ حسناً فقبله ثم أقبل عليهم، فقال: إن الولد مبخلة مجبنة»^(٢).

الدلالات:

١- في اللغة:

مَبْخَلَةٌ: الشيء الذي يملك على البخل، هو مفعلة من البخل [ضد الكرم]، ومظنّة لأن يحمل أبويه على البخل، ويدعوها إليه فيبخلان بالمال لأجله»^(٣).

هجا الفرزدق إنساناً في البخل، فقال:

كأنها خُلِقَتْ كَفَّاهُ مِنْ حَجَرٍ فليس بين يديه والندى عَمَلُ
يرى التيمّم في برٍّ وفي بحرٍ مخافةً أن يرى كفه بللُ

مَجْبَنَةٌ: من الجبن. والجبان من الرجال: الذي يهابُ التقدم على كل شيء، ليلاً كان أو نهاراً. وهو ضد الشجاعة.

والولد مجبنة، تعني أن الولد لما صار سبباً لجبن الأب عن الجهاد وإنفاق المال والافتتان به، كان كأنه نسبه إلى هذه الخلال ورماه بها^(٤).

مَحْزَنَةٌ: الحزْن والحزْنُ: نقيض الفرح. ويقال: مُحْزَنٌ إذا حَزَنَهُ الأمرُ. ومن ذلك قوله تعالى عن حال يعقوب: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنْ

(١) المستدرک علی الصحیحین / ج ٣ ص ١٦٤.

(٢) ترجمة الإمام الحسن (ع) ص ٨٦.

(٣) لسان العرب / ج ١١ ص ٤٦، مادة (بخل).

(٤) لسان العرب / ج ١٣ ص ٨٤، مادة (جبن).

الْحُزْنَ فَهُوَ كَظِيمٌ»^(١)، و«قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ...»^(٢).

٢- هذا الحديث المكذوب على رسول الله صلى الله عليه وآله يرمي إلى افتعال أمور، ولو أنه لم يصرح بها، إلا انه يفهم منه ذلك، ومنها:

أ- إن علياً عليه السلام كان يبخل بالمال من أجل ولديه.

ب- إن علياً عليه السلام كان يجبن في الحرب من أجل ولديه.

ج- إن الحسن والحسين عليهما السلام كانا حزنًا لوالديهما.

٣- ضعف السند، فالرواية ضعيفة ب (يعلى بن منبه الثقفي)، فإن كان هو (يعلى بن منبه) الذي وصفه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «يعلى بن منبه الخائن الفاجر قد حمل أموال العراق وفارس لينفق ذلك...»^(٣) فضعفه واضح، وإن كان غيره، والاسم من المشتركات، فيكون مجهولاً، ولم أجد له ترجمة في الكتب الرجالية.

(٨) الزعم بلعب الحسنين عليهما السلام :

روى العلامة المجلسي (ت ١١١١ هـ) عن كتاب (الدرر): «قال المسهر مولى الزبير: تذاكرنا من أشبه النبي صلى الله عليه وآله من أهله، فدخل علينا عبد الله بن الزبير، فقال: أنا أحدثكم بأشبه أهله إليه، الحسن بن علي، رأيت يجيء وهو ساجد فيركب ظهره، فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، ورأيت يجيء وهو راکع، فيفرج له بين رجله حتى يخرج من الجانب الآخر...»^(٤).

(١) سورة يوسف: الآية ٨٤.

(٢) سورة يوسف: الآية ٨٦.

(٣) الجمل ص ٨٩.

(٤) بحار الأنوار/ ج ٤٣ ص ٣١٧.

وفي مسند أحمد «عن عقبة بن الحارث، قال: خرجتُ مع أبي بكر من صلاة العصر بعد وفاة رسول الله ﷺ بليالٍ وعليّ يمشي إلى جنبه، فمرّ بحسن بن علي يلعب مع غلمان فاحتمله على رقبتِه وهو يقول:

وا بأبي شبه النبي ليس شبيهاً بعلي
قال: وعلي يضحك»^(١).

وفي (المناقب): «روى عبد الله بن شداد، عن أبيه، وأبي يعلى الموصلي، في المسند عن ثابت البناني، عن أنس، وعبد الله بن شيبه، عن أبيه أنه دعا النبي ﷺ إلى صلاة والحسن متعلّق به، فوضعه النبي ﷺ مقابل جنبه وصلّى، فلما سجد أطل السجود، فرفعتُ رأسي من بين القوم، فإذا الحسن على كتف رسول الله ﷺ فلما سلّم ﷺ، قال له القوم: يا رسول الله لقد سجدتَ في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها كأنها يوحى إليك، فقال ﷺ: لم يوحَ إليّ ولكن ابني كان على كتفي فكرهتُ أن أعجله حتى نزل»^(٢).

و«عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قبل الحسن وهو يصلي. وعن الخدري أن الحسن (ع) جاء النبي ﷺ يصلي فأخذ بعنقه وهو جالس، فقام النبي ﷺ وأنه ليمسك بيديه حتى يركع»^(٣).

وقد ذكرت تلك الروايات بالفاظ مختلفة في (كشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٥٢٦)، و(المستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٧٠)، و(حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٥)، و(ترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص ٢٣)، و(سنن الترمذي ج ٥ ص ٦٥٨)، وغيرها من المصادر الروائية.

(١) مسند أحمد/ ج ١ ص ٨.

(٢) المناقب (ش)/ ج ٢ ص ١٦٠.

(٣) المناقب (ش)/ ج ٢ ص ١٦١.

والمعنى واحد، وهو أن الحسن والحسين كانا يلعبان في المسجد وقت صلاة النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ - كما تزعم تلك الروايات - يؤخر صلاته حتى يكملا لعبهما، والمصلون ينتظرون حتى ينتهي النبي ﷺ من صلاته، فكان ﷺ يصف نفسه من خلالها: نعم المطية مطيتكما، ونعم الراكبان أنتما، ونعم الجمل جملكما، ونعم الحملان أنتما، ونحوها.

وكانا يأتيانه خلال صلاته ﷺ، أو يمشي على أربع ويركبان على ظهره، وعندما يسجد يركب الحسن رضي الله عنهما على ظهره وهو ساجد ونحوها من الأفعال.

دلالات لعب الحسنين رضي الله عنهما :

١- اللعب هو «حركة لا لغرض عقلائي»^(١)، يراد منه التلذذ، ومنه قول تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ حَيَاةُ الدُّنْيَا...﴾^(٢)، وقيل في المباني الفلسفية أن الأفعال لا تخلو من وجود علة غائية، فاللعب فعل ليس له علة توصل الإنسان إلى هدف يقصده العقلاء غالباً.

٢- اختلف فقهاء مذهب أهل البيت رضي الله عنهم حول صحة روايات لعب الحسنين رضي الله عنهم، فمن أخذ بها، واستدل على حواز المحمول الطاهر في الصلاة، كالمحقق الحلي (ت ٦٧٦هـ) في المعتبر (ج ١ ص ٤٤٣)، والعلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ) في نهاية الأحكام (ج ١ ص ٢٨٣)، والشهيد الأول (ت ٧٨٦هـ) في ذكرى الشيعة (ج ١ ص ١٤٢) وغيرهم.

٣- هناك من اعترض عليها من الفقهاء، ومن تلك الآراء:

أ- «إن روايات صعود الإمامين الحسنين على ظهر رسول الله ﷺ ليست بصحيحة، وعلى فرض صحتها فهي قابلة للتأمل، إذ أن من يولد وعمود النور بين يديه، لا يمكن

(١) المكاسب - الشيخ الأنصاري / ج ٢ ص ٤٧.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٧٠.

أن تصدر منه مثل هذه التصرفات المؤدية إلى قطع الاشتغال بالصلاة، فإنها إنما تصدر ممن يجهل قيمة الصلاة، ولا يحيط بخصوصياتها، وليس المعصوم عليه السلام كذلك»^(١).

ب- «من يعلم أن حاجة الناس إلى الإمام عليه السلام كحاجتها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتوقف اتساق أنظمتها الدينية والدنيوية عليها، لا يعزب عنه العلم بأنه مقتدى البشر في أعماله، كما هو مقتداهم في أقواله، فلهم به أسوة في تروكه وأفعاله.

وإذا جَوَزنا الإمامة للصبي، وقلنا بأنه في وسع المولى سبحانه الذي قيّضه لها أن يوفر له العلم والحكمة والحكمة في الأمور كلها، صغيراً كما يوفرها له كبيراً، وقد فعل ذلك بالماضين من الرسل، فأرسل يحيى عليه السلام للنبوة صبيّاً، وجعل عيسى عليه السلام في المهد نبياً، فلا نرتاب في أن هذا المقام القدسي لا يتلاءم مع شيء من مقتضيات الطفولة؛ لأن أوقاته أثمن من أن يصرّفها فيما لا يعنيه، وإن فعل ذلك اقتدت به الأمة لخضوعها لإمامته، واتخاذها ناموساً لا يتخطى عنه، فتختل حينئذ شؤونها، وتفسد أخلاقها، ويسقط محلّه عندها، ومن أجله وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، والسهو، والنسيان، والملاهي، إلى غيرها.

وفي حديث معاوية بن وهب: قلت للصادق عليه السلام: ما علامة الإمام الذي هو بعد الإمام؟ قال: «طهارة المولد، وحسن المنشأ، ولا يلهو ولا يلعب»، وفي الأثر: أن صبيّاً قال ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب، فقال عليه السلام: «ما خلقنا للعب»^(٢).

ج- «قصة ركوب الحسن والحسين عليه السلام على ظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مرويات العامة، رواها: ابن حجر في الإصابة ج ١ ص ٣٢٩ - ترجمة الحسن عليه السلام، عن عاصم،

(١) روايات لعب الإمامين الحسينين في الميزان - السيد القطيفي. نقلها عن درس استاذة السيد محمد صادق الروحاني رحمته الله.

(٢) وفاة الإمام الجواد عليه السلام - عبد الرزاق المقرّم ص ٧٣.

عن الزبير بن بكّار، عن عمه مصعب الزبيري، وفي صفحة ٣٣٠: عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن مسعود.

ورواها ابن عساكر في (تاريخه) ج ٤ ص ٢٠٢، عن مصعب بن عمير، عن عبد الله بن الزبير.

والذهبي في (ميزان الاعتدال) ج ٢ ص ٣٥٢ عن أبي هريرة.

وابن حجر في (الصواعق المحرقة) ص ٨٢، عن أبي بكرة.

والمتقي الهندي في (كنز العمال) ج ٦ ص ١٠٩، عن أبي بكرة.

وقد يترجح في نظر بعض أن هذه القصة من موضوعاتهم، وأنّ الله قد أعطى الإمام العلم، وأوقفه على أسرار التكوين منذ كان حملاً في بطن أمه، فقد وردت في أحاديث رواها الصفار في (بصائر الدرجات)، والكليني في (أصول الكافي)، عن أهل البيت عليهم السلام: إذا ولد المولود منا رفع له عمود نور يرى به أعمال العباد، وما يحدث في البلدان، إشارة إلى القوة القدسية المودعة في نفوس الأئمة عليهم السلام، فالإمام يعرف ماهية الصلاة، ومَن الذي يسجد له نبي الإسلام صلى الله عليه وآله، ولم يفتئه أن هذا الحال هو أقرب أحوال النبي صلى الله عليه وآله مع مولاه (عز شأنه)، فكيف يشغله الإمامان على الأمة إن قاما وإن قعدا - بنص الرسول صلى الله عليه وآله - عن مخاطبة حبيبه سبحانه؟!

والإمام لا يلهو ولا يلعب، كما في الحديث^(١)

على أن رواية هذه القصة لا يعتمد على نقلهم، فإن آل الزبير أكثرها فيها يحطّ بكرامة أهل البيت عليهم السلام، وقد أخرجهم علماء الرجال عن صفّ من يوثق به من الرواة^(٢).

(١) وفاة الإمام الجواد عليه السلام ص ٧٣.

(٢) سكينه بنت الحسين عليه السلام - عبد الرزاق المقرّم ص ٣٨.

وأما عاصم: فهو ابن بهدلة ابن أبي النجود، أحد القراء.

وفي تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ٣٨ كان عثمانياً، سيء الحفظ، كثير الخطأ، مضطرب الحديث، وفيه نكرة.

وأما أبو بكر: فهو أخو زياد لأمه، كان منحرفاً عن أمير المؤمنين (ع)، ويخذل الناس عن نصرته يوم الجمل، وهو الذي ردّ الأحنف بن قيس عن نصرته يوم الجمل بافتعاله الحديث: ستكون بعدي فتنة القاتل والمقتول في النار، قلت: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: لأنه أراد قتل صاحبه.

وأما أبو هريرة: فإنّ أحاديثه كلّها لا تساوي فلساً، لأنّ دنيا معاوية أعمته عن إِبصار الحقّ، فلم يبال بالكذب^(١).

٤- الرواية التي ينقلها سعد بن عبد الله القمي بخصوص الإمام المهدي (ع) حيث يقول واصفاً الإمام وهو صبي بين يدي والده الإمام العسكري (ع): «وبين يدي مولانا [الإمام العسكري] رمانة ذهبية تلمع بدائع نقوشها، وسط غرائب الفصوص المركبة عليها، قد أهداها إليه بعض رؤساء أهل البصرة، ويده قلم إذا أراد أن يسطرّ به على البياض شيئاً قبض الغلام على أصابعه، فكان مولانا يدحرج الرمانة بين يديه، ويشغله بردها، كي لا يصدّه عن كتابة ما أراد».

وقد رد المحقق الخوئي (ت ١٤١٢هـ) على الرواية بقوله: «وهذه الرواية ضعيفة السند جداً، فإنّ محمد بن بحر بن سهل الشيباني لم يوثق، وهو متهم بالغلو، وغيره من رجال سند الرواية مجاهيل، على أنّها قد اشتملت على أمرين لا يمكن تصديقهما:

أحدهما: حكايتها صد الحجة (سلام الله عليه) [الإمام المهدي (ع)] أباه عن الكتابة،

(١) الخدائق الناضرة/ ج ٥ ص ٣٣٨ - ٣٣٩ (الهامش) - الشيخ محمد تقي الأيرواني.

والإمام عليه السلام كان يشغله بردّ الرمانة الذهبية! إذ يقبح صدور ذلك من الصبي المميز، فكيف ممن هو عالم بالغيب، وبجواب المسائل الصعبة؟^(١).

٥- ذكر الشيخ المجلسي (ت ١١١١هـ) في تعليقه على معتبرة صفوان الجمال:
«صاحب هذا الأمر لا يلهو ولا يلعب»، فقال:

«(لا يلهو) أي: لا يغفل عن ذكر الله، و(ولا يلعب) أي: لا يفعل ما لا فائدة فيه، لا في صغره ولا في كبره، وإن صدر منه شيء يشبه - ظاهراً - فعل الصبيان، ففي الواقع مبنيٌّ على أغراض صحيحة، ولا يغفل عند ذلك عن ذكره سبحانه، كما أنه [أي الإمام الكاظم عليه السلام] في حالة اللعب الظاهري، كان يأمر العناق^(٢) بالسجود لربه تعالى»^(٣).

(١) معجم رجال الحديث / ج ٩ ص ٨٢.

(٢) العناق: الأنتى من المعز، إذا أتت عليها سنة.

(٣) مرآة العقول - المجلسي / ج ٣ ص ٣٣٩.

الأكاذيب المفتعلة لرفع شأن معاوية

مقدمة :

تمكن معاوية بن أبي سفيان، من خلال إمارته على الشام مدة عشرين سنة في عهد الخليفين الثاني والثالث، من إحكام قبضته على فكر أهل الشام من المسلمين، فُعرف فيها بأنه من أصحاب رسول الله ﷺ الذي لا يدانيه أحد في المنزلة والفضل، وعندما استتب له الأمر، بدأت الشام وسائر بلاد الإسلام تسير إلى نظام جديد، بعيد عن الإسلام، بل لا يحترم مبادئ الإمامة الشرعية، وأهل البيت ﷺ الذين أوصى بهم رسول الله ﷺ.

فوقف الإمام الحسن ﷺ موقفاً صلباً من هذا الوضع الغريب، يدافع عن الحق، وينافح عن الدين، ويرفع الغطاء الشرعي المزيف الذي وضعه معاوية لسلطانه، ولم يستمر الوضع طويلاً حتى كشف الأخير عن سياسته قائلاً: «يا أهل العراق، إني والله لم أقاتلكم لتصلّوا ولا لتصوموا، ولا لتزكوا، ولا لتحجوا، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون»^(١).

وكان لابد من دعمٍ لحججه تلك بحائظ من الروايات المروية- كذباً- على رسول الله ﷺ ليستند إليها في حكمه، فكانت الأحاديث الموضوععة في الإسلام، ولتلك الأحاديث بُعدان، الأول: النيل من شخصية الإمام الحسن ﷺ بالخصوص، وأهل البيت ﷺ عموماً. والثاني: استحداث فضل مزعوم لمعاوية، حتى يستطيع أن يجمع

(١) مقاتل الطالبين ص ٤٥.

أطراف السلطة الدينية والدينية على الناس، ومن تلك الأحاديث:

حديث (اللهم اجعله هادياً مهدياً):

وهذا حديث بذل فيه معاوية الغالي والنفيس من أجل نشره بين الناس، وإيقاعه بإيقاع التقوى والتمسك بسنة النبي عليه السلام، وهو كذب محض على رسول الله عليه السلام، ومنه:

حديث عبد الرحمن بن أبي عمير المزني أنه سمع رسول الله عليه السلام يقول، وذكر معاوية: «اللهم أجعله هادياً مهدياً، واهده، واهد به»، قال الثقفى (ت ٢٨٣هـ) في كتاب (الغارات) نقلاً عن شرح النهج: «وقيل: عبد الرحمن بن عمير، أو عميرة القرشي، حديثه مضطرب، لا يثبت في الصحابة، وهو شامي، روى عن ربيعة بن يزيد»^(١).

و«منهم من يوقف حديثه هذا، ولا يعرفه، ولا يصح مرفوعاً عندهم، وروى عنه أيضاً القاسم أبو عبد الرحمن مرفوعاً: لا عدوى، ولا هام، ولا صفر. وروى عنه علي بن زيد مرسلًا عن النبي عليه السلام في فضل قريش، وحديثه منقطع الإسناد، مرسل، لا يثبت أحاديثه، ولا تصح صحبته»^(٢).

وقد تسابق القوم على ذكر فضل معاوية في الهداية المزعومة، فذكره الضحاك (ت ١٠٢هـ) في (الآحاد والمثاني ج ٢ ص ٣٥٨)، ومحمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ) في (الطبقات الكبرى ج ٧ ص ٤١٨)، وأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) في مسنده (مسند أحمد ج ٤ ص ٢١٦)، والبخاري (ت ٢٥٦هـ) في (التاريخ الكبير ج ٥ ص ٢٤٠)، والطبراني (ت ٣٦٠هـ) في (المعجم الأوسط ج ١ ص ٢٠٥)، وغيرهم.

(١) الغارات / ج ٢ ص ٣٨٢.

(٢) الغارات / ج ٢ ص ٣٨٢.

انتقادات أهل العلم لحديث الهداية المزعوم:

وهذه جملة من انتقادات أهل العلم كالذهبي، والرازي، وابن حجر، والترمذي، ومحمد بن عقيل الصنعاني، وأبورية، والأميني، وغيرهم:

١- أورد الترمذي (ت٢٧٩هـ) في صحيحه^(١) حديث عبد الرحمن بن أبي عميرة مرفوعاً: اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به.

وأشكل بعض أهل العلم على صحة هذا الحديث، بالشكل التالي:

أ- قال الذهبي (ت٧٤٨هـ) في (سير أعلام النبلاء) أن إسحاق بن راهويه قال: «لا يصح عن النبي ﷺ في فضل معاوية شيء»^(٢). وإسحاق بن راهويه هو أستاذ البخاري.

ب- قال أبو حاتم الرازي (ت٢٧٧هـ): «إن عبد الرحمن بن أبي عميرة لم يسمع هذا الحديث من النبي ﷺ»^(٣).

ج- قال ابن حجر (ت٨٥٢هـ) نقلاً عن ابن عبد البر أن عبد الرحمن بن أبي عميرة هذا «لا تصح صحبته، ولا يثبت إسناد حديثه»^(٤).

د- سعيد بن عبد العزيز اختلط، كما ذكر أبو مسهر، وأبو داود، ويحيى بن معين^(٥).

٢- أورد الذهبي (ت٧٤٨هـ) في (سير أعلام النبلاء)^(٦) هذا الحديث بأسانيد

متعددة، منها:

(١) صحيح الترمذي / ج ٣ ص ٢٣٦. رقم ٣٠١٨.

(٢) سير أعلام النبلاء / ج ٣ ص ١٣٢.

(٣) علل الحديث - أبو حاتم الرازي / ج ٢ ص ٣٦٢-٣٦٣.

(٤) تهذيب التهذيب - ابن حجر / ج ٦ ص ٢٢٠.

(٥) تهذيب التهذيب / ج ٤ ص ٥٤.

(٦) سير أعلام النبلاء / ج ٣ ص ١٢٥.

أ- مروان بن محمد: حدثنا سعيد بن عبد العزيز، حدثني ربيعة بن يزيد، سمعت عبد الرحمن بن أبي عميرة، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لمعاوية: اللهم اجعله هادياً، مهدياً، واهد به. قال: حسنه الترمذي. والواقع أن الترمذي قال: «هذا حديث حسنٌ غريبٌ»^(١).

ب- صفوان بن صالح: حدثنا الوليد ومروان بن محمد، حدثنا سعيد نحوه. وقال أبو زرعة النسري، وعباس الترقفي: حدثنا أبو مسهر، حدثنا سعيد نحوه، وفيه: سمعت رسول الله... أحمد بن المعلى: حدثنا محمود، حدثنا عمر بن عبد الواحد، عن سعيد، عن ربيعة: أن بعضاً من أهل الشام كانوا مرابطين بآمد^(٢)، وأن عمير بن سعد كان على حمص، فعزله عثمان، وولى معاوية، فبلغ ذلك أهل حمص، فشق عليهم، فقال عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لمعاوية: اللهم اجعله هادياً، مهدياً، واهد به، واهده.

ج- أبو بكر بن أبي داود: حدثنا محمود بن خالد، حدثنا الوليد وعمر بن عبد الله الواحد، عن سعيد، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس، عن عبد الرحمن بن أبي عميرة، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لمعاوية: اللهم اجعله هادياً، مهدياً، واهد به. رجاله ثقات غير ان سعيداً قد اختلط.

د- عمرو بن واقد: عن يونس بن حليس، عن أبي إدريس قال: لما عزل عُمر [الخليفة الثاني] عمير بن سعد عن حمص، ولى معاوية، فقال الناس في ذلك، فقال عمير: لا تذكروا معاوية إلا بخير، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم اهد به. وعمرو بن واقد متروك.

(١) سنن الترمذي / ج ٥ ص ٣٥٠.

(٢) آمد: أعظم مدن ديار بكر. قال ياقوت: هي بلد حصين ركين، بني بالحجارة السود على نهر

دجلة. فتحت سنة ٢٠ هـ.

هـ- رواه الترمذي عن الذهلي، عن النفيلي، هشام بن عمار، حدثنا عبد العزيز بن الوليد بن سليمان، سمعت أبي وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول يقول: اللهم اجعله هادياً مهدياً، واهد به. هذا منقطع، لأن الوليد بن سليمان لم يدرك عمر.

٣- قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): «روي من طريق الطبراني عن أبي زرعة، عن أبي مسهر، عن سعيد، عن ربيعة، عن عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني. قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لمعاوية: اللهم اجعله هادياً مهدياً واهده واهد به. وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن بحر، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، عن ربيعة بن يزيد، عن عبد الرحمن بن أبي عميرة، عن النبي ﷺ أنه ذكر معاوية، فقال: اللهم اجعله هادياً واهد به»^(١).

و«قد رواه عمر بن عبد الواحد، ومحمد بن سليمان الحراني، كما رواه الوليد بن مسلم، وأبو مسهر عن سعيد، عن ربيعة بن يزيد، عن عبد الرحمن بن أبي عميرة. ورواه محمد بن المصطفى، عن مروان بن محمد الطاطري، عن سعيد بن عبد العزيز، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس، عن ابن أبي عميرة أن رسول الله ﷺ دعا لمعاوية فقال: اللهم علّمه العلم، واجعله هادياً مهدياً، واهده، واهد به.

وقد رواه سلمة بن شبيب، وصفوان بن صالح، وعيسى بن هلال، وأبو الأزهر، عن مروان الطاطري، ولم يذكروا أبا إدريس في إسناده.

وراه الطبراني عن عبدان بن أحمد، عن علي بن سهل الرملي، عن الوليد بن مسلم، عن سعيد بن عبد العزيز، عن يونس بن ميسرة بن حلبس، عن عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني. أنه سمع رسول الله ﷺ وذكر معاوية فقال: اللهم اجعله هادياً مهدياً واهده»^(٢).

(١) تهذيب التهذيب / ج ٤ ص ٥٤.

(٢) البداية والنهاية / ج ٨ ص ١٢٩.

قال ابن كثير: «قال ابن عساكر: وقول الجماعة هو الصواب. وقد اعتنى ابن عساكر بهذا الحديث، وأظن فيه، وأطيب، وأطرب، وأفاد، وأجاد، وأحسن الانتقاد!!!...»

وقال الترمذي: حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي، حدثنا عمرو بن واقد، عن يونس بن حلبس، عن أبي إدريس الخولاني، قال: لما عزل عمر بن الخطاب عمير بن سعد عن الشام وولى معاوية، قال الناس: عزل عمر عميراً وولى معاوية، فقال عمر: لا تذكروا معاوية إلا بخير، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم اهد به. تفرد به الترمذي، وقال: غريب. وعمرو بن واقد ضعيف. هكذا ذكره أصحاب الأطراف في مسند عمير بن سعد الأنصاري. وعندي أنه ينبغي أن يكون من رواية عمر بن الخطاب. ويكون الصواب: فقال عمر لا تذكروا معاوية إلا بخير، ليكون عذراً له في توليته له.

ومما يقوي هذا أن هشام بن عمار قال: حدثنا ابن أبي السائب (وهو عبد العزيز بن الوليد بن سليمان) قال: وسمعتُ أبي يذكر أن عمر بن الخطاب ولى معاوية بن أبي سفيان، فقالوا: ولى حدث السن، فقال: تلوموني في ولايته، وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به. وهذا منقطع يقويه ما قبله^(١).

٤- محمد بن عقيل (ت ١٣٥٠هـ) في (النصائح الكافية) قال: «جاء في حق معاوية حديث غريب أخرجه الترمذي في (الجامع)، وحسنه عن عبد الرحمن بن أبي عميرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وذكر معاوية: اللهم اجعله هادياً مهدياً، واهده، واهد به. ومنتهى سند هذا الحديث: عبد الرحمن بن أبي عميرة. وقد قال ابن عبد البر حديثه مضطرب، لا يثبت في الصحابة، وهو شامي. ومنهم من يوقف حديثه هذا، ولا يرفعه،

(١) البداية والنهاية / ج ٨ ص ١٢٩.

ولا يصح مرفوعاً عندهم. وقال: سعيد بن عبد العزيز اختلط في آخر عمره.

قلت: قد علمت ما في هذا الحديث من الإعلان، وأن تحسين الترمذي إنما هو تحسين الإسناد إلى عبد الرحمن بن أبي عميرة، وهو كذلك، لكن قد علمت أن صحبة عبد الرحمن لم تثبت، فيكون الحديث حينئذٍ مرسلًا^(١).

و«ما ورد فيه من ضعف الأحاديث، ما أخرجه ابن أبي شيبة عن معاوية أنه قال: ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله ﷺ إذا ملكت فأحسن، وقد عرفت ضعف هذا الحديث، وعلى فرض صحته، فلا منقبة فيه لمعاوية؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد أطلع نبيه على ما سيجري بين أمته من الفتن والحروب، وقد أخبر عنها بما أخبر، وأشار إلى ما أشار. وفي هذا الحديث إشارة إلى أن معاوية سيملك وقد صرح في أحاديث صحيحة بأن ملكه ملك عضو، وقد أمره بالإحسان إذا ملك، حيث لا سامع ولا مؤتمر، وليس ذلك من قبيل البشارة والغبطة بملكه، بل من باب الإخبار بالمغيبات، والإنذار بالفتنة، وإقامة الحججة عليه بتبليغه، وهذا الإخبار لا يستلزم أحقية، فإن النبي ﷺ قد أخبر عن أمور كثيرة من هذا القبيل كفتن الخوارج، وان بني مروان ينزون على منبره كما تنزوا القردة، وقد أخبر موسى ﷺ بما ملك (بختنصر) الجبار الكافر، وما ارتكبه في بني إسرائيل، [فهل] يكون الإخبار بهذه الأمور دليلاً على أحقيتها؟! لا يقول بهذا أحد.

ولكن أنصار معاوية يتشبثون في تزكيتهم بمثل خيوط العناكب ضِعفاً، ويلوون رؤوسهم عما ثبت فيه من المثالب، ألا تراهم كيف يتجحون بما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه، أن عكرمة أخبره أن معاوية يوتر بركعة، فقال ابن عباس: دعه فإنه فقيه. قالوا إن الفقيه في عرف ذلك الزمن هو المجتهد، و[زعموا] أن شهادة ابن عباس قطعية، وأطالوا في

(١) النصائح الكافية ص ٢٠٠.

ذلك بما يضجر المطالع، ويفسد ذهن السامع. قبلوا شهادة ابن عباس لمعاوية، ونعم الشاهد، ولم يقبلوا شهادة مولى كل مؤمن ومؤمنة علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، حيث يقول لمعاوية كما في (نهج البلاغة): دخلت في الإسلام كرهاً، وخرجت منه طوعاً. وأسقطوا شهادته عليه السلام فيما نقله الثقات عنه، أنه قال: إن معاوية، وعمرواً، وابن أبي معيط، وحبيباً، وابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتهم أطفالاً، ثم رجالاً، فكانوا شر أطفال، وشر رجال. ونبذوا أيضاً شهادة قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري في كتابه إلى معاوية، يقول فيه: إنا أنصار الدين الذي خرجت منه، وأعداء الدين الذي دخلت فيه، وأمثال هذه الشهادات على معاوية من كبار الصحابة كثيرة جداً لا يمكن حصرها»^(١).

٥- قال الشيخ محمود أبو رية (ت ١٣٩٠هـ): «وإليك بعض ما وضعوه من الأحاديث في فضله: أخرج الترمذي أن النبي صلى الله عليه وآله قال لمعاوية: اللهم اجعله هادياً مهدياً. وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وآله قال: اللهم علّمه الكتاب والحساب وقه العذاب، وهناك زيادة في هذا الحديث تقول: وأدخله الجنة. وعلى كثرة ما جاء في فضائل معاوية من أحاديث لا أصل لها، فإن إسحاق بن راهويه وهو الإمام الكبير وشيخ البخاري قد قال: إنه لم يصح في فضائل معاوية شيء. وقد ذكر البخاري في باب (فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله) فقال: باب ذكر معاوية...، ولم يأت في هذا الباب بأحاديث مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وآله وإنما أورد قولين عن ابن عباس في وصف معاوية، قال في الأول: إنه صحب رسول الله، وقال في الثاني: إنه فقيه!»^(٢).

«قال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الباب: (تنبيه) عبّر البخاري في هذه الترجمة

(١) النصائح الكافية ص ٢٠٠.

(٢) أضواء على السنة المحمدية - محمود أبو رية ص ١٢٧.

بقوله (ذكر) ولم يقل فضيلة، ولا منقبة، لكون الفضيلة لا تؤخذ من حديث الباب؛ لأن ظاهر شهادة ابن عباس له بالفقه والصحبة دالة على الفضل الكثير، وقد صنف ابن أبي عاصم جزءاً من مناقبه، وكذلك أبو عمر غلام ثعلب، وأبو بكر النقاش، وأورد ابن الجوزي في الموضوعات بعض الأحاديث التي ذكروها ثم ساق عن إسحاق بن راهويه أنه قال: لم يصح في فضائل معاوية شيء. فهذه النكتة في عدول البخاري عن التصريح بلفظ (منقبة) اعتماداً على قول شيخه ابن راهويه، وقصة النسائي في ذلك مشهورة. وكأنه اعتمد أيضاً على قول شيخه إسحاق، وكذلك في قصة الحاكم.

وأخرج ابن الجوزي أيضاً من طريق ابن عبد الله بن أحمد بن حنبل، سألت أبي ما تقول في علي ومعاوية؟ فأطرق ثم قال: اعلم أن علياً كان كثير الأعداء، ففتش أعداؤه له عيباً فلم يجدوا، فعمدوا إلى رجل قد حاربه، فأطروه كيداً منهم لعلي عليه السلام، فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل مما لا أصل له، وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة لكن ليس فيها ما يصح من طريق الإسناد، وبذلك جزم إسحاق بن راهويه، والنسائي، وغيرهما والله أعلم^(١).

أما قصة النسائي التي أشار إليها ابن حجر (وهو صاحب أحد كتب الحديث المشهورة) فقد رواها الذهبي فقال: سئل النسائي وهو بدمشق عن فضائل معاوية، فقال: ألا يرضى رأساً برأس حتى يفضّل؟ قال الذهبي: فما زالوا يدفعونه حتى أخرج من المجلس، وحمل إلى الكوفة فتوفي بها رحمه الله.

أما الشام، فقد ذكروا أنها أرض المحشر والمنشر وأرض الأبدال... وأن نزول عيسى سيكون هذه الأرض، وإليك بعض ما جاء فيه من الأحاديث الكثيرة: روى

(١) فتح الباري - ابن حجر/ ج ٧ ص ٨٣.

أحمد، وأبوداود، والبغوي، والطبراني، وغيرهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بالشام فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، إن الله قد توكل بالشام وأهله. وفي حديث آخر: الشام صفة الله في بلاده يجتبي إليها صفوته من عباده. فمن خرج من الشام إلى غيرها فبسخطه، ومن دخلها من غيرها فبرحمته. وروى البيهقي في الدلائل عن أبي هريرة مرفوعاً: الخلافة بالمدينة، والملك بالشام. وعن كعب الأحبار: أهل الشام سيف من سيوف الله ينتقم الله بهم ممن عصاه! ^(١).

٦- قال الشيخ الأميني (ت ١٣٩٠هـ) في (موسوعة الغدير): «ما أخرجه الترمذي، وحسنه، عن عبد الرحمن بن أبي عميرة مرفوعاً: اللهم اجعله هادياً مهدياً، واهد به ^(٢). فإن كون ابن أبي عميرة صحابياً في محل التشكيك، فإنه لا يصح، كما أن حديثه هذا لا يثبت. قال أبو عمر في (الاستيعاب) ^(٣) بعد ذكره بلفظ: اللهم أجعله هادياً مهدياً، واهده، واهد به: عبد الرحمن حديثه مضطرب لا يثبت في الصحابة، وهو شامي، ومنهم من يوقف حديثه هذا ولا يرفعه، ولا يصح مرفوعاً عندهم، وقال: لا يثبت أحاديثه، ولا تصح صحبته، ورجال الإسناد كلهم شاميون، وهم:

١- أبو سهر الدمشقي.

٢- سعيد بن عبد العزيز الدمشقي.

٣- ربيعة بن يزيد الدمشقي.

٤- ابن أبي عميرة الدمشقي.

وتفرد به ابن أبي عميرة، ولم يروه غيره، ولذلك حكم فيه الترمذي بالغرابة بعدما حسنّه، وإبن حجر حرّف كلمة الترمذي حرصاً على إثبات الباطل، فما ثقتك برواية

(١) أضواء على السنة المحمدية ص ١٢٧.

(٢) جامع الترمذي / ج ١٣ ص ٢٢٩.

(٣) الاستيعاب / ج ٢ ص ٣٩٥.

تفرّد بها شامي، عن شامي، إلى شامي ثالث، إلى رابع مثلهم أيضاً، ولا يوجد عند غيرهم من حملة السنّة علمٌ بها، ولم يك يومئذٍ يتخرج الشاميون من الافتعال لما ينتهي فضله إلى معاوية، ولو كانت مزعومة باطلة، على حين أن أمامهم القناطير المقنطرة لذلك العمل الشائن، ومن ورائهم النزعات الأموية السائقة لهم إلى الاختلاق، لتحصيل مرضاة صاحبهم، فهناك مرتكم الأباطيل والروايات المائلة، على أن هذا المزعوم حسنه، كان بمرأى ومشهد من البخاري، الذي يتحاشى في صحيحه عن أن يقول: باب مناقب معاوية، وإنما عبّر عنه بباب ذكر معاوية، وكذلك من شيخه إسحاق بن راهويه الذي ينص على عدم صحة شيء من فضائل معاوية، ومن الحفاظ: النسائي، والحاكم النيسابوري، والحنظلي، والفيروز آبادي، وابن تيمية، والعجلوني وغيرهم.

وقد أطبقوا جميعاً على أنه لم يصح لمعاوية حديث فضيلة، ومساح كلماتهم يعطي نفي ما يصح الاعتماد عليه، لا الصحيح المصطلح في باب الأحاديث، فلا ينافي شمول قولهم على حسنة الترمذي المزعومة مع غرابتها، فإنهم يقذفون الحديث بأقل مما ذكرناه في هذا المقام، ولو كان لهذه الحسنة وزن يقام «كحسنة معاوية» لأعزوا إليها عند نفيهم العام... فإن دعاء النبي ﷺ مستجاب لا محالة، يقوله ابن حجر: ونحن في نتيجة البحث والاستقراء التام لأعمال معاوية لم نجده هادياً ولا مهدياً في شيء منها، ولعل ابن حجر يصادفنا على هذه الدعوى، وليس عنده غير أن الرجل مجتهد مخطئ في كل ما أقدم وأحجم، فله أجر واحد في مزعمته، ولا يلحقه ذم وتبعة لاجتهاده، وقد أعلمناك أن عامة أخطائه وجرائمه مما لا يتطرق إليه الاجتهاد، على ما أسلفنا لك أنه ليس من الممكن أن يكون معاوية مجتهداً لفقدانه العلم بمبادئ الاستنباط من كتاب وسنة، وبعده عن الإجماع والقياس الصحيح»^(١).

(١) الغدير - الأميني / ج ١٠ ص ٣٧٥.

وقال الأميني (ت ١٣٩٠هـ) أيضاً: «ثم من الذي هداه معاوية طيلة أيامه، وأنقذه من مخالب الهلكة؟! أيعدُّ منهم ابن حجر: بسر بن أرطاة الذي أغار بأمره على الحرمين، وإرتكب فيها ما ارتكبه من الجرائم القاسية؟! أم ضحاك بن قيس الذي أمره بالغارة على من في طاعة علي عليه السلام من الأعراب، وجاء بفجائع لم يعهدها التاريخ؟! أم زياد بن أبيه، أو أمه، الذي استحوذ على العراق، فأهلك الحرث والنسل، وذبح الأتقياء، ودمر على الأولياء، وركب نهاير لا تحصى؟! أم عمرو بن العاص الذي أطعمه مصر فباعه على ذلك دينه بدنياه، وفعل من الجنائيات ما فعل؟! أم مروان بن الحكم الطريد اللعين وابنها الذي كان لعنه علياً أمير المؤمنين على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله عدة أعوام إحدى طاماته؟! أم عمرو بن سعيد الأشدق الجبار الطاغي الذي كان يباليغ في شتم علي أمير المؤمنين عليه السلام وبغضه إياه؟! أم مغيرة بن شعبة أزنى ثقيف الذي كان ينال من علي عليه السلام ويلعنه على منبر الكوفة؟! أم كثير بن شهاب الذي استعمله على الري، وكان يكثر سب علي عليه السلام أمير المؤمنين والواقعة فيه؟! أم سفيان بن عوف الذي أمره أن يأتي هيت والأنبار والمدائن، فقتل خلقاً، ونهب أموالاً، ثم رجع إليه؟! أم عبد الله الفزاري الذي كان أشد الناس على علي عليه السلام، ووجهه إلى أهل البوادي فجاء بطامات كبرى؟! أم سمرة بن جندب الذي كان يحرف كتاب الله لإرضائه، وقتل خلقاً دون رغباته لا يحصى؟! أم طغام الشام وطغاتها الذين كانوا يقتصون أثر كل ناعق، وإنحاز بهم عن أي نعيق فأوردتهم المهالك؟!»^(١).

الحديث المزعوم «اللهم علمه الكتاب»:

ويروون حديثاً آخر، يزعمون فيه أن النبي صلى الله عليه وآله دعا له بالعلم الديني والديني:

١- في مسند أحمد، قال أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ): «حدثنا عبد الله، حدثني أبي،

(١) الغدير - الأميني/ ج ١٠ ص ٣٧٥.

حدثنا إسماعيل، حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة، قال: قال ابن عباس: ضمنى إليه رسول الله ﷺ، وقال: اللهم علّمه الكتاب^(١).

٢- ثم تحول ذلك الحديث في كتاب (غريب الحديث) لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) إلى «أن رسول الله ﷺ قال لمعاوية: اللهم علّمه الكتاب، ومكن له في البلاد، وقه العذاب»^(٢).

٣- وفي (مسند الشاميين) للطبراني (ت ٣٦٠هـ) أصبح الحديث كالتالي: «حدثنا أبو زرعة، وأحمد بن يحيى الدمشقيان، قالا حدثنا أبو مسهر، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، عن ربيعة بن يزيد، عن عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، أن النبي ﷺ قال لمعاوية: اللهم علّمه الكتاب والحساب وقه العذاب»^(٣).

نقد الحديث المزعوم:

١- في سند الحديث: الحارث بن زياد، وهو شامي لا تقبل روايته^(٤)، لم يرو عنه إلا يونس بن سيف الكلاعي، وهو مجهول، قال ابن حجر^(٥) (ت ٨٥٢هـ) في ترجمته: «قال الذهبي في الميزان: مجهول، وشرطه أن يطلق هذه اللفظة إلا إذا كان أبو حاتم الرازي^(٦) (ت ٢٧٧هـ) قالها»^(٧).

٢- إن معاوية لم يؤثر عنه أنه كان عالماً بالكتاب، ولو كان الأمر كذلك، فأين أحاديثه في تفسير كتاب الله!؟

(١) مسند أحمد / ج ١ ص ٣٥٩. ونقلها البخاري: في صحيحه / ج ١ ص ٢٧.

(٢) غريب الحديث - ابن قتيبة / ج ١ ص ١٤٨.

(٣) مسند الشاميين - الطبراني / ج ١ ص ١٩٠.

(٤) كتاب الضعفاء - ابن عدي / ج ٦ ص ٢٤٠٢.

(٥) تهذيب التهذيب / ج ٢ ص ١٢٣.

(٦) الجرح والتعديل / ج ٣ ص ٧٥.

(٧) ميزان الاعتدال / ج ١ ص ٤٣٣.

حديث مزعوم في فضل عمرو بن العاص:

نموذج ثالث من الأحاديث الموضوعة، وهو في عمرو بن العاص، هذه المرة:

قال الترمذي (ت ٢٧٩هـ) في سننه: «حدثنا قتيبة، أخبرنا ابن لهيعة، عن مشرح بن هاعان، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص، هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن مشرح، وليس إسناده بالقوي»^(١).

وقال أيضاً: «حدثنا إسحاق بن منصور، أخبرنا أبو أسامة، عن نافع بن عمر الجمحي، عن ابن أبي مليكة، قال طلحة بن عبد الله: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن عمرو بن العاص من صالحي قريش. هذا حديث إنما نعرفه من حديث نافع بن عمر الجمحي، ونافع ثقة، وليس إسناده متصل و ابن أبي مليكة لم يدرك طلحة»^(٢).

وفي (تحفة الأحوذى): «قال الحافظ إسناده ليس بصحيح»^(٣).

افتراءات أخرى:

وهناك افتراءات من الفطاعة بمكان، ذكرها الفتني (ت ٩٨٦هـ) في كتاب (تذكرة الموضوعات)، فقال: «غدا عشرة من بني هاشم إلى النبي صلى الله عليه وآله فقالوا هذا معاوية بن أبي سفيان قد نحا علينا بكتابة الوحي، فرأينا أن غيره من أهل بيتك أولى؟ فقال: نعم، انظروا إلى رجل. وكان الوحي ينزل في كل أربعة أيام، فأقام الوحي أربعين ليلة. فلما كان بعد أربعين، هبط جبرئيل بصحيفة فيها: يا محمد ليس لك أن تغير من اختاره الله

(١) سنن الترمذي/ ج ٥ ص ٣٥١.

(٢) سنن الترمذي/ ج ٥ ص ٣٥٢.

(٣) تحفة الأحوذى - الماركفوري/ ج ١٠ ص ٢٣٠.

لكتابة وحيه، فاقره فإنه أمين! قال ابن عساكر حديث منكر، وفي الميزان: بل يقطع ببطلانه، وأخشى أن يكون مفتره مدخول الإيهان.

قال علي: بينا أنا جالس بين يدي النبي ﷺ أكتب، إذ جاء معاوية، فأخذ رسول الله ﷺ القلم من يدي، فدفعه إلى معاوية، فما وجدت في نفسي من ذلك، إذ علمت أن الله أمره بذلك. [قال رسول الله ﷺ]: أنت مني يا معاوية وأنا منك، ولتزامني على باب الجنة كهاتين السبابة والوسطى، قال الفتني: فيه من لا يحتج به، ومن هو كثير الخطأ... الأمناء سبعة: اللوح، والقلم، وإسرافيل، وميكائيل، وجبرائيل، ومحمد، ومعاوية بن أبي سفيان، موضوع، قال: لا يصح مرفوعاً في فضل معاوية شيء^(١).

الاستنتاج:

١- كان الخليفة الأموي يحتاج إلى غطاء ديني لدعم سياسته، فكان لابد من استحداث أخبار تتحدث عن فضله ومناقبه، فكانت الأحاديث الموضوعية في عهد بني أمية، حيث كانت تشتري عن طريق المال، وما على الراوي إلا أن يكذب على رسول الله ﷺ، ليثبت فضيلة مكذوبة، مقابل قدر محدود من الدراهم.

٢- إن التشكيك في حديث الهداية المزعومة لمعاوية، كان في إثبات صحبة الراوي -وهو عبد الرحمن بن أبي عميرة- إلى رسول الله ﷺ. وابن أبي عميرة هو الأصل في رواية ذلك الحديث، وكذلك كان في السند سعيد بن عبد العزيز، المخلط، والمخلط هو الذي يخلط الأشياء فيلبسها على السامعين والناظرين، كما جاء في لسان العرب: وهذه الصفة من أقبح الصفات؛ لأنها تلبس للكذب بلباس الحقيقة. وليس كما فهمها محمد ابن عقيل، بأنه إختلط في آخر عمره، أي اخرف.

(١) تذكرة الموضوعات - الفتني ص ١٠٠.

٣- استغراب المحدثين لصحة الحديث بل لوجوده، كان لأنهم يعلمون أن معاوية ليس له فضل زمن رسول الله ﷺ أو من بعده، فالجو الثقافي والديني العام يعلم من هو معاوية، ولذلك فإن استحداث فضل جديد له يوئد استغراباً من نوع ما.

٤- يتوضح السبب - ظاهراً - من وضع الحديث، في الإسناد الثاني الذي أورده الذهبي في (سير أعلام النبلاء)، وقال فيه أن أهالي حمص شق عليهم تولي معاوية لولايتهم بدل الوالي السابق، فكان عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني هو المنقذ بافتعاله الحديث المكذوب على النبي ﷺ.

٥- إن اعتناء ابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١هـ) بالحديث الموضوع، والإطناح فيه يعني أنه على خط معاوية وباطله، مع أن بينه وبين الأخير خمسمائة عام تقريباً، وأيده في ذلك المنحى ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ).

٦- حاولوا تبرير تحسين الترمذي، الذي كان يمثابة الفضيحة العلمية في التهاون مع الأحاديث الموضوعة، بالقول بأن ذلك التحسين هو تحسين الإسناد إلى عبد الرحمن بن أبي عميرة، لا إلى إثبات صحة الحديث، ولا إلى إثبات صحبته لرسول الله ﷺ، ولكنه يبقى تبريراً لا ينهض إلى حجم الجناية التي حذر منها رسول الله ﷺ: «من افترى عليّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار».

٧- إن القاعدة الكلية التي وضعها إسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨هـ)، شيخ البخاري، في عدم صحة ما يزعم من فضائل معاوية، كان ينبغي عليهم الالتزام بها. ولكن الأمر خرج عن الدين، وأصبح من مستلزمات القضية السياسية.

٨- والخلاصة أن حديث الهداية المزعوم باطل بالاختلاط، والإرسال، والانقطاع، والتدليس، فسعيد بن عبد العزيز مخطئ، وعمرو بن واقد كذاب متروك، والوليد بن

سليمان لم يدرك عمر، فحديثه منقطع.

٩- ولم يتوقفوا في اختلاق الفضائل لمعاوية، بل افتعلوا فضائل لأرض الشام كونها أرض الحشر والبعث، والحساب والعقاب، وأن عيسى ينزل فيها، ونحو ذلك من الموضوعات، وافتعلوا فضائل لعمر وبن العاص، وموضوعات أخرى يندى لها جبين كل من وضعها.

١٠- إن أفضل وسيلة تكشف زيف تلك الأحاديث الموضوعية هو البحث العلمي في سندها، ومنتها، وملاحظة مدى مطابقتها لمبادئ الدين، وعلم التجريح والتعديل.

الفصل الساتس

نصوص منقاة

في التوحيد، النبوة، الإمامة، القرآن الكريم، المؤمنين،
الرزق، الفضائل، الرذائل، العقل، الآداب الاجتماعية،
الدار الدنيا، آداب المائدة، العلم والتعليم، الإنسان، المال،
الحاجة والسؤال، العلاقات الإنسانية.

مقدمة

هذه مجموعة منتخبة من أقوال الإمام الحسن عليه السلام، انتخبناها لأنها تجري مجاري الحكمة من آل بيت المصطفى عليه السلام، وهي على تنوعها تعكس إمام الإمام الحسن عليه السلام بالعلوم الالهية، ومنابع الفيض السماوي

(١)

التوحيد

عفو الله: «إن الله ليعفو يوم القيامة، عفواً يحيط على العباد، حتى يقول أهل الشرك: والله ربنا ما كنا مشركين».

حسن اختيار الله تعالى: «من إتكل على حسن الاختيار من الله له، لم يتمن أنه في غير الحال التي اختارها الله له»^(١).

عبادة الله تعالى: «من عبد الله، عبد الله له كل شيء»^(٢).

ليس بين العبد وربه مانع: كان الحسن عليه السلام يصلي، فمرّ بين يديه رجل، فنهاه بعض جلسائه، فلما انصرف من صلاته، قال له عليه السلام: لم نهيت الرجل؟ قال: يا بن رسول الله خطر فيما بينك وبين المحراب، فقال عليه السلام: «ويحك إن الله عز وجل أقرب إليّ من أن يخطر فيما بيني وبينه أحد»^(٣).

(١) تنبيه الخواطر ونزهة المناظر ص ٣٧.

(٢) تنبيه الخواطر ونزهة المناظر ص ٣٥٠.

(٣) التوحيد ص ١٨٤.

الكريم سبحانه: «من عدّد نِعَمَهُ، حَقَّقَ كَرَمَهُ»^(١).

التدبير الإلهي: «ما فتح الله عز وجل على أحدٍ باب مسألة، فخرن عنه باب الإجابة، ولا فتح لرجلٍ باب عمل، فخرن عنه باب القبول. ولا فتح لعبدٍ باب شكر، فخرن عنه باب المزيد»^(٢).

شكر الله: قال رضي الله عنه: «إن الله قد ذكرك فاذكروه، وأقالك فاشكروه»^(٣).

في تفسير سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر: روى الحسن رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله:

«عَلِمَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ أَنْ بَنِي آدَمَ يَكْذِبُونَ عَلَى اللهِ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، تَبَرَّيَا مِمَّا يَقُولُونَ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَإِنَّهُ عَلِمَ أَنَّ الْعِبَادَ لَا يُؤَدُّونَ شُكْرَ نِعْمَتِهِ، فَحَمِدَ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يَحْمَدُوهُ، وَهُوَ أَوَّلُ الْكَلَامِ، لَوْلَا ذَلِكَ لَمَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى أَحَدٍ بِنِعْمَتِهِ.

فقوله: لا إله إلا الله، يعني وحدانيته، لا يقبل الله الأعمال إلا بها، وهي كلمة التقوى، يَنْثِقُلُ اللهُ بِهِ الْمَوَازِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وأما قوله: والله أكبر، فهي كلمة أعلى الكلمات، وأحبها إلى الله عز وجل، يعني أنه ليس شيء أكبر مني، لا تفتتح الصلاة إلا بها لكرامتها على الله، وهو الاسم الأكرم»^(٤).

(١) بحار الأنوار/ ج ٧٤ ص ٤١٧.

(٢) بحار الأنوار/ ج ٧٨ ص ١١٢.

(٣) تحف العقول ص ١٦٨-١٦٩.

(٤) أمالي الصدوق ص ١١٢-١١٨.

(٢)

النبوة

أخلاق النبوة: «انَّ اللهَ جَزَّزَ أَدَبَ نَبِيِّهِ أَحْسَنَ الْأَدَبِ فَقَالَ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(١)، فَلَمَّا وَعَى الَّذِي أَمَرَهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾^(٢)، فقال لجرائيل عليه السلام: وما العفو؟ قال: أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك. فلما فعل ذلك، أوحى الله إليه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣)»^(٤).

الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله: روى الحسن عليه السلام، بإسناده عن أبيه عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «حيثما كنتم فصلوا عليّ، فإنّ صلاتكم تبلغني، صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً»^(٥).

(٣)

الامامة

ذرية محمد صلى الله عليه وآله: «ما يعلم المخزون، المكنون، المجزوم، المكتوم، الذي لم يطلع عليه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، غير محمد وذريته»^(٦).

الحسن عليه السلام: «أنا الخلف من رسول الله، وأبي أمير المؤمنين الخليفة».

(١) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

(٢) سورة الحشر: الآية ٧.

(٣) سورة القلم: الآية ٤.

(٤) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة - المحمودي / ج ٧ ص ٧٨.

(٥) كشف الغمة/ ج ١ ص ٥٣٠.

(٦) فرج المهموم - ابن طاووس ص ٢٢٤.

معرفة أهل البيت عليهم السلام : روى عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إلزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله، وهو يؤدنا أهل البيت دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينتفع عبد بعمله إلا بمعرفة حقنا»^(١).

خصال الامامة: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ». فنحن الذرية من آدم، والأسرة من نوح، والصفوة من ابراهيم، والسلالة من إسماعيل، وآل محمد. نحن فيكم كالسما المرفوعة، والأرض المدحوة، والشمس الضاحية، وكالشجرة الزيتون، لا شرقية، ولا غربية، التي بورك زيتها: النبي أصلها، وعليّ فرعها، ونحن والله ثمرة تلك الشجرة، من تعلق بغصنٍ من أغصانها نجا، ومن تخلف عنها في النار هوى»^(٢).

(٤)

في القرآن الكريم

مصاييح النور: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ فِيهِ مَصَابِيحُ النُّورِ، وَشَفَاءُ الصُّدُورِ، فليجل جالٍ بضوئه، وليلجم الصفة قلبه، فإن التفكير حياة القلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور»^(٣).

العمل بالقرآن: «ما بقي في الدنيا بقية غير هذا القرآن، فاتخذوه إماماً يدلّكم على هداكم، وإنّ أحقّ الناس من عمل به وإن لم يحفظه، وأبعدهم من لم يعمل به وإن كان يقرؤه»^(٤).

(١) المحاسن ص ٦١.

(٢) بحار الأنوار/ ج ٤٣ ص ٣٥٨.

(٣) كشف الغمة ص ١٧١.

(٤) ارشاد القلوب ص ٨١.

القرآن: القائد والسائق: «إنّ هذا القرآن يجيء يوم القيامة قائداً وسائقاً، يقود قوماً إلى الجنة، أحلّوا حلاله، وحرّموا حرامه، وآمنوا بمتشابهه، ويسوق قوماً إلى النار، ضيّعوا حدوده، وأحكامه، واستحلّوا محارمه»^(١).

حرمة القول بالرأي: «من قال في القرآن برأيه فأصاب، فقد أخطأ»^(٢).

في تفسير قوله تعالى: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً...﴾ قال ﷺ: «هي العلم والعبادة في الدنيا، والجنة في الآخرة»^(٣).

من ثمار قراءة القرآن: «من قرأ القرآن كانت له دعوة مجابة، إما معجّلة وإما مؤجّلة»^(٤).

(٥)

المؤمنون

أهل المسجد: «أهل المسجد زوّار الله، وحقّ على المزور التحفة^(٥) لزيارته»^(٦).

منافع الاختلاف إلى المسجد: «من أدام الاختلاف إلى المسجد، أصاب إحدى ثمان: آية محكمة، وأخاً مستفاداً، وعلماً مستطرفاً، ورحمةً منتظرةً، وكلمةً تدلّه على الهدى، أو تردّه عن ردى، وترك الذنوب حياءً، وخشية»^(٧).

(١) إرشاد القلوب ص ٨١.

(٢) إرشاد القلوب ص ٨١.

(٣) فتح الباري / ج ١١ ص ١٦٢.

(٤) بحار الأنوار / ج ٩٢ ص ٢٠٤.

(٥) التحفة: الهدية.

(٦) إرشاد القلوب ص ٧٩ - ٨٠.

(٧) قرب الإسناد ص ٦٨.

الصلاة: «إذا أضرت النوافل بالفريضة، فارفضوها»^(١).

العبادة: «إن من طلب العبادة تزكّى لها»^(٢)، و«حقّ على كلّ من وقف بين يدي ربّ العرش أن يصفّر لونه، وترتعد مفاصله»^(٣).

حجاب العزة: «بينكم وبين الموعدة حجاب العزة»^(٤).

الدين هو الحياء: «لا حياء لمن لا دين له»^(٥).

أهل العفو: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: يا أيّها النّاس، من كان له على الله أجر فليقم، فلا يقوم إلا أهل العفو»^(٦).

الجدّي في الطلب: «اتقوا الله عباد الله، وجدّوا في الطلب، وتجاه الهرب، وبادروا العمل قبل مقطعات النعمات، وهادم اللذات، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجميعها، ولا تتوقى في مساوئها، غرور حائل وسفاد مائل.

فاتعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بالأثر، وازدجروا بالنعم، وانتفعوا بالمواعظ، فكفى بالله معتصماً ونصيراً، وكفى بالكتاب حجيجاً وخصيماً، وكفى بالجنة ثواباً، وكفى بالنار عقاباً، ووبالاً»^(٧).

من صفات المؤمن: «من عرف الله أحبه، ومن عرف الدنيا زهد فيها، والمؤمن لا يلهو

(١) بحار الأنوار/ ج ٧٥ ص ١٠٩.

(٢) تحف العقول ص ١٧٠.

(٣) مستدرک الوسائل/ ج ١ ص ٣٥٤.

(٤) تحف العقول ص ٢٣٦.

(٥) بحار الأنوار/ ج ٧٥ ص ١١١.

(٦) تنبيه الخواطر ص ٢٦٥.

(٧) تحف العقول ص ١٧٠.

حتى يغفل، فإذا تفكر حزن»^(١).

في الانشغال بآثار العمل؛ رأى عليه السلام ناساً يوم عيد الفطر يضحكون ويلعبون، فقال: «إن الله جعل الصوم مضماراً لعباده، ليستبقوا إلى طاعته، ولعمري لو كشف الغطاء لشغل محسنٌ بإحسانه، ومسيءٌ بإساءته، عن تجديد ثوب أو ترجيل شعر»^(٢).

إدخال السرور على المؤمن؛ روى عليه السلام عن النبي عليه السلام أنه قال: «إن من واجب المغفرة إدخالك السرور على أخيك المسلم»^(٣).

المؤمن يحاسب نفسه؛ روى عليه السلام عن النبي عليه السلام: «لا يكون العبد مؤمناً حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه، والسيد عبده»^(٤).

أجر أهل الابتلاء؛ روى عليه السلام عن رسول الله عليه السلام: «أن في الجنة شجرة، يُقال لها شجرة البلوى، يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة، فلا يرفع لهم ديوان، ولا ينصب لهم ميزان، يصبُّ عليهم الأجر صبباً، وقرأ: ﴿...إِنَّمَا يُؤَوِّقِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٥)»^(٦).

من أخلاق المؤمنين؛ قال عليه السلام: «هلك الناس - ثلاثاً - بقول ولا فعل، ومعرفة ولا صبر، ووصف ولا صدق، ووعد ولا وفاء، ما لي أرى رجالاً ولا عقول، وأرى أجساماً ولا أرى قلوباً، دخلوا في الدين ثم خرجوا منه، وحرّموا ثم استحلوا، وعرفوا ثم أنكروا، وإنما دين أحدكم على لسانه، ولئن سألته هل يؤمن بيوم الحساب؟ قال: نعم،

كذب ومالك يوم الدين!

(١) تنبيه الخواطر / ج ١ ص ٥٢.

(٢) تنبيه الخواطر ص ٧٨.

(٣) كشف الغمة / ج ١ ص ٥٣٠.

(٤) بحار الأنوار / ج ٧٠ ص ٧٢.

(٥) سورة الزمر: الآية ١٠.

(٦) أخبار أصبهان / ج ١ ص ٤٥.

إنَّ من أخلاق المؤمنين قوَّةً في دين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم، وشفقةً في مقت، وحلماً في حكم، وقصداً في غنى، وتجملاً في فاقة، وتحرّجاً عن طمع، وكسباً من حلال، وبرّاً في استقامة، ونشاطاً في هدى، ونهياً عن شهوة.

إنَّ المؤمن عوَّاذ بالله، لا يحيف على من يبغض، ولا يائثم فيمن يحبّ، ولا يضيّع ما استودع، ولا يحسد، ولا يطعن، ويعترف بالحق وإن لم يشهد عليه، ولا يناز باللقاب. في الصلاة متخشّع، وإلى الزكاة مسارع، وفي الزلات وقور، وفي الرخاء شكور، قانع بالذي عنده، لا يدّعي ما ليس له، لا يجمع في قنط، ولا يغلبه الشخّ عن معروف يريده، يخالط الناس ليعلم، ويناطق ليفهم، وإن ظلم أو بُغي عليه صبر، حتى يكون الرحمن الذي ينتصر له...»^(١).

(٦)

في الرزق

بين الابتغاء والاجمال: «لا تجاهد الطلب جهاد الغالب، ولا تتكل على القدر إتكال المستسلم، فان ابتغاء الفضل من السنّة، والاجمال في الطلب من العفة، وليست العفة بدافعةٍ رزقاً، ولا الحرص بجالبٍ فضلاً، فانّ الرزق مقسوم، واستعمال الحرص استعمال المأثم»^(٢).

استثمار الفرصة: «الفرصة سريعة الفوت، بطيئة العود»^(٣).

جهل النعم: «تجهل النعم ما أقامت، فاذا ولّت عُرفت»^(٤).

(١) أعلام الدين - الديلمي ص ١٣٦.

(٢) تحف العقول ص ٥٥.

(٣) مستدرک الوسائل / ج ١٢ ص ١٤٣.

(٤) بحار الأنوار / ج ٧٥ ص ١١٥.

التَّعْمَةُ: «التَّعْمَةُ مَحْنَةٌ، وَإِنْ كُفِّرَتْ صَارَتْ نَقْمَةً»^(١).

شكر النعمة: «الخير الذي لا ضرر فيه، الشكر مع النعمة، والصبر على النازلة»^(٢).

(٧)

في الفضائل

الحزم: «أن تنتظر فرصتك، وتعاجل ما أمكنك»^(٣).

المجد: «حمل المعازم، وابتناء المكارم».

السماحة: «إجابة السائل، وبذل النائل».

الرقعة: «طلب اليسير، ومنع الحقير».

السداد: «دفع المنكر بالمعروف».

الشرف: «اصطناع العشييرة، وحمل الجريرة».

المروءة: «العفاف، وإصلاح المال». وأيضاً: «إصلاح الرجل أمر دينه، وحسن

قيامه على ماله، ولين الكف، وإفشاء السلام، والتحبب إلى الناس».

الكرم: «العطية قبل السؤال، والتبرع بالمعروف، والاطعام في المحل».

النجدة: «الذبّ عن الجار، والمحاماة في الكريمة، والصبر عند الشدائد».

الرافة: «النظر في اليسير، ومنع الحقير».

السماح: «البذل في العسر واليسر».

(١) تحف العقول ص ١٦٨.

(٢) تحف العقول ص ١٦٨-١٦٩.

(٣) هذه الحكم وما بعدها: معاني الأخبار ص ٤٠١.

الأخاء: «المواساة في الشدة، والرخاء».

الغنيمة: «الرغبة في التقوى، والزهادة في الدنيا، هي الغنيمة الباردة».

الحلم: «كظم الغيظ، وملك النفس».

الغنى: «رضا النفس بما قسم الله تعالى لها وإن قلّ، وإنما الغنى غنى النفس». وأيضاً:

«ترك الرّنا، وكنس الفناء، وغسل الاناء، مجلبة للغنى»^(١).

الجرأة: «[عدم] موافقة الاقران».

المجد: «أن تعطي في الغرم، وتعفو عن الجرم».

العقل: «حفظ القلب كلّما ما استوعبته».

السناء: «إتيان الجميل، وترك القبيح».

الصمت: «ستر العي، وزين العرض، وفاعله في راحة، وجليسه في أمن».

المنعة: «شدة البأس، ومنازعة أعزّاء الناس».

الصبر: «الخير كلّه في صبر ساعة واحدة، تورث راحةً طويلةً، وسعادةً كثيرةً».

الصبر على المصيبة: «المصائب مفاتيح الأجر»^(٢).

من مكارم الأخلاق: «أن الحلم زينة، والوفاء مروءة...»^(٣).

(١) هذه الحكمة وما بعدها: كشف الغمة / ج ٢ ص ١٩١.

(٢) أعلام الدين ص ٢٩٧.

(٣) تاريخ مدينة دمشق / ج ١٢ ص ٥٣٣.

(٨)

في الرذائل

الكلفة: «التمسك لمن لا يؤاتيك، والنظر بما لا يعينك، والجهل وان كنت فصيحاً»^(١).

اللؤم: «إحراز المرء نفسه...»^(٢).

الشح: «أن ترى ما في يديك شرفاً، وما أنفقتَه تلفاً».

الجبين: «الجرأة على الصديق، والنكول عن العدو».

الفقر: «شره النفس في كل شيء».

الذل: «الفرع عند المصدوقة»^(٣).

الكلفة: «كلامك فيما لا يعينك».

الخرق: «معاداتك إمامك، ورفعك عليه كلامك».

السفه: «اتباع الدناة، ومصاحبة الغواة».

الغفلة: «تركك المسجد، وطاعتك المُفسد».

الحرمان: «تركك حظك، وقد عُرِضَ عليك»^(٤).

(١) معاني الأخبار ص ٤٠١.

(٢) والبذل في العرس هو الاسراف والتبذير في أمرٍ ينبغي ان يكون مقتصداً فيه، لأن في الزواج تحمّل ولاية جديدة وهي ولاية الزوجية.

(٣) المصدوقة: من الصدق، ويقال: صدق في الحديث، وصدق فلاناً الحديث والقتال (راجع القاموس المحيط). وتقول العرب: مكذوباته ومصدوقاته.

(٤) هذه الحكمة وما قبلها: حلية الأولياء / ج ٢ ص ٣٥. رواه ابن عساكر في (ترجمة الإمام الحسن عليه السلام) من تاريخ دمشق) ص ١٦٣ رقم ٢٧٥.

الذللّ: «من لا يغضب من الجفوة».

الكبر والحرص والحسد: «هلاك الناس في ثلاث: الكبر، والحرص، والحسد: الكبر به هلاك الدين، وبه لعن إبليس، والحرص عدوّ النفس، وبه أُخرج آدم من الجنة، والحسد رائد السوء، وبه قتل قابيل هايل»^(١).

البخل: «هو أن يرى الرجل ما أنفقه، وما أمسكه شرفاً»^(٢). وأيضاً: «البخل جامع للمساوىء والعيوب، وقاطع للمودّات من القلوب».

سوء الخلق: «أشدّ من المصيبة سوء الخلق».

الغدر: «الغدر لا خير فيه»^(٣).

من الرذائل: «...العجلة سفه، والفِرّ ضعف، ومجالسة أهل الدناءة شين، ومخالطة أهل الفسوق ريبة»^(٤).

(٩)

في العقل

الدين والعقل: «لا أدب لمن لا عقل له، ولا مودّة لمن لا همّة له ولا حياة لمن لا دين له، ورأس العقل معاشرّة الناس بالجميل، وبالعقل تدرك سعادة الدارين، ومن حرم العقل حرمها جميعاً».

التفكر: «أوصيكم بتقوى الله، وإدامة التفكّر، فإنّ التفكّر أبو كلّ خيرٍ وأمّه».

(١) نور الأبصار ص ١١٠. كشف الغمّة / ج ١ ص ٥٧١.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب / ج ٣ ص ٣٩٨.

(٣) هذه الحكمة وما قبلها: معاني الأخبار ص ٤٠١، وكشف الغمّة / ج ٢ ص ١٩١.

(٤) تاريخ مدينة دمشق / ج ١٢ ص ٥٣٣.

وأيضاً: «عليكم بالفكر، فإنه حياة قلب البصير، ومفاتيح أبواب الحكمة»^(١).

العاقل لا يغش: «لا يغشّ العاقل من استنصحه»^(٢).

الأدب نتاج العقل: «لا أدب لمن لا عقل له».

(١٠)

الأداب الاجتماعية

الناس: «إنّ الناس أربعة: فمنهم من له خلاق وليس له خُلُق^(٣)، ومنهم من له خُلُق وليس له خلاق، ومنهم من ليس له خُلُق ولا خلاق، فذاك أشرّ الناس. ومنهم من له خُلُق وخلاق فذاك أفضل الناس»^(٤).

السلام: «من بدأ بالكلام قبل السلام، فلا تجبوه»^(٥).

التقبيل: «إذا لقي أحدكم أخاه، فليقبل موضع النور من جبهته»^(٦).

الابتعاد على قدر المعرفة: «الوحشة من الناس، على قدر الفطنة بهم»^(٧).

المشاورة: «ما تشاور قوم إلا هدوا إلى رشدهم»^(٨).

(١) بحار الأنوار / ج ٧٥ ص ١١٥.

(٢) تحف العقول ص ٢٣٦.

(٣) الخُلُق: السجية والطبيعة. وفي التنزيل الحكيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ سورة القلم: الآية

٤. وقوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً». الخلاق: الحظ والنصيب.

(٤) كنز العمال / ج ١٦ ص ٢٧٠.

(٥) تحف العقول ص ٣٦٠.

(٦) تحف العقول ص ٢٣٦.

(٧) عدّة الداعي - ابن فهد الحلبي ص ٢١٨.

(٨) تحف العقول ص ٢٣٣.

المودّة تُقرب: «ال قريب من قربته المودّة، وإن بعد نسبه، والبعيد من باعدته المودّة، وإن قرب نسبه، فلا شيء أقرب من يدٍ إلى جسد، وإن اليد تغلّ، فتقطع وتحسم»^(١).
انتظار الاعتذار قبل العقوبة: «لا تعاجل الذنب بالعقوبة، واجعل بينها للاعتذار طريقاً»^(٢).

عيادة المريض: أن أبا موسى عاد الحسن بن علي رضي الله عنهما، فقال الحسن رضي الله عنه له: «أعائذُ جئت أم زائرًا؟»، فقال: عائداً، فقال رضي الله عنه: «ما من رجل يعودُ مريضاً، إلا خرج معه سبعون ألف ملك، يستغفرون له حتى يصبح...»^(٣).

(١١)

الدار الدنيا

الدار الدنيا: «الناس في دار سهوٍ وغفلة، يعملون ولا يعلمون، فإذا صاروا إلى دار يقين، يعلمون ولا يعملون»^(٤).
ما لم تظفر به: «اجعل ما طلبت من الدنيا فلم تظفر به، بمنزلة ما لم يخطر ببالك»^(٥).

الموت والدنيا: «فضح الموت الدنيا»^(٦).

الفكر مع الآخرة: «كن في الدنيا ببدنك، وفي الآخرة بقلبك»^(٧).

(١) الكافي / ج ٢ ص ٦٤٣.

(٢) عيون الحكم والمواعظ - الليثي ص ٥٢٤.

(٣) المعتبر - المحقق الحلي / ج ١ ص ٣٣٠.

(٤) دعائم الإسلام - النعمان المغربي / ج ١ ص ١٦٨.

(٥) كشف الغمة / ج ٢ ص ١٩٥.

(٦) بحار الأنوار / ج ٧٠ ص ٣٤٣.

(٧) عيون الحكم والمواعظ ص ٣٩١.

المنافسة على الدنيا: «من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره»^(١).

الحرص على الدنيا: «من أحبّ الدنيا ذهب خوف الآخرة عن قلبه. ومن ازداد حرصاً على الدنيا، لم يزد منها إلا بعداً، وازداد هو من الله بغضاً، والحرص الجاهد، والزاهد القانع، كلاهما مستوفٍ أكله غير منقوصٍ من رزقه شيئاً، فعلام التّهافت في النار»^(٢).

الدنيا وديعة: «أدركت أقواماً كانت الدنيا عندهم وديعةً، فأدّوها إلى من ائتمنهم عليها، ثم ركضوا خفافاً»^(٣).

حسرات الدنيا: «لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسراتٍ ثلاثٍ: أنه لم يشبع بما جمع، ولم يدرك ما أمل، ولم يحسن الزاد لما قدم عليه»^(٤).

يوم الدنيا: «يومك ضيفك، وهو مرتحل بحمدك، أو بدمك».

كراهية الموت: قام إليه رجل، فقال: يا بن رسول الله ما بالنانكره الموت، ولا نحبّه؟ فقال الحسن عليه السلام: «لأنكم أخربتم آخرتكم، وعمّرتم دنياكم، وأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب»^(٥).

الدنيا دار بلاء: «الحمد لله على ما قضى من أمر، وخصّص من فضل، وعمّ من أمر، وجلّ من عافية، حمداً يتمم به علينا نعمه ونستوجب به رضوانه، إن الدنيا دار بلاء

(١) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ١٩ ص ٢٨٩.

(٢) دعائم الإسلام / ج ١ ص ٨٢.

(٣) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ١٩ ص ٢٨٩.

(٤) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ١٩ ص ٣٢٧.

(٥) معاني الأخبار - الصدوق ص ٣٨٩.

وفتنة، وكل ما فيها إلى زوال، وقد نبأنا الله عنها، كيما نعتبر، فقدم إلينا بالوعيد كي لا يكون لنا حجة بعد الانذار، فازهدوا فيما يفنى، وارغبوا فيما يبقى، وخافوا الله في السر والعلانية...»^(١).

(١٢)

آداب المائدة

غسل اليدين: «غسل اليدين قبل الطعام ينفي الفقر، وبعده ينفي الهم»^(٢).

آداب الطعام: «في المائدة اثنتا عشرة خصلة يجب على كل مسلم أن يعرفها، أربع فيها فرض، وأربع سنة، وأربع تأديب.

الفرض: المعرفة، والرضا، والتسمية، والشكر.

السنة: الوضوء قبل الطعام، والجلوس على الجانب الأيسر، والأكل بثلاثة أصابع، ولعق الأصابع.

التأديب: «الأكل مما يليك، وتصغير اللقمة، وتجويد المضغ، وقلة النظر في وجوه الناس»^(٣).

(١٣)

العلم والتعليم

طبيعة التعلم: «علم الناس، وتعلم علم غيرك، فتكون قد اتقنت علمك، وعلمت ما لم تعلم»^(٤).

(١) التوحيد ص ٣٧٧.

(٢) المعتبر / ج ١ ص ١١٨.

(٣) الدعوات - الراوندي ص ١٣٧.

(٤) نور الأبصار ص ١١٠.

حسن السؤال: «حسن السؤال نصف العلم»^(١). «... ومدارة النَّاسِ نصف العقل،
والقصد في المعيشة نصف المؤنة»^(٢).

لا عذر مع العلم: «قطع العلم عذر المتعلمين»^(٣)

آثار عدم الانتفاع بالعلم: «يدخل النار قوم فيقول لهم أهلها: ما بالكم ابتليتم حتى
صرنا نرحمكم مع ما نحن فيه؟ فقالوا: يا قوم، جعل الله في أجوافنا علماً فلم ننتفع به
نحن، ولا نفعنا به غيرنا».

العلم المكتوب: «يا بني، وبني أخي تعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه،
-أو قال يرويهِ-، فليكتبه، وليضعه في بيته»^(٤).

(١٤)

الانسان

القلب: «أسلم القلوب ما طهر من الشبهات»^(٥).

السمع: «أسمع الأسماع ما وعى التذكير وانتفع به»^(٦).

البصيرة: «إنَّ أبصر الأبصار ما نفذ في الخير مذهبه»^(٧).

اللسان: «كفالك من لسانك ما أوضح لك سبيل رشدك من غيِّك»^(٨).

(١) نور الأبصار ص ١١٠.

(٢) شرح نهج البلاغة (ح) / ج ٤ ص ٣٣٣.

(٣) تحف العقول ص ٢٣٦.

(٤) تاريخ بغداد / ج ٧ ص ٣٩٩.

(٥) تحف العقول ص ١٧٠.

(٦) تحف العقول ص ١٧٠.

(٧) تحف العقول ص ١٧٠.

(٨) بحار الأنوار / ج ٧٨ ص ١١٤.

مغفرة الكريم: «أوسع ما يكون الكريم بالمغفرة، إذا ضاقت بالذنب المعذرة»^(١).

المندفع نحو الخير: «لا مروءة لمن لا همّة له»^(٢).

هيبة الصامت: «المزاح يأكل الهيبة، وقد أكثر من الهيبة الصامت»^(٣).

القنوع: «من قلّ ذلٌّ، وخير الغنى القنوع، وشرّ الفقر الخضوع»^(٤).

المتواضع: «من عدّد نعمةً تحقّ كرمه»^(٥).

المويفّ بالوعد: «الوعد مرض في الجود، والانجاز دواؤه»^(٦)، و«المسؤول حرّ حتى

يعد، ومسترقّ حتى ينجز»^(٧).

المتكلّف: مرّ الإمام الحسن عليه السلام يوماً، وقاصّ يقصّ على مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال

الحسن عليه السلام: ما أنت؟ فقال: أنا قاصّ يابن رسول الله. قال عليه السلام: كذبت، محمّد القاصّ،

قال الله عزّ وجلّ: ﴿... فَأَقْصِصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٨). قال: أنا مذكّر. قال: كذبت،

محمّد المذكّر، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾^(٩)، قال: فما أنا؟ قال: المتكلّف من

الرّجال»^(١٠).

(١) بحار الأنوار / ج ٧٥ ص ١١٥.

(٢) غرر الحكم - الأمدي، ١٠٧٧٨.

(٣) بحار الأنوار / ج ٧٥ ص ١١٣.

(٤) بحار الأنوار / ج ٧٥ ص ١١٣.

(٥) بحار الأنوار / ج ٧١ ص ٤١٧.

(٦) بحار الأنوار / ج ٧٥ ص ١١٣.

(٧) شرح مائة كلمة - ابن ميثم البحراني ص ١٥٢.

(٨) سورة الأعراف: الآية ١٧٦.

(٩) سورة الغاشية: الآية ٢١.

(١٠) تاريخ يعقوبي / ج ٢ ص ٢٢٨.

تصوير الباطل: «ليس من العجز أن يصمت الرَّجل عند إيراد الحجّة، ولكن من الافك أن ينطق الرَّجل بالخنا^(١)، ويصوّر الباطل بصورة الحقّ^(٢)».

الرأي: «لا يعرف الرأي إلا عند الغضب^(٣)».

(١٥)

المال

المال من وسائل اتقاء الشر: «إنّ خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك، وإن من ابتغاء الخير اتقاء الشر^(٤)».

القناعة: «إنّ مروّة القناعة والرّضا أكبر من مروّة الاعطاء، وتمام الصنيفة خير من ابتدائها^(٥)».

حُسن الانفاق: «الكثير في ذات الله قليل^(٦)».

(١٦)

الحاجة والسؤال

المسألة: «إنّ المسألة لا تصلح إلا في غرمٍ فادح، أو فقرٍ مدقٍ، أو حمالةٍ مفطعة^(٧)».

المسألة من أهلها: «فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها، والعبادة انتظار

الفرج^(٨)».

(١) الخنا: الفحش، وقيح الكلام.

(٢) المحاسن والأضداد ص ٧٠.

(٣) بحار الأنوار / ج ٧٥ ص ١١٣.

(٤) بحار الأنوار / ج ٤٣ ص ٣٥٨.

(٥) بحار الأنوار / ج ٧٥ ص ١١١.

(٦) نظم درر السمطين - الزرندي ص ١٩٧.

(٧) تحف العقول ص ٢٤٦.

(٨) تحف العقول ص ٣٥٩.

المعروف بلا من والاعطاء قبل السؤال: «المعروف ما لم يتقدمه مطل^(١) ولا يتبعه من، والإعطاء قبل السؤال من أكبر السؤدد^(٢)»^(٣).

العجلة في الأخذ والإبطاء في العطاء: «كلّ معاجل يسأل النظرة، وكل مؤاجل يتعلّل بالتسويق»^(٤).

(١٧)

العلاقات الإنسانية

أصول العلاقات بين الناس: «لا تأت رجلاً إلا أن ترجو نواله، أو تخاف بأسه، أو تستفيد من علمه، أو ترجو بركته ودعائه، أو تصل رحماً بينك وبينه»^(٥).

أصول المؤاخاة: «لا تؤاخ أحداً حتى تعرف موارده ومصادره، فإذا استنبطت الخبرة، ورضيت العشرة، فأخه على إقالة العثرة، والمواساة في العسرة»^(٦).

مصاحبة الناس: «صاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به»^(٧).

من عرف حقوق الإخوان: «أعرف الناس بحقوق إخوانه، وأشدّهم قضاءً لها، أعظمهم عند الله شأنًا، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه، فهو عند الله من الصّديقين، ومن شيعه علي بن أبي طالب عليه السلام»^(٨).

(١) المطل: التسويق والمدافعة بالعدّة والدين.

(٢) السؤدد: الشرف.

(٣) البداية والنهاية ج ٨ ص ٣٩.

(٤) تحف العقول ص ٢٣٦.

(٥) كشف الغمة / ج ١ ص ٥٧٢.

(٦) تحف العقول ص ١٦٨-١٦٩.

(٧) بحار الأنوار / ج ٧٥ ص ١١٦.

(٨) تنبيه الخواطر ص ٣١٢.

في الزواج؛ جاء رجل إلى الحسن عليه السلام يستشيريه في تزويج ابنته؟ فقال عليه السلام: «زوجهها من رجل تقيٍّ، فإنه إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها»^(١).

من ينهش أعراض الناس؛ «إذا سمعت أحداً يتناول أعراض الناس، فاجهد أن لا يعرفك، فإن أشقى الناس به معارفه»^(٢).

أشرُّ الناس وأحسن الناس عيشاً؛ «قيل للحسن عليه السلام: من أحسن الناس عيشاً؟ قال: من أشرك الناس في عيشه. وقيل له عليه السلام: من شر الناس عيشاً؟ قال: من لا يعيش في عيشه أحد»^(٣).

(١٨)

في الإمام الحسن عليه السلام

في وصف نفسه عليه السلام: قيل له: كيف أصبحت يا بن رسول الله؟ فقال: «أصبحت ولي ربِّ فوقِي، والنار أمامي، والموت يطلبني، والحساب محدد بي، وأنا مرتين بعلمي لا أجد ما أحب، ولا أدفع ما أكره، والأمور بيد غيري، فإن شاء عدّني، وإن شاء عفا عني، فأني فقير أفقر مني»^(٤).

في الهدنة؛ «إنها هادنت حقناً للدماء، وضناً بها، وإشفاقاً على نفسي وأهلي، والمخلصين من أصحابي»^(٥).

التزين للصلاة؛ كان الحسن عليه السلام إذا قام إلى الصلاة لبس أجود ثيابه، فقيل له: يا بن

(١) مكارم الأخلاق - الطبرسي ص ٢٣٣.

(٢) أعلام الدين ص ٢٩٧.

(٣) تاريخ اليعقوبي / ج ٢ ص ٢١٥.

(٤) الوافي (الروضة) - الفيض الكاشاني ص ٦٧.

(٥) بحار الأنوار / ج ٤٤ ص ٢٧.

رسول الله لم تلبس أجود ثيابك؟ فقال: «إن الله تعالى جميل يحب الجمال، فأتجمل لربي، وهو يقول: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ...﴾^(١)، فأحب أن ألبس أجود ثيابي»^(٢).

والحمد لله رب العالمين

(١) سورة الأعراف: الآية ٣١.

(٢) تفسير العياشي - محمد بن مسعود / ج ٢ ص ١٤.

٤- فهرس المصادر

تنبيه^(١):

١- القرآن الكريم.

٢- الآحاد والمثاني. ابن أبي عاصم الضحاك (ت ٢٧٨هـ). تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة. دار الراية، ١٩٩١م.

٣- الإتحاف بحب الأشراف. محمد عبدالله بن عامر الشبراوي الشافعي (ت ١١٧٢هـ). مصر: المطبعة الأدبية، ١٣١٦هـ.

٤- إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات. محمد بن الحسن العاملي (ت ١١٠٤هـ). تعليق: أبو طالب تجليل التبريزي. قم المشرفة: المطبعة العلمية.

٥- الإحتجاج على أهل اللجاج. أحمد بن علي بن منصور أحمد الطبرسي (ت ٦٢٠هـ). تحقيق: محمد باقر الخرسان. مشهد: المرتضى، ١٤٠٣هـ.

٦- إحقاق الحق وإزهاق الباطل. القاضي نور الله الحسيني المرعشي التستري (ت ١٠١٩هـ). مع تعليقات نفيسة للسيد شهاب الدين المرعشي، ٣٨ جزء. طهران:

(١) بسبب الرجوع إلى المصادر الثلاثة التالية مرات متعددة، آثرنا أن نرمز لها بالشكل التالي:

المناقب - ابن شهر آشوب، رمزنا له: المناقب (ش).

شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد، رمزنا له: شرح نهج البلاغة (ح).

شرح نهج البلاغة - محمد عبده، رمزنا له: شرح نهج البلاغة (م).

المطبعة الإسلامية، ١٣٩٣هـ.

٧- الأحكام السلطانية والولايات الدينية. علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠هـ). تحقيق: د. أحمد مبارك. الكويت: دار ابن قتيبة، ١٩٨٩م.

٨- أخبار أصبهان. الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ). بيروت: دار الكتاب الإسلامي.

٩- الأخبار الطوال. أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٣هـ). تحقيق: عبد المنعم عامر. مصر: وزارة الإرشاد القومي، ١٩٦٠م.

١٠- الإختصاص. المنسوب إلى الشيخ المفيد، محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ). تصحيح: علي أكبر الغفاري. فهرسة: محمود الزرندي. قم: جماعة المدرسين.

١١- اختيار معرفة الرجال (المعروف برجال الكشي). الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ). تصحيح: المعلم الثالث ميرداماد الاسترآبادي. تحقيق: سيد مهدي الرجائي. قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ١٤٠٤هـ.

١٢- الارشاد. أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ). بيروت: الأعلمي، ١٣٩٩هـ.

١٣- إرشاد القلوب. الحسن بن محمد الديلمي (من أعلام القرن الثامن الهجري). قم المشرفة: الشريف الرضي.

١٤- الإستيعاب في معرفة الأصحاب. ابن عبد البر النميري القرطبي المالكي (ت ٣٦٣هـ). طبعة حيدرآباد ١٣٣٦هـ.

١٥- الإستيعاب في معرفة الإصحاب (بهامش الإصابة). ابن عبد البر القرطبي

المالكي (ت ٣٦٣هـ). بيروت: دار الكتب العلمية.

١٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة. علي بن أحمد بن الأثير (ت ٦٣٠هـ). بيروت، سنة ١٩٧٠م.

١٧- إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين. (بهامش نور الأبصار). محمد بن علي الصبان الشافعي (ت ١٢٠٦هـ). مصر: مطبعة التقدم، ١٣٢٤هـ.

١٨- أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب. محمد بن محمد الجزري الشافعي (ت ٨٣٣هـ). مكة المكرمة: المطبعة الأميرية، ١٣٢٤هـ.

١٩- الإصابة في أحوال الصحابة. أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). طبعة مصر سنة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.

٢٠- كتاب الأصول. محمد بن أحمد بن أبي سهيل السرخسي (ت ٥٥٢هـ). بيروت: دار المعرفة.

٢١- أضواء على السنة المحمدية. محمود أبوريه (ت ١٣٩٠هـ). مصر: دار المعارف.
٢٢- أعلام الدين في صفات المؤمنين. حسن بن أبي الحسن الديلمي (من أعلام القرن الثامن الهجري). تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المشرفة. الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٢٣- إعلام الوري. أبو الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ). النجف الأشرف: مطبعة الآداب، ١٣٩٠هـ.

٢٤- إقبال الأعمال. رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن طاووس

- (ت ٦٦٤هـ). بيروت: الأعلمي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٢٥- أمالي الصدوق. الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ). بيروت: الأعلمي، ١٤٠٠هـ.
- ٢٦- الأمالي. أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ). طهران: طبعة حجرية، ١٣٠٠هـ.
- ٢٧- الأمالي. محمد بن محمد النعمان (الشيخ المفيد) (ت ٤١٣هـ). قم المشرفة: جامعة المدرسين، ١٤٠٣هـ.
- ٢٨- الإمامة والسياسة (المعروف بتاريخ الخلفاء). محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ). مصر: البابي الحلبي، ١٣٧٨هـ.
- ٢٩- أنساب الأشراف. أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ). تحقيق: محمد باقر المحمودي. بيروت: دار المعارف، بدون تاريخ. الطبعة الثالثة.
- ٣٠- الأنوار في شمائل النبي المختار. حسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ). تحقيق: الشيخ إبراهيم اليعقوبي. بيروت: دار الضياء، ١٩٨٩م.
- ٣١- البداية والنهاية. إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ). بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ.
- ٣٢- بحار الأنوار. محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ). بيروت: دار الوفاء.
- ٣٣- تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر). عبد الرحمن بن محمد المعروف بإبن خلدون (ت ٨٠٨هـ). طباعة سنة ١٢٨٤هـ.
- ٣٤- تاريخ بغداد (أو مدينة السلام). أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ).

- تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٧م/١٤١٧هـ.
- ٣٥- تاريخ الخلفاء. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ). بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٣م.
- ٣٦- تاريخ خليفة بن خياط. خليفة بن خياط العسقري (ت ٢٤٠هـ). بغداد: ١٣٨٧هـ.
- ٣٧- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك). محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر: دار المعارف.
- ٣٨- التاريخ الكبير. محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ). تحقيق: هاشم الندوي. بيروت: دار الفكر.
- ٣٩- تاريخ الكوفة. حبة بن جوين العرني (ت ٧٦هـ). مخطوط.
- ٤٠- تاريخ مدينة دمشق. ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة (ت ٥٧١هـ). بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦م.
- ٤١- تاريخ المدينة المنورة. ابن شبة النميري البصري (ت ٢٦٢هـ). تحقيق: محمد شلتوت. بيروت: دار الفكر، ١٤١٠هـ.
- ٤٢- تاريخ اليعقوبي. أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي (ت ٢٨٤هـ). بيروت: دار صادر، ١٣٧٩هـ.
- ٤٣- تأويل مختلف الحديث في الرد على أعداء أهل الحديث. عبد الله بن عبد المجيد المعروف بإبن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ). مصر: مكتبة زيدان، ١٩٣٦م.
- ٤٤- التبيان في تفسير القرآن. الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ).

- تحقيق: أحمد حبيب العاملي. قم المشرفة: مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩ هـ.
- ٤٥- التبيين لأسماء المدلسين. إبراهيم بن محمد بن العجمي (ت ١٨٤١ هـ). تحقيق: شفيق حسن. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦ هـ.
- ٤٦- تحف العقول عن آل الرسول عليه السلام. الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني (ت ٣٨١ هـ). تصحيح: علي أكبر الغفاري. قم المشرفة: جماعة المدرسين، ١٤٠٤ هـ.
- ٤٧- تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي. محمد بن عبد الرحمن المباركفوري (ت ١٣٥٣ هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠ م.
- ٤٨- تذكرة الخواص (تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة). يوسف بن فرغلي بن عبد الله المعروف بسبط الجوزي (ت ٦٥٤ هـ). طهران: مكتبة نينوى الحديثة.
- ٤٩- تذكرة الموضوعات. محمد طاهر الهندي الفتني (ت ٩٨٦ هـ). طبعة حجرية.
- ٥٠- ترجمة الإمام الحسن عليه السلام. علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ). تحقيق: محمد باقر المحمودي. بيروت: مؤسسة المحمودي، ١٤٠٠ هـ.
- ٥١- التعديل والتجريح. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد الرازي (ت ٣٢٧ هـ). طبعة حيدآباد سنة ١٣٧٢ هـ.
- ٥٢- تفسير البرهان (البرهان في تفسير القرآن). هاشم بن سليمان البحراني (ت ١١٠٧ هـ). تحقيق: الموسوي الزندي. قم المشرفة: إسماعيليان، ١٣٤٤ هـ.
- ٥٣- تفسير الرازي (مفاتيح الغيب). فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ). بيروت: دار الفكر، ١٤٠١ هـ.
- ٥٤- تفسير الصافي. الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ). طهران: مكتبة الصدر،

١٤١٦هـ.

٥٥- تفسير العياشي. محمد بن مسعود التميمي الكوفي السمرقندي المعروف بالعياشي (ت ٣٢٠هـ). تحقيق: هاشم رسولي. طهران: المكتبة العلمية الإسلامية، ١٣٨٠هـ.

٥٦- تفسير الميزان. السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ). قم: إسماعيليان. الطبعة الثالثة نقلاً عن طبعة ١٩٧٣م.

٥٧- تفسير نور الثقلين. عبد علي بن جمعة العروسي الحوزي (ت ١١١٢هـ). تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي. قم: إسماعيليان، ١٤١٢هـ.

٥٨- تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للمفيد. الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ). بيروت: دار التعارف، ١٤٠١هـ.

٥٩- تهذيب التهذيب. شهاب الدين أحمد بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ.

٦٠- تنبيه الخواطر ونزهة المناظر (مجموعة ورام). ورام بن أبي فراس الحلبي (ت ٦٠٥). طبعة طهران ١٣٠٩هـ.

٦١- تناقضات الألباني الواضحات فيما وقع له في تصحيح الأحاديث وتضعيفها من أخطاء وغلطات. حسن بن علي السقاف. الأردن: دار الإمام النووي، ١٩٩٢م. الطبعة الثانية.

٦٢- تنقيح المقال في علم الرجال. الشيخ عبد الله المامقاني (ت ١٣٥١هـ). تحقيق: محيي الدين المامقاني. قم المشرفة: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

٦٣- توضيح الدلائل على ترجيح الفضائل. شهاب الدين أحمد بن جلال الحسيني الشافعي الإيجب (كان حياً حتى سنة ٨٢٠هـ). طهران: المجمع العالمي للتقريب، ٢٠٠٧م.

٦٤- التوحيد. محمد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ). تصحيح: هاشم الرسولي الطهراني. طهران: الصدوق، ١٣٩٨هـ.

٦٥- جامع بيان العلم. يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ). تحقيق: أبي الأشبال الزهيري. بيروت: دار ابن الجوزي.

٦٦- جامع السعادات. محمد مهدي النراقي (ت ١٢٠٩هـ). تحقيق: محمد كلانتر. تقديم: الشيخ محمد رضا المظفر. النجف الأشرف: مطبعة النعمان.

٦٧- الجامع لأحكام القرآن. محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ). بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م.

٦٨- جامع الترمذي (الجامع لصحيح سنن الترمذي). محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٦٩- الجرح والتعديل. عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٧٠- كتاب الجمل (أو النصر في حرب البصرة). محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ). طبعة قم.

٧١- جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة. أحمد زكي صفوت. بيروت: دار الكتب العلمية.

- ٧٢- جواهر العقدين في فضل الشرفين: شرف العلم الجلي والنسب العلي. علي بن عبد الله الحسيني السمهودي (ت ٩١١هـ). بغداد: وزارة الأوقاف، ١٩٨٤م.
- ٧٣- جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. شمس الدين أبي البركات محمد بن أحمد الدمشقي (ت ٨٧١هـ). تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي. قم المشرفة: إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١٦هـ.
- ٧٤- حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين. يوسف بن إسماعيل النبهاني (ت ١٣٥٠هـ). بيروت: المطبعة الأدبية، ١٣١٦هـ.
- ٧٥- الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة. الشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦هـ). تحقيق: محمد تقي الإيرواني. قم المشرفة: جماعة المدرسين.
- ٧٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م.
- ٧٧- الخصائص (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب). أحمد بن عبد الرحمن النسائي (ت ٢١٥هـ). تحقيق: محمد هادي الأميني. طهران: مكتبة نينوى الحديثة.
- ٧٨- خصائص الأئمة عليهم السلام. محمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ). تحقيق: محمد هادي الأميني. مشهد: مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٠٦هـ.
- ٧٩- الخرائج والجرائح. سعيد بن عبد الله المعروف بقطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣هـ). قم المشرفة: مؤسسة الإمام المهدي، ١٤٠٩هـ.
- ٨٠- الخلاف. الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ). قم المشرفة: جماعة المدرسين، ١٤٠٧هـ.

٨١- دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه السلام. القاضي النعمان المغربي، محمد بن منصور (ت ٣٦٣هـ). تحقيق: آصف بن علي أصغر فيض. مصر: دار المعارف، ١٩٦٣م.

٨٢- الدعوات (سلوة الحزين). سعيد بن هبة الله المشهور بقطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣هـ). قم المشرفة: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام.

٨٣- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة. السيد علي خان المدني بن معصوم (ت ١١٢٠هـ). تقديم: محمد صادق بحر العلوم. قم المشرفة: بصيرتي، ١٣٩٧هـ.

٨٤- درر السمط في خبر السبط. محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار (ت ٦٥٨هـ). تحقيق: عز الدين عمر موسى. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٧هـ.

٨٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور. جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ). بيروت: دار الفكر.

٨٦- دلائل الإمامة. محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ). تحقيق ونشر: قم المشرفة: مؤسسة البعثة، ١٤١٣هـ.

٨٧- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى. أحمد بن عبد الله الطبري (ت ٦٩٤هـ). القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٥٦هـ.

٨٨- الذرية الطاهرة. محمد بن أحمد الرازي (ت ٣١٠هـ). تحقيق: محمد جواد الجلاي. قم المشرفة: جامعة المدرسين، ١٤٠٧هـ.

٨٩- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار. محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ). تحقيق: عبد الأمير مهنا. بيروت: الأعلمي، ١٩٩٢م.

٩٠- رجال بن داود. الحسن بن علي بن داود الحلي (ت ٧٠٧هـ). النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية، ١٣٩٢هـ.

*** رجال الكشي: إنظر مصدر رقم (١١) اختيار معرفة الرجال.

٩١- الرسالة السعدية. العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ). تحقيق: عبد الحسين محمد علي البقال. قم المشرفة: بهمن، ١٤١٠هـ.

٩٢- روايات لعب الإماميين الحسين في الميزان. ضياء السيد عدنان الحباب القטיפي. قم المشرفة: مكتبة فذك، ١٤٢٨هـ.

٩٣- روضة الواعظين. محمد بن الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨هـ). مقدمة السيد محمد مهدي الخرسان. قم المشرفة: منشورات الرضي.

٩٤- زبدة البيان. المقدس الأردبيلي (ت ٩٩٣هـ). تحقيق: محمد باقر البهبودي. طهران: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

٩٥- سعد السعود للنفوس. علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤هـ). تحقيق: فارس تبريزيان الحسون. بيروت: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ١٩٨٩م.

٩٦- سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار. عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ). طهران: دار الأسوة، ١٤١٦.

٩٧- السيدة سكيئة إبنة الإمام الشهيد الحسين عليه السلام. عبد الرزاق المقرّم (ت ١٣٩١هـ). بيروت: دار الأضواء، ١٤١٩هـ.

٩٨- كتاب سليم بن قيس. سليم بن قيس الهلالي (ت ٧٦هـ). تحقيق: محمد باقر

الأنصاري الزنجاني. قم المشرفة: الهادي، ١٤١٥هـ.

٩٩- سنن أبي داود. سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ). ترتيب: محمد

ناصر الدين الألباني. الكويت: دار غراس، ١٤٢٣هـ.

١٠٠- سنن البيهقي (السنن الكبير). أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ).

تحقيق: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية. القاهرة: مركز هجر،
٢٠١١م.

١٠١- سنن الترمذي (الجامع لصحيح سنن الترمذي). محمد بن عيسى الترمذي

السلمي (ت ٢٧٩هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون. بيروت: دار إحياء التراث
العربي.

١٠٢- سيرة ابن هشام. عبد الملك بن هشام (ت ١٨٣هـ). تحقيق: مجدي فتحي

السيد. مصر: دار الصحابة للتراث بطنطا، ١٩٩٥م.

١٠٣- سير الأعلام النبلاء. شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ).

بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٠٤- شجرة طوبى. الشيخ محمد مهدي الحائري (ت ١٣٦٩هـ). النجف

الأشرف: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٥هـ.

١٠٥- شرح إحقاق الحق. السيد شهاب الدين المرعشي النجفي (ت ١٤١١هـ).

إهتمام: السيد محمود المرعشي. قم المشرفة: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤١٥هـ.

١٠٦- شرح أصول الكافي. مولى محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١هـ). تحقيق: أبو

الحسن الشعراني. تصحيح: علي عاشور. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ.

- ١٠٧- شرح مائة كلمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ابن ميثم البحراني (ت ٦٨١هـ). تصحيح: مير جلال الحسيني الأموري. قم: جماعة المدرسين.
- ١٠٨- شرح نهج البلاغة. عز الدين بن هبة المعروف بإبن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٥هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: الباي الحلبي، ١٩٥٩م.
- ١٠٩- صبح الأعشى في صناعة الإنشا. أبو العباس القلقشندي (ت ٨٥١هـ). القاهرة: دار الكتب.
- ١١٠- الصحاح في اللغة (تاج اللغة وصحاح العربية). إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٦م.
- ١١١- صحيح ابن حبان. محمد بن حبان بن أحمد (ت ٣٥٤هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ.
- ١١٢- صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ). بيروت: دار الفكر، ١٩٨١م.
- ١١٣- صحيح مسلم بشرح النووي. محي الدين أبو زكريا النووي (ت ٦٧٦هـ). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ١١٤- صلح الإمام الحسن عليه السلام. الشيخ راضي آل ياسين (ت ١٣٧٢هـ). النجف الأشرف: الشريف الرضي.
- ١١٥- الصواعق المحرقة. أحمد بن حجر الهيتمي المكي (ت ٩٧٣هـ). القاهرة: مكتبة القاهرة، ١٣٨٥هـ. الطبعة الثانية.
- ١١٦- ضعفاء العقيلي (كتاب الضعفاء). محمد بن عمرو بن موسى العقيلي

- (ت ٣٢٢ هـ). تحقيق: مازن بن محمد السرساوي. مصر: دار ابن عباس، ٢٠٠٨ م.
- ١١٧ - الضعفاء والمتروكين. أحمد بن علي النسائي (ت ٣٠٣ هـ). تحقيق: محمود إبراهيم زايد. بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٦ م.
- ١١٨ - الطبقات الكبرى. محمد بن سعد كاتب الواقدي المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠ هـ). بيروت: دار بيروت للطباعة، ١٤٠٥ هـ.
- ١٢٠ - طبقات المدلسين (تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس). ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ). مصر: المطبعة الحسينية المصرية، ١٣٢٢ هـ.
- ١٢١ - الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف. علي بن موسى بن طاووس الحسيني (ت ٦٦٤ هـ). قم المشرفة: مطبعة الخيام، ١٣٩٩ هـ.
- ١٢٢ - عدة الداعي ونجاح الساعي. ابن فهد الحلبي (ت ٨٤١ هـ). تصحيح: أحمد الموحد القمي. قم المشرفة: مكتبة الوجداني.
- ١٢٣ - العقد الفريد. ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣ م.
- ١٢٤ - علل الحديث. أبو حاتم الرازي (ت ٢٧٧ هـ). تحقيق: سعد عبد الله، وخالد عبد الرحمن. مطبعة الحميضي، ١٤٢٧ هـ. الطبعة الأولى.
- ١٢٥ - علل الشرائع. محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ). النجف الأشرف: النعمان، ١٣٨٥ هـ.
- ١٢٦ - عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب. أحمد بن علي بن الحسين بن مهنا بن عتبة (ت ٨٢٨ هـ). طبعة لكنو بالهند.

١٢٧- العوالم (عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال).
الشيخ عبد الله بن نور الله البحراني (ت ١١٣٠هـ). قم المشرفة: مؤسسة الإمام المهدي،
١٤٠٧هـ.

١٢٨- عيون أخبار الرضا عليه السلام. محمد بن علي بن الحسين بن بابويه المعروف بالشيخ
الصدوق (ت ٣٨١هـ). تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي. بيروت: مؤسسة الأعلمي،
١٤٠٤هـ.

١٢٩- عيون الأخبار. عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ). تحقيق:
منذر محمد سعيد. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٢٩هـ.

١٣٠- عيون الحكم والمواعظ. علي بن محمد الليثي الواسطي (من أعلام الإمامية
في القرن السادس الهجري). تحقيق: حسن الحسيني البيرجندي. قم المشرفة: دار
الحديث، ١٣٧٦هـ.

١٣١- عيون المعجزات. حسين بن عبد الوهاب (من علماء القرن الخامس
الهجري). النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية، ١٩٥٠م/١٣٦٩هـ.

١٣٢- الغارات. إبراهيم بن محمد الثقفي (ت ٢٨٣هـ). تحقيق: جلال الدين
المحدث. طهران: المكتبة الوطنية.

١٣٣- الغدير في الكتاب والسنة والأدب. عبد الحسين أحمد الأميني (ت ١٣٩٠هـ).
بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٧م.

١٣٤- غرر الحكم ودرر الكلم. عبد الواحد بن محمد الأمدي (ت ٥٥٠هـ). صيدا:
مطبعة العرفان، ١٩٣١م.

- ١٣٥- غريب الحديث. عبد الله بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م.
- ١٣٦- الفتوح. أبو محمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ). بيروت: دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٦هـ.
- ١٣٧- فتوح البلدان. أحمد بن يحيى بن داود البلاذري (ت ٢٧٩هـ). بيروت: ١٣٩٨هـ.
- ١٣٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري. أحمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر (ت ٨٥٢هـ). بيروت: دار المعرفة. الطبعة الثانية.
- ١٣٩- فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم. علي بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤هـ). طبعة إيران.
- ١٤٠- فرائد السمطين. إبراهيم بن محمد الحموي (ت ٧٠٢هـ). تحقيق: محمد باقر المحمودي. بيروت: مؤسسة المحمودي، ١٣٩٨هـ.
- ١٤١- الفروق اللغوية (معجم). أبو هلال العسكري (توفي بعد سنة ٣٩٥هـ). تعليق: محمد إبراهيم سليم. مصر: دار العلم والثقافة.
- ١٤٢- الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة عليهم السلام. علي بن محمد بن أحمد المالكي المعروف بابن الصباغ (ت ٨٥٥هـ). بيروت: الأعلمي، ١٤٠٨هـ.
- ١٤٣- فقه الرضا عليه السلام (الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام). علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٢٩هـ). تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام. مشهد: المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، ١٤٠٦هـ.

١٤٤ - قرب الإسناد. عبد الله بن جعفر الحميري القمي (من أعلام القرن الثالث الهجري). تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث. قم المشرفة: مؤسسة آل البيت عليه السلام، ١٤١٣هـ.

١٤٥ - الكافي (الأصول، والفروع، والروضه). محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ). تصحيح: علي أكبر غفاري. طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٥هـ.

١٤٦ - كامل الزيارات. جعفر بن محمد بن قولويه (ت ٣٦٧هـ). تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني. ثم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ.

١٤٧ - الكامل في التاريخ. أحمد بن الأثير (ت ٦٣٠هـ). تحقيق: عبد الله القاضي. بيروت: ١٤٠٧هـ.

١٤٨ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٥٣٨هـ). بيروت: دار المعرفة.

١٤٩ - كشف الغمة في معرفة الأئمة. علي بن عيسى الأربلي (ت ٦٩٣هـ). بيروت: دار الأضواء.

١٥٠ - كشف المحجة لثمره المهجة. علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤هـ). النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية، ١٣٧٠هـ.

١٥١ - كفاية الأحكام. محمد باقر السبزواري (ت ١٠٩٠هـ). اصفهان: مدرسة صدر مهدي.

١٥٢ - كفاية الطالب لمناقب علي بن أبي طالب عليه السلام. محمد بن حبيب الله بن عبد الله الشنقيطي المالكي (ت ١٣٦٣هـ). القاهرة: مطبعة الإستقامة، ١٣٥٥هـ.

- ١٥٣- كمال الدين وتمام النعمة. محمد بن علي بن الحسين المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ). تصحيح: علي أكبر الغفاري. قم المشرفة: جماعة المدرسين، ١٤٠٥هـ.
- ١٥٤- كنز العمال في السنن: الأقوال والأفعال. علاء الدين علي المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ). ضبط: الشيخ بكرى حياني. تصحيح: الشيخ صفوة السقا. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩م.
- ١٥٥- لسان العرب. ابن منظور الأفريقي المصري، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ). قم المشرفة: نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.
- ١٥٦- لسان الميزان. ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٣٩٠هـ.
- ١٥٧- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين. محمد بن حبان بن أحمد التميمي (ت ٣٥٤هـ). تحقيق: محمود إبراهيم زايد. حلب: دار الوعي، ١٣٩٦هـ.
- ١٥٨- مجمع البحرين. فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٧هـ). قم المشرفة: مصطفوي، ١٣٩٩هـ.
- ١٥٩- مجمع البيان في تفسير القرآن. الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ). تحقيق: هاشم المحلاتي، وفضل الله اليزدي. بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٨هـ.
- ١٦٠- مجمع الزوائد. نور الدين الهيثمي المعروف بإبن حجر (ت ٨٠٧هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.
- ١٦١- المجتبي من الدعاء المجتبي. السيد علي بن موسى بن طاووس الحسيني (ت ٦٦٤هـ). تحقيق: صفاء الدين البصري. طبعة قم المشرفة، بدون تاريخ.

١٦٢- المحاسن. أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٨٠هـ). النجف الأشرف: النعمان، ١٣٨٤هـ.

١٦٣- المحاسن والأضداد. عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ). تحقيق: صلاح الدين الهواري. بيروت: المكتبة العصرية.

١٦٤- المحاسن والمساوى. إبراهيم بن محمد البيهقي (ت ٤٥٨هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر: دار المعارف، ١٩٩١م.

١٦٥- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ﷺ. محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ). طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٠هـ.

١٦٦- المرقاة في شرح المشكاة (مرقاة المفاتيح: شرح مشكاة المصابيح). الماتن: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (ت ٧٤١هـ). الشارح: علي بن سلطان القاري (ت ١٠١٤هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.

١٦٧- مروج الذهب ومعادن الجوهر. علي بن الحسين المسعودي الهذلي (ت ٣٤٦هـ). تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. مصر: مطبعة السعادة، ١٣٨٤هـ.

١٦٨- المستدرک على الصحيحين. الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ). تحقيق: يوسف المرعشلي. بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٦هـ.

١٦٩- مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل. الميرزا حسين النوري (ت ١٣٢٠هـ). تحقيق: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث. بيروت: مؤسسة آل البيت ﷺ، ١٩٨٧م.

١٧٠- المستجد من كتاب الإرشاد. العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ). طبعة قم،

١٤١٧هـ.

١٧١- مروج الذهب ومعادن الجوهر. علي بن الحسين المسعودي الهذلي (ت ٣٤٦هـ). تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. مصر: مطبعة السعادة، ١٣٨٤هـ.

١٧٢- مسند أحمد. أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ). بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ.

١٧٣- مسند الحميدي. عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدي (ت ٢١٩هـ). تحقيق: حسن سليم أسد. دمشق: دار السقاء، ١٩٩٦م.

١٧٤- مسند الشاميين. سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ). بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ.

١٧٥- مشاهير علماء الأمصار. ابن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ). تحقيق: مرزوق علي إبراهيم. بيروت: دار الوفاء.

١٧٦- المصباح المنير. شهاب الدين أحمد بن الشيخ منال الدين الفيومي (ت ٧٧٠هـ). تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. مصر: ١٩٥٩م.

١٧٧- المصنف. عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ). تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. بيروت: المجلس العلمي، ١٩٧٢م.

١٧٨- مطالب السؤل في مناقب آل الرسول عليه السلام. محمد بن طلحة القرشي الشافعي (ت ٦٥٢هـ). مخطوطة من مخطوطات مكتبة الإمام الرضا عليه السلام.

١٧٩- معدن الجواهر ورياضة الخواطر. أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي (ت ٤٤٩هـ). تحقيق: أحمد الحسيني. قم المشرفة: مطبعة مهر، ١٣٩٤هـ.

- ١٨٠- معادن الحكمة في مكاتيب الأئمة. الفيض الكاشاني، محمد محسن (ت ١٠٩١هـ). قم المشرفة: جماعة المدرسين، ١٤٠٧هـ.
- ١٨١- معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين عليهما السلام. محمد مهدي الحائري (ت ١٣٥٨هـ). قم المشرفة: صبح الصادق، ١٤٢٥هـ.
- ١٨٢- المتبصر في شرح المختصر. المحقق الحلي، جعفر بن الحسن (ت ٦٧٦هـ). قم المشرفة: مؤسسة سيد الشهداء عليه السلام، ١٣٦٤هـ.
- ١٨٣- المعجم الأوسط. سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ). تحقيق: دار الحرمين. نشر: دار الحرمين للطباعة والنشر.
- ١٨٤- معجم البلدان. ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ). بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩م.
- ١٨٥- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة. أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٢هـ). بيروت: دار الزهراء، ١٤٠٣هـ.
- ١٨٦- المعجم الكبير. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ). تحقيق: حمدي عبد المجيد. الطبعة الثانية. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٤هـ.
- ١٨٧- معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م.
- ١٨٨- معاني الأخبار. محمد بن علي، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ). تصحيح: علي أكبر الغفاري. قم المشرفة: جامعة المدرسين، ١٣٦١هـ.
- ١٨٩- المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. أبو

- جعفر الإسكافي (ت ٢٢٠هـ). تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي. طبعة إيران.
- ١٩٠ - مفتاح النجا في مناقب آل العبا. محمد بن معتمد خان البدخشي (من أعلام الهند في القرن الثاني عشر الهجري). مخطوطة في مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام في النجف.
- ١٩١ - مفردات غريب القرآن. الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ). طباعة إيران. سنة الطبع غير مذكورة.
- ١٩٢ - مقاتل الطالبين. علي بن الحسين بن محمد المعروف بأبي فرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ). تقديم: كاظم المظفر. قم المشرفة: دار الكتاب، ١٩٦٥م.
- ١٩٣ - مقتل الإمام الحسين عليه السلام. أبو مخنف (ت ١٥٧هـ). النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية، ١٩٦٢م.
- ١٩٤ - مقتل الحسين عليه السلام. موفق بن أحمد المكي الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ). تحقيق: الشيخ محمد السماوي. الطبعة الأولى. النجف الأشرف: مطبعة الغري.
- ١٩٥ - المكاسب. الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨١هـ). تحقيق: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأنصاري. قم المشرفة: مجمع الفكر الإسلامي، ١٤١٥هـ.
- ١٩٦ - مكارم الأخلاق. الحسن بن الفضل الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري). الطبعة السادسة، قم: ١٣٩٢هـ.
- ١٩٧ - الملاحم والفتن (التشريف بالمنن في التعريف بالفتن). علي بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤هـ). قم المشرفة: ولي الأمر، ١٤١٦هـ.
- ١٩٨ - من لا يحضره الفقيه. محمد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٢٩هـ). بيروت: الأعلمي، ١٩٨٦م.

- ١٩٩- مناقب أبي حنيفة. موفق بن أحمد المكي الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ). الهند: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، ١٣١١هـ.
- ٢٠٠- المناقب (مناقب آل أبي طالب). محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ). النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية، ١٩٥٦م.
- ٢٠١- مناقب أمير المؤمنين عليه السلام. علي بن محمد بن محمد المعروف ابن المغازلي (ت ٤٨٣هـ). تحقيق: عبد الرحمن تركي. صنعاء: دار الآثار، ١٤٢٤هـ.
- ٢٠٢- مناهل العرفان في علوم القرآن. محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ). القاهرة: البابي الحلبي. الطبعة الثالثة.
- ٢٠٣- منتخب الطريحي (المنتخب في جمع المراثي والخطب المشتهر بالفخري). فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ). النجف الأشرف: مطبعة الآداب، ١٣٨٥هـ.
- ٢٠٤- مهج الدعوات. علي بن موسى بن جعفر الحلي بن طاووس (ت ٦٦٤هـ). بيروت: الأعلمي.
- ٢٠٥- ميزان الاعتدال. شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ). تحقيق: علي محمد البجاوي. بيروت: دار المعرفة، ١٣٨٢هـ.
- ٢٠٦- الميزان في تفسير القرآن. السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ). قم: مؤسسة إسماعيليان. أوفست عن الطبعة الثانية ١٩٧٠م.
- ٢٠٧- ناسخ التواريخ. محمد تقي السبهر (ت ١٢٩٧هـ). طهران: المكتبة الإسلامية، ١٣٦٣هـ.
- ٢٠٨- النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم. أحمد بن علي المقرئ

- (ت ٨٤٥هـ). تحقيق: علي الهاشمي. النجف الأشرف: ١٣٦٨هـ.
- ٢٠٩- نزهة المجالس ومنتخب النفايس. الصفوري الشافعي (ت ٨٩٤هـ). مصر: المطبعة الكاستلية، ١٢٨٣هـ.
- ٢١٠- النصائح الكافية لمن يتولى معاوية. محمد بن عقيل العلوي (ت ١٣٥٠هـ). قم المشرفة: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ.
- ٢١١- نصب الراية، تخريج أحاديث الهداية. شرح جمال الدين الزيلعي (ت ٧٦٢هـ). القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٥م.
- ٢١٢- نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرضى والبتول والسبطين. جمال الدين محمد بن يوسف الزرندي الحنفي (ت ٧٥٠هـ). النجف الأشرف: مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ١٩٥٨م.
- ٢١٣- نهاية الأرب في فنون الأدب. شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ١٣٣٣هـ). القاهرة: مركز تحقيق التراث، ١٩٩٢م.
- ٢١٤- النهاية في غريب الحديث والأثر. ابن الأثير مبارك بن مبارك الجزري الشافعي (ت ٦٠٦هـ). تحقيق: طاهر أحمد الزاوي. قم المشرفة: إسماعيليان، ١٣٦٧هـ. ش.
- ٢١٥- نهج البلاغة- مجموع ما إختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. شرح الشيخ محمد عبده (ت ١٣٢٣هـ). بيروت: دار المعرفة.
- ٢١٦- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة. محمد باقر المحمودي (ت ١٤٢٧هـ). النجف الأشرف: النعمان، ١٩٦٥م/ ١٣٨٥هـ.

- ٢١٧- نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار. مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي (ت١٢٩٨هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ.
- ٢١٨- واقعة صفين. نصر بن مزاحم المنقري (ت٢١٢هـ). تحقيق: عبد السلام هارون. بيروت: المؤسسة العربية الحديثة للنشر، ١٣٨٢هـ.
- ٢١٩- واقعة الطف (مقتل الحسين عليه السلام). المؤرخ لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الأزدي (ت١٥٨هـ). قم المشرفة: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٣٦٧هـ. ش.
- ٢٢٠- الوافي (الروضة). الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ). تحقيق: ضياء الدين الحسيني. إصفهان: مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ١٤٠٦هـ.
- ٢٢١- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة. محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ). تصحيح: الشيخ محمد الرازي. تعليق: الشيخ أبو الحسن الشعрани. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٣م.
- ٢٢٢- وسيلة المآل في عد مناقب آل عليهم السلام. أحمد بن محمد بن باكثير المكي الشافعي المعروف بالحضرمي (ت١٠٤٧هـ). مخطوط.
- ٢٢٣- وفاة الإمام الجواد عليه السلام. عبد الرزاق المقرم (ت١٣٩١هـ). قم المشرفة: الشريف الرضي.
- ٢٢٤- وفيات الأئمة. علماء البحرين والقطيف. بيروت: دار البلاغة، ١٤١٢هـ.
- ٢٢٥- ينابيع المودة لذوي القربى. سليمان إبراهيم الحنفي المعروف بالقندوزي (ت١٢٩٤هـ). تحقيق: علي جمال أشرف الحسيني. طهران: دار الأسوة، ١٤١٦هـ.

المحتويات

٣	مقدمة الناشر
١١	المقدمة
١٥	محتويات الكتاب
١٧	الفصل الأول / مفتاح البحث: حب الحسن <small>عليه السلام</small>
١٩	مقدمة
٢٣	المودة العقلية والمودة العاطفية
٤٣	الروايات الواردة في حب الحسن <small>عليه السلام</small>
٤٩	الحب الأخلاقي
٥٥	الفصل الثاني / الترجمة التاريخية
٥٧	مقدمة
٢٠٧	الفصل الثالث / الخصائص الشخصية
٢٠٩	الإمامة
٢٣١	اللياقة العلمية
٢٣٩	العصمة
٢٥٣	الأفضلية
٣١٩	الفصل الرابع / الهدنة مع معاوية
٣٢١	مقدمة

٣٢٣	وريقات الحرب والسلام
٣٨١	الأجواء المعارضة للهدنة
٣٨١	مقدمة
٣٩٥	الأجواء الموافقة على الهدنة
٤٠٣	الاستنتاج
٤٠٥	الفصل الخامس / المعالم الاجتماعية
٤٠٧	الوضع الاجتماعي بعد وفاة رسول الله <small>صلى الله عليه وآله</small>
٤١٧	حاشية السلطان!
٤٣٧	نماذج للمدلسين والضعفاء في عهد معاوية
٤٤٣	آثار الصراع بين الإسلام ومن انتحل اسمه
٤٤٥	أولاً: الأكاذيب المفتعلة ضد الإمام الحسن <small>عليه السلام</small>
٤٧١	الأكاذيب المفتعلة لرفع شأن معاوية
٤٨٩	الفصل السادس / نصوصٌ مُنتقاةٌ
٤٩١	مقدمة
٥١٣	٤- فهرس المصادر